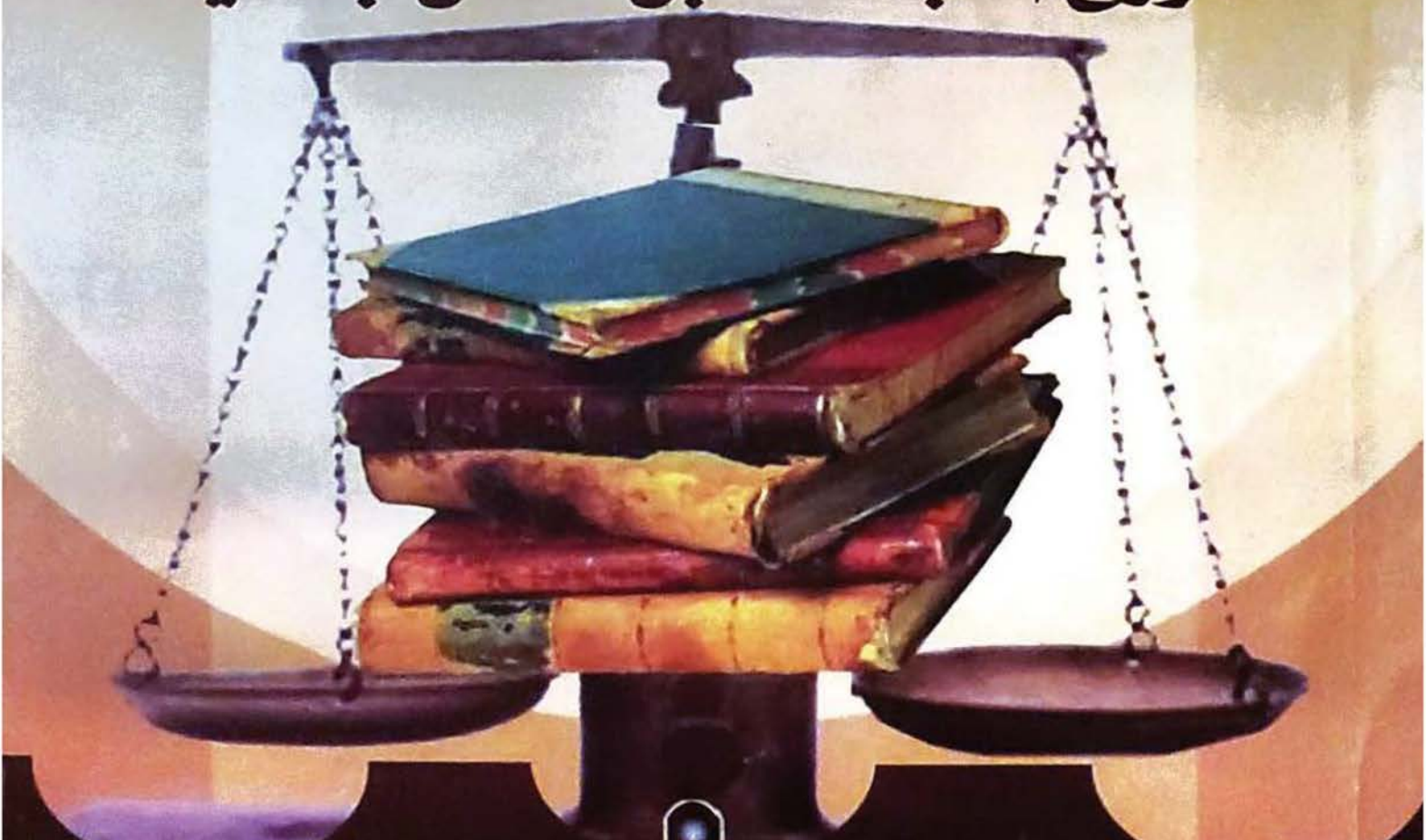
مجموعة كتب

في تاريخ وأنساب حضرموت

تأليف

المؤرخ/ عبدالله بن حسن بلفقيه



تريم للدراسات والنشر

مجموعة كتب

في تاريخ وأنساب
حضرموت

مجموعة كتب

في تاريخ وأنساب
حضرموت

تأليف

المؤرخ/ عبدالله بن حسن بلفقيه

توفي سنة ١٤٠٥هـ/١٩٨٠م

تريم للدراسات والنشر
ت: ٤١٨٨٨

رقم الإيداع بدار الكتب صنعاء 2009/141

العنوان: الأعمال الكاملة عبدِ الله بن حسن بن محمد بلفقيه.

المؤلف: عبدِ الله بن حسن بلفقيه.

عدد الصفحات: ٣٧٥

قياس الصفحة: ١٧ × ٢٤سم

عدد النسخ: ١٠٠٠ نسخة.

التنضيد والإخراج الفني:
مركز النور للدراسات والأبحاث.

حقوق الطبع محفوظة

يمنع طبع هذا الكتاب أو جزء منه بكل طرق الطبع والتصوير والنقل والترجمة والتسجيل المرئي والمسموع والحاسوبي وغيرها من الحقوق إلا بإذن خطي من:

الكتب والدراسات التي تصدرها الدار لا تعني بالضرورة تبنِّي الأفكار الواردة فيها؛ وهي تُعبِّر عن آراء واجتهادات أصحابها.

الطبعة الأولى
١٤٣٠هـ = ٢٠٠٩م

تريم للدراسات والنشر

تريم للدراسات والنشر
ت: ٤١٨٨٨٨ – تريم حضرموت – الجمهورية اليمنية

التنفيذ الطباعي:

مركز عبادي للدراسات والنشر - ت. 485691 / فاكس: 485692
سيار: 777219617 ص.ب: 662 - صنعاء - الجمهورية اليمنية

ترجمة موجزة عن حياة المؤلف – السيد عبد الله بن حسن بلفقيه

بسم الله وبحمده .. أراني كلما حملت القلم لأكتب عن حياة شيخنا البحاثة المحقق السيد العلامة الجليل عبد الله بن حسن بلفقيه. نكصت عن ذلك خشية أن لا أفيه حقه، فكثيراً ما تعجز الكلمات، وتنوء الحروف عن تصوير الحقائق التي يراد إثباتها، والوقائع التي يطلب تسجيلها. والذي زاد من ترددي عن طرق هذا الموضوع هو تعدد صفات العظمة – والنبوغ في حياة شيخنا المذكور مد الله في حياته النافعة، وبارك في أيامه، وأمتع به في عافية، ولكن طلب أخينا الماجد الأستاذ سقاف بن علي الكاف، وإلحاحه عليَّ أن أكتب عن حياة السيد المؤرخ عبد الله بلفقيه بمناسبة عزمه على طبع بعض مؤلفاته – شجعني على المضي في تسجيل بعض ما عرفته – عن كثب– عن حياة هذا العلامة الفذ – والحق أن التعريف بحياة هذا السيد من الوفاء بالواجب الذي له عليَّ وعلى كل طلاب العلم والمعرفة في هذا الوطن المحبوب.

ومع اعتذاري إليه إن كنت بخسته شيئاً فإني معترف بعدم بلوغ الغاية التي أعرفها عنه – ولكن يكفيني أن أقول: إني لم أقل كل الحق وأن ما قلته فهو الحق – وذلك حسبي – فما كل الحق يقال – ولكن ما يقال ينبغي أن يكون الحق – وأول ما أحب إثباته هنا هو أن أبادر إلى القول بأن السيد عبد الله بلفقيه من أصحاب العقول الموسوعية والمعارف الواسعة المتنوعة، وهو من الرجال الأفذاذ القلائل الذين قل أن يتكرروا، وهو ممن يحق للوادي – أعني وادي حضرموت أن يفخر ونفاخر بإنجابهم.

نسبه:

هو السيد عبد الله بن حسن بن محمد بن أبي بكر بن محمد بن أبي بكر بن محمد بن أبي بكر بن حسين بن محمد بن حسين بن عبد الرحمن بن محمد بن عبدالرحمن بن عبد الله بن أحمد بن علي بن محمد بن أحمد ابن الفقيه المقدم محمد ابن علي باعلوي إلى آخر النسب المعروف المشهور[1] المتصل بسيدة نساء العالمين فاطمة الزهراء البتول إلى سيدنا الرسول عليه الصلاة والسلام والإمام علي بن أبي طالب كرم الله وجهه ورضي عنه أجمعين.

مولده ونشأته:

كان مولده بمدينة تريم[2] في يوم الخميس ٢ ربيع الأول من سنة ١٣١٤ هـ أربعة عشر وثلاثمائة وألف هجرية – وبعد سن التمييز تلقى مبادئ القراءة والكتابة وقراءة القرآن بمعلامة بارشيد المنسوبة إلى سيدنا العيدروس الأكبر، ثم التحق بعد ذلك بالمعاهد الدينية، وزوايا المساجد التي كانت تلقى وتتلقى فيها الدروس لذلك العهد، ومنها رباط تريم ذي الشهرة العلمية، فهو أشبه ما يكون بالجامعات في هذا العصر، أو كما وصفه بحق بعض الكتاب بأنه أزهر بلاد الجنوب.

شيوخه:

أخذ المترجم له عن شيوخ عصره وأعلام وقته، وفي طليعة من أخذ عنهم وتلقى منهم السيد العلامة الداعي إلى الله علوي بن عبد الرحمن المشهور،

---

(١) وهو الفقيه المقدم محمد بن علي بن محمد صاحب مرباط بن علي خالع قسم ابن علوي بن محمد بن علوي بن عبدالله بن المهاجر إلى الله أحمد بن عيسى الأكبر بن محمد النقيب بن علي العريضي بن جعفر الصادق بن محمد الباقر بن علي زين العابدين بن الحسين السبط بن علي المرتضى أمير المؤمنين وابن فاطمة الزهراء البتول بنت رسول الله سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم. عن خدمة العشيرة (سقاف).

(٢) تريم هي مدينة بوادي حضرموت الرئيسي ذكرت كتب التاريخ بأنها من المدن القديمة. أي ما قبل الإسلام وتعرف بمدينة العلم ومدينة الثلاثمائة وستين مسجداً وبها آثار ومكتبة مليئة بالمخطوطات (سقاف).

والسيد الجهبذ العابد علي بن عبد الرحمن بن محمد المشهور والسيد الإمام العلامة عبد الله بن عمر الشاطري، والسيد العلامة حسين بن أحمد الكاف، والسيد الفاضل سقاف بن حسن بن أحمد العيدروس، والعارف بالله الحبيب عبد الله بن عيدروس بن علوي العيدروس، وقد أحاطه السيد عبد الله المذكور بمزيد رعاية واهتمام تام ومن شيوخه أيضاً الشيخ العلامة الفاضل أحمد بن عبدالله البكري الخطيب، وولديه الفقيهين[1] الشيخ أبي[2] بكر مفتي تريم وأخيه[3] عبدالله، والشيخ العلامة الفقيه محمد بن أحمد الخطيب والشيخ الفاضل عبد الرحيم بن عبد الله الخطيب وكل هؤلاء تريميون.

رحلته إلى جاوة:

ثم رحل السيد المترجم له إلى جاوة في مطلع عام ١٣٢٩ هـ وهي مهجر الحضارمة وقت ذاك - ولم يكن غير طلب المعاش والاشتغال بالتجارة هناك هو الباعث الأول لهذه الرحلة المبكرة غير أنه لم يدخل في غمار ما يرحل إليه المهاجرون من أمثاله، بل انتحى منهجاً آخر حيث انهمك في القراءة والمطالعة، والبحث بجد واجتهاد، والأخذ عن شيوخ العلم والمعرفة في كل بلد يصل إليه، فمن شيوخه هناك السادة الآجلة الأعلام أبو بكر بن عمر بن يحيى، وعبد الله بن علي الحداد، والسيد محمد بن أحمد المحضار، والسيد عبد الله بن محسن العطاس، والسيد أحمد بن طالب العطاس، والسيد أحمد بن محسن الهدار، والسيد محمد بن عيدروس الحبشي، وعلوي بن سقاف السقاف، والسيد علوي بن محمد الحداد والسيد عمر بن محمد إبراهيم السقاف، وفي جاوة اتصل بالسيد العلامة السلفي العصري محمد الصالح الشواشي الباجي التونسي المبعوث لتغذية النهضة العلمية

(١) الصواب: وولداه الفقيهان.

(٢) الصواب: أبو بكر.

(٣) الصواب: أخاه.

الإسلامية بجاوة وهو من أقران الشيخ عبد العزيز جاويش، وحافظ وهبة، وكان لاتصال السيد المترجم له بالسيد محمد الباجي عميق الأثر في فكره، والتأثر بآرائه وبقي على اتصال به إلى أن عاد صاحب الترجمة إلى تريم سنة ١٣٤٦هـ.

أعماله في الهيئة الاجتماعية:

كان السيد عبد الله من قادة النهضة الإصلاحية، وزعماء تنشيط الحركة الدينية والوطنية سواء في المهجر أو في حضرموت، وقد شارك أثناء إقامته بجاوة في حركة الإصلاح العربية، وكان يكتب المقالات المفيدة في جريدتي (الإقبال) و(حضرموت)، وكان من العاملين في إدارتيهما، وكان يلقي المحاضرات القيمة في الأندية والجمعيات، وقد نشر الكثير منها في المجلات بعضها باسمه، وبعضها باسم مستعار لمراعاة الظروف المحيطة، وقد أحدثت بعض كتاباته دوياً هز الرأي العام في حينها. وفي حضرموت شارك السيد عبد الله في تأسيس نادي الشبيبة المتحدة بتريم بإلقاء الدروس والمحاضرات، كما كان عضواً في هيئة إدارة مدرسة جمعية الحق التي تخرج منها كثير من رجال العلم والإصلاح، ثم حث وشجع على تأسيس مجلس الإفتاء الشرعي بتريم، الذي كان يرأسه فضيلة الوالد المرحوم سالم ابن سعيد بكير باغيثان، وأخيراً اشترك السيد عبد الله في تأسيس المعهد الفقهي بتريم، وكان أحد أعضاء هيئة إدارته، وهو الذي تخرج منه جملة صالحة من الفقهاء والمدرسين الحاليين وفي غير ما ذكرناه من الجمعيات التي كانت موجودة في ذلك العهد لم يغب عنها السيد عبد الله بآرائه وإرشاداته المفيدة وتوجيهاته السديدة، فقد عاش حفظه الله طيلة حياته المديدة باذلاً نفسه وعلمه ورأيه الصائب لكل طالب وراغب.

ومما ينبغي أن نشير إليه في حياة شيخنا المؤلف، أنه كان على أقوى روابط الصداقة والأخوة مع أقرانه من قادة الفكر ورجال العلم في كل مكان، ممن عرفهم وعرفوه، وكان من أخص أصحابه وجلسائه فضيلة العلامة المرحوم

السيد أحمد بن عمر الشاطري، والأستاذ الكبير محمد بن هاشم بن طاهر، والوالد الشيخ العلامة الفقيه سالم بن سعيد بكير باغيثان، والسيد العلامة الأديب زين العابدين أحمد الجنيد، والسيد الندب حمزة بن عمر العيدروس، والعلامة المفتي الشهير السيد عبد الرحمن بن عبيد الله السقاف، والإمام الحبر الحجة علوي بن طاهر الحداد، وكل هؤلاء قد انتقلوا إلى رحمة الله – كما كان من جلسائه وإخوانه فضيلة السيد العلامة علي بن محمد بن يحيى مدير المعهد الديني بغيل باوزير سابقاً، وكان السيد المرحوم العلامة الرحالة عمر بن أحمد بن أبي بكر سميط لا يترك زيارة السيد عبد الله في كل مرة يقدم فيها إلى تريم، وقد أثمرت هذه الجلسات والمذاكرات مع هؤلاء العلماء الأفاضل بحوثاً وفوائد قيمة، فلم يكن الأستاذ ابن هاشم ليكتب رحلته إلى الثغرين بتعليقاته التاريخية عليها لو لم يشر عليه بذلك صاحب الترجمة، كما كان السيد عبد الله من المساعدين له في إخراج كتابه القيم عن (تاريخ الدولة الكثيرية)، ولم يكن كتاب السيد علوي بن طاهر الحداد الموسوم بجني الشماريخ سوى جواب عن أسئلة في غوامض تاريخ حضرموت رفعها إليه السيد عبد الله إلى غير ذلك مما لا نستطيع استيفاءه ولو قدر الله وقام أحد بجمع الرسائل العلمية المتبادلة بين المؤلف وهؤلاء العلماء وغيرها لحفظ علماً غزيراً عن الضياع، وعسى أن يوفق الله لذلك.

صفاته وأخلاقه:

ومجمل القول عن السيد عبد الله بلفقيه أنه علامة فاضل جليل القدر، رفيع المحل، مجمع على علو مكانته، وسمو منزلته، معظماً محترماً لدى الموافق والمخالف؛ ذلك أن أخلاقه العالية وأحاديثه العذبة تفرض على سامعه أن يقر له بما ذكر، فهو ممتع المحاضرة والمذاكرة، كان فاضلاً شريفاً أبياً سرياً ألمعياً، مع وفور العقل، وأصالة في الرأي، وحدة الذهن، محققاً غواصاً على المعاني، تحدث

عنه بعض الصحفيين ممن زاره فكتب عنه: أنه ممن يزن كلامه بميزان الذهب. ومعنى هذا أن السيد بلفقيه لا يرسل القول على علاته، وإنما إذا تحدث أو كتب فهو يعني ما يقول كما يعبر المعاصرون، كما يعرف هذا من أبحاثه وأحاديثه، فهو إذا تحدث عن واقعة ما فإنه يصفها بأشخاصها وزمانها ومكانها مبالغة منه في الدقة والاحتياط يعرف عنه هذا مجالسوه وزواره. وتحدث عنه بعض المستشرقين من هيئة الإذاعة البريطانية فوصفه (بالبحاثة، المحقق) وفي رسالة له من علامة الحرمين الشريفين السيد علوي بن عباس المالكي قال عنه: «إلى عالم تريم وبدرها المؤرخ الداعي إلى الله العليم».

أبحاثه ومؤلفاته:

يرجع ابتداء اهتمام صاحب الترجمة بأبحاث التاريخ إلى سنة ١٣٣٢ هـ وتدور أكثر أبحاثه ومؤلفاته في تحقيق التاريخ الحضرمي وتمحيص دراسته، إلى جانب اهتمامه كذلك بعلم النسب، وما يتصل به، تجدر الإشارة إلى أن ما لم يتم ولم ينشر من أبحاثه أكثر مما نشر، وفي رأيي أن أهم مؤلفاته هو كتابه عن حياة الإمام المهاجر أحمد بن عيسى الحسيني أصل دوحة السادة العلويين الأشراف في حضرموت، وأول من هاجر من البصرة إليها، وقد سمى هذا الكتاب صبح الدياجر عن حياة الإمام المهاجر، والذي كتبه منه مقدمة مسهبة عن أسباب هجرة الإمام، واستعراض حالة البصرة وحضرموت في ذلك العهد وغير ذلك، ثم الفصل الأول عن نسب المهاجر، وفصل عن منشأ النقابة الطالبية، وبيت آل العريضي، ونقابة البصرة، وفصل آخر عن مذهب الإمام المهاجر الذي أثار الجدل حوله بعض المؤرخين المعاصرين.

✓ فبينما يؤكد المؤلف أن سيدنا المهاجر كان سُنِّي العقيدة، شافعي المذهب في الفروع يذهب العلامة ابن عبيد الله السقاف والسيد الأديب صالح بن علي الحامد إلى أنه كان إمامي المذهب* غير أنهما لا يستندان إلى دليل وثيق فيما زعماه،

وقد سئل عن ذلك شيخ العترة العلامة المرجع علوي بن طاهر الحداد فكتب مؤلفاً ضافي الذيول أسماه (إثمد البصائر في البحث عن مذهب الإمام المهاجر) انتصر فيه لرأي السيد بلفقيه، وبيَّن الأدلة القاطعة[1] في تأييد ما ذهب إليه.

وعندما سألت السيد عبد الله عن سبب عدم إكماله كتابه عن الإمام المهاجر أبدى أسفه الشديد لعدم تمكنه من ذلك وقال أن السبب الأول هو عدم توفر المراجع التي يمكن الرجوع إليها ولو أن هذا الكتاب تم ونشر لسد فراغا كبيرا وغطى حلقة لا تزال مفقودة في تاريخنا الحضرمي وهذه أسماء بعض مؤلفاته الأخرى التي نشرت:

١. صبح الدياجر عن حياة الإمام المهاجر.

٢. استدراكات وتحريات على تاريخ حضرموت في شخصيات.

٣. تفنيد مزاعم الشيخ صلاح البكري.

٤. نقاش تمحيص وتنقيب عن الملقب بالنفاط من بني عيسى النقيب.

٥. تاريخ رباط تريم.

ومما تم ولم ينشر:

٦. نحو المدخل إلى التاريخ الحضرمي.

٧. بحث في التاريخ المعاصر للحياة الثقافية منذ وقبيل قدوم المهاجر.

٨. جلاء الحقائق وتمحيص النقل على كتاب (صلة الأهل).

٩. لمحة من زاوية التاريخ الحضرمي.

وإذا كان المؤلف لم يكتب في تاريخ حضرموت كتاباً شاملاً فإنه قد وقف حارساً أميناً لكل من أراد أن يحرف حقائق التاريخ، أو من يحاول تشويهها والجنوح بها مع الهوى، كما أنه من الناحية الأخرى كان المشجع للكثيرين ممن

كتبوا في التاريخ الحضرمي، وبدأت مؤلفاتهم تطبع وتنشر فغطت بعض الجوانب ذات الأهمية، ومن أقواله المشهورة في هذا الصدد: «من شاء أن يكتب أو يؤلف خدمة التاريخ الحضرمي فليفعل، وهو لا ريب بهذا مشكور الصنيع علمياً وقومياً، ولكن علينا أن ندرك فوق ذلك أن الغربلة مقبلة ..»

علي سالم سعيد بكير باغيثان. تريم

في ٣/١٢/١٣٩٧هـ

١٤/١١/١٩٧٧م



نحو المدخل
إلى التاريخ الحضرمي

تأليف

عبد الله بن حسن بن محمد بلفقيه

نحمد الله جل جلاله في قدس كماله على عظيم نواله، وعميم إفضاله. ونصلي ونسلم على سيدنا محمد خير الخلق، المبعوث برسالة العدل والصدق، وإبلاغ الحجة بمعجز البيان، ومنطق الحق، وعلى جميع آله، وصحبه، وأنصار ملته وحزبه.

هذا ما تيسر تسطيره وتحريره من بحث وتقرير حول مقال للكاتب الصحفي أحمد عوض باوزير في دراسة التاريخ الحضرمي، نشره في جريدة النهضة العدنية، الصادر في ١٦/ ١٠/ ١٣٧٣ هجرية و١٧/ ٦/ ١٩٥٤ ميلادية عدد (٢٠٥) بعنوان: (*المدخل إلى التاريخ الحضرمي*) فنقول: إنه قد أتيح لنا مؤخراً الإطلاع على هذا المقال، وكان الكاتب قد أدار موضوع الكلام فيه؛ لتوجيه المستشرق الإنكليزي الكبير الدكتور سارجنت إلى ما ينبغي سلوكه في دراسته التاريخ الحضرمي[1] بحيث يكون الجري بمقتضى تلك الخطة التي يرى حضرة الكاتب أنه قد أبرز خطوطها للمدخل إلى التاريخ الحضرمي[2]، ولعل أهم ما يحسن بنا التعرض له هو البحث في تلك النقاط التي قد جعلها الكاتب

(١) نذكر هنا أنه بعد نشر هذا المقال، وعودة زيارة المستشرق الدكتور سارجنت المذكور لحضرموت وقع حوار بينه وبين بعض الإخوان، وسأله هذا الأخ عن اطلاعه على هذا المقال الموجه لإرشاده في دراسة التاريخ الحضرمي، فما كان من جوابه على هذا السؤال إلا أن قال: «وهل تعتقدون أن مثلي يعقل أن يتلقى هذا التوجيه فيسترشد لصحفي مثل هذا الكاتب الساذج بالنسبة للمختصين في دراسة التاريخ».

(٢) حررنا هذه الرسالة عقيب اطلاعنا على المقال المومى إليه، وقد قدمت للطبع في سنة ١٣٧٥هـ بمعية رسالتنا (استدراكات وتحريات على تاريخ حضرموت في شخصيات) بالمطبعة التجارية بعدن، غير أن ما وقع من رداءة التصحيح وكثرة الأخطاء والخبط في الطبع برسالة استدراكات وتحريات حملنا على سحب هذه الرسالة من تحت الطبع، وتأجيل ظهورها إلى وقت يأذن الله فيه بنشرها، وهكذا أغفلنا إظهارها هذه المدة فلزم التنبيه لذلك.

محوراً لهذا المقال، والتي يمكن تلخيصها فيما يلي:

أولاً: فيما يجب في تدوين التاريخ من التجرّد التام عن النزعة الطائفية، بمعنى عدم الخروج عن موضوع البحث العلمي إلى الدعاية لطائفة أو ضد طائفة ما.

ثانياً: في أن هناك طائفة معروفة للكاتب بعينها قد عمدت إلى إخفاء وإطماس آثار تاريخ الدور الإباضي، أو الفترة الطويلة التي حكمت فيها دويلات كندة التي تمتد من ظهور طالب الحق الكندي سنة ١٢٩ هـ حتى أواخر القرن السادس الهجري على ما يذهب إليه الكاتب.

ثالثاً: في أن حضرموت - فيما يؤكد الكاتب - لم تعرف عهداً ارتقت فيه العلوم، وازدهرت فيه الآداب، وعرف الناس فيه الاستقرار كالعهد الكندي.

رابعاً: في اغترار الكاتب بلامع السراب فيما يستند إليه من النقل عن «المشرع» في ما يتعلق بتردد آل أبي علوي إلى تريم أثناء استيطانهم بيت جبير.

خامساً: في كون نزوح المهاجر من العراق كان في النصف الثاني من القرن الرابع على أصح الروايات لدى الكاتب، وما يذهب إليه من أن بني المهاجر قد أقاموا بالحسيسة أكثر من مائتي عام، وكانوا خلالها يترددون على مجالس العلم في تريم، التي يجلس للتدريس فيها جماعة من علماء الإباضيه وفقهائها.

سادساً: جزم الكاتب بأنه لم يكن لآل أبي علوي أي خطورة ما في المكانة بحضرموت إلا على أثر إعلان آل كثير لدولتهم الجديدة الأولى في أواخر القرن الثامن الهجري وقد كان لهم اليد الطولى في إنشائها وتدعيمها.

* * *

كيف ندوّن التاريخ؟

وبسبيل التعليق على **النقطة الأولى** فيما يجب في تدوين التاريخ ودراسته مما يشير إليه المقال. نقول: إنه وايم الله ليسرنا كثيراً أن يتناول أمثال حضرة الكاتب موضوع هذه النقطة وزيادة في هذا الأوان المناسب الذي يشتد فيه الاهتمام بتحقيق التاريخ الحضرمي، ليس من جانب المشتغلين من الحضرميين فحسب، بل ومن الأجانب أيضاً ممن يهمهم أن يدْلُوا بدلْوِهم في خدمة العلم ومؤازرة الحركة العلمية في بلاد الجنوب العربي .

ونحن وإن كنا في طليعة من تناول بحث هذا الموضوع المهم منذ بضعة عشر عاماً صوناً لسمعة المؤرخ الحضرمي، وحرصاً على المحافظة على الروح العلمي في درس التاريخ وكتابته.

فإن مما لا يسرنا في هذا المقام الإيماء إلا أننا مازلنا نرى بين مؤرخينا وهم على أبواب هذه النهضة العلمية التاريخية من لا يعتد بما قرروه واشترطوه في المؤرخ، وذلك أن ينتفي من أهوائه ونزعاته، ويتجرّد مما يعرض له من الميول الماسة بالمقام العلمي؛ ليصبح في عمله شخصاً تاريخياً، كما يتجرّد القاضي ليكون في قضائه شخصاً قانونياً ليس غير. وما ذلك في ما ذكروه إلا لأن المؤرخ بحكم صناعته موضوعي النظر إلى الحوادث فينبغي أن يضبط عاطفته جهد طاقته، فلا يجعل لها على قلمه سلطاناً، وأن يتقيد بالواقع كل التقيد؛ ليسبح في محيطه، فإن حلق فوقه فلكي يتمكن من رؤيته والإحاطة به من مختلف جهاته لا أكثر ولا أقل.

هل هناك طائفة عمدت إلى إخفاء وطمس آثار الدور الإباضي بحضرموت؟

وبعد هذا التعليق على النقطة الأولى نمضي فيما نحن بصدده من مبحث النقطة التي تليها فنقول:

أما ما يميل إليه حضرة الكاتب من تحقيق أمر النقطة الثانية في كون هنالك

طائفة معروفة بعينها لدى حضرة الكاتب عمدت إلى إخفاء وإطماس آثار وتاريخ الدور الإباضي بحضرموت، وما حاوله بهذا الصدد من ذلك التدليل الهزيل على صدق ما يذهب إليه في تعيين الطائفة، وبأنها قد استخدمت الوسائل الجهنمية لهذا الغرض والحال أنه لم يجد له ما يستند إليه في هذه المحاولة إلا ذلك الاستشهاد المتداعي، ثم ذلك التظاهر الغريب المخالف للواقع بما يدعيه حيال هذا الاستشهاد، من ضبطه للنقل بالحرف الواحد من رسالة (جني الشماريخ) تأليف السيد العلامة علوي بن طاهر الحداد (صـ١٣) كما سيأتي توضيح ذلك؛ فإنه مع كون هذه النقطة هي مما لا يرتاب الباحث في أنها محل إشكال، وموضع نظر ليؤسفنا بل يؤسف طبعاً سائر طلاب التحقيق من حضرميين ومستشرقين ورود مثل هذا النقل في مقال حضرة الكاتب، بما يخالف ما في الأصل، وأن تكون المخالفة وقعت بالذات في ذلك الموضع الذي هو على أكبر جانب من الأهمية في سياق ذلك النقل، هذا بصرف النظر عن أهمية ما نحن فيه من الموقف، وما يترتب عليه من أثر في القيمة والاعتبار، وذلك ليس بالنسبة فقط إلى ما يتطلبه البحث العلمي للتاريخ الحضرمي بحد ذاته من الجد والإخلاص في الدراسة والتمحيص، وإنما بالنظر أيضاً إلى ما يتعلق بمغزى إثارة هذا الموضوع وفتح باب النقاش بهذه النقطة، الأمر الذي يدور عليه ما يشنه حضرة الكاتب – أصلحه الله – من هذه الغارة الشعواء، والتهجم العنيف مما نخشى إذا لم يعد إسفافاً في هذا الموطن أن يعتبر استهتاراً بالعقول، واستخفافاً بحق مقام هذا البحث وتقديس مكانة العلم.

حقاً إننا نربأ بما يشغله أمثال حضرة الكاتب بين الكُتَّاب القديرين من المنزلة والتقدير في المجتمع الحضرمي أن يُؤْثَر عنهم أنهم قد يكونون أحياناً كأولئك الذين يفقدون توازنهم في بعض ما يتناولون من الموضوعات، فتجمح بهم الميول، وتتحكم فيهم العواطف، حتى تخرج بهم عن جادة القصد الصواب، وعن ما هم قائمون به من تنوير الجماهير بتقرير الحقائق على أساس النزاهة،

وحسن النية والإخلاص للعلم.

ونعود إلى ما نحن بصدده من البحث فنقول: سواء في تلك النسخة المطبوعة من تلك الرسالة التي يشير إليها حضرة الكاتب أم في النسخة المخطوطة التي أتحفنا بها سابقاً فضيلة المؤلف عند تأليفه هذه الرسالة، فإننا نجد عبارة الأصل تَلُوح بيّنة في نفس تلك الصفحة (١٣) المنقول عنها هكذا: ((رأوا في سيرة أسلافهم)) بينما نرى أنها ورد في مقال الكاتب كان هكذا: ((رأوا في سيرة الأسلاف)) وعليه فلا ريب فيما يؤخذ من عبارة الأصل أن المراد بالأخلاف إنما يقع على الحضرميين ممن كان أجدادهم إباضية قبل كل أحد، فهم الذين تصفهم أو تذكر عنهم هذه الرواية أنهم بعد انتقال حضرموت إلى المذهب السني حين رأوا ما ينكرونه من سيرة أسلافهم عمدوا إلى ما تذكره هذه الرواية من ذلك الإخفاء والإفناء، فهذا المراد هو مما لا يحتمل اللفظ ولا المقام غيره، بل إنه يتعين الذهاب إليه اعتباراً بقوة الجهة أي جهة البنوة التي تقتضي تقديمهم، والأصل الذي يدلون به لأولئك الأسلاف.

وهيهات أن يكون المراد بكلمة الأخلاف غير من ذكرنا حتى ولو كانوا ممن يشتركون مع من تقدم بأنهم أخلاف في سكنى حضرموت لأولئك الإباضية، فهم ممن لا يسوغ المقام تقديمهم لضعف الجهة التي يُدْلُون بها، وممن لا يجعلهم الاعتبار فوق ذلك أخلافاً لأولئك الإباضية لا نسباً ولا مذهباً.

أما إن كان حضرة الكاتب إنما يقصد بكلمة الأخلاف جميع السنيين الحضرميين من سلالات أولئك الإباضيين ومن المهاجرين إلى حضرموت من علويين وغيرهم ممن دالت على يدهم دولة الإباضية بحضرموت طائفة ومذهباً وهو الذي يَلُوح مما مال إليه حضرة الكاتب بصدد تعيين الطائفة التي يرمئ إليها، وكون الشيء الجامع لها اختلافها في العقيدة والرأي مع أولئك الإباضية والأسلاف فهذا الذي يقصده بكلمة الأخلاف مما لا ينبغي أو مما لا يصح أن

ينحصر الأمر في إطلاقه على قبيلة أو عشيرة حضرمية بعينها ما دامت الطائفة السنية قد شملت حضرموت على أثر اضمحلال المذهب الإباضي وتلاشي الطائفة الإباضية بحضرموت في عهد دولة آل راشد، وإزالة أعلامها من شبام، وقد كان ذلك في أواخر القرن السادس فيما يقرب من مستهل القرن السابع[1].

* * *

متى كان مبدأ عهد تدوين التاريخ الحضرمي؟

وقد يبقى من واجب الباحث أن يتساءل: في أي زمن قامت هذه المؤامرة لإخفاء وإفناء تواريخ حضرموت القديمة؟ ومَنْ هم أركان هذه المؤامرة؟. والحال أن إزالة أعلام الإباضية نهائياً من حضرموت إنما وقع في ذلك العصر الذي مازال يحتوي على العدد الكثير من أولئك الثلاثمائة مفتي الذين كانوا بتريم فيما بين منتصف القرن السادس وأوائل القرن السابع، أي ذلك العصر الذي هو أيضاً عصر الرعيل الأول من المؤرخين الحضرميين[2]، ومبدأ عهد تدوين

(١) ذكر العالم المؤرخ السيد أحمد بن عبد الله شنبل في تاريخه، وهو الذي يهتم حضرة المستشرق الكبير الدكتور سار جنت بتحقيقه، وأيضاً فيما يقال بطبعه ونشره فقال في ذكر حوادث سنة (٥٩١هـ): وفيها «أزيلت الإباضية من مسجد شبام المعروف بمسجد الخوفه، وشبام قرية من قرى حضرموت». ومع ما يبدو من هذا بأنه إلى ذلك العهد يرجع انكماش الإباضية من مركزها بشبام، ومزايلتها وادي حضرموت، لكن المعتقد أن تقلصها من وادي حضرموت نهائياً إنما كان على عهد السلطان عبد الله بن راشد المتولي سنة ٥٩٣ كما ذكر ذلك فضيلة العلامة السيد علوي بن طاهر الحداد في (٢/ ٨٩) من كتابه (عقود الألماس) في ذلك البحث الذي عنوانه (سلاطين تريم ومن قضى على الخوارج منهم) وفي ذلك البحث القيم لهذا الإمام الجامع لأكثر العلوم من فقه وحديث وتفسير وتاريخ ما يشفي الغليل ويروي تعطش الباحثين.

(٢) يتألف هذا الرعيل الأول فيما انتهى إليه التحقيق من أولئك المؤرخين التريميين الثلاثة وهم الإمام محمد أحمد بن أبي الحب، والإمام القاضي أحمد محمد باعيسى مؤلف الياقوت الثمين. وللفائدة نثبت هنا أن كتاب الياقوت الثمين هذا يعد أقدم مصدر تاريخي لذكر الإمام يحي بن عبد العظيم الحاتمي الذي كان من معاصري الإمام علوي بن محمد صاحب بيت جبير المتوفى سنة ٥١٢هـ، وأن بني حاتم هؤلاء يمتازون بأنهم من قدماء فقهاء تريم، فقد خصصهم بهذا النعت الشيخ الإمام علي بن أبي بكر بن عبد الرحمن =

التاريخ بحضرموت كما يدري بذلك كل من ألمّ ببحث موضوع تدوين التاريخ الحضرمي أو بالأقل، كما يؤدي إلى ذلك التحقيق، وما تم من الدراسة بهذا الصدد. وهل يمكن اتهام الرعيل الأول هؤلاء من المؤرخين وهم طبعاً المصدر الأول لمن تلاهم من المؤرخين كابن حسان الذي يقع في الرعيل الثاني من المؤرخين، وكالخطيب مؤلف (الجوهر الشفاف)، وكالعلامة عبدالله بن عبدالرحمن باوزير مؤلف (التحفة النورانية) وغيرهم، وأن نعتبرهم في هذا الاتهام قد طووا عمداً، أو اطمسوا أخبار العهد الإباضي والمدونات التاريخية المعروفة لذلك العهد؟ بينما أنهم قد نشروا أو وضعوا وضعاً مناقب وسيراً أضافوها لبعض الأشخاص والأسر لأجل التمويه وتضليل الناس عن الحقائق التاريخية الصحيحة وقبل ختام البحث وإنهاء الدراسة لهذه النقطة المهمة التي لاشك في أنها جداً مهمة غامضة بقدر ما هي جداً مريبة شاذة يمكننا أن نشير إلى ما تقتضيه هذه الرواية وتفيده، وذلك من كون تلك التواريخ القديمة التي تذكر أن الأخلاف عمدوا إلى إخفائها هي مما عني بتدوينه أسلافهم الإباضية المتقدمون قبلهم وصنفوه في خلال الدور الإباضي.

ويستنتج من هذا أيضاً أن الإباضية هم كبقية الطوائف الأخرى على جانب من الحرص والعناية بتدوين أخبارهم وتسجيل وقائعهم، وأن هذه الشنشنة قديمة متأصلة فيهم منذ تقادم عصورهم، وقيام حركتهم بحضرموت، وأنهم قد مضوا كذلك عليها خلال تلك الأحقاب التي تفردوا فيها بالشوكة بحضرموت، وأنه لولا ما وقع من الأخلاف بحسب ما تنص عليه هذه الرواية من اطماس هذه التواريخ القديمة حينما قلب الدهر للإباضية ظهر المجن بتغلب المذهب السني بحضرموت لكانت هذه التواريخ منتشرة متداولة بين الناس، وأنه ليقع للباحث في هذا الذي يستفاد من فحوى هذه الرواية كيف أنه لم

= السقاف وأفردهم بقوله كما في (صـ١١٦) من كتاب (البرقة المشيقة) المطبوع بمصر عام ١٣٤٧هـ: ((ومن قدماء فقهاء تريم الفقهاء بنوا حاتم الأئمة الكاملون والعلماء المشهورون.....الخ)).

يتسرب إلى إقليم عُمان شيء من هذه التواريخ والكنوز الفكرية للإباضية بحضرموت، وفي تلك المدة الطويلة التي حكمت فيها دويلات الإباضية حضرموت مع ما بين حضرموت وعُمان من المصاحبة وقرب الاتصال ساحلاً وداخلاً، وما كان يوجد بينهما أيضاً في تلك القرون خلال الدور الأول الإباضي من علاقات الصلة المذهبية، وأحياناً من روابط التعلقات السياسية، وما هو هذا السر الغامض في عدم تسرب شيء من هذه التواريخ والكنوز الحضرمية الإباضية إلى عُمان الإقليم الإباضي الآخر الشقيق لحضرموت بذلك العهد؟.

وأياً ما كان الأمر فيما أسلفنا من التحقيق والبحث وفيما يذهب إليه البعض من كون الإباضية هم أجهل الناس بقديمهم، وأن جملة تاريخهم غامض مطموس وأن عصر الإباضية مجهول التفصيل، والإحالة عليه إحالة على مجهول، وكذلك فيما يقرره عن الإباضية أشهر مؤرخيهم الشيخ عبدالله بن حميد السالمي[1] كما في (٢/ ٤٤) من كتابه «تحفة الأعيان بسيرة أهل عُمان»، وما يذكره مما عرف إلى الأزمان المتأخرة من عدم اهتمام هذه الطائفة بتدوين التاريخ بالطبع والعادة المتوارثة فيهم إلى أن قال آسفاً ومنددا بهذه الشنشنة التي عرفوا بها مما هذا لفظه «وليتهم أرخوا وقائعه بالنصارى وفتوحات أرض الهند، لكن الطبع غلب عليهم فقد جرَت العادة عندهم بإهمال التاريخ اشتغالاً بالأهم»[2].

إنه أياً ما كان الأمر في جميع مما أوردنا فإنه إلى أن ينتهي تمحيص هذه النقطة إلى غايته يكون لزاماً على المؤرخ المتثبت أن لا يقطع بشيء، فليس بالحسن المأمون فيما ذكروا الإسراف في القبول، ولا الإسراف في الإنكار. وإنما الحسن المأمون أن نأخذ بدليل، ونرفض بدليل، وكما هو واضح مما قرره العلماء أنه لا

(١) كان السالمي هذا قد ألف تاريخه هذا في القرن الثاني عشر الهجري، ولا يعرف أنه قد ألف تاريخ الإباضية قبل هذا المؤلف؛ وذلك لأنه كما ذكر ذلك السالمي أن الإباضية يرون أن التاريخ من الفضول؛ فلذلك لم يهتموا به

(٢) انظر ترجمة إمام عُمان سلطان بن سيف المتوفى في القرن الحادي عشر.

يكون اليقين والجزم بالنفي أو الإثبات إلا ببرهان قاطع؛ ولهذا فالتسرع في الجزم بشيء قبل أن يوجد ويتقرر هذا البرهان القاطع لهو محاولة خرافية قبل كل شيء، ثم هو ومن ناحية أخرى جرأة على العلم والعقل أكبر من التصديق من غير برهان اعتماداً على مجرد شي يروى لا يسنده التحقيق، ولا يؤيده الواقع المعلوم.

أصحيح ما يقال من أن حضرموت لم تعرف عهداً ارتقت فيه العلوم كالعهد الكندي؟.

وللملاحظة على تلك **النقطة الثالثة** فيما يؤكده الكاتب من أن حضرموت لم تعرف عهداً ارتقت فيه العلوم، وازدهرت فيه الآداب، وعرف الناس فيه الاستقرار كالعهد الكندي[1]. نقول: إن حضرموت لم تعرف عهداً ارتقت فيه العلوم وازدهرت فيه الآداب سوى ذلك العهد الذي كان بوادي حضرموت الرئيسي وهو ما يسمى بوادي ابن راشد المشتمل على مدينتي تريم وشبام وغيرهما فهو ذلك العهد الذي يتردد صدى ذكره فيما بين أيدينا من تواريخ حضرموت، وفيما جاء من ذكر بعض رجالاته في جملة التواريخ اليمنية كتاريخ ابن سمرة والجندي وطبقات الشرجي، ويرجع تاريخ هذا العهد إلى ما لا يكاد

(١) من المشكوك فيه كثيراً أن يجد الباحث أساساً لهذا الذي يميل إليه حضرة الكاتب، لا لمحاولة تقريره فقط، وإنما فوق ذلك لمحاولة تأكيده بكل ما في وسعه من قوة واستطاعة، ويعود سبب هذا الشك إلى كون ما يميل الكاتب إلى تأكيده هنا قد يكون ما يعوزه إقامة الدليل عليه من المصادر التاريخية وهي الخالية عن ذكر شي مما يتصل بهذا الذي يؤكده الكاتب مع العلم بأن الصلة مقطوعة بين الباحث الحالي وبين تلك الحوادث التي يفصله عنها عدة قرون وأنه لا طريق له عن غير هذه المصادر.
ولعل مما يرد ما يؤكده حضرة الكاتب من الارتقاء العلمي في العهد الكندي ما جاء في (صـ١٤) من رسالة (جني الشماريخ) بذلك المبحث بعنوان (أولئك القضاة والرواة ليسوا من حضرموت) حيث قال فضيلة المؤلف فيما حققه عند ذكر القضاة والرواة الحضرميين في القرن الثاني والثالث في أمصار الإسلام (أنه ليس هنا نقل تاريخي أنهم تعلموا في حضرموت أو تربوا فيها بل منهم من علم أنه كان ممن ولد بمصر أو الشام أو العراق وإن كان أبوه وجده ممن ولد بحضرموت ولم يعرف أنه كان لذلك العهد لعلم الحديث سوق بحضرموت وهو أصل الفقه بعد القرآن) وبهذا الذي جاء في (جني الشماريخ) قال الحافظ السخاوي في كتاب (الإعلان بالتوبيخ) [كتابه هذا يسمى التوبيخ لمن ذم التاريخ وهو مطبوع بالقاهرة].

يتجاوز في مبتدئه أواخر القرن الخامس الهجري، وذلك عقيب قيام دولة آل راشد التي كان أول ظهورها عقيب غزوة الصليحي لحضرموت في أوائل النصف الثاني من هذا القرن.

وعلى هذا فإن من التهافت الشديد إضافة هذا العهد إلى دولة كندة أو جعله منسوباً إلى مذهبها الإباضي؛ لمخالفة هذا الصنيع لكل ما في تلك التواريخ من حضرمية ويمنية، فهذه هي أسفار تلك التواريخ متداولة بين الناس في حضرموت واليمن وغيرها، أليس يندر فيها وجود ذكر لعالم أو أديب إباضي في حضرموت في ذلك العهد؟ هذا إذا لم نقل أنه يتعسّر أو يتعذّر العثور فيها على شيء من هذا القبيل. بل إنه يتعسّر أو يتعذّر العثور في تلك الأسفار على وجود عهد كندي أو إباضي حتى فيما قبل عهد دولة الراشديين يمكن أن يفهم منه شيء عن هذا الذي يؤكده حضرة الكاتب من بلوغ حضرموت فيه ذروة الارتقاء العلمي والأدبي، وقمة الاستقرار السياسي.

ونكاد نجزم أنه لا خلاف بين المؤرخين من أن انقضاء حكم كندة لوادي حضرموت الرئيسي قد كان على أثر قيام دولة آل راشد بذلك العهد الذي تقدّم ذكره، ففي كتاب (البرد النعيم) للشيخ محمد بن عبد الله بن سليمان الخطيب التريمي (٩٥٦هـ- وفاته بعد ١٠٢٢هـ) ذكر أن آل أبي ظنه الذين أول ملوكهم السلطان مسعود بن لبيد المتوفى بتريم ٦٤٨هـ هم ملوك حضرموت قديماً قبل آل كثير، وبعد آل بني قحطان وهم آل راشد. ثم في آخر كلامه قال ما لفظه: ((قلت وقبل الجميع كندة إلى عهد الرسول صلى الله عليه وآله وسلم، وفخذ منهم الآن قبيلة تسمى الصيعر)).

* * *

الاستناد إلى (المشرع) بما يخالف الحقيقة:

ونقول في الملاحظة على النقطة الرابعة وهي اغترار الكاتب بلامع السراب فيما يستند إليه من ذلك النقل عن (المشرع) مما يذكرنا صواب رأي الأستاذ عباس العقاد فيمن يسميهم بالمؤرخين الورقيين أو الحرفيين من أولئك الذين لا ينظرون إلى ما وراء الآكام، ولا يتدبّرون حقائق النقل لا فيما يستند إليه ذلك النقل، ولا فيما عسى أن يكتنف استيضاحه من خلف وأمام مما يجوز ومما لا يجوز، وما يستحق أن يعارض ومما يجب أن يرفض بداهة، فلا يطول البحث فيه بعد ذلك إلا لتطبيق أصول النقد، واتخاذ الأمثلة على حقائق التاريخ وأباطيله.

نقول: إنه من المهم أن لا يفوتنا تلقاء هذا الذي ينقله الكاتب عن (المشرع الروي) في تردد بني المهاجر إلى تريم أثناء استيطانهم بيت جبير أن نوضح أن كلام (المشرع) أولاً لا يتناول بوجه الإجمال إلا هذه الحقبة المعلومة التي تقع فيما بين أوائل القرن الخامس وأواسط القرن السادس وهي الحقبة التي بدت فيها منذ منتصف القرن الخامس عقيب غزوة الصليحي وقيام دولة الراشدين طلائعُ وبواكير الحركة العلمية السنية بحضرموت، ثم نمت مع نمو المملكة الراشدية بوادي حضرموت الرئيسي وغيره حتى اشتد قيامها على ساقها حين ذاك على عهد أمثال أولئك الأئمة والعلماء ممن ترجم لهم الخطيب التريمي، فجعلهم الطبقة الأولى في كتابه (الجوهر الشفاف).

* * *

متى كان انتقال العلويين من بيت جبير إلى تريم؟

وإنه متى ألم الباحث بما ذكرنا في تحديد ما يتناوله نطاق هذا المبحث لدراسة وتمحيص ذلك النقل عن (المشرع) كان عليه من السهل بعد ذلك أن يعلم أن هذا الدور وما حواه بهذه الحقبة من تلك الحركة العلمية السنية لا صلة

له بالإباضية طائفة ومذهباً إلا بأنه دور انهيار الإباضية، الذي انتهى بزوال معالمها واندحارها نهائياً وخاصة من وادي ابن راشد بالإقليم الحضرمي بواسطة امتداد هذه الحركة العلمية، وتقدم سلطان المملكة الراشدية في الإقليم، وصار بإمكاننا أن نوضح كذلك ما يبدو من بعض إشكالات تُعرَض للمتتبع لكلام (المشرع) بهذا الصدد ففي تلك الأمهات التي ذكرها المؤلف في صدر مقدمة كتاب (المشرع) وهي المراجع التي يصرح باعتماد النقل منها والتي عد منها كتاب (غرر البهاء الضوي) للعلامة المحدث محمد بن علي خرد لا يجد الباحث في تلك الأمهات ما يصح معه هذا الجزم بذلك القول لأن تريم كانت موصوفة بحركة علمية ظاهرة وعلماء وأدباء معروفين حين انتقال بني المهاجر من سُمل إلى بيت جبُير، أو فيما قبل قيام دولة الراشديين[1]، وكل ما يمكن أن يجده الباحث صريحاً وواضحاً في هذه الأمهات بهذا الصدد مما لا يقبل الاحتمال، بل ويؤيده السبر إنما هو قول العلامة خرد في كتابه (الغرر) عند كلامه في الإشادة والتنويه بوصف الحالة العلمية التي بتريم بذلك العصر الذهبي والعهد الفقهي الممتاز عند بلوغ الحركة العلمية السنية تلك القمة السامية الفريدة، وما يقرره بمعرض إيراد رواية ابن حسان التي تجعل انتقال آل أبي علوي إلى تريم في سنة (٥٦١ هـ) خمسمائة وإحدى وستين، وهو ما هذا لفظه: ((وكانت حين انتقلوا إليها في ذلك الوقت معمورة بالعلم والعلماء والمصنفين، وفي ذلك الوقت بها ثلاثمائة فقيه مفت)). يضاف إلى هذا أنه من المعلوم أن استيطان بني المهاجر لبيت جبير يرجع إلى عهد تلك الطبقات الثلاث، أي إلى عهد الإمام محمد بن علوي ومن في طبقته، ثم ابنه الإمام علوي بن محمد المتوفى ببيت جبير سنة ٥١٢هـ ومن في

(١) يرجع تاريخ انتقال الإمام محمد بن علوي بن محمد المعروف بصاحب الصومعة إلى أوائل القرن الخامس عقيب وفاة والده الإمام علوي بن عبيد الله حيث كان وفاته كما نقل عن القطب الحداد بعد سنة أربعمائة هجرية ودفن على بعد من مدينة تريم بما يقرب من أربعة أميال فقط وقبره معروف مشهور للخاص والعام مقصود للزيارة والتبرك.

طبقته، ثم ابنه الإمام علي بن علوي خالع قسم ومن في طبقته، وكان انتقالهم إلى تريم فيما بين سنة ٥٢١هـ وسنة ٥٦١هـ على اختلاف الرواية. وانتقالهم هذا إنما كان في عهد الإمام علي بن علوي خالع قسم ومن في طبقته؛ ولهذا فنحن في غنى عن البيان بأن كلام المشرع لا يتناول الطبقتين الأوليين، وأنه لا يتنزل إلا على هذه الطبقة الأخيرة طبقة الإمام خالع قسم.

ثم إنه من لطائف التوفيقات الإلهية أنه حين انتهينا إلى هذا الموضع من البحث اتفق أن خطر لنا مراجعة ما في ترجمة الإمام خالع قسم في (المشرع) بهذا الصدد فرأينا صاحب (المشرع) نفسه نفع الله به (٢/ ٢٣٠) قد حدد هذا المراد بقوله: (وكان يتردد إلى مدينة تريم، ثم سكنها هو وإخوانه وبنو أعمامه سنة (٥٢١هـ) إحدى وعشرين وخمسمائة كما تقدّم في الباب الأول). وهي بحمد الله مصادفة توضح المراد في هذا المقام، لكن لعل مما يؤخذ على صاحب (المشرع) أنه في كلامه المومى إليه يصور للباحث وقوع تريم بالأقل على مسافة مرحلة أو مرحلتين من قرية سُمل أو من بيت جُبير، وأن ساكني سُمل وهي واقعة على نحو ستة أميال فقط من تريم ومثلهم ساكني بيت جُبير التي هي من ضواحي تريم القريبة، وواقعة على مسافة قد لا تزيد على أربعة أميال هم غالباً على جهل برياض تريم وثمارها ومائها وهوائها، وبمعرفة ودراية علمائها وأدبائها ويكادون يكونون ممن ليس بينهم وبينها اتصالات يومياً، لا علمية ولا غير علمية، وحتى كأنهم إنما اكتشفوا ما ذكره فيما تأخر من زمن استيطانهم فقط، وذلك عندما تدانوا منها وأرادوا نصب خيامهم بها.

أما ما يوجد في (المشرع) من النقول من كل ما يؤدي إلى نقيض ما ينشده ويتوخاه حضرة الكاتب بذلك النقل عن (المشرع) فهو شيء ليس بالقليل من ذلك ما ذكره (المشرع) في (١/ ٣١) من كون رئاسة العلم والفضل في الديار الحضرمية إلى أثناء القرن السادس لبني بصري، ثم انتقلت لبني عمهم جديد، ثم

انقرضوا على رأس المائة السادسة[1]، وكذلك ما أورده أيضاً في صفحة (٢/ ٢٠٨) في ترجمة الإمام علوي بن محمد صاحب بيت جبير من أن الفقيه يحي ابن عبد العظيم الحاتمي التريمي، وهو أقدم عالم معروف من آل أبي حاتم الفقهاء القدماء بتريم[2] قد كان تلميذاً للإمام علوي المذكور، وأثبت له تلك الأبيات التي امتدح بها شيخه المشار إليه ونذكر منها قوله:

مَنْ في البلادِ كمثل علوي الفتى فحل نمته الصِّيدْ في الإقليمِ

وقوله:

ومُعلِّمُ العِلْمِ الشريفِ مريدُهُ طولَ الحياةِ خبيرُ بالتعليمِ

ولا شك أن في هذه النقول ما يفند ذلك الذي يجنح الكاتب إلى تقريره من إيهام تعلق تلك الحركة العلمية السنية بتريم أثناء استيطان بني المهاجر لبيت جُبير بالإباضية أو بالدور الإباضي، ومن أن هذه الحركة هي إلى حين انتقال بني المهاجر من بيت جبير إلى تريم ليست مما يمتُّ إلى بني المهاجر بأصل ولا سبب، حتى لتكاد أن تكون ويكونون منفصلين عنها في سيرها واتجاهها أشد الانفصال، وحتى ليكاد يخيل للكاتب وقد اعتقد هكذا أن بمستطاعه أن يصور

(١) هكذا قال في (المشرع الروي) أما عبارة كتاب (غرر البهاء الضوي) وهو إحدى أمهات (المشرع) وهو قوله (وانقرضوا آل بصري وآل جديد قريباً من رأس الستمائة). وكأن المراد بذلك على رأس المائة السابعة يدل على ذلك ما جاء في (الغرر) من قوله (ثم إن بني جديد انقرضوا أيضاً كبني بصري وآخرهم موتاً امرأة بزيد اسمها جديدة) مع ما ذكره وأوضحه في مواضع أخرى من ذلك أن وفاة الإمام علي بن محمد بن جديد بمكة كانت سنة (٦٢٠هـ) ووفاة أخيه عبد الله بتريم سنة (٦٠٨هـ) وظاهر أن التعبير بهذا قد يكون على خلاف ما ورد في كتب أئمة اللغة ففي صحاح الجوهري: ((أنت على رناس أمرك أي أوله والعامة تقول على رأس أمرك)).

(٢) لعل السبب في تسمية آل أبي حاتم بالفقهاء القدماء يرجع إلى أسبقية ظهورهم بالفقه وإلى كونهم فيما يظهر هم ممن انقرض في أوائل القرن السابع ولعل آخرهم هو الإمام الفقيه علي بن محمد بن حاتم المتوفى بتريم سنة (٦٠٣هـ) وكان شيخه الذي تخرج به الإمام قاضي القضاة في عصره يحي بن سالم أكدر المتوفى سنة (٥٧٦هـ) خمسمائة وست وسبعين هجرية.

للباحثين أن زمام هذه الحركة العلمية بتريم بذلك العهد كان بيد الإباضية، وأنهم يتصدرون مجالس العلم بتريم حيث يجلس لتدريس الناس بها جماعة من علمائهم وفقهائهم. فليت شعري إذا كان الأمر كما يزعم حضرة الكاتب أو كما يخيل إليه ماذا يدل عليه ما يصرح به (المشرع) عن رئاسة العلم والفضل لبني المهاجر بحضرموت بذلك الأوان إلى منصرم القرن السادس؟ ثم ماذا يؤخذ من تلك الأبيات التي لأقدم عالم مذكور في التاريخ من آل أبي حاتم أقدم فقهاء تريم فيما يدل عليه واقع الحال من أن المراد بالبلاد أو الإقليم هي بلاد حضرموت وإقليمها لا غير، وبالأخص ما يسمى اليوم بوادي حضرموت الرئيسي أو وادي ابن راشد قديماً.

وهل تعطي الباحث هذه الأبيات صورة قوية عن مدى تلك المكانة الدينية والزعامة الثقافية التي للإمام علوي صاحب بيت جبير لاسيما في دائرة تريم ونواحيها وأعمالها من التفاني والمضي في مهمة تعليم العلم طول الحياة كخبير بالتعليم مشهودٌ له بهذه المقدرة وهذا الثبات في جهاده الثقافي وإخلاصه للعلم والدين.

ثم بعد هذه النقول الواضحة هل يبقى بوِسْع الباحث إنكار وجود الصلة علمياً وثقافياً عدا تلك الصلة المذهبية بين الحركة العلمية السُّنية القائمة بتريم وبين أولئك القائمين بمساندتها والعاملين على تغذيتها من بني المهاجر من آل علوي وآل بصري وآل جديد ببيت جبير؟.

* * *

الظاهرة التي تستوقف النظر:

وإتماماً للفائدة نلفت نظر الباحث إلى ظاهرة تستوقف النظر، وتعرض للمتتبع لكلام (المشرع) وغيره من التواريخ الحضرمية، وقد تكون لها صلة ما بما

نحن فيه من موضوع البحث، هذه الظاهرة الجديدة فيما نعتقد بإنعام النظر هي أننا مثلاً نرى تراجم أولئك الذين تقدّم ذكرهم من أعلام آل أبي علوي وهم: الإمام محمد بن علوي، وابنه علوي بن محمد صاحب بيت جبير، وابنه علي بن علوي خالع قسم توجد خالية من تسمية علماء تريميين ممن أخذوا عن آل أبي علوي هؤلاء أو أخذ هؤلاء عنهم ما عدا الفقيه يحيى بن عبد العظيم الحاتمي التريمي المتقدم الذكر، بينما نرى الأمر على خلاف ذلك فيما يوجد في تراجم من تلاهم من الطبقات كالإمام محمد صاحب مرباط بن على خالع قسم الذي انتقل مع أبيه إلى تريم حيث نجد (المشرع) مثلاً قد ذكر في ترجمته جملة ممن تخرج به، وأخذ عنه كالإمام سالم بن فضل، والفقيه علي بامروان، والقاضي أحمد باعيسى، والشيخ علي بن محمد الخطيب والإمامان[1] سعد بن علي وعلي بن عبدالله الظفاريان[2]، وكذلك ذكر (المشرع) في ترجمة الإمام سالم بن بصري، والإمام علي ابن محمد بن جديد أخذهما عن الإمام سالم بن فضل، كما ذكر في ترجمة سيدنا الفقيه المقدم أخذه عن الفقيه علي بامروان، والإمام محمد بن أحمد بن أبي الحب، والشيخ محمد بن علي الخطيب، وذكر أيضاً مَن أخذ عنه أو تخرّج به كالشيخ الإمام عبدالله بن محمد باعباد، وأخيه عبدالرحمن، والشيخ الشهير عبدالله بن إبراهيم باقشير، والشيخ الإمام إبراهيم بن يحيى بافضل.

ولسنا ندري هل يرجع السبب في هذه الظاهرة التي لا توجد في (المشرع) وحده فحسب، بل وفي غيره من التواريخ الحضرمية -كما أسلفنا- إلى ما يمكن أن يفهم طبعاً من ضعف الحركة العلمية بتريم في مبدئها عقيب قيام دولة الراشدين، وكون ظهورها وبروز آثارها إنما يقع في أواخر القرن الخامس أو ما يقرب من منصرم هذا القرن أم هناك سر آخر مازال يخفى على الباحث؟ ولا نملك من الوسائل ما يوصلنا الآن إلى تحقيق القول فيه، فندع ذلك لمن يكون

(١) هكذا بالأصل، والصواب الإمامين.

(٢) هكذا بالأصل، والصواب الظفاريين.

لديه شيء من هذه الوسائل إما من الباحثين والمؤرخين المعاصرين أو ممن سيلد بهم الزمان بمستقبل الأيام ممن قد يوفّقون للعثور على شيء ينير السبيل للمحققين في دراسة هذه النقطة الغامضة في هذه الظاهرة الملحوظة ويصدق عليهم حينئذ في وصف هذه العبقرية الاكتشافية أو يحق لهم أن ينشدوا قول أبي العلاء المعري:

وإني وإن كنتُ الأخيرَ زمانُهُ لآتٍ بما لم تستطعْهُ الأوائلُ

* * *

ما هي أصح الروايات في تاريخ نزوح الإمام المهاجر إلى حضرموت؟

ولنأخذ بَعْدَ ما تقدم فيما ينبغي من التصدي وتحقيق البحث في تلك النقطة الخامسة، وما أراد حضرة الكاتب التعرّض له من الكلام عن أصح الروايات في تاريخ نزوح الإمام المهاجر إلى حضرموت وغير ذلك مما يهم التعقيب عليه.

أما ما ينبغي التغاضي عنه فنكتفي ببعض الإشارة إليه بأنه مما يرفضه العلم، ويسقطه التاريخ بداهة، أو بأنه ما ينم عن سذاجة عجيبة، وعن قصور باع فيما يلزم للباحث من كفاية الاطلاع، والأخذ بنصيب من الإلمام، لكي يترشح بذلك أولاً فيما يومئ إليه ويحاوله من التعرّض لشؤون هذه الدراسات التاريخية والتحقيقات العلمية، مثال ذلك ما جاء في أول كلامه بهذه النقطة من التخبط وهو ما يقتضي انتساب الإمام أحمد بن عيسى إلى آل أبي علوي حيث يقرر أن الإمام أحمد بن عيسى على رأس النازحين من آل أبي علوي من العراق إلى حضرموت بينما الواقع على عكس ما يقرره وهو انتساب آل أبي علوي إلى الإمام أحمد المذكور بواسطة حفيده الجد الجامع لهم علوي بن عبيدالله بن أحمد ابن عيسى.

وثمة مثال آخر غير ما ذكر يوجد في ختام الفقرة نفسها وهو مما لا يزيد

الأمر فيه على أن يأخذ الباحث منه صورة خرافية مضحكة، وذلك من تقرير الكاتب أن آل أبي علوي على إثر انتقالهم إلى الحسيسة قد أقاموا بها أكثر من مائتي عام، وأنهم كانوا خلال هذه الفترة الطويلة يترددون على مجالس العلم بتريم التي يجلس للتدريس فيها جماعة من علماء الإباضية وفقهائها.

فمن أين يا ترى وفق حضرة الكاتب للعثور على هذا الاكتشاف الطريف الذي لا ريب أنه مما يغير طبعاً مفاهيمنا للتاريخ الحضرمي؟، كما أنه سيزيّف أيضاً ما قرّره واعتمده الأستاذ سعيد بن عوض باوزير في كتابه (تاريخ حضرموت في شخصيات) من كون المهاجر هو أول من بذر بذور المقاومة للمذهب الإباضي بحضرموت.

فهل كان بنو المهاجر بهذا النهج الذي يذكر الكاتب أنهم جروا عليه طوال أكثر من مائتي عام التي يشير إليها، قد انتقلوا هكذا إلى عكس ذلك الاتجاه التي سلك عليه جدهم الإمام المهاجر في بذر بذور المقاومة للبدعة بنشر علوم أهل السنة، وإلى حد أنهم لم يجنحوا إلى الكف عن المقاومة فقط، بل الاقتصار على المسالمة ولكنهم عمدوا فوق هذا للاستسلام والتلمذة لعلماء الإباضية وفقهائها، وأعلنوا بهذا هزيمتهم وإفلاسهم نهائياً في محاولة مقاومة المذهب الإباضي، وأقلعوا عن الجري على مشروع خطتهم بنشر علوم السنة وترويج عقائدها، لكن الواقع المعلوم يُكذّب هذه الحكاية الخرافية، ويفنّد هذا الاكتشاف المتهافت من الأساس، وكتب التاريخ الحضرمي بين أيدنا ناطقة وكفيلة برد كل ما كان من قبيل هذه المحاولات القاصرة ودحض مزاعم الاكتشافات السخيفة.

ولعل مِنْ أبلغ الأدلة التي بوسع الباحث إيرادها للاستشهاد في هذا المقام هو الاقتصار على بعض ما أورده الشيخ العلامة عبدالله[1] بن عبد الرحمن باوزير في كتابه (التحفه النورانية) وذكر أنه منقول عن الإمام الفقيه محمد بن أبي

(١) كان الشيخ العلامة عبد الله بن عبد الرحمن باوزير المذكور من أعلام الخواص، ومن أولئك المشار إليهم=

بكر عباد والشيخ العلامة عبد الرحمن بن أبي حسان وغيرهما، وذلك بعد قوله فيها: ((رجعنا إلى ذكر السيد الإمام الشيخ شهاب الدين أحمد بن عيسى رضي الله عنه ونفع به)) مما نورده بلفظه: ((وكان له عدة من الأولاد الصالحين والسادات المباركين منهم الشيخ الكبير والقدوة الشهير عبد الله بن أحمد المشهور المذكور في (تاريخ البهاء الجندي) رضي الله عنه)) إلى أن قال: ((وكان من جملة أولاد الشيخ عبدالله المذكور الشيخ علوي جد آل أبي علوي رضي الله عنهم ونفع بهم، والشيخ جديد جد آل جديد رضي الله عنهم ونفع بهم، والشيخ بصري جد آل بصري رضي الله عنهم ونفع بهم، وكان لما قدم السيد الشيخ المذكور أحمد بن عيسى رضي الله عنه ومن معه إلى حضرموت انتشر ذكرهم، وظهرت مكارمهم وفضلهم، ومحاسن أخلاقهم، وفاضت منهم البركات، وطمت منهم عموم النفحات، وشدت إليهم الرحال في الزيارات، واقتبست منهم العلوم ومحاسن الأخلاق والفهوم، وانجلت بهم ظلم الجهالات، واهتدى بهم أهل العقول من البريات، واقتدت بهم أرباب الألباب في سلوك الهدايات، واغتبط بوصولهم أهل حضرموت وقاموا بعظيم حقهم واعترفوا بفضلهم وعظيم حرمتهم)).

* * *

أصح الروايات في زمن هجرة الإمام أحمد بن عيسى:

قلت: وقبل الإفاضة في بحث أصح الروايات في زمن هجرة الإمام أحمد ابن عيسى من العراق إلى حضرموت، وما جرى عليه ذوو الشأن من المؤرخين في أن هجرته من العراق كانت سنة ٣١٧هـ، وأن وفاته كانت في سنة ٣٤٥هـ

= بالبنان بين العلماء الأثبات، والمحققين الثقاة، ويقع في طبقة الرعيل الثاني من مؤرخي حضرموت، وفي (مواهب القدوس) للشيخ محمد بن عمر بحرق وغيره من كتب التواريخ: أنه من الأكابر المتفق على جلالة قدرهم علماً وعملاً وورعاً وسمو مكانةً وعلوا منصباً، وكان ممن تعمّر طويلاً (قلت): وفي ما يظهر لي أنه قد عاش إلى العقد السادس من القرن التاسع .

لابد لنا قبل هذه الإفاضة من الإشارة إلى تخبط حضرة الكاتب الذي ليس يخالف فيه فقط تحقيقات ذوي الشأن من المؤرخين، ولاما اعتبره الأستاذ سعيد عوض باوزير من موافقة لهؤلاء في كتابه (تاريخ حضرموت في شخصيات) من قوله: ((عندما قدِم المهاجر إلى حضرموت في مطلع القرن الرابع الهجري))، وإنما هو أيضاً في الوقت نفسه يخالف قوله في الفقرة ذاتها حيث يقتضي كلامه في ما صرح به من أن إقامة بني المهاجر بالحسيسة كانت أكثر من مائتي عام، وهي في الواقع مما يوازي كل المدة ما بين نزوحهم من العراق وبين انتقالهم إلى تريم مهما جعلنا ذلك على رواية كون هذا الانتقال في سنة (٥٢١هـ) أو سنة (٥٦١ هـ) نقول: إنه يقتضي كلام الكاتب هذا ما يلزم منه أنه يرى أن نزوحهم من العراق ليس كما يقول في النصف الثاني من القرن الرابع، وإنما هو حوالي مطلع القرن الرابع[1]، فإن مقدار الفرق ما بين النزوح من العراق والانتقال إلى تريم كما هو واضح مما لا يزيد أصلاً على ما ذكره الكاتب من حقيقة الواقع الثابت في كونه مما لا يتجاوز أكثر من مائتي عام أو مما يتراوح بالضبط ما بين مائتين وأربعة وأربعين عاماً فقط، وبهذا صار الكاتب يناقض نفسه بنفسه في هذا التحقيق التاريخي، وفي ما هو بصدد التعرض له من التصدي للبحث العلمي، وتمحيص مراتب الصحة في مختلف الروايات المأثورة، وبهذه الصورة الطريفة من الدراسة التي يحاولها في الموضوع، وقد يكون هناك النقل عن (المشرع) بذكر استيطان بني المهاجر بيت جبير قد جعل تلك المدة التي هي أكثر من مائتي عام قاصرة على مدة إقامتهم بالحسيسة وأنه ليترتب على هذا أنه إذا كان حضرة الكاتب يعني ما يقول أن يضاف إلى ذلك أيضاً ما ذكروه من إقامتهم بسُمل مدة قبل انتقالهم إلى

(١) أي باعتبار أن هذا الانتقال إلى تريم كان سنة ٥٢١هـ، أما باعتبار أن الانتقال كان في سنة ٥٦١هـ فيجعل النزوح في العقد الرابع من القرن الرابع وهذا بالاقتصار على جعل الإقامة بالحسيسة وهي التي يجعلها الكاتب أكثر من مائتي عام ومع إضافة مدة الارتحال من العراق إلى حضرموت وهي الخمسة عشر عاماً مما يجعل كل هذا هو حوالي (٢٢٥ عاماً).

بيت جبير كما يضاف إليه ما كان من مدة إقامتهم ببيت جبير إلى حين انتقالهم إلى تريم وهي مدة يتراوح مجموعها ما بين (١٧٦سنة) و(٢١٦ سنة) مما ينتج من ضمها إلى تلك المدة التي جعلها الكاتب لإقامتهم بالحسيسة أن يكون المجموع الكلي عبارة عما يناهز الأربعمائة ونيف من السنين، ومما يرجع بتاريخ هجرة الإمام أحمد بن عيسى من العراق لا إلى النصف الثاني من القرن الرابع ولكن إلى ما لا يكاد يبلغ النصف الثاني من القرن الثاني، وهذا باعتبار أن الهجرة إلى تريم كانت سنة ٥٢١هـ وهو الحد الأدنى على أساس ما يؤخذ من هذا التقدير طبقاً لما يفيده كلام الكاتب بهذا الصدد.

وبعد هذه الإشارة إلى ما ينكشف عنه تمحيص الباحث لما تحتويه هذه الفقرة المتعلقة بمبحث النقطة الخامسة في مقال الكاتب نفيض فيما نحن بسبيله من البحث في أصح الروايات المنقولة في تاريخ نزوح الإمام أحمد بن عيسى من العراق إلى حضرموت، وسيرى الباحث أن ما استقرت عليه تحقيقات المتأخرين أولي الشأن من المؤرخين والنسّابين حول تمحيص مختلف الروايات المأثورة في الموضوع، وذلك كما في (المشرع)، و(شرح العينية)، و(كنز البراهين) و(فيض الأسرار)، و(عقد اليواقيت) وغيرها، وكما في (سلسلة الأنساب) للعلامة السيد علوي بن أحمد عيديد المتوفى سنة (١٠٩٣هـ) ألف وثلاثة وتسعين، و(شجرة آل أبي علوي) للعلامة الحبيب عبد الرحمن بن محمد المشهور وغيرهما.

أقول سيرى الباحث أن هذه التحقيقات أدنى إلى الصواب، ولا يجد ما هو أحرى بالقبول وأقرب إلى الصواب منها مهما كانت وجهة هذا الباحث لا تنزع به إلى مكابرة الحقائق، ولا تجنح إلى الميل عن جادة الخدمة العلمية المجرّدة.

وتلبية لما يتقاضانا المقام فيما نعتقد بأننا قد توصلنا إليه في اجتلاء ما يتعلق بموضوع هذه الحقيقة العلمية وتمييز غث الروايات من سمينها نرى أنه لابد لنا من الإشارة إلى ما وقفنا عليه من مختلف الروايات بهذا مما حوته كتب التاريخ

الحضرمي، وما اتفق لنا في دراسة ذلك من عرضه، وتمحيصه على ضوء السبر، والمقابلة أنه فيما يمكن للباحث أن يستنتجه من قرائن الأحوال ذات الصلة بتاريخ بعض طبقات آباء المهاجر من جهة وأبنائه وأحفاده من جهة أخرى من سيتناولهم موضوع البحث إلى غير ذلك من البراهين التاريخية.

فأقدم هذه الروايات هو ذلك المنقول عن العلامة القاضي المؤرخ عبدالرحمن بن علي بن حسان التريمي المتوفى (سنة ٨١٨هـ) ثمانية عشر وثمانمائة وهي قوله: ((وقيل: إن الشيخ الإمام المهاجر إلى الله أحمد بن عيسى، وابنه عبدالله ابن أحمد لما خرجا من العراق وذلك (سنة ٣١٧هـ)[1] خرجا بثلاثة من الخيل ذهباً، كذا وقيل: ((ثلاثة أحمال ذهباً مع جملة عبيد وخدم.....الخ)).

أما العلامة المؤرخ الطيب بامخرمه (٨٧٠ - ٩٤٧هـ) في كتابه (قلادة النحر) فيرى أن زمن هجرة الإمام المهاجر يرجع إلى العشرين الخامسة من المائة الثالثة، فقد أورد ترجمة الإمام المهاجر بين مَن ترجم لهم بتلك الحقبة، ثم قال في آخر الترجمة ما مثاله: ((ولم أقف على تاريخ وفاته وغالب ظني أنه توفي في هذه المائة)).

وأما العلامة المحدِّث المؤرخ محمد بن علي خرد المتوفى (سنة ٩٦٠هـ) ستون وتسعمائة فإنه حكى في كتابه (غرر البهاء الضوي) عند نقله بهذا الصدد ما رآه ابن حسان وغيره من أن خروج الإمام أحمد بن عيسى المهاجر من البصرة كان في سنة ٣١٧هـ سبعة عشر وثلاثمائة، ثم قال بعد كلام ما لفظه: ((قلت: وذكر أن خروجهم والله أعلم في حدود سنة ٣٧٠ هـ بضع وسبعين وثلاثمائة، وقيل سنة ٣١٧هـ سبع عشرة وثلاثمائة))، ثم أورد في موضوع آخر من الكتاب المذكور رواية ثالثة وهي: (أن خروجهم من البصرة كان في أيام الخليفة المعتضد

---

(١) لا يخفى من سياق هذا النقل جزم ابن حسان بأن تاريخ هجرة الإمام المهاجر يرجع إلى سنة ٣١٧هـ وأن القيل لا يتناول إلا ما يتعلق بخروج أحمال الذهب فقط فليتأمل. (بل تسليماً على ذكر خرد بدره)

العباسي أي فيما بين سنة ٢٧٩ وسنة ٢٨٩ وربما كانت هذه الرواية الثالثة هي سبب ما غلب على الطيب بامخرمه من ذلك الظن).

ولعل أول ما حقق تاريخ وفاة الإمام المهاجر هو سيدنا العلامة شيخ بن عبدالله العيدروس (٩١٩ ـ ٩٩٠هـ) في كتابه (العقد النبوي) فقد ذكر أنها في سنة خمس وأربعين وثلاثمائة. أما حفيده وهو العلامة شيخ بن عبد الله بن شيخ العيدروس (٩٩٣ - ١٠٤١هـ)، فقد ذكر في كتابه (السلسلة العيدروسية) فيما يتعلق بهذا المبحث ما هذا لفظه: ((وكان قدومه إلى حضرموت سنة ٣١٧هـ ثلاثمائة وسبعة عشر وتوفي سنة ٣٤٥ خمس وأربعين وثلاثمائة هجرية، وقيل: في آخر القرن الرابع من غير تعيين)).

فهذا ما وقفنا عليه من النقل في مؤلفات المؤرخين إلى أواسط القرن الحادي عشر فيما يتعلق بتاريخ هجرة الإمام المهاجر ووفاته. (ما هي مصادرهم ؟ هل

أما المتأخرون عنهم فالذي يظهر من صنيعهم في مؤلفاتهم أنهم قد مالوا بعد تحقيق مختلف الروايات السالفة الذكر في تاريخ الهجرة إلى ترجيح أقدم الروايات فيها، وهي رواية ابن حسان التي تجعلها في سنة ٣١٧هـ وفي تاريخ الوفاة إلى ترجيح الرواية التي تقول أنها كانت في سنة ثلاثمائة وخمسة وأربعين، كما حققوا أيضاً أن حج الإمام المهاجر كان في سنة ٣١٨ أثناء هذه الهجرة، فتراهم كما في (المشرع)، و(شرح العينية)، و(القرطاس)، و(فيض الأسرار)، و(عقد اليواقيت) وغيرها من كتب التاريخ الحضرمي وكذا في كتب النسب لمن في طبقة من ذكرنا من المؤرخين لسلسلة الأنساب لعيديد، وشجرة مشهور المشار إليهما آنفاً وغيرهما. هكذا نراهم قد أطبقوا على هذا الترجيح، واقتصروا عليه ، ولم يلتفتوا إلى ما خالف ذلك من الروايات، ولم يُلقوا لها بالاً حتى بحكايتها وروايتها، بل أسقطوها وأعرضوا عنها.

وبمعرَض البيان لما نعتقد أننا توصلنا إليه فيما اتفق لنا من تمحيص مختلف

الروايات وعرضها على محك النظر وتمييزها بطريق السبر والمقابلة يمكننا أن نشير فيما يظهر لنا من صحة ما أطبق عليه المتأخرون من أئمة الشأن في التاريخ والنسب بحضرموت، فنذكر أن سبيلهم فيما اعتمدوه وأطبقوا عليه لهو على جانب كبير من الوضوح وقوة الصحة.

وذلك أولاً: فيما يدركه الباحث بالسبر في تاريخ وفاة الإمام علي العريضي ابن جعفر الصادق التي كانت سنة ٢١٠ عشر ومائتين وهو الجد الثاني للإمام أحمد بن عيسى.

ثانياً: فيما حققه نسابة العراق الحالي السيد عبد الرزاق الحسني بذلك النقل (من كتاب النفحة العنبرية في أنساب خير البرية) لأبي الفتوح الموسوي من كون ميلاد الإمام عيسى النقيب والد الإمام المهاجر كان بالرس من إقليم طبرستان[٣] عقيب وفاة الإمام محمد الديباج بن جعفر الصادق عندما هاجر إلى الرس[١] الإمام علي العريضي، وصحبه الإمام ترجمان الدين القاسم بن إبراهيم

---

(١) ينبغي هنا التنبيه إلى ذكر الوهم الغريب الذي وقع للعمري صاحب (مسالك الأبصار في أخبار الملوك والأمصار) في كتابه (التعريف في المصطلح الشريف) والذي ربما كان أصله عائداً إلى ما علق بذهنه من هجرة الإمامين علي العريضي، والقاسم الرسي إلى الرس بطبرستان وما سبق لهما من الإقامة بمكة ببيعة الإمام محمد الديباج بن جعفر الصادق، وذلك حيث أشار العمري المذكور في (صـ١٣) من كتابه المذكور لدى ذكره وتنويهه بمن في زمانه في القرن الثامن من بقية أهل الإمامة من فروع العترة النبوية باليمن وحضرموت من قوله: ((وهذه البقية الآن بصنعاء وبلاد حضرموت وما والاهما من بلاد اليمن)) وكيف أنه حسب دخول هذه البقية من المعاصرين له في القرن الثامن من بني الرسي باليمن وبني العريضي بحضرموت في نسب ومذهب أولئك القائمين من الزيدية بآمل الشط بطبرستان من سلالة الإمام الحسن وسلالة الإمام الحسين عليهما السلام. وكان ما سرى إليه من هذا الوهم قد وقع له بسبب ما أشرنا إليه مما تم من الاتحاد بين الإمامين علي العريضي وأبي القاسم الرسي في العمل للبيعة بمكة وما تلاه من القيام بتنفيذ مشروع الهجرة إلى طبرستان، ثم مما أثمره ذلك أيضاً وأعقبه بعد وفاة الإمام القاسم سنة ٢٤٦هـ من ظهور الداعية الكبير سنة ٢٥٠ أو سنة ٢٥٥ الحسن بن زيد أول ملوك طبرستان وجرجان وأعمالها.

✓ فبنو الرسي باليمن وإن كانوا حسنيين نسباً وزيدية مذهباً ليسوا من بقايا أولئك الحسنيين القائمين بآمل الشط بطبرستان، لا المنتسبين إلى الداعية الكبير المذكور المتوفى سنة ٢٧٠ ولا إلى الداعي الصغير وهو =

طباطبا - جد أئمة اليمن بني الرسي- أي مما يجعل تاريخ هذا الميلاد يرجع إلى سنة ٢٠٠ بضع ومائتين فيما بين سنة ٢٠٣ وهو عام وفاة محمد الديباج وسنة ٢١٠ عام وفاة الإمام العريضي.

ثالثاً: فيما يتصل من حيث ولاية الإمام عيسى النقيب لنقابة الأشراف كما ذكر ذلك العمري في المجدي بقوله: «وكان نقيباً وجيهاً» فإن نقابة الأشراف إنما تأسست حوالي سنة ٢٥١ أي: في عهد المستعين بالله العباسي في حدود منتصف المائة الثالثة.

فهذا ما يمكن للباحث اتخاذه من وقائع الأحوال وتواريخ طبقات الآباء والأجداد طريقاً للسبر والتمحيص في معرفة وصحة ما مال إليه المتأخرون من المؤرخين من ترجيح تلك الرواية واعتمادها أما من جهة السبر في تواريخ طبقات الأولاد والأحفاد فعلى ما يؤخذ من كتاب المجدي في الأنساب للإمام النسابة الكبير أبي الحسن العمري الذي كان حياً في سنة أربعمائة وثلاثة وأربعين هو أن العمري المذكور مؤلف هذا الكتاب قد كان من معاصري أبي القاسم النفاط وأخيه أبي الغنائم ابني الحسن الدلال بن محمد بن علي بن محمد بن أحمد بن عيسى، فهما في الطبقة الخامسة من أحفاد المهاجر بعد المهاجر.

وعلى هذا فهل لنا أن نسلم بما يميل إليه حضرة الكاتب من جعل النزوح من العراق في النصف الثاني من القرن الرابع اعتباراً بالرواية القائلة أن هذا النزوح كان في سنة بضع وسبعين بعد الثلاثمائة، أو الرواية الأخرى القائلة أن وفاة الإمام المهاجر في آخر القرن الرابع بلا تعيين؛ إذ ليس هناك روايات أخرى

= الحسن بن القاسم المتوفى سنة ٣١٩، وكذلك بنو العريضي بحضرموت وإن كانوا حسينين لكنهم ليسوا من بقايا الحسينين القائمين بآمل الشط المنتسبين إلى الناصر الكبير الأطروش إمام الزيدية وملك الديلم الذي ملك طبرستان أيضاً وتوفي بآمل الشط وهو الحسن بن علي بن الحسن بن علي بن عمر الأشرف بن علي زين العابدين بن الحسين عليه السلام، وليسوا كذلك من المنتمين إليه مذهباً إذ هم كما هو معلوم سنيون شافعيو المذهب.

غير ما سردناه من الروايات بهذا الصدد فإنه يترتب على هذا التسليم أمران:

أولهما: أن يكون المفروض بهذا أن المهاجر قد بلغ من العمر عند نزوحه من العراق ما لا يقل عن المائة من السنين وهو حال لا يحتمل عادة معه مجرد القيام بمشروع تلك الهجرة الشاقة من موضع في أقصى الشمال الشرقي من شبه الجزيرة إلى موضع بأقصى الجنوب الغربي منها، وقطع المهامه وتلك المسافات الطويلة مع صعوبة وسائل التنقل بتلك العصور، فكيف ما ينضم إلى هذا من ذلك النهوض بمشروع تلك المساعي الثقيلة الأخرى المتصلة بنشر السنة وإماتة الخارجية بحضرموت.

أما الأمر الثاني: فهو ما يقتضيه القول أن وفاة المهاجر كانت في آخر المائة الرابعة من جعل الإمام المهاجر قد تجاوز في مبلغ العمر وفي عدد الطبقات التي تبدأ بالمهاجر وتنتهي بطبقة الحسن الدلال وهي خمس طبقات فتجعله قد تجاوز جده الإمام علي العريضي في الطبقات المعاصرة له، حتى على ذلك القول الذي يجعل الإمام العريضي قد أدرك الإمام علي الهادي بن محمد الجواد، وبدخول الإمام الهادي الذي تنتهي به الطبقة الرابعة المعاصرة للإمام العريضي، هذا مع ما اشتهر عن الإمام العريضي أنه ممن ألحق الأحفاد بالأجداد ولم يشتهر عن الإمام المهاجر شيء كهذا.

ومثله ذلك التفاوت الكبير في عدد السنين وهو مما يقل عن المائة والأربعين عاماً فيما بين ميلاد الإمام جعفر الصادق إلى وفاة ابنه الإمام علي العريضي على أي القولين في وفاة العريضي بصرف النظر عن فَقْدِ التكافؤ بينهما، كما بحث ذلك فضيلة الوالد العلامة علوي بن طاهر الحداد في رسالته (إثمد البصائر في مذهب الإمام المهاجر) بينما التفاوت الذي يقابل هذا فيما بين ميلاد عيسى النقيب الواقع سنة بضع ومائتين ووفاة ابنه الإمام المهاجر في آخر القرن الرابع في مقتضى الروايتين المشار إليهما، أي فيما يقرب من حدود سنة ٣٩٠ يبلغ

هذا التفاوت ما ينيف عن المائة والثمانين عاماً.

ومما يتضافر مع ما ذكرنا من السبر في تواريخ طبقات الأولاد والأحفاد ما حققه المؤرخون كما في (الغرر) و(العقد النبوي) و(المشرع) وغيره من أن وفاة الإمام سيدنا عبيد الله بن أحمد بن عيسى كانت سنة (٣٨٣هـ)، وأن انتقاله من الحسيسة إلى سمل إنما كان بعد وفاة الإمام المهاجر، وكذا ما ذكروه من تزوجه ببنت أمير سمل بعد وفاة أم ولديه بصري وعلوي، ومن أن سيدنا جديد بن عبيد الله هو ممن تجدد له من الولد بحضرموت على الخلاف في كون أمه بنت أمير سمل، أو أم ولد، ثم ما جاء أيضاً في (الغرر) عند ذكر الإمام علوي بن عبيد الله في ذلك الموضع من أول الكتاب الذي نقل فيه عبارة صاحب (الياقوت الثمين) في وصفه للإمام علوي المذكور بقوله: ((كان عارفاً عالماً إماماً يقتدى به)) من ترجيحه للقول بأن وفاته هو وأخوه جديد كانت بسمل إلى ما جاء أيضاً لدى ذكر بقية مناقبه بالموضع الآخر من أواسط الكتاب من قوله هكذا: ((وتوفي قريباً من والده))، وذكر ذلك عقيب ذكر قصة سفره لتأدية الحج والعمرة، وزيارة جده المصطفى صلى الله عليه وآله وسلم ثم قال في ختام ذلك ما لفظه: ((قال في كتاب (الياقوت) بعد ثلاثمائة قطع ذكر العشرات من السنين نفع الله به وفي تلك السفرة سافر أخوه جديد إلى البصرة لزيارة أهله وبني عمه، وتعرفه بهم؛ لكونه ولد بحضرموت، ويقبض مالهم من الغلة من أموالهم ويرجع في طريق الأحساء والقطيف إلى مدينة ظفار))، وغاية ما يقع من الخلاف بين (الغرر) و(العقد النبوي) في ذلك التاريخ الذي بآخر المناقب الذي قطع منه ذكر العشرات من السنين التي بعد ذكر الثلاثمائة هو أن صاحب (الغرر) يعتبر ذلك تاريخ سفر الإمام علوي المذكور للحج، وصاحب (العقد النبوي) يجعل ذلك تاريخ الوفاة كما ترى ذلك من قوله: ((وتاريخ وفاته لم يعرف منه غير قوله في الياقوت بعد ما أن محق من ذكر عدد الأعوام وثلاثمائة نفع الله به)) فكل ما يمكن تمحيصه من هذا الذي سردناه من هذه الوقائع والبراهين التاريخية إنما يبرهن إلى حد كبير

جداً على صحة تحريات أولئك المؤرخين فيما استقرت عليه تحقيقاتهم من ترجيح قول ابن حسان في الهجرة، وقول صاحب (العقد النبوي) في تاريخ الوفاة وهكذا دائماً وأبداً يكون الحق أبلجاً والباطل لجلجاً.

والخلاصة أنه بهذا الذي يتضح للباحث مما ينهض عليه هذا السبر المزدوج في الناحيتين يتبين منه ويتضح أن اعتماد رواية كون تاريخ نزوح المهاجر من العراق سنة بضع وسبعين وثلاثمائة، ورواية أن وفاته كانت في أواخر المائة الرابعة بلا تعيين لهو أخذ بأبعد شيء من الصواب في كل ما يروى بهذا الموضوع، أما السبر فيما يراه الباحث في الطرف الآخر من تلك الرواية التي تجعل نزوح الإمام المهاجر من العراق في أيام المعتضد أي فيما بين سنة ٢٧٩ وسنة ٢٨٩ وفيما كان يغلب على ظن الطيب باخرمة من أن وفاة المهاجر كانت في أواخر المائة الثالثة فإن مما يوهن ذلك كله هو أن المهاجر عندما هاجر من العراق كان يصحبه ابنه عبد الله أصغر أولاده وبمعيتهما بصري أكبر أولاد عبد الله، فإذا كان المفروض وقوع الهجرة من العراق حوالي سنة ٢٨٠ مثلاً فلابد أن يعود تاريخ ميلاد سيدنا عبد الله[1] بن أحمد إلى ما قبل ذلك، أي إلى نحو سنة ٢٦٠، وحينئذ فيكون قد بلغ من العمر حين وفاته التي كانت سنة ٣٨٣ مئة وثلاث وعشرين عاماً، وكذلك يكون ما ذكره من سفره للحج سنة ٣٧٥هـ وقراءته (للقوت) على أبي طالب المكي وهو يناهز المائة وخمسة عشر عاماً وهذا كله بعيد.

ونهاية القول وقد استقصينا ذكر جميع الروايات المختلفة التي أوردها المؤرخون بهذا الصدد فإنه يحق للباحث التساؤل أولاً عن وجود هذه الرواية التي يذكر حضرة الكاتب أنها تجعل هجرة المهاجر في النصف الثاني من القرن الرابع هكذا عاماً فقط بدون تعيين كونها في عقد معلوم؛ وذلك لأنه لا يوجد من الروايات المار ذكرها بكتب المؤرخين إلا رواية واحدة ترجع إلى أواخر النصف

(١) عبد الله هذا هو الذي يوجد في كتب النسابين والمؤرخين بحضرموت ويسمونه عبيد الله.

الثاني من القرن الرابع، وهي رواية (الغرر) التي تجعل الهجرة في حدود سنة بضع وسبعين وثلاثمائة، فهل اتفق لحضرة الكاتب العثور على رواية أخرى غير رواية (الغرر) هذه، وفي وسعه أن يتحف العلم والباحثين بذكر المصدر المنقولة عنه هذه الرواية.

ثانياً: نقول بفرض أن الكاتب إنما يقصد بذلك رواية (الغرر) المشار إليها آنفاً فمن أين له أن هذه الرواية هي أصح الروايات، وقد أشرنا إلى ما يقتضيه صنيع المتأخرين من المؤرخين من إطباقهم على ترجيح ما يخالفها، وقد رأيتَ ما يؤدي إليه السبر من تأييدهم في صنيعهم هذا، كما قد رأيتَ أيضاً ما يظهر لنا من تصويبهم فيما ذهبوا إليه من هذا الترجيح، وإسقاط الروايات المخالفة لما اعتمدوه والله أعلم بالحق والصواب.

* * *

مكانة آل أبي علوي في المجتمع الحضرمي منذ هجرتهم من العراق:

ونتّجه الآن إلى متابعة البحث والتحقيق فيما يراه حضرة الكاتب بتلك النقطة الختامية في مبدأ ظهور خطورة آل أبي علوي مع العلم بأنه يقصد بآل أبي علوي ما يشمل الإمام المهاجر وأعقابه من آل علوي وآل بصري، وآل جديد.

فقد جزم بأنه لم تكن أو لم تظهر خطورة ما لآل أبي علوي كأنه يريد بذلك خطورة المكانة وأهمية الشأن إلا في أواخر القرن الثامن على إثر إعلان آل كثير لدولتهم، ومقتضى ما يشير إليه بهذا هو أن آل أبي علوي إنما كانوا قبل ذلك ممن لا يؤبه لوجودهم، أو كأنهم كمية مهملة في المجتمع الحضرمي عديمة القيمة والخطر من الناحية العلمية وغيرها.

وإننا مع شدة ميلنا للعزوف عما يخرج بنا من دائرة البحث وزيادة إذا كان إلى ميدان كهذا من ميادين الأنانية والمباهاة إلا أننا نجد أنفسنا أمام هذا الموقف

مرغمين للجري على خلاف ما نشتهيه، وعلى العمل فيما ينبغي من توفية المقام حقه وسوق بعض البراهين، ومختلف الوقائع التاريخية الدالة على تفنيد ما يجنح إليه الكاتب، وهكذا طالما كان إبداء الميل لغمط حقيقة من الحقائق داعية من دواعي تأكيد نشرها وإظهارها وعاملاً جديداً من عوامل إثباتها، وتقريرها على حد ما قال الشاعر:

وإذا أراد الله نشر فضيلة طُوِيَتْ أتاحَ لها لسان حَسُودِ

فأُولى هذه الوقائع التي كانت وما زالت لدى كافة المؤرخين الحضرميين هي قاعدة كبرى من قواعد التاريخ الحضرمي، والتي قد كان لها من الظهور والخطورة مالا يمكن أن يمتري فيه أحدٌ وأن يكابر في التسليم به من يعمل على خدمة العلم واحترام الحقيقة، وصيانة الوقائع التاريخية عن العبث والتمويه والانتحال والتضليل، ونعني بأُولى هذه الوقائع، واقعة قدوم الإمام المهاجر وابنه عبد الله إلى حضرموت، وما ظهر له من الخطورة، ما لم يظهر لقدوم مثلهم من الأفراد والعائلات التي هاجرت ممن تدير حضرموت، وذلك منذ ظهور الإسلام، وكيف كانت حادثة قدوم المهاجر إلى حضرموت واستيطانه بها، وما قام به في سبيل مقاومة الإباضية، ونشر السنة في طليعة الحوادث الداوية التي تردد صداها في التواريخ الحضرمية، وقد يكفي شاهداً بما ذكرناها ما ذكره (المشرع الروي) كما في (٢/ ١٢٧) من قوله: ((ركبوا الصعب والذلول في تشتيت شمله، والله يجمعه، واجتهدوا في خفض مناره، والله تعالى يرفعه))، وكذا ما سبق لنا نقله عن العلامة الشيخ عبد الله بن عبد الرحمن باوزير من قوله: ((وكان لما قدم الشيخ المذكور أحمد بن عيسى رضي الله عنه ومن معه إلى حضرموت انتشر ذكرهم)) إلى آخر ما نقلناه عنه سالفاً.

ونسوق بعد هذا من البراهين والحوادث الواقعية عما لبني المهاجر من خطورة المقام، وظهور الشأن في الإقليم الحضرمي ما جاء بتلك الأبيات التي

سجلها التاريخ الحضرمي من شعر الإمام يحيى بن عبد العظيم الحاتمي من قدماء علماء تريم تلميذ الإمام علوي بن محمد صاحب بيت جبير، اعترافاً وافتخاراً بمكانة شيخه، هذا الإمام وما له من اليد الطولى في تغذية النهضة العلمية بحضرموت وهي كما في [٢/ ٢٠٨] من (المشرع) وكما في غيره من كتب التاريخ الحضرمي:

من في البلاد كمثل علوي الفتى ... فحل نمتْه الصِّيد في الإقليمِ
شيخ تمكن في علا جرثومةٍ ... نبويةٍ علويةٍ بعلومِ
يزهو به إقليمنا جذلاً بهِ ... يعلو سروراً مفرطاً بحليم
هذا قريعُ العصرِ وابن قريعهِ ... ولباب تخت[1] الفخر والتعظيم
وأبوه أخوف خائفٍ من ربه ... فالقطر قد حَيَّاه بالتسليم
نظر العواقب بالبصيرة وانثنى ... يتلو كتاب الله بالتفهيم
ومعلم العلم الشريف مريده ... طول الحياة خبير بالتعليم
ذا فَرعُ مَنْ نزل الكتابُ بذكرهم ... وحباهم البارئ بالتكريم

فهذه الأبيات مما يصور بجلاء ووضوح مقدار خطورة الشأن والمقام لبني المهاجر بحضرموت على ممر تلك العصور المتقادمة قبل انتقالهم إلى تريم تصويراً قائماً على تقدير خدماتهم وجهودهم، وتكريم علمهم، وتعظيم منزلتهم.

* * *

المودة العظيمة ما بين علماء حضرموت:

ويلحق بهذا ويتضافر معه ما تقدّم لنا نقله من كون رئاسة العلم والفضل في الديار الحضرمية إلى أثناء القرن السادس كانت لبني بصري، ثم انتقلت لبني

(١) كذا بالأصل ولعل صوابه (نحت) بالنون والحاء المهملة كما نقل ذلك بعض من نقل هذه الأبيات من المؤرخين.

عمهم جديد، ثم انقرضوا في أوائل المائة السابعة.

أما ما قد كان من نتائج خطورة تلك المكانة العظيمة التي لبني المهاجر بحضرموت في أواخر القرن السادس فيما بلغت إليه بتريم عقيب انتقالهم إليها، وبين أولئك الثلاثمائة مفتي الموجودين بها بذلك العصر العلمي الذهبي حتى صار بعض ذوي الشوكة يخشى منهم على نفوذه السياسي، وحتى تعرض بنو المهاجر بسبب ذلك في هذه الفترة لأنواع من الأذى والامتحان عمدت إليها تدابير ومحاولات خطط السياسة حين ذاك؛ بغية النيل من مكانة بني المهاجر، والحط من شأنهم في الأوساط العلمية، والمقامات الدينية، فذلك هو ما تفصِح وتعرِب عنه الوقائع التاريخية الآتية:

وفي مقدمة هذه الوقائع مطالبة بني المهاجر بإثبات نسبهم كما أشار إلى ذلك (المشرع)، وأورده بشيء من البسط وبعبارة متقاربة من تقدّمه من العلماء المؤرخين كالشيخ عبد الله بن عبد الرحمن باوزير في (التحفة النورانية)، والشيخ عبد الرحمن بن محمد الخطيب في (الجوهر الشفاف)، والشيخ الطيب بامخرمه في (قلادة النحر) وغيرهم من مؤرخي حضرموت.

ويقول صاحب (المشرع) فيما يظهر له: ((أن الحامل لهذه المطالبة إما نزغة إباضية أو شغفة - لعله يريد بذلك ميولاً - شيطانية)). ويرى فضيلة العلامة السيد علوي بن طاهر الحداد أن الدافع المحرِّك لظهور ذلك التشدّد من جديد على بني المهاجر والباعث لقيام هذا التضييق عليهم في إقامة البينة توكيداً واستظهارا لما يدّعونه من النسبة الشريفة إلى البضعة المصطفوية يرجع إلى الأكراد (الغز) أيام استيلائهم على حضرموت، كما قال متّع الله به فيما نشره بمجلة (الرابطة العلوية في العدد (٧/ م/ ٣) الصادر في رجب سنة ١٣٤٩ هـ: ((إن هذه الواقعة كانت في زمن استيلاء الأكراد على حضرموت، وقد كان لهم ولع شديد بتتبع أهل البيت والتضييق عليهم، وفعلوا في اليمن أفعالاً شنيعة)) ثم قال:

«ولعل حادث طلب إثبات نسب العلويين كان منهم أو بإغرائهم» إلى أن قال: «وقد أشار (المشرع) وغيره إلى أن ذلك كان من بعض من عنده دسيسة إباضية، وهو محتمل، ولكن من بقي من الإباضية إلى ذلك الوقت كانوا خاملين مغمورين مستذلين، فلا يجرءون على مثل ذلك بغير تقوية من ذي شوكة، وما كانت الشوكة يومئذ إلا للأكراد».

وإن مما يؤيد ما رأينا من السبب الذي أشرنا إليه، والذي نعتقد أنه هو العامل الأصلي لهذا الأذى والامتحان هو ما ذكره (المشرع) (٢/ ٢٠٩) في ترجمة الإمام علوي بن محمد صاحب مرباط المتوفى سنة ٦١٣هـ من قوله: «وكان محبوباً عند الأنام، معتقداً للخاص والعام، وكان يردع السلطان فمن دونه عن المظالم، ولا تأخذه في الحق لومة لائم، ولا يخاف بطشة ظالم، وكان السلطان في ذلك الزمان من آل أبي قحطان[1] قد أضمر له السوء مراراً، وكان يظهر له الصداقة جهاراً فرقاً من توجّه الناس إليه، وخوفاً من أن يأمرهم بالخروج عليه فأعمل فيه مكره، وسقاه السم المرة بعد المرة، فلم يعمل فيه ولم يضره ويأبى الله إلا أن يتم نوره».

فإن الباحث ليتجلّى له من هذه الواقعة ما يثبت له أنه إلى ما لبني المهاجر من خطورة المكانة وأهمية الشأن علمياً، ودينياً وسياسياً، واجتماعياً يعود السبب الأصلي فيما نالهم من أذى وامتحان.

ومن أهم ما ينكشف للباحث مما ذكره المؤرخون من حوادث الأذى والامتحان التي حاكتها يد السياسة الأثيمة لطائفة العلماء بتريم وفي مقدمتهم بنو المهاجر تلك الحادثة التي هي في الوقت نفسه من أروع ما يدل على مقاييس تلك الخطورة التي لبني المهاجر بين أولئك الثلاثمائة مفتي بتريم وتبريزها في

(١) المراد بآل أبي قحطان هؤلاء آل راشد فإن جدهم راشد هو راشد بن شجعنه بن فهد بن أحمد بن قحطان ابن العوم كما في (تاريخ شنبل) وغيره.

حلبات الرهان وميادين الامتحان، فقد ذكر المؤرخون هذه الحكاية وهي تتلخص فيما ننقله هنا عن «الجوهر الشفاف»، و«المشرع الروي»، وهي أن السلطان جمع صلحاء تريم وقال: انتقوا لي خياركم، وأراد بذلك أن يمتحنهم وهم لا يشعرون، فانتقوا له مائة منهم، وقالوا: هؤلاء خيارنا، فقال: انتقوا لي خيار هؤلاء المائة فانتقوا عشرة من المائة، فقال: انتقوا خير هؤلاء العشرة، فاختاروا له منهم الشيخ سالم بن بصري رضي الله عنه، فامتحنه بما ذكروه من قصة تلك البنت البارعة في الحسن والجمال التي ادعت أمها أنها مريضة وتريد منه أن يقرأ عليها شيئاً من القرآن ويدعو لها فأجابها إلى ذلك، فلما دخل على بنتها أغلقت الباب عليه وعلى بنتها وتعلقت به وراودته عن نفسها، فخلع النعل وضربها به، فصار موضع الضرب حزازة جذام حتى صاحت البنت بأمها، فدخلت عليها وفتحت الباب، فخرج السيد، وقد نجاه الله من هذه المكيدة السافلة.

ففي هذه الوقعة براهين؛ أولاً على متانة جامعة العلم والصلاح وقوة رابطة الوحدة المذهبية الوثيقة بين بني المهاجر وسائر علماء وأئمة الدين بتريم[1].

---

(١) إنه ليلمس الباحث مهما أراد أن يسبر ما يوجد بين بني المهاجر وسائر علماء تريم من روح الألفة الطائفية والشعور بالزمالة المذهبية فيرى شيئاً من مدى هذه الروح السائدة والشعور العميق الذي يعرب عنه الإمام العلامة الشهير محمد بن أحمد بن أبي الحب المتوفى سنة (٦١١هـ) بتلك الأبيات التي قالها في رثاء الإمام سالم بن بصري المذكور والتي منها كما في «المشرع» (٢/ ١٣) قوله:

ومن ذا الذي ينسى فضائل سالم ... فكم منة أسدى وكم محنة صرف
فموت ابن بصري على الدين ثلمة ... وموت ابن بصري لظهر العلا قصف
لقد كان بدراً يستضاء بنوره ... وبحراً من المعروف من زاره غرف
وكان أبياً لا ينال منالـه ... وسهلاً إذا للحق صرفته انصرف
وكم واصف في الناس يكثر وصفه ... ويطنب كل وهو فوق الذي وصف

ومثل ذلك ما يلمسه الباحث أيضاً في رسالة التعزية التي بعث بها الإمام محمد بن أبي الحب المذكور للإمام علي بن محمد بن جديد في أخيه الإمام عبدالله بن محمد بن جديد المتوفى سنة ٦٠٨ وهي منقولة في «المشرع» (٢/ ٢٤٣)، ومنها: (وبعد: أيها العلم الذي يهتدى بأنواره والعالم الذي يقتدى بآثاره واللبيب =

ثم على ما يؤكد خطورة مكانة الرئاسة العلمية والزعامة الدينية التي لبني المهاجر بتلك الحقبة التاريخية الفريدة كما إنها مثال واضح، ودليل مجسم على ما كانت تستعمله السياسة الماكرة بذلك العصر، وتنتهجه من الدسائس الخبيثة والمحاولات الساقطة للحد من خطورة تلك المكانة التي لرجال العلم والصلاح ولفروع العترة النبوية في تريم المدينة العلمية، وفي إقليم وشعب حضرموت المتديّن.

وحسبنا الاكتفاء بهذه الوقائع التاريخية في سوق البراهين على ما لبني المهاجر آل أبي علوي وغيرهم من خطورة الشأن وأهمية المقام بحضرموت بتلك العصور من حين قدوم المهاجر إلى حضرموت إلى مستهل القرن السابع الذي وقعت فيه تلك التطورات من ظهور المشيخة عند دخول الطريقة التصوفية بحضرموت، ومن تطليق آل أبي علوي لحمل السلاح، وذلك عقيب وفاة الإمام سالم بن بصري، وحيث انتقلت رئاسة العلم والفضل إلى سيدنا الفقيه المقدم (٥٧٦-٦٥٣هـ)، وكيف كان يلقب بشيخ الشيوخ، وإمام الفريقين، ومفتي الطريقين كما في (الجوهر) للخطيب وغيرهم، ومما يعد موضع اتفاق بين المؤرخين، ومن المسلَّم به أن هذه الرئاسة الفريدة كانت له طول حياته، وكان غير مدفوع عن تقدمه فيها، ولا مزاحم. وبهذا يتم الكلام في ما نحن بصدده من هذا التحقيق والبحث، فإنه ليكفي من القلادة ما أحاط بالجيد، ونحن إنما أردنا بما تحملناه من عناء المشقة في كتابة هذا التعقيب على مقال حضرة الكاتب إيضاح ما ينبغي مما تمس إليه الضرورة لمساعدة الباحثين، وتسهيل مهمة المحققين وسائر

= الذي يستضاء بآرائه، والطبيب الذي يستشفى بدوائه، فقد علمت ما كتب الله تعالى على العباد من فناء - إلى قوله يصف شدة التألم للنكبة الفادحة بموت الفقيد- وإن فجيعتنا به أعظم من فجيعتك، ولوعتنا به أشد من لوعتك، وروعتنا لفراقه أعظم من روعتك، وكيف لا يكون ذلك وهو أليفنا في مكاننا، وشريفنا في زماننا، وهو أحد علمائنا، وأوحد عبادنا، وأجل أوتادنا ولقد كان نعم الغوث عند نزول النوائب المهمة، والمدخر المخشى العواقب المدلهمة والملمات الملمة إلى قوله:

وكنا ذخرناه لكل ملمة ... وسهم الرزايا بالذخائر مولع.

المشتغلين بدراسة التاريخ الحضرمي، حتى لا يقع الالتباس، ويكثر التخبط في تحقيق الحق، وتمحيص الصواب بتلك النقط التي ما كان يخطر لنا أن ننساق لإسهاب البحث فيها، وإيراد التفاصيل عنها لولا ما تناوله حضرة الكاتب بهذا المقال ولاسيما مع ما نشعر به من اعتلال الصحة، وضعف ناهضات القوى بسبب الشيخوخة، وتبلبل البال مما قد يقعد بنا عن الاسترسال في الكتابة، وعن موالاة الجهد والعناء في متابعة البحوث إلى أقصى ما تنتهي إليه.

وإننا لنسأل الله لنا وللجميع حسن التوفيق للإخلاص في العمل ودوام التسديد في خدمة العلم بتحقيق الحق وتقرير الصواب، والحمد لله أولاً وآخراً على ما أولانا بمنه وعونه، ويسره بهذه المباحثة من خدمة الموضوع والوفاء بالمقصود.

* * *

خاتمة:

وكلمة يتقاضانا الواجب هنا أن نسجلها للحقيقة والتاريخ وهي أننا وايم الحق كنا وددنا أن حضرة الكاتب – رعاه الله – يتئد أي يتمهّل ويتأنى في ما قرره بكل قوة وجزم في موضوع (المدخل إلى التاريخ الحضرمي)، فهو يريد أن يجعل هذا المبحث قاعدة أساسية ثابتة يرتكز عليها ما يقرره حول هذه النقطة من قوله: «إنه لم يكن لآل أبي علوي أي خطورة ما في المكانة بحضرموت إلا على إثر إعلان آل كثير لدولتهم الجديدة الأولى في أواخر القرن الثامن الهجري».

* وإننا في هذه الخاتمة التي هي تتمة للأخذ في بقية ما ينبغي أن يتناوله التعقيب في هذا المجال لا بالنسبة لما هو من حقنا معشر آل أبي علوي، ولكن من حقنا وحق أي مؤرخ يتحمّل مسئولية العلم والتاريخ يهمه بل ويغار على مقام التاريخ الحضرمي أن يصبح في مقررات من يتعرّض للكتابة والخوض فيه بطريقة الارتجال دونما تحقيق يقوم على جانب من وضوح الرؤية والاعتماد على أدلة تحتويها كتب التاريخ.

فالتاريخ قائم على النقل وإذا كان هناك من استنتاج فيلزم أن لا يخرج عن دائرة النقل، وإننا هنا نحب أن نقتصر على بعض المنقول الذي يؤخذ منه أن خطورة آل أبي علوي ترجع وتصرح إلى أول عهد النهضة العلمية بحضرموت التي تلت حلول الإمام المهاجر أحمد بن عيسى وتديره وادي حضرموت الرئيسي فأولها ما نقلوه من أبيات يحيى بن عبد العظيم الحاتمي التريمي من قدماء فقهاء آل أبي حاتم التريميين وهو كما ذكروا تلميذاً للإمام علوي بن محمد بن علوي بن عبدالله صاحب بيت جبير المتوفى -أعني علوي المذكور- سنة ٥١٢ خمسمائة واثنتي عشرة من الهجرة النبوية على صاحبها أفضل الصلاة والسلام، فقد نوّه بمكانة هذا الإمام في خبرته وجهاده بنشر العلم في الوادي، بل وفوق ذلك نوّه تنويهاً بالغاً بمقدم جد آل أبي علوي، ولاشك أنه يريد بقوله:

وأبوه أخوف خائفٍ من ربه فالقُطر قد حياه بالتسليم

نقول: يقصد بذلك جد آل أبي علوي الإمام المهاجر إلى الله أحمد بن عيسى، ومعلوم أن القُطر هو القُطر الحضرمي بجميع ما حوته البلدان الشهيرة القديمة وهي: تريم، وشبام، وقسم والعِجِزْ أشهر البلدان بالوادي المذكور، وناهيك ما ينطوي عليه قول هذا الإمام العلامة، والشاعر الفحل قوله: «فالقطر قد حياه بالتسليم» من خطورة لآل أبي علوي منذ قدوم جدهم المهاجر المذكور إلى القطر الحضرمي.

وإننا في هذه التتمة التي عنَّ لنا أن نذيل بها هذا المبحث حول هذه النقطة قد حرصنا على نقل شيء مما صرحوا به من خطورة ومكانة بعض أعاظم ومشاهير رجالات آل أبي علوي فمنها المنقول في رسالة الإمام الشهير سعد بن علي الظفاري المتوفى سنة ٦٠٧ ستمائة وسبع هجرية المقبور بمدينة الشحر من قوله في ختام تلك الرسالة التي بعث بها الشيخ سعد المذكور إلى الإمام الفقيه المقدم من قوله مخاطباً للفقيه: «وأنت يا فقيه أهدى من أن تهدى، وأعلم

بالشريعة، والطريقة، والحقيقة)) تلك الرسالة التي حاول باطحن أن يشرحها شرحاً يقوم على غمط مكانة الفقيه، وكيف أنه عند هذا التنويه العظيم في خاتمة تلك الرسالة وشهادة شيخه الإمام سعد بن علي له بهذا المقام الفريد بين علماء الشريعة، والطريقة، والحقيقة بحضرموت، قد غص باطحن بهذه الشهادة حتى أنه ترك التعليق عليها ، ولم يستطع مناقضتها ، ولا أبدى أي مناقشة حولها، فهكذا يكون الحق أبلجا والباطل لجلجاً، وكفى شاهداً من كتاب الله تعالى: ﴿ بَلْ نَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلَى الْبَاطِلِ فَيَدْمَغُهُ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ ﴾[الأنبياء: ١٨] الآية، ونردف بعد ذلك فيما نوّهوا به أيضاً حول مكانة سيدنا الفقيه المقدم، وذلك بما نقلوه عن الإمام الكبير محمد بن أبي بكر باعباد المقبور بشبام (٧١٢ - ٨٠١هـ) أنه كان عند زيارته لقبر سيدنا الفقيه المقدم لا يتمالك من تقبيل لوح الضريح، فقال له بعضهم: أما في التقبيل شيء يشير إلى ما ذكره الإمام الغزالي من كراهة تقبيل القبور؟ فقال له الشيخ محمد ابن أبي بكر المذكور: والله ما صبرنا، والله ما صبرنا.

ونعزز بالإشادة إلى مكانة سيدنا الفقيه المقدم المذكور بما تحتويه تلك القصيدة للإمام المؤرخ القاضي عبد الرحمن بن علي بن أبي حسان المتوفى سنة (٨١٨هـ) ثمانمائة وثمانية عشر وهي القصيدة التي مطلعها:

قفا عند مشتاق إلى الربع شاعر ... يغني بسكان الحمى والمشاعر

فقد تضمن هذا التنويه بعلماء تريم في ذلك العصر الذهبي عصر وجود الثلاثمائة مفتي بتريم تنويهاً عاماً ثم كيف أنه خص من بينهم سيدنا الإمام الفقيه المقدم بالمكانة العالية، والمقام السامي بين أئمة عصره، وعلماء قطره قائلاً في مدحه وإكباره والثناء عليه من قوله:

لنا مفخر فاق المفاخر كلها ... وأصبح مفخوراً به كل فاخر

لنا سيد فاق المشايخ كلها ... بتمكينه في كل حال وخاطر

ومنها:

لنا سيد أربى على كل سيد ... تعالى وهاكِ الفخر يا أم زاهر

فسيدنا هذا الفقيه وجاهنا ... أبو علوي الشيخ زاكي العناصر

هو ابن علي ذو المعالي محمد ... أبو علوي ذو العلا والمفاخر

به سارت الركبان من كل جانب ... إلى ذكره كم وارد ثم صادر

ومنها قوله:

به افتخر القطر اليماني وازدهى ... كفخر عراق بالفتى عبد قادر

فإن فخروا بأصولهم وفروعهم ... فخرنا بأصل طاهر وابن طاهر

وفرع نمته دوحة نبوية ... أرومة زين العابدين وباقر

ولولا أننا قد ابتلينا في هذا الزمان المعاصر بأفراد تعرضوا لكتابة التاريخ وتخبطوا وخبطوا خبطاً عشوائياً، وقد يكون بعضهم قد عمد بقصد على إهالة التراب على الحقائق الراسخة، ومحاولة إطماس الوقائع التاريخية، بل ولم يقصروا في تحريف النقل من المصادر التي زعموا أنهم ينقلون عنها، ومن بينهم خصوصاً من لديه ملكة واقتدار على تنميق العبارة بما لديه من طلاوة الإنشاء، وبلاغة الأسلوب حاسباً أن هذا الاقتدار في الكتابة يخفي ما وراء ذلك من الاستهتار بالعقول، ومغالطات مما ينكشف به العوار، ويشف عما تحته من ضعف وسذاجة نقول: لولا أننا قد ابتلينا ما ذكرنا من هؤلاء الأفراد بما أسلفنا الإشارة إليه لما توسعنا بالكلام في هذا المجال ويعجبني ما ذكره لي الأستاذ المؤرخ محمد بن هاشم ابن طاهر رحمه الله تعالى عن بعض زعماء إخواننا الحضرميين المنصفين من الطائفة الإرشادية عقيب إطلاعه على تاريخ الدولة الكثيرية الذي قام بتأليفه الأستاذ محمد بن هاشم المذكور وهو الشيخ المرحوم محمد عبود؛ مستشار أمير الغرفة عبيد بن صالح بن عبدات، عندما صدر الجزء الأول من الكتاب، فكان

أن قال هذا الزعيم: «إنني اغتبطت بما جريت أيها الأستاذ عليه، ورأيت أنك قد جعلت أو وضعت عقلك أمامك عندما كنت تؤلف هذا التاريخ، أما فلان عندما ألف كتابه فإنه قد ترك عقله وراءه» والمراد أنه يعني أن فلانا هذا الذي جعل عقله وراءه قد حشر كلاماً كله استهتار بالعقول ظاناً أن بلاغة الأسلوب، وتنميق العبارة لن يشف عما وراء ذلك من الخبط على غير هدى، وما فعله من ذلك لا ينم إلا عن سذاجة، وفقد الشعور بالمسؤولية العلمية، والتاريخية ولم يخطر له أنه إنما يعرض بذلك غفلته من كون التاريخ لا يرحم في حكمه القاسي على أي عابث بحقائق التاريخ.

وهل لي أن أشير في آخر هذه التتمة إلى ما وقع لي عند زيارة البعثة المصرية التاريخية التي استقدمتها جمهورية اليمن الجنوبية الشعبية لوضع أسس إنشاء المكتبة القومية وتجميع التراث الوطني، وكانت هذه الزيارة في سنة ١٩٧٠م، فكنت قد شممتُ من سؤال أحد رجال هذه البعثة، ولمحتُ من فحوى هذا السؤال أنه يحمل شكوكاً حول مؤرخينا المعاصرين، فقد قال في سؤاله: كيف رأيك في المؤرخين المعاصرين من الحضرميين ممن ألفوا في التاريخ الحضرمي؟ بقصد أن أبدي ما عندي من توثيق أو تعليق على ما كتبوا فقلت للسائل: إنني منذ ما يقرب من بضعة عشر عاماً تلقيتُ رسالة من بعض الإخوان النجباء ذكر فيها أن فلاناً قد ألف تاريخاً للقطر الحضرمي ساحلاً وداخلاً يشتمل حتى على الحقبة المجهولة أي فيما بعد منتصف القرن الثاني الهجري، فقلتُ له في جوابي ما يأتي: «مَن أراد أن يُؤلِّف أو يكتب في تاريخ حضرموت فليكتب وهو بذلك مشكور الصنيع لكن علينا أن ندرك أن الغربلة مُقبلة».

* * *

هذا ما أردنا إيراده في هذا المقام ونسأل الله أن يجيرنا ويحفظنا من زلة الفم، ومن زلة القلم ومن زلة القدم.

وحسبنا الله ونعم الوكيل، وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم، والحمد لله رب العالمين.

كاتب هذه النسخة الفقير إلى عفو ربه عبد الرحمن بن حسين بن عبدالرحمن بن أبي بكر بن أحمد الخطيب التريمي الحضرمي.



استدراكات وتحريات

على تاريخ حضرموت

تأليف

عبدِ الله بن حسن بن محمد بلفقيه

مقدمة

الحمد لله على إفضاله، والصلاة والسلام على سيدنا محمد وآله، وعلى أصحابه السالكين على منواله.

وبعد: فهذه رسالة احتوت على الملاحظات التي قام بها البحّاثة النقّادة المؤرخ السيد عبدالله بن حسن بلفقيه على كتاب (تاريخ حضرموت في شخصيات) للأستاذ سعيد عوض باوزير أستاذ التاريخ بمدارس غيل باوزير. وهي مما قد بعث به رسمياً على لسان ناظر معارف الدولة الكثيرية السيد علي بن شيخ بلفقيه إلى اللجنة المسئولة عن تأليف الكتب المدرسية بغيل باوزير بناء على ما أحالته عليه من القيام بعرض الكتاب المذكور للملاحظة والنقد على المشتغلين بدراسة التاريخ الحضرمي، وعليه أن يقدم كل ما يبدونه إليها بواسطته رسمياً، أي فيما يتصل أو يمس بصلاحية هذا الكتاب الذي يراد تقريره رسمياً للمدارس كغذاء عقلي وقوام علمي لتنوير أذهان النشئ في الإلمام بحقائق تاريخ وطنهم، وتمحيص وقائع وأحوال مفاخر وأمجاد الماضين من أعاظم أسلافهم ومشاهير مواطنيهم، وقد اتفق أنه حين أتيح لبعض[1] أعيان الشباب الناهض بهذا الجنوب العربي الوقوف على هذه الملاحظات القيمة، وكان هذا البعض من المهتمين بتشجيع النهضة العلمية، وتنشيط الحركة الفكرية، وخاصة في ناحية ما يتصل بدراسة التاريخ الحضرمي، وبلاد الجنوب العربي على العموم، الذي يكاد أن يكون أشبه شيء بالحلقة المفقودة فيما ينشر من تاريخ الأقطار العربية الشقيقة...

(١) هو السيد عمر المحضار بن علوي الكاف.

نقول حين اتفق لهذا البعض ما ذكرنا من الوقوف على هذه الملاحظات ما [لبث] أن طلب من مؤلفها نشر هذه الملاحظات، لتكون الفائدة بواسطة إفشائها وإشاعتها بالطبع بين قُرّاء العربية أعم، وكذلك ليكون التيسير للمعنيين بدراسة هذه الحقائق ممن يوجدون في زوايا الجنوب العربي وغيره أتم.

وكان مما أبداه هذا البعض في توجيه الغاية المنشودة لهذا المطلب العلمي أنه وإن تكن هذه الملاحظات فيما وُضعت له لا تتجاوز كونها (استدراكات وتحريات) بخصوص مهمة نقد تاريخ الأستاذ باوزير، فإنها لا بد بهذا أن تكون قد استنفدت أغراضها، فإن مما لا مشاحة فيه أن لها على الرغم من قيمتها الكبيرة في النواحي الأخرى، وأعني بذلك في دراسة التاريخ الحضرمي، دراسة علمية عميقة، ولاسيما بإزاء ما نبصره من الحالة الواقعة لحركة الكتابة والتدوين التي أخذت تنشط في السنوات الأخيرة لتدوين التاريخ الحضرمي، مما لا تزال بحاجة شديدة للتمشي على الطرق العلمية، وانتهاج الأصول المرعية في كتابة التاريخ، ودراسته، وتمحيص حقائقه، وجلاء غوامضه، والتزام الفن المعهود عند أربابه.

ولبيان الحقيقة نرى لزاماً علينا في كلمة هذا التصدير بعد أن أشار المؤلف عقب إيراد القسم الأول من الملاحظات بأنه مما أملاه على لسان ناظر معارف الدولة الكثيرية نرى لزاماً علينا أن نذكر أن المؤلف وهو الحريص دائماً على الإجادة في تنقيح الأبحاث العلمية، وكذا على قيام التعاون بين المشتغلين بالتحقيقات الدراسية للتاريخ الحضرمي كان من أجل هذا الذي ذكرنا من الميل الغالب عليه شديد الاهتمام أثناء كتابة هذه الملاحظات، حتى أنه لا يفتأ كلما انتهى من كتابة حصة منها من المبادرة بعرض المسودات الأولية علينا، بل وعلى بعض من لهم شيء من الإلمام بمباحث التاريخ الحضرمي.

وإنه لهذا ولما يظهر من مراعاة ناظر معارف الدولة الكثيرية لما طلبته اللجنة القائمة بمهمة دراسة الملاحظات بغيل باوزير من إحالة كتاب الأستاذ

باوزير على المشتغلين بدراسة التاريخ الحضرمي كان الناظر المذكور قد أبدى للجنة المذكورة ما كان من مساهمتي المشار إليها للمؤلف في هذا المجهود الثقافي الوطني والذي قد كان عليَّ وعلى المؤلف أن نتحمل جانباً من الاضطلاع به في سبيل الواجب، والوفاء للوطن والعلم، مع كل ما ينتابنا من اعتلال الصحة وضعف الشيخوخة. أنه بسبب هذا الذي أوضحنا آنفاً لم يلبث الأستاذ باوزير إلا أن يحرر ذلك المكتوب الذي يراه المطالع في غير هذا الموضع، فيجعله لي وللمؤلف بالاشتراك وبسبيل ما لاح له من المباحثة والمراجعة تحت إشراف اللجنة وناظر المعارف المذكور، حول بعض النقاط التي اشتملت عليها هذه الملاحظات، هذا والله المستعان وعليه التكلان.

تريم . محمد بن هاشم

* * *

حضرة الأستاذ الغيور والكاتب المؤرخ / الشيخ سعيد باوزير حفظه الله

أتقدم لحضرة الأخ الأستاذ بملاحظاتي الأولى على بعض ما جاء في أصل كتابكم (تاريخ حضرموت في شخصيات)، ومنها ما يتناول مختصر هذا الكتاب بالتبعية لأصله، وقد جعلت ترتيبها بحسب أهمية النقاط التي تدور هذه الملاحظات عليها:

المهاجر والثقافة العامة:

قولكم في (ص ٣٤) في الفقرة: ((المهاجر والثقافة العامة)) مما هذا لفظه: ((عندما قدِم المهاجر إلى حضرموت في مطلع القرن الرابع الهجري كان يوجد بها جمهرة مختارة من العلماء باللغة العربية والدين، وكان أكثر اشتغالهم بعلوم الحديث وتأويل القرآن - التفسير - وفروع الدين (الفقه)، وعلم الكلام - كذا؟-[1] أو علم العقائد (التوحيد) إلى قولكم «وقد عرف كثير من الحضارم بالبلاغة والفصاحة «كذا؟»[2])).

فهذه نقطة مهمة جداً، وقد وجدتُ طلاب تحقيق التاريخ الحضرمي لا يزالون في تلهف قوي، وتطلع شديد لمن يُفيدُهم بشيء في هذا الموضوع، ويكتشف وجود علماء ولو بمعرفة أسمائهم، ويصوّب ما تخيله بعضهم في أن

(١) المعروف أن واضع علم الكلام هو أبو الحسن الأشعري البصري المتوفى ببغداد سنة بضع وعشرين وثلاثمائة، وبعد أن يكون هذا العلم قد انتشر بحضرموت، وتخرج فيه علماء بها في مطلع هذا القرن الرابع قبل قدوم المهاجر.

(٢) ذكر الهمداني المتوفى سنة ٣٣٤ في كتابه (صفة جزيرة العرب) بعد أن ذكر أن أهل الشحر والأسما ليسوا بفصحاء وأن مهرة غنم ما لفظه: «حضرموت ليسوا بفصحاء وربما كان فيهم الفصيح وأفصحهم كندة وهمدان وبعض الصدف».

هناك حركة ثقافية كانت تقوم بتلك الحقبة التي تلت دخول مذهب الإباضية إلى حضرموت، والتي تنتهي بقدوم المهاجر وهي مما يقرب من القرنين من السنين.

وسبب ذلك أن الهمداني في كتابه (صفة جزيرة العرب)، والرحالة ابن حوقل قد كتبا عن حضرموت ساحلاً، وداخلاً في مطلع هذا القرن الرابع وما يقرب من أواسطه، وإن طالب التحقيق لا يستطيع أن يستفيد مما كتباه شيئاً يدل على وجود حركة ثقافية، ووجود علماء بحضرموت في تلك الحقبة، ولا أن يعثر على ما ينير له السبيل في دراسة هذه النقطة، وما يلقي أي ضوء في تحقيقها حيث إنها لا تزال لدى طلاب التحقيق من مجاهل التاريخ الحضرمي، بل إن ابن حوقل فوق ذلك يذكر كما نقل ذلك عنه ابن خلدون في (تاريخه) ما ربما يخالف ما تحاولون إيضاحه والتبسط فيه بهذا المقام، فعبارة ابن خلدون وهو ممن يمتُّ بنسبه إلى الحضارم فيما نقله عن الرحالة ابن حوقل لدى الكلام على حضرموت، وحدودها ساحلاً وداخلاً من قوله في ذكر الشحر وتحديدها: واسم الشحر يطلق على جميع ساحل حضرموت[1] هكذا لفظها: ((وجنوبها بحر الهند مستطيلة عليه، وشمالها حضرموت كأنها ساحل لها فيكونان لملك واحد)) إلى أن قال عن الشحر: ((وكانت في القديم لعاد، وسكنها بعدهم مهرة من حضرموت، أو من قضاعة وهم كالوحوش في تلك الرمال، ودينهم الخارجة على رأي الإباضية منهم)).

وعليه فالذي يعِنُّ للمحقِّق حيال ما أردتم إيضاحه والتبسط فيه بهذه النقطة المهمة، وخصوصاً وقد سلكتم في ذلك مسلك الإشادة، والتنويه هو التثبت في هذا الموقف، وأن الأمر في ذلك مما يحتاج إلى تدليل وإثبات يتناسب

(١) الشحر بفتح الشين وكسرها الشط، ويطلق كما في المعاجم اللغوية وغيرها على ساحل البحر فيما بين عمان وعدن. ومن المفيد التنبيه على اعتبارهم بلاد شرق اليمن، وهي ما يشمل النواحي الواقعة ساحلاً وداخلاً بين عمان وعدن – القسم الذي يتكون منه (ولاية حضرموت ومخاليفها). فقد ذكروا أن اليمن عبارة عن ثلاثة أقسام الجند ((مدينة قديمة بقرب تعز)) ومخاليفها وهو أعظمها، وصنعاء ومخاليفها وهو أوسطها، وحضرموت ومخاليفها وهو أدناه.

بالأقل مع هذا الأسلوب، والمسلك الذي جريتم عليه في الإيضاح والتقرير.

* * *

ما هي العصور التي تعد من مجاهل التاريخ الحضرمي :

وقد أوضح من أشرنا إليهم من طلاب التحقيق الحال فيما يقررونه من كون هذه النقطة المهمة التي نحن بصدد دراستها وتحقيقها هي كغالب أخبار هذه الحقبة المشار إليها مما لا يزال من مجاهل التاريخ الحضرمي- بأن السبب في ذلك يرجع معظمه في الأكثر إلى تأخر عصر تدوين التاريخ بحضرموت، وبعضه قد يرجع كما يتوهم بعض الناس إلى عدم الاعتناء بحفظ أخبار الدور الإباضي لدى أهل حضرموت، الذين ربما كانوا بعد قدوم المهاجر، وانتقال حضرموت إلى الدور السني قد جعلوا أخبار الماضي الإباضي غير ذات موضوع حتى تنوسيت بينهم أخبار وقائع وأحوال هذه الحقبة التي يشبه أن تكون الحلقة المفقودة في تاريخ حضرموت، وذلك بقلة المذاكرة فيها، ولتقادمها الزمني القصي عن عهد تدوين التاريخ بحضرموت، أعني بالقياس إلى ما بعد عصر قدوم المهاجر ودخول حضرموت في العهد السني، وحيث كان بزغ فجر الثقافة السنية وحركة قيام المذهب الشافعي بها، فهذا هو ما عليه طلاب التحقيق بإزاء كون هذه النقط مما لا يزال في رأيهم من مجاهل التاريخ الحضرمي.

* * *

عهد حضرموت بتدوين التاريخ:

أما ما يستندون إليه عن عهد تدوين التاريخ بحضرموت وأن السير في غاية ما يعرف عن بداية هذا التدوين أنه لا يتجاوز القرن السادس بمعنى أنه إنما يقع متأخراً عن قدوم المهاجر بما لا يقل عن مائتي سنة، فهو ما صرح به الشيخ

علي بن أبي بكر بن عبدالرحمن السقاف (ميلاده سنة٨١٨ وفاته سنة ٨٩٥) كما في(ص١٥٣) من كتابه (البرقة المشيقة) المطبوع بمصر سنة ١٣٤٧هـ في سبب ذهاب الكثير من أخبار علماء بني بصرى وجديد بني عبيدالله بن أحمد بن عيسى وكان هؤلاء قد انقرضوا في أوائل القرن السابع، وكذا أخبار بقية علماء حضرموت، وأئمتهم من قدمائهم ومتأخريهم، يقصد بذلك فيما قبل عصر التدوين[1]، وأن ذلك يرجع إلى ما وقع من الغفلة والإهمال وعدم الحفظ بالتقييد بالكتابة، ووضع للتواريخ والاعتناء بها، وضبط الأخبار؛ إذ كانوا يتناقلون الأخبار بالمذاكرات، ولم يقيدوها في الكتب المقيدات بتاريخ، ولا طبقات، ومثلهم ما ذكره الشيخ العلامة المحقق الشيخ عبدالرحمن بن محمد الخطيب (ميلاده قبل سنة ٧٩٤ وفاته سنة ٨٥٦) في كتابه (الجوهر الشفاف) وهو بنحو ما سبق من كلام الشيخ علي في (البرقة) وذلك قوله: ((ورأيت بلدنا تريم[2] حرسها

(١) يعتبر الزمن الذي يقع فيما بين قدوم المهاجر إلى حضرموت في مطلع القرن الرابع وبين ظهور طريقة التصوف بها وانتشارها حوالي أواخر القرن السادس ومستهل القرن السابع على يد سيدنا الفقيه ومن في طبقته من مشايخ التصوف بحضرموت يعتبر دوراً متميزاً، ومما ذكره لي بعضهم أن هذا الدور كما تلقى ذلك عن بعض شيوخ العلم كان يسمى بعصر الفقه، أو عصر الفقهاء، وهو كلام وجيه؛ ففي هذا الدور كانت النهضة العلمية التي انتشر بها مذهب الإمام الشافعي في الفروع ومذهب أهل السنة والجماعة في الأصول كما صرح بذلك العلامة المؤرخ السيد علوي بن طاهر الحداد في كتابه (عقود الألماس) ص٢٧٣، وأنه من المعلوم أن هذه النهضة قد امتدت في تقدمها ونموّها العظيم المدهش حتى أنها بلغت بتريم إلى تلك الذروة العليا، وانتهت إلى القمة الشامخة التي لا تسامى بوجود ثلاثمائة مفت بتريم في وقت واحد أي بذلك العصر الذهبي الواقع في أواخر القرن السادس، وهو الذي أنجبت أيضاً تريم فيه أولئك الرعيل الأول من مؤرخي حضرموت وهم العلامة محمد بن أحمد بن أبي الحب المتوفى سنة (٦١١هـ)، والقاضي أحمد ابن محمد باعيسى المتوفى سنة (٦٢٤هـ) وصاحب (الياقوت الثمين) الذي كانت وفاته بعد مستهل القرن السابع.

(٢) جاء في تاريخ الجندي ما يأتي: ((مخلاف حضرموت – وهو مخلاف يغلب على أهله البداوة الشديدة وخرج منه جمع من أعيان العلماء غالبهم من قريتين هما تريم وشبام، وقد ذكرتهما. أقدمها تريم))، ويظهر أن الحامل للجندي فيما قاله هنا في حق أهل حضرموت لا يعدو ما وقع من تأخر تدوين التاريخ بحضرموت، وأنه كان وهو في مطلع القرن الثامن لم يطلع على مؤلفات للحضرميين في تاريخ بلادهم =

الله الرحمن الرحيم كثيرة الأولياء والصالحين ومشايخ الصوفية العارفين، منهم المشهورون، ومنهم المستورون، ولكن قد عفى آثارهم وخفي على أهل زماننا غالب صالحيها وأعيانها البتة، واندرست ونسيت أعلامهم وفضائلهم بالكلية، لاسيما المتقدمين منهم الذين في القرن الخامس وما قبله[1]. إلى أن قال «كل ذلك

= فكأنه لم يقف على ما دونه التريميون الذين كانوا هم الرعيل الأول من مؤرخي حضرموت مما أسلفنا الإشارة إليه.

ويحسن بنا أن نذكر في هذا الموضع بهذه المناسبة أن آل أبي حاتم هم من أقدم العلماء والفقهاء بتريم، وأن أقدم مذكور في التاريخ منهم هو يحيى بن عبد العظيم الحائمي، ذكره مؤلف (الياقوت الثمين) وكان من معاصري الإمام علوي بن محمد صاحب بيت جبير المتوفى سنة (٥١٢هـ)، وأقدم مذكور من الخطباء كما في (برد النعيم) الشيخ محمد بن سليمان الخطيب الجد الجامع للخطباء التريميين، الذي قد كان يعيش أيضاً في نفس التاريخ المعاصر للإمام علوي المذكور، ويوجد أيضاً في هذا العصر المشار إليه ثلاثة علماء آخرون ذكر أحدهم المؤرخ اليمني عمارة الحكمي في كتابه(تاريخ اليمن)، فقال: إنه لقي هذا العالم الحضرمي في عدن سنة ٥٣٩ واسمه أحمد بن محمد الحاسب كان حاسباً فرضياً عالماً بالقراءات السبع قد جاوز الثمانين من العمر، وذكر أنه كان ناشئاً ببلاده كنده، وساق له حكاية عجيبة في تصحيح مسألة فرضية بني زريق باليمن وهي إحدى وخمسين بطناً وكانت هذه المسألة قد أعيت علماء الشافعية بزبيد بذلك العهد.

أما الآخران فقد أورد ذكرهما السيد العلامة علوي بن طاهر الحداد في كتابه (عقود الألماس) ٢/ ٥٢، أحدهما الحافظ التريمي الشيخ أبو محمد عبدالملك بن محمد اليماني التريمي الحضرمي، والآخر المحدث النهدي عبيد بن محمد بن عبدالله بن يوسف بن رحيم النهدي اليماني ثم الحضرمي، ولعل هذا الثاني فيما يقول مؤلف (عقود الألماس) هو جد الإمام عبدالله بن عبدالرحمن بن أبي عبيد التريمي المتوفى سنة (٦١٣هـ) بتريم، وهؤلاء الخمسة وكلهم كما رأيت من علماء السنين قد كانوا بوجه التقريب فيما بين أواسط القرن الخامس وأوائل السادس، أي في التاريخ المعاصر للإمام علوي صاحب بيت جبير المذكور.

(١) يغلب أن يكون مراده بالمتقدمين في القرن الخامس وما قبله من سبق من الصالحين وأعيان العلماء في عصر الفقهاء، أي فيما قبل عصر التدوين التاريخي بحضرموت، ومما يجدر ذكره أنه اتفق لنا بعد تبييض النسخ السابقة من هذه الرسالة وانتشارها الإطلاع على أوراق قديمة متناثرة منها من تاريخ لأحد علماء آل باشراحيل الشباميين ممن كان يعيش في سنة ٧٧٢ أي ممن بعد في طبقة الرعيل الثاني من مؤرخي حضرموت، وتوجد هذه الأوراق لدى السيد المؤرخ البحاثة صالح بن علي الحامد بسيئون، ولما أن كان ما تحويه هذه الأوراق مما يرجع عهده إلى أوائل القرن الرابع فقد أطلنا النظر فيها لمحاولة العثور على اكتشاف وجود علماء بحضرموت، أو أحد من مشاهير الصلاح في القرن الرابع أو الخامس، أي ممن لعله يكون هذا المؤرخ. قد امتدى لاستكشافه لاسيما بتلك المحاولة التي يقوم بها في جمع تاريخ =

من طول الزمان، وغلبة النسيان وقلة المذاكرة)).

ومما يوردونه في هذا الصدد زيادة على ما تقدم أن مؤرخي حضرموت ممن استوفوا النقل عن تواريخ من تقدمهم، لاسيما فيما يتعلق بالشخصيات الحضرمية من علماء وصلحاء ومشاهير وأعيان، وتم لهم الاطلاع على التواريخ اليمنية والحضرمية وغيرها كتاريخ ابن سمرة، والجندي، واليافعي وغيرها من تواريخ اليمن، وتاريخ ابن حسان، ومن تقدمه من الرعيل الأول من المؤرخين الحضرميين، لم يتهيأ لهم فيما دوّنوه بكتبهم الإتيان بشيء يمكننا أن نتناول بواسطته بحث هذه النقطة في شيء من الأمان والثقة، فهؤلاء جمهرة المؤرخين الحضرميين في القرن التاسع والعاشر كصاحب (الجوهر الشفاف) الخطيب، ومؤلف (البرقة) الشيخ علي بن أبي بكر، ومصنِّف (قلادة النحر) الطيب بامخرمة، ومصنِّف (الغرر) السيد محمد بن علي خرد، وصاحب (النور السافر) السيد عبدالقادر بن شيخ العيدروس وغيرهم ممن لا نريد تعدادهم والحال أن كتبهم هي أجمع الكتب لذكر العلماء والصلحاء بحضرموت، فإننا نجد المطالع مهما أجال بصره فيها باحثاً ومنقباً عن شيء يتوصل به لمعرفة ما إذا كان يعرف هناك أفراد من العلماء بحضرموت في هذه الحقبة الممتدة السابقة لقدوم المهاجر فضلاً عن جمهرة، وما إذا كان أيضاً يوجد ما ينم عن حركة ثقافية قائمة لا يلبث أن يعود بخفي حنين.

فهذا ما لدي من التعليق على هذه النقطة المهمة مما استفدته من البحث والمذاكرة مع طلاب التحقيق بالداخل، وعسى أن أكون أنا وهم واهمون أو خاطئون قليلاً أو كثيراً في هذا الذي يذهبون إليه ولديكم فيما ذهبتم إليه بذلك الإيضاح والتقرير أدلة مقبولة علمياً يتقرر بها صحة ما ذهبتم إليه في هذه النقطة

= لحضرموت يكون شاملاً لتلك القرون الأولى التي يتدب لها بسبيل الاستدراك على من تقدمه من الرعيل الأول من مؤرخي حضرموت، فلم نظفر بطائل من هذا القبيل وربما كان في هذا ما يؤيد ما غلب على ظننا من مراد صاحب الجوهر بهذه العبارة.

مما سيكون حقاً موضع فخار مشترك بين الجميع لهذا الوطن الحضرمي المحبوب.

وإنه كم يخطر لنا ولهؤلاء طلاب التحقيق بل وكم يقودنا الأمل العظيم ونحن اليوم في مطلع هذه النهضة الحديثة، وفي مستهل دور تمحيص حقائق التاريخ الحضرمي لأن نوفق فيما نقوم به من البحث والتنقيبات من جديد للاهتداء، واستكشاف أسماء علماء حضرميين من سُنِّيين وإباضيين لاسيما ممن عاشوا فيما بين أواسط القرن الرابع وأواسط الخامس كي نضيفهم إلى قائمة أسماء العلماء والمشاهير الحضرميين الذين أنبتتهم بلاد حضرموت في هذا الدور التالي لقدوم المهاجر. وقديماً قيل: كم ترك الأول للآخر، وبالأخص مع ما هو متيسر ومتوفر من الوسائل في هذا العصر للبحث والتنقيب العلمي.

* * *

متى كان عهد الإباضية بحضرموت؟

إنه كان عليكم وقد جعلتم عنوان، أو موضوع كتابكم (تاريخ حضرموت في شخصيات) أن تراعوا كل ما ينبغي من التوضيح، والدّقة في الكلام على أدوار التاريخ الحضرمي، ولاسيما فيما بعد الإسلام، فتجعلوا دخولكم في موضوع الكلام على الشخصيات التي تاريخها مفتاحاً لأي دور من أدوار التاريخ الحضرمي جارياً على ما تقتضيه طبيعة الحال أو الموضوع، ويتأكد هذا فيما قد جعله المؤرخون، واعتبروه نقطة الابتداء لذلك الدور، وأصل السبب في ذلك التحول والتطور الذي يقع الكلام بسبيله.

نقول هذا بصدد عدولكم الغريب عما يقتضيه المقام في عرض تاريخ عبدالله بن يحيى، وعدم أخذكم بما جرى عليه المؤرخون بهذا الموضوع، فقد جعلوا مبدأ قيام مذهب الإباضية بحضرموت، واعتبروا أصل الوقائع التاريخية

المكونة لهذا الدور واقعة تردد أبي حمزة المختار بن عوف الأزدي البصري داعية الإباضية إلى الحجاز كل عام لنشر الدعاية في مواسم الحج، وما كان من اعتناق عبدالله بن يحيى لهذا المذهب على يد أبي حمزة المذكور آخر عام ١٢٨، واستجابته ليس لأن يكون فقط من أراكين الشراء الذين شروا أنفسهم بالجنة بمفارقة أئمة الجور، وإنما لأن يكون فوق هذا أيضاً مؤسساً للحركة الإباضية بحضرموت وحامياً للمذهب الإباضي على العموم[1].

ولقد كان هذا المثال الذي جرى عليه المؤرخون هو المثال الأصوب منكم احتذاؤه هنا، وعلى الأخص وأنه لم يتقدم بهذا الموضوع كلام في كيف كان بدء وصول المذهب الإباضي إلى حضرموت.

وكان الأحرى بكم أيضاً انتهاج هذا المثال حيث قد سلكتم في عرض تاريخ وائل بن حجر في الفقرة (سيد الأقيال) مسلكاً لا غبار عليه من ذكر قصة إسلام وائل بن حجر في مفتتح الكلام التي كانت هي نقطة الابتداء في دور قيام الإسلام بحضرموت.

* * *

ردة كنده بحضرموت :

وكذلك جريتم على نحو هذا في تاريخ الأشعث بن قيس عند تطرقكم للكلام على دور حركة الردة[2] بالانتقاض على الخليفة الأول فقد ذكرتم للتمهيد

---

(١) روى الطبري في تاريخه (٩/ ٧٨) ما يأتي: «كان أول أمر أبي حمزة أنه كان يوافي كل سنة مكة يدعو الناس إلى خلاف مروان بن محمد وإلى خلاف آل مروان، فلم يزل يختلف في كل سنة حتى وافى عبدالله بن يحيى في آخر سنة ١٢٨ فقال له: يا رجل اسمع كلاماً حسناً أراك تدعو إلى حق فانطلق معي فإني رجل مطاع في قومي فخرج حتى ورد حضرموت فبايعه أبو حمزة على الخلافة ودعا إلى خلاف مروان».

(٢) يعتبر المؤرخون أول ردة في الإسلام ظهور الأسود العنسي في أواخر حياة النبي ﷺ، وكان بين ظهوره وقتله فيما نقله ابن سمرة نحو من أربعة أشهر، وذكر المؤرخون أن كندة ارتدت باستجابتها له، قال =

في طليعة الكلام موقف الأشعث بن قيس في جماعة من كندة، وإنهم كانوا في مقدمة من تأخر عن المبايعة للصديق رضي الله عنه، وكذلك أوردتم أبيات حارثة بن سراقة الكندي التي تصور ما كان من موقف بعض زعماء كندة ورائهم في معارضة قيام خلافة الإسلام، وليس كما ذهبتم إلى أنها تصور فقط معارضتهم لبقاء حضرموت تحت سلطة من يلي الحكم بعد النبي ﷺ[1] إلى آخر ما جريتم

= ابن جرير: «كان سبب ردة كندة إجابتهم الأسود العنسي، حتى لعن رسول الله ﷺ الملوك الأربعة» أي وهم جمد، ومخوص، ومشرح، وبضعة، وقد قتل هؤلاء الأربعة بالنجير في قتال زياد بن لبيد لأهل الردة، وهؤلاء من بني وليعة من بني عمرو بن معاوية، وموقف هؤلاء ومن لف لفهم من كندة نجاء الإسلام لا يخفى على من تتبع مواقفهم في كتب التاريخ، فقد ذكروا ما كان من إسراعهم إلى الردة لما طار الخبر إلى قبائل العرب بانتقاله ﷺ إلى الرفيق الأعلى، وما أبدوه من سرورهم وإظهارهم الشماتة بالإسلام لوفاة النبي ﷺ، وما كان من منازعتهم أيضاً لزياد بن لبيد، وامتناعهم عن دفع الزكاة إلى آخر ما ذكروه (انظر تاريخ الطبري ٣/ ٢٧١) و(شرح ابن أبي الحديد على نهج البلاغة) «١/ ٩٧-٩٨» وفي هذا الأخير تفصيل أكثر لموقف بني وليعة من الإسلام؛ من ذلك ما ذكره من أنه قد غنت بغاياهم وخضبن أيديهم فرحاً بموت الرسول ﷺ فكتب الصديق بأخذهن وقطع أيديهن، ويوجد في كتاب (المحبر) للعلامة الأخباري النسابة أبي جعفر محمد بن حبيب بن أمية بن عمرو الهاشمي مولاهم المتوفى سنة ٢٤٥ الذي نقل عنه ابن أبي الحديد - بسط أوفى بهذا الصدد تحت عنوان: (النسوة المتمنيات موت رسول ﷺ) كما ذكر ذلك العلامة السيد علوي بن طاهر الحداد في مكاتبة منه لبعض الإخوان.

(١) المراد بهذا الاستدراك المهم حيال فكرة أو سابقة خطيرة في تاريخ الإسلام هو التعقيب على ما استنبطه المؤلف مما عبر به حارثة بن سراقة الكندي من قوله في تلك الأبيات:

أطعنا رسول الله مذ كان بيننا ... فيا قوم ما شأني و شأن أبي بكر

أيورثها بكراً إذا كان بعده ... فتلك لعمر الله قاصمة الظهر

وهو أقرب مما ذكره المؤلف من جعل كون المراد في ذلك لا يتجاوز الرأي أو الاعتقاد لدى هؤلاء الزعماء في أنه إذا خضعت حضرموت لحكم النبي ﷺ حال حياته فلا مانع من أن تستقل عن سلطة من يتولى الحكم بعده، فكلام الشاعر في الاعتراض على بذل الطاعة وتوريث الحكم والخلافة في الإسلام أعم من هذا المراد الذي يشير إليه المؤلف، ويكفي ميلاً ومفارقة وعناداً ومشاقة في مغزى هذا الرأي الذي عبر عنه هذا الشاعر أنه على كلا التقديرين اعتراض بالذات على صاحب الرسالة صلوات الله عليه في أصل الاستخلاف وتوريث سلطة الحكم، وليس فقط على تولية سيدنا أبي بكر ﷺ بل يقرب أن يكون ما ينزع إليه هذا الشاعر من الاعتراض على امتداد حكم الإسلام إلى ما بعد عصر النبوة شبيهاً في غايته المدامة التي هي تعطيل الإسلام من الدولة والسلطان بما ينزع إليه في عصرنا من أضلهم وأغواهم المبشرون والمستعمرون الذين يدعون أن لا علاقة للإسلام بالحكم وأن الإسلام إنما هو دين فحسب =

عليه بتلك الفقرة «اضطراب الجزيرة»، وما ذكرتم بعد ذلك من أسباب قضية الامتناع عن دفع الزكاة، وهي المظهر الأول للاعتراف بسلطة الخليفة إلى ما كان من قيادة الأشعث لحركة هذا الانقلاب[1]، وشق عصا الطاعة على الخليفة الأول، مما كان أصلاً ومقدمة يرد إليها تاريخ هذا الدور ر الثاني من أدوار حضرموت الإسلامي.

* * *

هل كانت إدارة حضرموت في القرن الخامس بيد الحضارم؟

للتعليق على ما ذكرتم بتلك التوطئة في أول كلامكم على ترجمة أبي إسحاق الهمداني الحضرمي بأنه في أول المائة الخامسة كانت مقاليد الأمور بحضرموت بيد ذوي الشأن من الحضارم، لا سلطة عليهم لخليفة في بغداد، ولا

= وليس ديناً ودولة. وسواء في هذا الذي يقرب أكان صواباً حمل كلام هذا الشاعر الكندي المعدود مصدراً كبيراً للحركات العاقلة في هذا الدور، والذي قد كان انحياز بني وليعه إليه في قيام هذا الانتقاض ضد خلافة الإسلام أعني سواء كان صواباً حمل كلام هذا الشاعر على ما قلتم في أول الكلام بأن كندة «كانوا حديثي عهد بالإسلام إذ إنه لم يمض على إسلامهم أكثر من سنة واحدة فقط وأنه لم تتهيأ أذهانهم لمعرفة الوضع السياسي الذي ينبغي أن يخضع له المسلمون» أو حمله على ما يشير إليه علماء التاريخ والأخبار عن تزعمه أهل الردة في كندة في حياة النبي ﷺ، وفيما بعد انتقاله إلى الرفيق الأعلى، وخصوصاً بني وليعة، وما ذكروه من ضعف إسلام هؤلاء في الأصل وهو الأمر الذي كان في اعتبارهم العامل الأصلي لهذه الميول التي ما برحت تنزع بهؤلاء للكياد بالإسلام.

(١) يقع بين مؤرخي حضرموت خلاف في صحة ردة الأشعث بن قيس، فصاحب «المشرع الروي» الشلي (ميلاده سنة ١٠٣٠ وفاته سنة ١٠٩٣) ممن يجزم بأن الأشعث بن قيس كان كامرئ القيس بن عانس لم يرتد ولم يرضَ فعل القوم وإنما كان في جملة من كتم أمره خوفاً من بني عمهم؛ لكونهم أهل شوكة ومثله صاحب (برد النعيم) الشيخ محمد بن عبدالله الخطيب (ميلاده سنة ٩٥٦ وفاته سنة ١٠٢٥) فقد قال: «كان الأشعث بن نجير فوقع عليه اسم أهل الردة الظاهر أنه بقي على إسلامه، لكن كان يكتمه خوفاً من بني عمه وكانوا أهل شوكة وكان يعين المسلمين حتى أظهر الله الإسلام بمعونته وظفر المسلمون بأهل النجير الخ» أما الطيب باخرمة (٨٧٠ – ٩٤٧) فعلى خلاف ذلك يجعل الأشعث ممن ارتدّ بعد وفاة النبي ﷺ وأنه أُحضر بين يدي أبي بكر ﷺ فأسلم، وهذا ما عليه أكثر المؤرخين في الإسلام كما يظهر.

لملك متغلب في اليمن، وكذا على ما أوردتم أيضاً في صلب ترجمة أبي إسحاق في الفقرة التي عنوانها (استقلاله بالأمر)، وفي الفقرة الختامية (نهاية كل قصة) مما يستخلص منه أنه بعد وفاة إمام عُمان راشد بن سعيد استقل أبو إسحاق بالأمر في حضرموت، فأقام دولة ذات شوكة وصولة، وما يلوح من أن هذه الدولة عاشت إلى نهاية حياة أبي إسحاق في أواخر المائة الخامسة.

إنه لا مندوحة لنا في هذا التعليق أن نذكر أن هذه النقاط فيما يرى البعض من المعنيين بدراسة التاريخ ينبغي أن تكون موضع بحث وتحقيق؛ وذلك لأنها فيما يظهر لا تتفق مع المعروف في تواريخ حضرموت واليمن، وأنها مما يعوز إقامة الدليل عليها من تسجيلات التاريخ المعاصر بذلك العهد وخصوصاً مادام أن كتابكم هذا «تاريخ حضرموت في شخصيات» هو كتاب مدرسي شأنه شأن كتب المتون العلمية والدراسية، لا ينبغي أن يوضع فيه إلا ما يعتبر كقضية مسلّمة لدى المشتغلين بالتاريخ من الحقائق التي يشهد التاريخ بوجودها في حيز المقرر علمياً.

ونحن في هذا المقام في غنى عن هذا الالماع إلى نقطة هامة بهذا الموضوع بأن نذكر بوجه العموم ما يهم من الإشارة إلى أنه في تناول المعلومات التاريخية للمواد والكتب المدرسية لابد أن نميز بين ما وضع للحقيقة والتاريخ، وما وضع للدعاية وتكييف التاريخ أحياناً بما لا يطابق حقيقة الواقع والأحوال، أو بما يلائم فكرة مستحدثة ونظرية جديدة حتى يكون هذا الغذاء العقلي الذي نقدمه للناشئة الأحداث بسبيل دراسة التاريخ غذاءً صالحاً نقياً، مستمداً من الحقائق الثابتة والوقائع الصحيحة.

* * *

الغموض المكتنف تاريخ أبي إسحاق بحضرموت:

أما ما أورده هنا البعض على تلك النقاط التي يرى ضرورة وضعها بموضع البحث والتحقيق، ويميل قبل تقريرها إلى تقليبها على وجوه الدراسة والتمحيص لما يكتنف تاريخ وقائع ودولة أبي إسحاق من الإبهام والغموض، ولما يعرض للباحث من التصادم الكبير بينما يؤخذ من أخبار أبي إسحاق، وبينما يقابل ذلك مما أوردته وتظاهرت عليه تواريخ حضرموت واليمن فيما يتعلق بالأحوال والوقائع بذلك التاريخ المعاصر لأبي إسحاق بحضرموت واليمن.

فأول هذه الإيرادات وهو يتعلق بما ذكرتم بتلك التوطئة عن الوضع السياسي بحضرموت في أول المائة الخامسة هو تصريح المؤرخين بحضرموت واليمن بأن حضرموت في أواخر أيام الدولة الزيادية في عهد الحسين بن سلامة مولاهم وذلك فيما بين (سنة ٣٧٢ وسنة ٤٠٢) كانت تابعة لليمن، وأنه ملك حضرموت بعد الحسين بن سلامة بنو معن ملوك عدن، فمن أقدم من صرح بهذا من المؤرخين عمارة الحكمي اليمني مؤرخ اليمن فقد ذكر ذلك في كتابه (تاريخ اليمن) المطبوع بلندن سنة ١٣٠٩هـ وسنة ١٨٩٢م بقوله في (ص١٢): ((فأما الجبال فتغلبت ولاة الحسين بن سلامة على الحصون فممن تغلب على عدن وأبين ولحج والشحر وحضرموت بنو معن وأظنهم من غير ولد معن بن زائدة الشيباني)) وعمارة هذا هو الذي ذكر أن من محاسن عهد الحسين بن سلامة ما أنشأه من الجوامع الكبار، والمنارات الطوال، قال كما في (ص ٧) فأولها ((شبام وتريم مدينتا حضرموت واتصلت عمارة الجوامع منها إلى عدن وأبين ولحج)).

وأورد أحمد فضل العبدلي في كتابه (هدية الزمن) نقلاً عن الخزرجي ((أن الصليحي لما استولى على البلاد، وافتتح عدن كان فيها بنو معن قد تغلبوا عليها وعلى لحج وأبين والشحر وحضرموت، فأبقاها تحت أيديهم، وجعلهم نواباً من قِبَلِه)) قال: ((فلما قُتل الصليحي تغلبت بنو معن على ما تحت أيديهم فقبضهم

المكرم، وأخرجهم منها، وولّاها العباس ومسعود ابني المكرم الهمداني، وكانت لهما سابقة محمودة في قيام الدولة المستنصرية مع الداعي علي الصليحي وولده المكرم يوم نزوله إلى زبيد واستنقاذه لأمه»، أما ما نقله مؤرخو حضرموت فيتفق مع ما تقدم ففي (١/ ١٥٤ من المشرع الروي) قال: «ثم ملكها أي حضرموت بنو معن ملوك عدن وليسوا من بني معن بن زائدة، ثم في سنة ٤٥٥ استولى عليها علي بن محمد الصليحي داعية بني عبيد» فهذا الذي تظاهر على نقله في هذا الموضوع مؤرخو اليمن وحضرموت لا يتفق مع الذي أوردتموه من عدم خضوع حضرموت بذلك العهد لأي سلطة باليمن.

* * *

متى كان مبدأ أبي إسحاق؟

أما بقية الإيرادات حول أخبار أبي إسحاق الهمداني فهي تتلخص بوجه الإجمال بصدد ما عقده الشيخ سليمان الباروني بتلك الترجمة لأبي إسحاق المذكور التي تشير إلى أن مبدأ حركة أبي إسحاق كانت فيما قبل منصرم القرن الرابع؛ إذ كان أبو إسحاق فيما تَذْكُر هذه الترجمة قد أقام بعُمان قبل نصب الخليل بن شاذان إماماً السنين المتعددة لطلب المساعدة، فلم يصادف أذناً صاغية، وأنه لما نصب الخليل بن شاذان أعاد الكرة، فحضر إلى عُمان، فأمدّه الخليل بالمال والرجال، فسار إلى حضرموت، واحتلها باسمه في أربعة عشر يوماً رغماً عما كانت عليه من المنعة في ذلك العهد، وأن أبا إسحاق قد خاطب الخليل بهذه الأبيات الآتية مبشراً له بهذا النصر الباهر:

وما هي إلا جمعةٌ بَعْدَ جمعةٍ ... وأدَّتْ إليَّ العُشرَ أهلُ الحضارمِ

سَل الخطبا لما دعوا لك جهرةً ... على رغم أهل الجور بعد التصادمِ

وسَلْ عَرَب البيداء هلا أذقتهم ... عشيه خافوا العهد سُمَّ الأراقمِ

وأمَّا نواحي حضرموت فإنها بحول إلهي طوع أمري كخاتمِ
ولم يبق لي إلا الصليحي قائماً وها هو أيضاً سعده غير قائمِ

إلى ما تناولته هذه الترجمة من أن أبا إسحاق قد أقام عاملاً بحضرموت وأعمالها مدة حياة الخليل، وأنه لما نصب راشد بن سعيد إماماً بعُمان كان أبو إسحاق عاملاً له أيضاً بحضرموت وأعمالها إلى ما أوردته أيضاً عن تلك الدولة والشوكة التي كانت لأبي إسحاق فيما بعد ذلك حينما استقل عن أئمة عُمان بالأمر في حضرموت بعد وفاة إمامي عُمان الخليل وراشد المذكورين، وعندما قلّد أمر الإمامة بها وإلى ما قالته هذه الترجمة أيضاً بأنه كانت له غزوات إلى بلاد الهند، ثم ما أوضحته من كون ظهور أمره كان في حياة والده بصدر الخمسين الثانية من المائة الخامسة كأنها تعنى بذلك أمر استقلاله بالإمامة والحكم في حضرموت بعد وفاة الخليل وراشد، وكذلك إلى ما أومأتْ إليه أخيراً هذه الترجمة في أواخرها مشيرة إلى أن مصدرها ومستندها في هذا الذي أوردته من تاريخ حياة أبي إسحاق ووقائعه ودولته هو ديوان أبي إسحاق، إذ قالت ما لفظه: ((ومن تتبع ديوانه هذا أدرك منه مبدأ أمره ومنتهاه وحركاته))، كما ألمعتم أنتم في ترجمتكم لأبي إسحاق بما يشبه هذا من أن مصدر النقل هو ترجمة الشيخ سليمان الباروني لأبي إسحاق وديون أبي إسحاق.

فحاصل هذه الإيرادات التي أوردها بهذا الصدد هذا البعض المؤمأ إليه أنها تنصب على نقطتين مهمتين في تحقيق الموضوع أولاهما: أنه يترتب على ما تشير إليه ترجمة الباروني لأبي إسحاق التي هي موضوع البحث هنا أن تكون حركة أبي إسحاق بحضرموت واقعة كما أسلفنا حوالي منصرم القرن الرابع في زمن حكم الدولة الزيادية لحضرموت على عهد الحسين بن سلامة، وقبيل استيلاء بني معن على حضرموت، وقد رأيتم آنفاً ما نقله مؤرخو اليمن وحضرموت من أن حضرموت كانت قبل استيلاء بني معن خاضعة للدولة

الزيادية التي كان سقوطها باليمن سنة ٤٠٩ تسع وأربعمائة، ثم تغلَّب على حضرموت بنو معن، فصارت تابعة لعدن إلى حين استيلاء الصليحي على عدن.

* * *

متى كان عهد استيلاء الصليحي على حضرموت؟

هذا مع ما يظهر من أن استيلاء الصليحي على حضرموت قد كان على ضربين أولاً عندما استولى الصليحي على عدن، وقد ذكر أحمد الفضلي في كتابه (هدية الزمن) كما في الجدول الذي وضعه لملوك لحج وعدن أن ذلك كان في سنة ٤٤٠ أربعمائة وأربعين، وهذا الاستيلاء إنما كان بالواسطة. والثاني: وهو ذلك الاستيلاء المباشر الذي كان عندما طوت القوات الصليحية سائر البلاد اليمنية طياً في سنة ٤٥٥ كما ذكر ذلك عمارة وغيره من المؤرخين، وهو الذي جرى على اعتماده بالقياس لاحتلال القوات الصليحية حضرموت مؤلف (المشرع الروي) وإليه أشار الصليحي بذلك البيت من شعره وهو قوله:

وألـذُّ مـن قـرع المثـاني عـندَهُ ... في الحرب ألجمْ يا غلامُ وأسرجِ

خيل باقصى حضرموت سجالها ... وصهيلها بين العراق ومنبج[1]

أما النقطة الثانية فهو ما عليه المؤرخون في اليمن وحضرموت وغيرها في تحديد زمن الصليحي ومبدأ حركته وكون ذلك إنما يرجع إلى سنة٤٢٩ تسعة وعشرين وأربعمائة[2]، وكون الصليحي أيضاً إنما تم له الاستيلاء المباشر وعم

(١) منبج ناحية يقطنها قبائل على الضارين بشواطئ الفرات، وفيها ولد ونشأ البحتري الشاعر الشهير، وكان الصليحي يريد بهذا أن صهيل خيل كتائبه بحضرموت في أقصى الجنوب من بلاد العرب يمتد صداه إلى نحوم العراق في أقصى شمالها.

(٢) هذا هو أقدم ما ذكروه كما في (تاريخ عمارة) وعليه أكثر المؤرخين عن مبدأ قيام الصليحي، وهناك قول آخر لابن سمرة في طبقاته وهو أن قيامه كان في شوال سنة ٤٣٩ تسع وثلاثين وأربعمائة، وأكثر الخلاف بين المؤرخين في تاريخ مقتله أورد عمارة في ذلك روايتين إحداهما: أن ذلك كان في سنة ٤٧٣ ثلاث =

ملكه إقليم اليمن بأسره بما فيه حضرموت في سنة ٤٥٥ كما اعتمدتم أنتم هذا أيضاً بتلك الفقرة من ترجمة أبي إسحاق التي عنوانها: ((حروبه مع الصليحي)) وما ذكروه كما في (ص ١٧-١٨) من تاريخ عمارة من كتم الصليحي ما يضمره من الدعوة للعبيديين إلى سنة ٤٥٢هـ اثنتين وخمسين وأربعمائة التي كانت فيها وفاة نجاح صاحب تهامة وجه ملوك زبيد، فكتب الصليحي إلى المستنصر بالله «ميلاده ٤١٩ وفاته ٤٨٧» صاحب مصر يستأذنه، في إظهار الدعوة فعاد إليه الجواب بالإذن، فطوى البلاد طياً، وفتح الحصون والتهائم، ولم تخرج سنة خمس وخمسين وبقي عليه من اليمن سهل ولا وعر ولا بر ولا بحر إلا فتحه، وذلك أمر لا يعهد مثله في جاهلية ولا إسلام، وكون هذا الذي أوردوه يقتضي أن يكون قيام الاتصال بين صاحب مصر والصليحي أو ظهوره الرسمي الذي يترتب عليه المناصرة بينهما إنما حدث بواسطة صدور هذا الإذن المشار إليه.

* * *

= وسبعين وأربعمائة واعتمد هذه الرواية اليافعي في تاريخه، وجزم بها الفاسي كما نقل ذلك العلامة السيد علوي بن طاهر الحداد في (جني الشماريخ). وثاني هذه الروايات: أن ذلك كان سنة ٤٥٩ قال عمارة وهي رواية صحيحة. (قلت) وهي التي جزم بها ابن سمرة قائلاً: ((وكانت إمارة الصليحي عشرين سنة)) يعني بذلك من سنة ٤٣٩ إلى سنة ٤٥٩. وبهذه الرواية أخذ الخزرجي. وتوجد رواية ثالثة نقلها ابن خلدون وهي: أن ذلك كان في سنة ٤٦٣ ثلاث سنين وأربعمائة.

أما فيما يتعلق بتاريخ استيلائه المباشر على حضرموت فقد ذكر العلامة السيد علوي بن طاهر الحداد في (جني الشماريخ) أن ذلك كان كما في بعض تواريخ اليمن وكما يؤخذ من (تاريخ عدن) للطيب بامخرمة كان في سنة ٤٥٠ خمسين وأربعمائة قال: - وهذا هو الأقرب من مقابله- ولعله يقصد بذلك ما أورده مؤلف (المشرع) بأن ذلك كان في سنة ٤٥٥. وبهذا الذي ذكرنا يعلم أن قيام الصليحي قد كان متأخراً عن وفاة الخليل بن شاذان بأربع سنوات فيما عليه أكثر المؤرخين.

وبأربع عشرة سنة على ما في قول ابن سمرة، وأن المؤرخين مطبقون بأن تاريخ استيلاء الصليحي المباشر على حضرموت إنما يرجع إلى ما بعد وفاة إمامي عُمان الخليل وراشد، وكانت وفاة آخرهما سنة ٤٤٥ بمعنى أن كل ذلك قد كان متأخراً عن عصرهما ببضعة أعوام فليحقق.

ما استدركه البعض على ديوان أبي إسحاق؟

وإجمال القول بعد هذا الذي سرده هنا البعض، وأورده مما عليه المؤرخون في اليمن وحضرموت وغيرها هو كيف أن ما تضمنه ديوان أبي إسحاق وترجمة الشيخ سليمان الباروني من أخبار أبي إسحاق، ومما سبق تلخيصه بهذا المبحث لا يعدو إما أن يكون شيئاً يصعب على الباحث التوفيق بينه وبين ما عليه هؤلاء المؤرخون، وذلك مما روته أخبار أبي إسحاق من استيلائه على حضرموت، وأن ذلك جرى على عهد الخليل بن شاذان بالتساند بين أبي إسحاق والخليل، وما كان من احتلال القوات العمانية لحضرموت في مدة أربعة عشر يوماً بذلك الهجوم الخاطف المدهش ورغماً عما كانت عليه حضرموت من المنعة.. بذلك العهد كما يقول الشيخ سليمان الباروني سواء كان يقصد بهذه المنعة لوجود قوة كبيرة أهلية مناوئة لأبي إسحاق أو للإباضية، أو قوة احتلالية أخرى يمنية، إما من قوات الدولة الزيادية، أو من قوات بني معن ملوك عدن، ثم من كون سيطرة إمامي عُمان على حضرموت قد امتدت إلى وفاة راشد بن سعيد سنة ٤٤٥ خمس وأربعين وأربعمائة، أي ما يقرب من الأربعين عاماً[1].

---

(١) تظهر للباحث صعوبة التوفيق بين هذه الأخبار وما يناقضها مما يصرح به المؤرخون من وقوع حضرموت في ذلك الزمن تحت حكم اليمن، أي الدولة الزيادية، ثم ملوك بني معن بعدن، وكيف انه لابد للجمع بين هذه الروايات المتضاربة من احتمال أن تكون حضرموت قد ظلت طوال تلك الحقبة فيما بين أوائل القرن الخامس وأواسطه مشغولة في جميعها باحتلال مزدوج، أي من قبل اليمن بني زياد فبني معن، ومن قبل أئمة الإباضية بعُمان، لكن يرد على هذا أنه لم ينقل أحد من المؤرخين الذين عليهم التعويل شيئاً من هذا وهم ذوو الشأن في هذا المقام والتاريخ إنما أساسه النقل فوق أن الجمع إنما يكون فيما تتساوى فيه كفة الرجحان كما هو المقرر وهذا غير موجود هنا قال العلامة السيد عبدالرحمن بن عبدالله السقاف في منظومته (نخبة الفكر في علم الأثر).

وحكم عليه بالشذوذ إن أتى ... بغير ما رجحانه قد ثبتا

وإذا فيكون التوفيق بين ما تروبه هذه الأخبار وما يناقضها بهذا الموضوع مهما حاول الباحث ذلك باطلاً وغير مقبول علمياً وخصوصاً إذا ظهر بالسبر عدم وجود من يشارك الراوي ممن يجنح بهم من ثقات المؤرخين.

أو أن يكون مما لا يصح التسليم به كالذي ترويه أيضا هذه الأخبار عن حروب أبي إسحاق مع الصليحي على عهد الخليل، والتي تذكر أن الفوز كان فيها حليف أبي إسحاق، وأنه لما ضعف الصليحي عن مقاومة أبي إسحاق حمله هذا الضعف على الاستنصار بصاحب مصر، هذا إلى غير ما في هذه الأخبار عن دولة أبي إسحاق وغزواته العديدة إلى الهند، وهذا كله مع العلم بأن عهد الخليل بن شاذان يقع فيما بين سنة بضع أو سبع وأربعمائة وبين سنة خمس وعشرين وأربعمائة، التي كان فيها وفاته، وأن مبدأ حركة الصليحي إنما كانت سنة أربعمائة وتسع وعشرين أو أربعمائة وتسع وثلاثين، وكذلك إلى ما يقتضيه ذلك الاستنصار بصاحب مصر وتلك الغزوات العديدة إلى الهند من حدوث دوي لهما عن قوات أبي إسحاق الهائلة ودولته ومقاومة حضرموت للصليحي، ومما لابد أن يتردد صداه في تواريخ اليمن ومصر والهند قليلاً أو كثيراً.

* * *

حاضر العالم الإسلامي

ولقد راجعنا ما علق به الأمير شكيب أرسلان على كتاب (حاضر العالم الإسلامي) من تاريخ أئمة عُمان، ومنهم المهنا بن جعفر المتوفى سنة ٢٣٧ الذي ذكر الأمير استضافة عُمان بلاد المهرة في عهده، وكانت من قبل تؤدي إتاوة سنوية. وإليك تحقيقات الأمير وكل ما ذكره في تاريخ الخليل مما نورده بلفظه وهو كما في (٢/ ٣٥٥) من قوله: «وبقيت عُمان تحت حكم الخلافة إلى سنة ٤٠٠؛ إذ ضعفت الدولة في بغداد عن إدارة هاتيك البلاد، فتوالت الأئمة نوبة ثانية كالخليل ابن شدان – كذا – ورشيد – كذا – بن سعيد الذي كان وفاته سنة ٤٤٥ الخ».

وأنه كم كان الأسف عظيماً؛ لأن تحقيقات الأمير لم تتناول ما نحن بصدده؛ فلعله إما أن يكون قد فاته الإطلاع على تاريخ أبي إسحاق وديوانه،

وهو بعيد فيما نظن؛ لأن هذا الديوان طبع في سنة ١٣٢٤ على ذمة الشيخ سليمان الباروني، وفيما يبلغنا أن للأمير شكيب صِلات بالشيخ الباروني في أيام حرب طرابلس الغرب[1] أو لعله أعنى الأمير وهذا هو الأقرب قد فاته بالأقل تمحيص هذه الأخبار والوقائع من استضافة حضرموت إلى عمان بواسطة أبي إسحاق وتحقيق ما يتعلق بأخبار أبي إسحاق على الجملة من حروبه مع الصليحي وقيام دولته وغزواته إلى الهند في حين أنه لم يفته تحقيق استضافة عمان بلاد مهرة في أيام المهنا مما تقدم نقله مع كون تاريخ هذه الاستضافة لمهره أقدم من تاريخ تلك الاستضافة لحضرموت بما يناهز القرنين من السنين، مع كون بلاد مهرة في شهرتها التاريخية جاهلية وإسلاماً قديماً وحديثاً ليست فوق شهرة بلاد حضرموت بل ولا تماثلها.

* * *

لماذا يكتنف الغموض تاريخ أبي إسحاق؟

ومهما كان لنا وقد انتهينا إلى هذا الشوط في سرد الإيضاحات أن نسلّم أيضاً بصواب التوسع إلى أبعد من هذا في مجاراة الانتصار لهذه الأخبار عن أبي إسحاق مع ما هو واقع من هذا التصادم الشاذ بينها وبين ما عليه ذوو الشأن من المؤرخين فإنه لا يبقى هناك إلا سلوك الافتراض، وتقدير أحد أمرين، لا ثالث لهما، وهو إما أن يكون هؤلاء المؤرخون قد جهلوا أو تجاهلوا تاريخ أبي إسحق في قيامه ودولته وتلك الوقائع الباهرة وأمر ذلك التساند القوي بينه وبين الخليل إمام عمان في الحروب التي أثارها بحضرموت ومع الصليحي، وما كان لأبي

(١) ذكر الأمير شكيب في تعليقاته على كتاب (حاضر العالم الإسلامي) كما في (٢/ ٢٥٤) ما مثاله: ((فمن أعيان الإباضيين في زماننا هذا الشيخ سليمان الباروني الذي جاهد في حرب طرابلس الغرب جهاداً عظيماً على رأس إباضية الجبل الغربي، وكان مبعوثاً في مجلس الأمة بالاستانة، ثم جعلته الدولة العثمانية عضواً في مجلس الأعيان مكافأة له على جهاده.

إسحاق من غزوات عديدة إلى الهند، وكيف أن هذا قد بلغ بهؤلاء المؤرخين إلى حد أنهم هكذا أجمعوا على عدم التعرض لإيراد أي شيء عن ذلك بالرغم من أن حضرموت فيما بين أواخر القرن الرابع إلى أواسط وأواخر القرن الخامس كانت كما يصرحون من تعليقات اليمن تابعة إما لزبيد أو عدن أو صنعاء، أي خلال هذه المدة التي كان معظمها بحسب أخبار أبي إسحاق معاصرة لتاريخه، بل وإلى حد أن موقف هؤلاء المؤرخين قد جعل من بعدهم من المؤرخين أيضاً يترسم خطواتهم، إذ لم يشذ شاذ عنهم في الجري على هذا المنوال الغريب في هذا الجهل والتجاهل لأخبار أبي إسحاق.

أو يكون المفروض فيما يقابل ذلك بأن تاريخ وقائع أبي إسحاق ودولته وغزواته مما لا يزال محاطاً بالإبهام ويكتنفه الغموض، وهذا هو ما بدأنا به هذه الملاحظة بكونه مما يراه بعض المعنيين بالتاريخ كذلك، وكون ما يومي هذا البعض إليه أيضاً من الرأي بهذا المقام هو أن هذا الموضوع ليفتقر قبل كل شيء إلى دراسة مستفيضة وتحقيق عميق ما دام أننا نجده يخالف المعلوم المقرر من المصرح به في تواريخ اليمن، وحضرموت وهي التي عليها التعويل بين المؤرخين قديماً وحديثاً فيما يتصل بتاريخ اليمن وأعمالها من بلاد الجنوب العربي.

ومما لا مشاحة فيه أن ما نحن فيه من هذا الصدد حيال هذا التناقض الغريب الذي يقع بهذا المبحث لهو مما ينبغي على المشتغلين بدراسة التاريخ بحضرموت واليمن وسائر جنوب الجزيرة تحقيق الحق فيه، وأهم شيء في ذلك هو ما يختص بتقدير نسبة الصحة التاريخية في محتويات ديوان أبي إسحاق عن هذه الأخبار، ثم ما ينبغي بعد ذلك من درس قضية هذا التخالف الشاذ بين ما في هذا الديوان الذي يظهر أنه المرجع الأصلي لهذه الأخبار وما في تواريخ اليمن وحضرموت وغيرها، وما يطلب من تمحيص هذه القضية أيضاً، وبحثها طبق الأساليب العلمية الصحيحة، والغاية المقصودة هي خدمة الحقيقة والتاريخ التي

يجدر أن تنصرف إليها جهود العلماء الباحثين والمؤرخين المحققين.

وقد يكون علينا بعد هذا فيما يحسن أن نلفت النظر إليه في هذا الشأن حيث أننا لا نزال في بداية حركة هذه النهضة العلمية الحديثة التي من آثارها هذه المؤلفات التاريخية وهذه الجهود التي تبذل لخدمة التاريخ الحضرمي قد يكون علينا أن نذكر بهذه المناسبة نصيحة مأثورة لبعض مؤرخينا كان يشير بها إلى ما ينبغي من التحري في كتابة التاريخ، ومن التروي والتثبت في التحقيق والنقل؛ إذ قال من أثناء حديث اتفق له مع بعض الأدباء الناهضين: «من شاء أن يكتب أو يؤلف خدمة للتاريخ الحضرمي فليفعل، وهو لا ريب بهذا مشكور الصنع علمياً وقومياً، لكن علينا أن نفهم فوق ذلك أن الغربلة مقبلة». وكأنه وهو يرمي بهذا إلى أن التاريخ لهو أقوى عوداً، وأصلب قناة من أن ينال منه التحريف والتشويه منا لا بسهولة أو بطريقة مأمونة العثار والانكشاف يرمي في الوقت ذاته إلى ما هنالك من أمرين أساسيين يجب على المؤرخ أن يكون على أتم الاعتقاد والشعور بهما عند كتابة التاريخ أولهما: أنه لا يصح إلا الصحيح. وثانيهما: أن من مميزات الحقيقة كونها كما وصفها الشاعر فيكتور هيجو «يخدمها أعداؤها وأصدقاؤها على السواء».

* * *

أصحاب السلطة الروحية:

جاء في ترجمة السلطان غالب بن محسن الكثيري في الفقرة التي بعنوان: «الوضع السياسي والاجتماعي» تسميتكم لرؤساء الحوطات بحضرموت كما يفهم وهم: كمناصب العلويين، ومناصب آل أبي عباد، وآل باحميد في مدودة، وآل الزبيدي في حوطة سلطانة بأصحاب (السلطة الروحية).

ونود بسبيل الملاحظة على كلمتي (السلطة الروحية) أو (السلطة الدينية)

المأخوذتين عن الأمم المسيحية والكتاب الغربيين، وفيما إذا كان يصح استخدام هذا التعبير هنا – أن ننقل بحثاً موجزاً للسيد عبداللاه بن حسن بلفقيه بهذا الصدد تضمنه كتابه (تفنيد مزاعم الشيخ صلاح البكري) المطبوع بجاكرتا اندونيسيا فقد قال فيه: ((يصعب على المرء فهم مراد الشيخ صلاح الذي يقصده بهذه الكلمة (السلطة الروحية) فإنه إن كان يصح إطلاقها على سلطة الكنيسة المسيحية لدى المسيحيين وعلى سيادة الباباوات ورجال الاكليروس مما هو خاص بالمسيحيين، بل ببعض فرقهم كالأرثوذكس و الكاثوليك، فلن يصح إطلاقها هنا، ولم يعرف المسلمون في عصر من العصور تلك السلطة الروحية، وكأنه يعزب عن فهم هؤلاء المغرضين أنهم يصورن الإسلام بهذه الصورة الغريبة عنه سذاجة وجهلاً، ولم يلتفتوا إلى ما يجره من إزراء وتجريح مما قد يؤدي إلى اعتقاد البعيد عن تعاليمه فيه ذلك.

فالمتعارف عليه عن هذه السلطة في شؤون الأمم المسيحية أنه يقصد بهذه الكلمة ما يعنونه من ذلك التأثير العظيم الذي لسلطة الكنيسة الروحية، والذي كان يتسنى للباباوات أن يستخدموه في تأييد سلطتهم الزمنية، فإنه إذا شاء البابا إخضاع ملك حظر على شعبه إجراء الشعائر الدينية، فيثور الناس على الملك ويضطرونه؛ لأن يرضي البابا لكي يرفع ذلك التحريم عنهم، ويجيز لهم ممارسة العبادة، وإلا فإذا مارسوها وهم محرومون حسبوا آثمين، ولا يقبل الله عبادتهم إلا إذا أطاعوا البابا نائبه على الأرض. فكان الباباوات بهذه السلطة يتسلحون باعتقاد الشعب هذا ضد الحكام، ويتسيطرون عليهم، ويتحكمون بهم كما يشاءون (أساس الشرائع الانكليزية – تعريب نقولا حداد).

وكذلك قد يراد بهذه الكلمة ما يلحق بذلك كنظام بيع الغفران المتبع لدى البابوات ورجال الاكليروس مما يجري مع ما تقدم في واد واحد (مجلة المنار المجلد الحادي والثلاثون). فغير صائب إذاً استعمال هذا التعبير الذي لا محل له

ولا أساس يرتكز عليه، اللهم إلا إذا كان هناك من محاولة جريئة لإلصاق شيء بالإسلام والمسلمين لم يعرفوه، وهم أبرياء وبعيدون عنه، فهذا مما ندع الحكم فيه للقارئ.

وقد وقفنا على تعليق للأستاذ الإمام الشيخ محمد عبده يتصل بهذا الموضوع أورده ضمن رده على المسيو هانوتو عندما ذكر المسيو هانوتو أن أوروبا لم تتقدم إلا بعد أن فصلت السلطة الدينية عن السلطة المدنية، ومن المستجاد هنا نقل ما قال بالحرف: «لم يعرف المسلمون في عصر من الأعصر تلك السلطة الدينية التي كانت للبابا على الأمم المسيحية عندما كان يعزل الملوك، ويحرم الأمراء، ويقرر الضرائب على الممالك، ويضع لها القوانين الإلهية. وقد قررت الشريعة الإسلامية حقوقاً للحاكم الأعلى، وهو الخليفة أو السلطان، ليست للقاضي صاحب السلطة الدينية، وإنما السلطان مدبر البلاد بالسياسة الداخلية والمدافع عنها بالحرب والسياسة الخارجية، وأهل الدين قائمون بوظائفهم، وليس له عليهم إلا التولية والعزل، ولا لهم عليه إلا تنفيذ الأحكام بعد الحكم، ورفع المظالم إن أمكن». (تاريخ الأستاذ الإمام الشيخ محمد عبده لرشيد رضا ٢/ ٤٧٩).

ومما تجدر الإشارة إليه في هذا المقام هو جعل بعض العلماء المصريين ممن لا أذكر اسمه الآن، وأظن أنه من جماعة الإخوان المسلمين فيما قرأت من كتاباته أن بعض المسلمين قد أُفهموا هذا الفهم الخاطئ أي المأخوذ عن الكتاب الغربيين من مستعمرين ومبشرين، وكانوا بذلك قد استغفلوا إلى حد كبير قائلاً بعد أن ذكر أنه لا وجه لقياس البلاد الإسلامية على البلاد الأوروبية ما مفاده: «أنه ليس في بلاد الإسلام سلطة دينية وسلطة مدنية يتنازعان الحكم والسلطان كما هو الحال في أوروبا».

فهذا ما أورده للتعقيب..

وما نرجو أن تتبينوا معه لدى تمحيص النظر وتحقيق البحث ما يتضح في

صحة استعمال هذا التعبير وما إذا كان من المناسب الإبقاء على هذا التعبير، أو تنقيحه بما يتمشى مع الحقائق الواقعية. وكل ما نتمناه هو المحافظة على مبدأ جعل الأمانة التاريخية فوق كل اعتبار والحرص على ما يطلب بصورة عامة لاسيما في التآليف التاريخية والمدرسية من تحاشي الخلط في القياس والاستنباط.

* * *

خاتمة الملاحظات الأولى:

ذكرتم في ترجمة بدر بن عمر الكثيري في الفقرة: «بدر بن عمر يستعيد سلطنته» أن الصفي أحمد بن الحسن بعد استيلائه على حضرموت في سنة ١٠٧٠هـ - ألف وسبعين - منع الناس من أن يرتلوا الدعاء - كذا ولعل مراده الذكر - المعروف بين الحضارم براتب الحداد، ويظهر أن هذا مما نقلتموه من تاريخ الدولة الكثيرية للأستاذ بن هاشم، وقد كان ذلك سبق قلم من الأستاذ لم ينتبه له إلا بعد الطبع؛ لأنه إنما أراد أن يذكر ما قاله المؤرخون من المنع لراتب حضرة السقاف الذي يقام ليلة كل اثنين وخميس من كل أسبوع بمسجد السقاف بتريم، ولو كنتم قرأتم ما ذكره العلامة المحقق الشيخ الإمام عبد الله بن أحمد باسودان في كتابه (ذخيرة المعاد بشرح راتب الحداد) المطبوع بهامش كتاب (عقد اليواقيت الجوهرية) للحبيب عيدروس بن عمر الحبشي بالمطبعة الشرقية بمصر سنة ١٣١٧هـ لما كان يغيب عنكم أن ذلك إنما هو سبق قلم، فقد جاء كما في (ص٥٣، ٥٤) من هذا الشرح أن إنشاء هذا الراتب إنما كان حوالي أواخر سنة (١٠٧١هـ) إحدى وسبعين وألف، وأن ابتداء ترتيبه بمسجد صاحب الراتب بالحاوي لم يكن إلا سنة ١٠٧٢هـ) اثنتين وسبعين وألف.

ولنجعل هذه الملاحظة خاتمة هذه الملاحظات الأولى.

وبهذا المقام نقول أن هذا التعقيب والتمحيص هو غاية ما اتسع له

الوقت، وسمحت به الفرصة بسبيل هذا التحصيل بغية مساعدتكم فيما ندبتم له من النهوض بعبء هذه المهمة التاريخية الجليلة، والخدمة الوطنية النبيلة، ولست أدري فيما إذا كانت تتهيأ لي فرصة أخرى تساعدني على موالاة تقديم الملاحظات، أو ما يبدو لي من الاقتراحات، وهو ما أرجو أن تتيحه لي الأقدار والتوفيقات الإلهية، على أنه مهما يكن قد فاتني من شيء فلن يفوتني هنا تسجيل عاطر ثنائي وشكري وعظيم تقديري الخالص لهذا المجهود الكبير الشاق الذي تبذلونه في سبيل تدعيم النهضة التثقيفية، وخدمة الوطنية الحضرمية، ومن الله تعالى نستمد الإعانة في تيسير المطالب، وتأدية الواجب نحو الثقافة العلمية الصحيحة، والوطن العزيز المفدى.

ملحوظة: هذه الرسالة هي مما كتبها وحررها السيد عبداللاه بن حسن بلفقيه، وقد جعلها في الأصل هكذا على لسان ناظر المعارف للدولة الكثيرية السيد علي بن شيخ بلفقيه كما صدرت بإمضائه للجنة المسئولة عن تأليف الكتب المدرسية بالدولة القعيطية بغيل أبي وزير، هي التي أحالت رسميا نقد كتاب (تاريخ حضرموت في شخصيات) للشيخ سعيد باوزير، وكلفت أيضاً السيد علي ابن شيخ المذكور أن يتقدم بما لدى المؤرخين الحضرميين ببلاد الدولة الكثيرية من نقد وملاحظات على الكتاب المذكور بناء على أن الدولة القعيطية تهتم بطبع هذا الكتاب وتقريره رسمياً للدراسة بمدارسها.

ومما ينبغي تسجيله وإثباته للحقيقة والتاريخ بهذه المناسبة أنه قدمت أيضاً ملاحظات قيمة أخرى على الكتاب المذكور في نقاط غير هذه التي تعرضت لنقدها هذه الرسالة للسيد المؤرخ البحاثة صالح بن علي الحامد للجنة المذكورة بواسطة ناظر المعارف بالدولة الكثيرية السيد علي بن شيخ المذكور.

* * *

خطاب الشيخ سعيد الرميدي:

حضرة المكرم العلامة الناقد الكبير السيد عبد الله بن حسن بلفقيه، والأستاذ المؤرخ الأديب السيد محمد بن هاشم متع الله بحياتهما، ولا حرم البلاد من أمثالهما.

إنه لمن دواعي سروري واغتباطي أن تلقى تلك المعلومات التاريخية التي جمعتها مع كثرة المشاغل وقصور الباع واعتلال الصحة كثيراً من اهتمامكم وعنايتكم[1]، وقد أسرعت إلى قراءة الملحوظات القيمة التي كتبتموها تعليقاً وتعقيباً على هذه المعلومات بين المستفيد والمستنير بآراء أمثالكم من أساتذة التاريخ وأركان العلم في حضرموت، وسرني أن أجد في هذه الملحوظات الطريقة المثالية التي يجب أن تتبع في هذا النقد: أمانة في النقل، ودقة في البحث،

(١) ربما كان الناظر في هذه الصفحات مما يتشوق للإلمام بقصة كيف وقعت إلينا نسخة لأصل من كتاب (تاريخ حضرموت في شخصيات) مع مختصره الحاوي لتلك التراجم المختارة الخاصة بفريق رجال وأبطال الرياسة والزعامة السياسية والدين لعل المراد من إفرادهم بهذا السفر الخاص مما لا يتعدى الأمر فيه تمييز ما يتصل بالتاريخ السياسي؛ فإنه قد حمل إلينا النسخة الأصل من هذا الكتاب مع النسخة المختصرة حضرة ناظر معارف الدولة الكثيرية الأستاذ السيد علي بن شيخ بلفقيه لدى عودته من المكلا في العام الماضي لكي نقوم بوصفنا أحد المشتغلين بدراسة التاريخ الحضرمي الموكول إليهم مهمة استعراض محتويات الكتاب، وتمحيص هذه المعلومات التاريخية المدرسية ونقدها، وإبداء ما قد يعن من الملاحظات عليها، ولم يترك لنا السيد علي المذكور ولا الأستاذ الكبير السيد محمد بن هاشم ولا العلامة المؤرخ السيد صالح بن علي الحامد مجالاً للاعتذار عن مساعدته في هذه المهمة التي كان المسئولون عن تأليف الكتب المدرسية في الدولة القعيطية بغيل باوزير – كما أعلمنا السيد علي المذكور – قد أحالوها عليه وأبدوا له رغبتهم الصادقة بصورة أكيدة فيما يطلبونه من عرض هذه المعلومات للنقد والتمحيص والملاحظة عليها من قبل الخبيرين المختصين بدراسة التاريخ الحضرمي، وذلك بناء على كون هؤلاء المسئولين مزمعين وضع تقرير عن صلاحية هذه المعلومات للتدريس بمدارس الدولة القعيطية عندما تنتهي مهمة العرض والتمحيص لهذه المعلومات على الاختصاصيين بهذا الشأن من علماء البلاد الحضرمية، وحيث يطمع بذلك هؤلاء المسئولون أيضاً كما أفضوا بذلك إلى ناظر معارف الدولة الكثيرية المذكور في تعميم دراسة هذه المعلومات التاريخية بمدارس الدولة الكثيرية، وأن الدولة القعيطية ستقوم عند تمام القيام بهذه المهمة بما يلزم لذلك من الطبع والنشر رسمياً في القريب العاجل.

ونزاهة في القصد، وأدب مشرف في العرض، وحرص شديد على الحقيقة مهما كانت وأنى وجدت.

وقبل أن أتقدم إليكم برأيي في تعقيباتكم القيمة أود أن تعلموا أن النسخة المنقحة المختصرة هي المفروض أن تكون من بين مقررات المدارس الحكومية، وليس هناك حتى الآن أي فكرة عن اعتماد ونشر الأصلي المطول ولهذا أرجو المعذرة إذا أنا اقتصرت على التعرض للملحوظات التي تمس النسخة المنقحة المختصرة فقط وسأناقش معكم بقية التعليقات في فرصة أخرى بغية الوصول إلى الحقيقة التي هي ضالة الجميع.

فموضوع الثقافة العامة في حضرموت مثلاً عند قدوم السيد المهاجر قد حذف بكامله من الكتاب المختصر، وكذلك الجملة الواردة في حصة أبي إسحاق الهمداني:

«كانت مقاليد الأمور في حضرموت في أول المائة الخامسة بيد ذوي الشأن من الحضارم» وقد حذفت هي أيضاً، أما بقية التعليقات فدونكم موقفي منها:

١- لم أتعرض لصلة عبد الله بن يحيى الكندي الأولى بأبي حمزة المختار في الحجاز طلباً للاختصار فقط في مقرر مدرسي لطلبة مدرسة أولية، ولأنني أشك - مجرد شك - في أن تكون هذه المقابلة وحدها سبباً في انتشار مذهب الإباضية في حضرموت - ذلك الانتشار الفظيع - إن لم يكن لهذه النحلة بذور وجذور قبل ذلك، وأنا أرجو أن لا يكون إغفالي لهذه الصلة خطأً تاريخياً أواخذ عليه.

وإذا نظرنا إلى رواية الطبري التي نقلها حضرة الناقد نجدها تنص على أن أبا حمزة كان يوافي مكة كل سنة يدعو الناس إلى خلاف مروان وآل مروان. وأنه لما ورد حضرموت بدعوة الكندي بايعه أبو حمزة على الخلافة، ودعا إلى خلاف مروان فهل لنا أن نفهم من هذا أن الاتفاق بين الرجلين

كان على الثورة ضد بني أمية ولم يكن لنشر المذهب الإباضي.

٢- تجنبت بقدر الإمكان التصريح بردة كندة؛ لأنه يخيل إلي أن الموضوع في حاجة إلى زيادة تحقيق وتمحيص مع العلم بأن بعض المؤرخين يخالف في صحة ردة الأشعث بن قيس كما أشار إلى ذلك حضرة الناقد، ولهذا اقتصرت على ذكر امتناع القوم عن دفع الزكاة وحروب جيوش الخليفة الأول لهم معتمداً في ذلك على أوثق المصادر التاريخية.

٣- لم أقصد بعبارة السلطة الروحية أكثر من النفوذ الروحي الذي يتمتع به السادة والمشايخ في حضرموت ودفعاً للالتباس الذي أشرتم إليه أسرعت بوضع كلمة – النفوذ الروحي – بدلاً عن السلطة الروحية.

٤- سبق أن كتب إلي الأستاذ محمد بن هاشم يقول: ((إن الزيدية عند استيلائهم على حضرموت منعوا راتب السقاف وليس راتب الحداد كما وقع ذلك في تاريخه عن الدولة الكثيرية – فهو سبق قلم – وقد بادرت فأصلحت هذا الخطأ الذي ورد في كتابي (شخصيات حضرمية))).

٥- أنا أشارك حضرة الناقد القول بأن ما عثر عليه حتى الآن من تواريخ حضرموت واليمن لم تتعرض لأبي إسحاق الهمداني، في حين أنها أشارت إلى استيلاء الصليحيين وبني معن على حضرموت في العهد الذي تقول المصادر التي اعتمدت عليها أن لأبي إسحاق سلطة محلية في القطر الحضرمي ووجوداً سياسياً له شأن[1].

---

(١) مع احترامنا لحضرة الأستاذ تقديرا لما يبديه من المحاولات الجريئة التي لابد أن يتخيل الناظر منها الاسترسال المطلق في الانتصار لتلك المصادر التي روت أخبار أبي إسحاق، وقد علمت مما في ملاحظتنا المتقدمة نسبة الصحة التاريخية أو القيمة العلمية لهذه المصادر، وأن يتخيل الناظر فوق ذلك أيضاً أن كلام الأستاذ يومي إلى توهين ما أطبق عليه أئمة الشأن بهذا الصدد، نقول: ((لا مناص لنا مع هذا من الإشارة بكوننا ممن يقع هكذا في حيرة حيال تشبث الأستاذ بهذه المصادر فيما ترويه وما يحال له هنا بصددها من الجمع تارة والترجيح أخرى في حين لم تشر هذه المصادر نفسها إلى المرجع الوحيد لها إلا =

ولكني أرى أن إغفال بعض المصادر لأخبار أبي إسحاق وتاريخه لا يحملنا على الشك في قيمة النصوص التاريخية الأخرى التي استعرضت حياة أبي إسحاق بتفصيل مستفيض يدل دلالة واضحة على أن عندها مزيداً من العلم، كما أرى أن استيلاء الصليحيين وبني معن وغيرهم من ملوك اليمن على حضرموت لا يمنع من قيام سلطات محلية تنتهز كل فرصة لضعف الحكومة المحتلة، فتثور وتستقل بالأمر، كما حدث فعلاً في كثير من أدوار التاريخ الحضرمي.

وإذاً فلا تعارض بين استيلاء الصليحيين وبني معن على حضرموت، وبين السلطة المحلية التي كان يتمتع بها الهمداني نائباً عن أئمة عمان أو مستقلاً بالأمر، خصوصاً إذا لاحظنا أن المصادر التي أشارت إلى خضوع حضرموت لبني معن والصليحيين إشارة عابرة مقتضبة لم تحدد بالضبط بداية هذا الاحتلال، ولا المدة التي قضاها في حضرموت، ولم تشر إلى الكيفية التي تم بها، وهل لقي هذا الاحتلال معارضة وممن؟ أو تم عفواً بدون ضحايا أو إراقة دماء. ومع ذلك فالمصادر التي اعتمدت عليها في تاريخ أبي إسحاق صريحة في أن قوات الصليحي وصلت فعلاً إلى حضرموت، وأن الرجل بذل كل ما يملك من جهد لصد هذا العدوان، فإذا أشارت بعض كتب التاريخ إلى أن الصليحي احتل حضرموت فتلك حادثة تاريخية لاشك فيها. وإذا قالت مصادر أخرى إن

= وهو ديوان أبي إسحاق الذي من المسلَّم أنه لا يزال مما تحيط به الغرابة ويكتنفه الإبهام والغموض ولعلنا لو قلنا أن هذا الأصل مما يشبه أن يكون مما يسقطه العلم لا نكون مخطئين وذلك لشذوذ ونكارة ما ينطوي عليه من تلك الأخبار حتى لا يعتبر ما هو مثله طبقا للأصول المرعية مما لا محل له لدى النظر والبحث وحتى يكون لهذا السبب مما يكاد لا يتميز في الرتبة عن درجة الموضوع والمنحول من الروايات والأخبار، أعني بهذا ما لم ينفك عن الشذوذ والنكارة بحيث يكون مما يصح أن يتلقى بالقبول لدى أئمة الشأن وأرباب التحقيق ويكون بوسع الباحث الاحتجاج به علميا.

ومهما يك من شيء فلا ينبغي أن يخطر لنال بوجه ما أن يكون حضرة الأستاذ حفظه الله كأولئك الذين يقول عنهم أحد مشاهير الكتاب الغربيين أنهم كيف يكتسبون باقتدارهم ومجهودهم سمعة طيبة مبنية على قول رسول فيلسوف شهير ميلاده سنة ١٧١٣ ووفاته سنة ١٧٧٨م كما في رواية هلويز أنه ينكر ما هو ثابت ويفسر ما هو منفي.

الهمداني كان يتمتع بسلطة محلية في حضرموت في ذلك العهد وأنه عارض هذا الاحتلال وحاربه فلا تعارض ولا تناقض.

لكن التعارض الذي يدعو إلى الحيرة هو: ما أشار إليه حضرة الناقد من أن أخبار أبي إسحاق تقول إنه استنجد بالخليل بن شاذان إمام عمان في حروبه مع الصليحي، في حين تنص روايات التاريخ أن وفاة الخليل كانت سنة ٤٢٥، وأن حركة الصليحي إنما بدأت سنة ٤٢٩ يعني أنه يجب أن يكون الخليل على قيد الحياة إلى ما بعد هذا التاريخ ليصح استنجاد الهمداني به على الصليحي.

وقد رجعت إلى كتاب (تحفة الأعيان في سيرة أهل عمان) لأبي محمد عبد الله ابن حميد السالمي فوجدت المؤلف لا يقطع بأن وفاة الخليل بن شاذان كانت سنة ٤٢٥ بالضبط، وإنما كان يحكي ذلك على سبيل الترجيح فقط، فعلمت أن تحديد وفاة الخليل بهذا التاريخ مشكوك فيه، ولذلك يبقى هناك أمل في تبديد تلك الحيرة التي أثارها التعارض الذي سبقت الإشارة إليه بأن يقال مثلاً: إن ترجيح صاحب (تحفة الأعيان) يحتاج إلى إعادة نظر، وإن من المحتمل أن يكون الخليل قد عاش إلى ما بعد ذلك التاريخ؛ لينتفي التعارض الذي أشار إليه حضرة الناقد[1].

إن تاريخ أبي إسحاق الهمداني في نظري ينبغي أن يعتبر بمثابة الخيط الذي يجب أن نمسك به ليعيننا على اقتحام مجاهل العهود الإباضية في التاريخ الحضرمي.

---

(١) يظهر أنه قد فات حضرة الأستاذ أن هذه المحاولة من افتراض جعل كلام صاحب (تحفة الأعيان) مما يحمل لا على القطع وإنما على سبيل الترجيح، قد لا تكون سوى محاولة عقيمة، ونعتقد أن هذه المحاولة كما يدرك ذلك الباحث المتمعن مما لا يثبت عند التمحيص، ولا يستقيم مع ما يؤدي إليه التحقيق والدراسة، فضلاً من أن يفيد فائدة ما في نفي ما هو واقع من ذلك التعارض، ولعله كان يكفي حضرة الأستاذ قليل من التوسع والتروي في النظر والبحث؛ لأن يدرك فشل هذه المحاولة من أول الشوط.
وسيسلم الناظر بما يظهر لنا من ذلك في محله فيما يحتويه التعقيب الآتي على عموم كل ما أورده بهذا الخطاب حضرة الأستاذ وما تقدم به بسبيل المراجعة والبحث.

هذا ما سمح به الوقت، وأعانت عليه الظروف، وأرجو أن أتناول دائماً ملاحظاتكم وإرشاداتكم وتوجيهاتكم، والله ولي الإعانة والتوفيق.

المخلص سعيد باوزير

المكلا ٢٦/٦/١٣٧٣هـ

٠١/٣/١٩٥٤م

* * *

جواب السيد بلفقيه والأستاذ ابن هاشم على الشيخ باوزير:

الحمد لله، حضرة الأديب البارع الكاتب اللبق الأستاذ سعيد باوزير وفقه الله لما يرضاه.

بعد السلام.. وصلتنا رسالتكم الكريمة المحررة: ٢٦/ ٦/ ١٣٧٣هـ و١/ ٣/ ١٩٥٤م بواسطة ناظر المعارف بالدولة الكثيرية، ونشكر لكم إفادتكم لنا بنتيجة مطالعتكم لما قدمناه من استدراكات وتحريات على تأليفكم (تاريخ حضرموت في شخصيات)، وكذا إشارتكم إلى ما عملتم من إدخال تنقيحات على النسخة المختصرة الحديثة لا تزال لديكم مع حذف (موضوع الثقافة العامة في حضرموت) عند قدوم سيدنا المهاجر، وحذف الجملة الواردة في حصة أبي إسحاق الهمداني من قولكم: (كانت مقاليد الأمور في حضرموت في أول المائة الخامسة بيد ذوي الشأن من الحضارم)، وأيضاً من إصلاح ذلك الخطأ حول منع راتب الحداد الذي سرى إليكم من نقل ما جاء عن سبق قلم من المؤلف في (تاريخ الدولة الكثيرية) الخ...

ويعن لنا حول مراجعاتكم وما ذكرتم عن وقفكم بإزاء تلك النقاط التي أشرتم إليها أن نورد الكلام هنا بصددها وذلك حسب ترتيب أهمية محلها مما

نحن بسبيله في هذا المقام من البحث.

لماذا يتشبث الشيخ باوزير بالشيء الغامض؟

فنقول حيال ما ترونه من التشبث بموقفكم في التوقف عن الأخذ والاعتماد لما ذكره وقرره أئمة الشأن بخصوص الموقف العام لكندة خلال حوادث قيام الردة مما في أواخر عهد النبوة، ثم في مفتتح عهد خلافة الإسلام، لا بخصوص ذلك الموقف الجزئي فقط الذي إنما يعتبره القائلون بالخلاف في ردة الأشعث بن قيس خاصاً به وبجماعة على رأيه، أي قاصراً على من لم يرض فعل القوم أهل الردة ممن لجئوا إلى النجير كما يشير إلى ذلك صاحب (المشرع) [١/ ١٥٣، ١٥٤].

نقول فيما قد يلوح لنا عن الدافع الكريم لحضرتكم بهذا المقام أننا مع تقديرنا ومشاركتنا لكم في هذه العواطف وفي الآلام والآمال الوطنية نجد أننا غير قادرين ولا مالكين لما يلزم لمجاراتكم فيما يخيل إليكم بهذا الموضوع، ويحملكم على ما تشيرون به أو إليه من التوقف عن التسليم بما ذكروه وقرروه، ونرى فوق ذلك أنه ليس في طوقنا إلغاء الاعتبارات الأخرى التي لا يسعنا إلا التقيد بها، والتي لا ينحصر شأننا أمامها فقط كباحثين ومؤرخين يتعين لصيانة هدفهم الأسمى، ومطمعهم الأقصى أن يكون أول واجباتهم تقديس مقام الحق، ونصرة قضية الحقيقة، وأن يأخذوا ويعطوا في حدود ما هو معتبر في درس التاريخ وكتابته، وعلى أساس الطرق العلمية المتبعة في البحث والقواعد المرعية المقررة في تمحيص الوقائع التاريخية.

ولهذا بحسب أنه يصح تبعاً لما ذكرنا أن نوضح بهذا الموقف التزامنا الوقوف عند حدود مبلغ العلم الذي كان قد توصل إليه جماهير علماء وأئمة هذا الشأن من محققين ومؤرخين ومتخصصين من علماء الفرق بين الفرق وعلماء الأحكام الدينية في تقرير قضية وحكم ما جرى من حوادث الردة بنوعيها، سواء

فيمن نصر مدعي النبوة كمسيلمة والأسود العنسي، أو من مال إلى مانعي الزكاة[1] وذلك بعد أن قتل هؤلاء المحققون هذا الموضوع بحثاً وتدقيقاً في نواحيه المختلفة.

ويخشى أن يثير تشبثكم أو تشددكم هذا في مواجهة ما أطبق عليه جماهير العلماء وأئمة الشأن، واتفقوا على تقريره في تحقيق وقائع الردة ومعاملة أهلها لا بحضرموت فحسب، بل ببلاد العرب على الجملة[2] مما أصبح أمره في حدود القضايا المفروغ منها – أعني يخشى بهذا أن يساء فهم حقيقة المؤرخ الحضرمي، وأنه إنما يزاول الأبحاث التاريخية وهي التي يجب أن ينتفي المؤرخ عند الأخذ فيها من أهوائه ونزعاته تحت تأثير ميول وطنية أو مغالاة عصبية، ولاسيما إذا ما أبصر الناظر من ميلكم للتساهل والإغماض في الناحية الأخرى حيال تاريخ أبي إسحاق الذي يكتنفه ذلك الغموض، وتعسر أن ينفك عنه ما يحيط به ويلابسه من الإبهام، والذي ما أشبه أن يكون الغموض والإبهام الذي يقع فيه حتى ليكاد

---

(١) أهل الردة على العموم كانوا كما ذكر العلماء ثلاثة أصناف: صنف عادوا إلى عبادة الأوثان، وهذا الصنف أضربنا عن الإشارة إليه في الأصل؛ لكون ما بين أيدينا من النصوص التاريخية لم تذكر شيئاً من هذا فيما روته من أخبار ردة كندة، وصنف تبعوا مسيلمة والأسود العنسي، وصنف ثالث استمروا على الإسلام لكنهم جحدوا الزكاة متأولين قوله تعالى: ﴿خُذْ مِنْ أَمْوَٰلِهِمْ﴾ الآية زاعمين أن دفع الزكاة خاص به ﷺ؛ لأن غيره لا يطهرهم ولا يصل عليهم ينظر [١٢/ ٢٢٤، ٢٢٥] من (فتح الباري على صحيح البخاري) من قوله في باب من أبى قبول الفرائض وما نسبوا إلى الردة.

(٢) نثبت هنا ما نقلوه من أبيات علي بن هوذة بن علي الحنفي الشهيرة لما سمع الناس يعيرون بني حنيفة بالردة فقال يذكر من ارتد من العرب غير بني حنيفة:

رمتنا القبائل بالمنكراتِ ... وما نحن إلا كمن قد جحد
ولسنا بأكفر من عامر ... ولا غطفان ولا من أسد
ولا من سليم وألفافها ... ولا من تميم وأهل الجند
ولا ذي الخمار ولا قومه ... ولا أشعث العرب لولا النكد
ولا من عرافين من وائل ... بسوق النجير وسوق النقد
وكنا أناساً على غرة ... نرى الغي من أمرنا كالرشد
ندين كما دان كذابنا ... فيا ليت والده لم يلد

يصعب معه محاولة ما تريدون من اعتباره كالخيط الذي يصح أن نمسك به لاقتحام مجاهل العهود الإباضية. نقول ما أشبه بإزاء ذلك الجلاء والوضوح فيما يقابله في تاريخ الردة بما يجعل أمر الفارق بين المقامين إذا لم يكن عديم النسبة في القياس، فهو بالأقل يوجد على أشد ما يقع من الفارق والمباينة المتناهية بمعنى أنه إذا كان هذا الغموض والإبهام الذي لا يزال يحيط ويلابس أخبار أبي إسحاق يقع بدرجة ما عليه نجم السها من شدة الحال في الإبهام والغموض، فإنه فيما عليه الأمر في تاريخ الردة ليتجلى فيه الوضوح بدرجة ما يكون عليه ظهور القمر الساطع لدى تمامه حيث يندر أن يضام أو يمتري أحد في رؤيته.

بل إنه قد لا يخفى ما ينطوي عليه هذا الأمر من المكابرة بإزاء أخبار أبي إسحاق وهي التي يجوز لنا أن نقول فيها إنها من الأخبار التي ينبغي أن تكون موضع بحث وتحقيق؛ لأنها لا تتفق مع التواريخ اليمنية والحضرمية والتواريخ العامة لبلاد العرب، وإنها مما يعوز إقامة الدليل عليها من تسجيلات التاريخ المعاصر بذلك العهد – لا يخفى أنه يكون من المكابرة قولنا مثل هذا في حق أخبار الردة ومحاولتنا سحب هذا الحكم وتطبيقه على شيء تواترت به النقول وتظاهرت عليه التواريخ الطافحة بالروايات عن وقائع الردة وحوادث كندة في حياة الرسول عليه الصلاة والسلام، وفي مستهل قيام الخلافة بعده.

ولا جرم أننا كم نقدر لحضرتكم هذا الدافع الكريم، والحمية الوطنية والغيرة الباهرة، ولكننا مع الأسف نعتقد أن مثل هذا مما لا يجدي شيئاً فيما يتصل بالدراسات والبحث العلمي، وأنه لا يقدم ولا يؤخر فيما يتعلق بتحقيق التاريخ وتمحيص الحقائق.

* * *

ما هي ديانة حضرموت قبل الإسلام؟

وهل لنا أن نذكر للعبرة، وللعبرة فقط شيئاً مما اتفق الوقوع فيه لبعض الكتَّاب المعاصرين من مواطنينا ممن جرى على تغليب منطق العواطف، وذلك فيما كتبه حول بعض الأبحاث والمسائل التاريخية الحضرمية؛ إذ قال في مفتتح الفصل الذي أورده في ذكر (دخول الإسلام في حضرموت) ما مثاله بالحرف: «لم يثبت لنا التاريخ أن الحضارم عبدوا الأصنام قبيل الإسلام كما كان يعبدها كثير من العرب في قلب الجزيرة وفي اليمن، ولم يذكر لنا التاريخ أنهم عبدوا الحيوان أو النار، وإنما كان أغلبهم على الفطرة، على أن العرب هناك تقدس الأصنام وتعبدها» إلى قوله: «.. فلم يتأثروا بذلك، ولم تدفعهم النعرة الدينية لصناعة الأصنام وعبادتها في حضرموت اهـ»، وكيف حدث أنه كان قد اغتر بهذا الذي جنح إليه هذا الكاتب المومي إليه أحد المتصدين لتدريس تاريخ حضرموت ببعض المدارس بداخل الإقليم عن سذاجة وغفلة، فأخذ هذا المتصدي بدوره يقرر أن الحضارم لم يكونوا كبقية عرب اليمن والحجاز ممن جاء الإسلام وهم يعبدون الأصنام ويقدسونها، وقد استغرب البعض ممن شاهد ما يقرره هذا المدرس أمر هذا الرأي الطريف الذي يخالف ما هو معلوم من تاريخ عهود الجاهلية وتاريخ العرب قبل الإسلام حتى أنه لم يلبث هذا البعض أن سألنا عما نعلمه بهذا الموضوع؟ فذكرنا له أنه ربما يكون قد فات هذا الكاتب، ومثله المدرس المشار إليه ما نقلوه كما في (السيرة النبوية) للعلامة المحقق السيد أحمد زيني دحلان [٢/ ٢٠٨ المطبوع بالمطبعة الوهبية بمصر سنة ١٢٨٥] في سبب إسلام وائل بن حجر الذي يعتبر إسلامه نقطة الابتداء في تاريخ دخول الإسلام إلى حضرموت، وهو أنه كان لوائل بن حجر هذا صنم من عقيق يعبده ويسجد له، فنام عنده يوماً في الظهيرة فسمع صوتاً هائلاً فأتى فسجد له فسمع هاتفاً يقول:

وا عَجبـاً لِوَائـلِ بـنِ حُجْـرِ يَخَالُ يَدْرِي وهـو لَـيْسَ يَـدْرِي
مَاذا تُرَجِّي مِنْ نَحِيتِ صَخْرِ لَيس بِذي عُرْفٍ ولا ذي مَكْرِ[1]
ولا بـذي نَفْـعٍ ولا ذي ضُرِّ لو كان ذا حِجْرٍ أطاعَ أمْرِي

فرفع رأسه وقال بماذا تأمرني؟ فقال:

ارحلْ إلى يثربَ ذات النخلِ وسرْ إليهـا سَـيْرَ مُـستقلِّ
فَـدِنْ بـدينِ الـصَّائمِ المُصلي مُحمـدِ الرسـولِ خَـيْرِ الرسـلِ

ثم خر الصنم لوجهه. فقام إليه فجعله رفاتاً، ثم سار حتى أتى المدينة إلى آخر رواية إسلامه. وذكرنا له أيضاً ما قاله أحمد فارس الشدياق في كتابه (الساق على الساق) الكتاب الأول ص١٥٦ طبع باريس سنة ١٢٧٠هـ ١٨٥٥م) وهو قوله عند ذكر الأصنام: (وعبدة مرحب) صنم كان بحضرموت، وكذا ما ذكره لنا الأديب الشهير السيد علي بن أبي بكر بن عمر بن يحيى المقيم الآن بالصولو بجاوه من عثوره على ذكر صنم سماه لنا كان يعبد بدوعن، ويؤسفنا أننا لم نهتم حينذاك بضبط اسم الصنم، ولا اسم الكتاب الذي عثر فيه على ذلك، ولعله يتاح لنا في المستقبل الاتصال به في تحقيق ما رواه بهذا الصدد.

* * *

البداهة الطريفة:

وللفائدة نذكر ما قاله بعض طلبة العلم عندما سمع بحادثة تقرير هذا المتصدي لتدريس التاريخ الحضرمي، واعتماده بكل بساطة وسذاجة لهذا الرأي الطريف، وهو أن تخصيص الإمام علي بن أبي طالب بما جعلوه من قولهم عند ذكره ((كرم الله وجهه)) يكون هذا التخصيص في غير محله؛ لأن هذا التخصيص

(١) كذا بالأصل ولعله نكرِ.

لم ينفرد به الإمام علي كرم الله وجهه إلا تبعاً لما حققوه بكونه ممن لم يعبد الأصنام، وأنه ليترتب على اعتبارنا لهذا أن نجري عند ذكرنا لكل من وقع إسلامهم من أهل حضرموت في عهد النبوة على منوال ما نقوله عند ذكر الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام (كرم الله وجهه).

* * *

بداية طالب الحق:

للملاحظة على قولكم في بداية صلة عبد الله بن يحيى الكندي بأبي حمزة: «إنني أشك – مجرد شك – في أن تكون تلك المقابلة وحدها سبباً في انتشار مذهب الإباضية في حضرموت» وما وقع من الالتباس لديكم بأن دعوة أبي حمزة إلى خلاف مروان شيء، والدعوة للمذهب الإباضي شيء آخر.

فإن الذي يظهر لنا هو أن ليس لدى حضرتكم وقت كافي لاستقصاء البحث والمراجعة في تاريخ الطبري وغيره من كتب التاريخ، وكتب البحث في الفرق الإسلامية، والتأمل فيما يتضح مما أوردوه واعتبروه بداية الصلة بين أبي حمزة وطالب الحق، وكذا فيما يقوم وينهض عليه المذهب الإباضي في أصله وغايته من الخروج على مخالفيهم وأئمة الجور بالدعوة إلى خلافهم أولاً، ثم بمحاربتهم كما هو شأن ومبدأ أمثالهم من فرق الخوارج ثانياً[1].

وإليكم ما جاء في تاريخ الطبري [٩/ ٧٨] المطبوع بالمطبعة الحسينية المصرية وهذا لفظه: «وفي هذه السنة – أي سنة ١٢٨ هـ – لقي أبو حمزة

(١) المجمع عليه قولاً واحداً بين علماء الشأن في علم الفرق الإسلامية فيما يجمع فرق الخوارج على افتراق مذاهبها – وجوب الخروج على السلطان والإمام الجائر وعلى مخالفيهم، وإن مما يجمع عليه فرق الإباضية اعتبارهم مخالفيهم محاربين لله ورسوله ولا يدينون دين الحق. ينظر كتاب (الفرق بين الفرق) لأبي منصور البغدادي طبع مطبعة المعارف بمصر سنة ١٣٢٨هـ ١٩١٠م.

الخارجي عبدالله بن يحيى طالب الحق فدعاه إلى مذهبه))، ثم استطرد إلى أن قال: ((كان أول أمر أبي حمزة أنه كان يوافي كل سنة مكة يدعو الناس إلى خلاف مروان ابن محمد وإلى خلاف آل مروان، قال: فلم يزل يختلف في كل سنة حتى وافى عبدالله بن يحيى في أواخر سنة ١٢٨ فقال له: يا رجل أسمع كلاماً حسناً، أراك تدعو إلى حق، فانطلق معي فإني رجل مطاع في قومي. فخرج حتى ورد حضرموت، فبايعه أبو حمزة على الخلافة، ودعا إلى خلاف مروان وآل مروان)) ومثله في (تاريخ ابن الأثير) وغيره، ففي قوله: ((في هذه السنة لقي أبو حمزة عبدالله بن يحيى طالب الحق فدعاه إلى مذهبه، ما يقتضي أن هذا اللقاء كان أول مبدأ هذه النحلة في الحضارم، وأول عهد يرجع إليه تاريخ اتصالهم بالمذهب الإباضي، ويظهر ما يؤيد هذا من قول طالب الحق لما سمع أبا حمزة يدعو الناس على أساس مذهبه إلى خلاف مروان باعتباره من مخالفيهم ومن أئمة الجور عندهم، إذ قال لأبي حمزة في جوابه عليه مقالة رجل فارغ البال جداً عن معرفة أبي حمزة وما يدعو إليه: ((يا رجل، أسمع كلاماً حسناً أراك تدعو إلى حق))، وإذا دعاه المقام أيضاً إلى تعريف أبي حمزة بما يجهله من هويته ومكانته من قومه في بلاد حضرموت إلى أن يقول له: ((انطلق معي فإني رجل مطاع في قومي)).

ولعل في التعبير من قول عبد الله بن يحيى: ((أسمع كلاماً حسناً أراك تدعو إلى حق)) ما يدل على مقتضى الحال الواقع في عدم سبق دعاية تمهيدية للنحلة الإباضية، وتقدم وجود بذور لها بحضرموت قبل ذلك، فضلاً عن جذور، وما قد يدفع عامل مجرد الشك الذي يعتلج لدى حضرتكم حول هذه النقطة.

* * *

على ماذا تدل كلمة السيطرة:

لعلكم توافقوننا في أن كلمة السلطة والسيطرة والنفوذ في الأصل من مصطلحات الأمور السياسية، وأنها غالباً تعني ما يكون النزوع إليه مطلباً سياسياً، وأما فيما يكون النزوع إليه مطلباً دينياً، أي مجرداً مبدأ وغاية للتزكية والتهذيب والتثقيف والتعليم فيجدر أن يقف الأمر فيه عند حدود المصطلحات الدينية الإسلامية المأخوذة، مما اطرد عليه العرف الإسلامي أو بما لا يخرج عن دائرتها وعن طبيعة دين الإسلام كالزعامة الدينية أو الجاه الديني، أي بما يقرب من كلمة الإمامة أو المشيخة والصدارة والأستاذية العلمية الدينية.

ومن البحث في القواميس الأوروبية نجد أن كلمة السلطة والسيطرة الروحية ونحوها هي من المصطلحات الدينية الخاصة بالكنيسة المسيحية، فهي بهذا تكون فيما هو خاص بالمنتمين إلى المسيحية ككلمة البابا والراهب والأسقف والبطريك والمطران والقسيس والشماس، فإذا كان يسمح للمسلمين إطلاق كلمة البابا على الخليفة مثلاً، واسم البطاركة والرهبان والمطارنة والأساقفة على علماء ومشايخ الإسلام وعلى عباد وصلحاء المسلمين فيصح لنا هنا الخروج عن المصطلحات الدينية الإسلامية إلى المصطلحات الدينية المسيحية، واستعمال كلمة السلطة والسيطرة والنفوذ الروحي، وإلا فيمتنع الأمر في هذا مثل ما امتنع في ذاك.

* * *

حول اخبار ابي إسحاق:

وأخيراً نود أن نقتصر حول أخبار أبي إسحاق بناء على ما يلوح من كون ما يعتمد عليه من المصادر في تحقيق هذه الأخبار ليس بذاك، وكون الشأن أيضاً مما لا يحقق لنا وفاقاً للأصول الحديثة في بحث التاريخ «أن نتوسع في الاستنباط

إلى الحد البعيد الذي يتنافى مع الحقائق المدونة»[1]، وذلك بتنبيه حضرة الأستاذ إلى مقدار ما يقع من التنافي بين ما في المصادر التي تعتمدونها وبين التواريخ اليمنية والحضرمية وغيرها، فمثلاً فيما يقتضيه كلام هذه المصادر المعتمدة لديكم أن الخليل بن شاذان والصليحي وصاحب مصر الذي اضطر الصليحي للاستنصار به لما ضعف عن مقاومة أبي إسحاق في حضرموت كانوا – أي هؤلاء الثلاثة – موجودين كلهم فيما بعد سنة ٤٥٢ أربعمائة واثنين وخمسين أي فيما بعد ما ذكره عمارة في تاريخه من قيام الاتصال بين صاحب مصر والصليحي وظهوره الرسمي الذي يترتب عليه المناصرة بينهما، وأنه إذا قلنا كذلك بترجيح الرواية التي تجعل استيلاء الصليحي المباشر على حضرموت في سنة ٤٥٥ أربعمائة وخمسة وخمسين فإنه يلزم على هذا أنه قد عاش الخليل إلى هذا التاريخ وربما إلى ما بعده.

ثم من وراء هذا يترتب على ذلك أيضاً أن يكون راشد بن سعيد الذي تولى الإمامة عشرين سنة أي كما تقول هذه المصادر من وفاة الخليل في سنة ٤٢٥ أربعمائة وخمسة وعشرين إلى سنة ٤٤٥ أربعمائة وخمسة وأربعين حينما نصب راشد للإمامة تترتب أنه قد عاش راشد المذكور إلى سنة ٤٧٥ أربعمائة وخمسة وسبعين بالأقل، وتبعاً لكل هذا الذي مر ذكره فلا يكون تقليد أبي إسحاق للإمامة بحضرموت، وظهوره واستقلاله، وقيام دولته القوية إذاً إلا فيما أعقب سنة ٤٧٥ أربعمائة وخمسة وسبعين، أي يكون حوالي أواخر الخمسين الثانية من المائة الخامسة، لا في صدرها كما ذكرت وفصلت هذه المصادر هذه الأخبار والتي قلتم: «إن لديها المزيد من العلم»[2].

---

(١) مجلة «المقتطف» عدد يوليو سنة ١٩٣٩م.

(٢) ذكر البارون وهو مصدر من هذه المصادر قيساً والد أبي إسحاق، ومما قاله في تفصيل أخبار قيس هذا أنه أدرك ظهور أمر أبي إسحاق، كأنه يعني بهذا قيام دولة أبي إسحاق واستقلاله بالإمامة بحضرموت.
ومن أغرب ما أورده هذا المصدر عن قيس هذا بمعرض التنويه بفخامة مكانته الفريدة وما له من =

أما وقد وصلنا في كلمتنا إلى هنا فإننا نوصد الباب دون الاستقصاء والاسترسال في البحث والتنقيب تاركين ذلك إلى أذكياء الشبان الباحثين الذين لم تهاجمهم الشيخوخة بعد كما هاجمتنا، ولم يمسهم اللغوب كما مسنا، مؤملين فيهم أن يقروا عين التاريخ الحضرمي، ويحسنوا سمعة المؤرخ الحضرمي، فيعتنقوا المذهب القويم في التاريخ فيحموه على أن يلم به سانح من سوانح العواطف القومية أو الوطنية التي قد تخدش شيئاً من وجه الحقيقة. أما نحن فإنما تركنا ذلك لهم لما نكابده من الضعف المعنوي والجسمي، ناظرين إلى هؤلاء الشبان من عل داعين لهم بالفوز في هذا الميدان المحاط بأسلاك شائكة تستدعي من المهاجم نظراً ثاقباً وسيراً متزناً، فعسى أن تتقبلوا معذرتنا بسماحة نفس، والله سبحانه هو الموفق والمعين.

محمد بن هاشم بن طاهر
عبد الله بن حسن بلفقيه

* * *

= عظمة الشأن السياسي في الإقليم الحضرمي هو ما في قوله: ((ولعله هو المقصود للشاعر في قوله:

وجلنـــداء في عـــمان مقـــيماً ثـم قيـساً في حـضرموت المنيـف

كما ذكره صاحب القاموس إن لم يكن اصطلاحاً)).

ومن المعلوم أن ما أورده هذا مردود عليه بأن قائل هذا البيت فيما رواه العلماء كالزبيدي في (تاج العروس)، والخفاجي في (شرح الشفاء) هو الأعشى الشاعر الشهير الذي يتقدم زمانه عن قيس هذا بما يقارب الخمسة قرون، فكيف يا ترى يكون قيساً هذا هو المقصود للشاعر؟!

أما تقييد هذا المصدر كلامه بقوله: ((إن لم يكن اصطلاحاً)) فليس بشيء في إخفاء ما تنطوي عليه هذه المحاولة من التهافت الغريب؛ فإنه إذا عم أن المصطلح عليه في الأزمنة القديمة يقع بتسمية الجلندي لكل ملك على إقليم عمان وأنه لم يعهد – فيما يعرف – هذا التلقيب لمن يملك حضرموت بقيس حضرموت على منوال جلندي عمان، وعزيز مصر، وقيصر الروم، وكذلك إذا علم أن كل ما عهد استعماله في حضرموت قديماً إنما هو تلقيب ملوك حضرموت بالعباهل والأقيال – تبين لنا إذاً – أن المراد بقيس في هذا البيت قد يكون شخصاً شهيراً بحضرموت معاصراً لبعض ملوك عمان الأقدمين يرجع تاريخه لا إلى أعقاب العصر الإباضي في المائة الخامسة كما يحاول هذا المصدر، بل إلى ما قبل ذلك بمئات السنين فليحقق.

خاتمة الأبحاث:

نثبت هذه الكلمات الآتية التي جاءت في خطاب الأخ علي بن شيخ بلفقيه من غيل باوزير بعد تقديم تعليقاتنا على «تاريخ حضرموت في شخصيات».

وهذا الخطاب مؤرخ: ٢٩/ ٦/ ١٣٧٣ هـ و٤/ ٢/ ١٩٥٤م ولفظ هذه الكلمات هو كما يأتي:

«وتعليقاتكم وكذا الأخ صالح حازت إعجاب وتقدير كبير من المسئولين عن تأليف الكتب المدرسية، وقد كتب لكم المؤلف باوزير جواباً أصحبه معي» ومراده بذلك الخطاب هو الخطاب الذي سبق نقله، والذي حرره باوزير لنا وللأستاذ بن هاشم.

وهذا أيضاً بعض مكتوب للأخ علي بن شيخ بلفقيه من سعيد باوزير المذكور له صلة بما تقدم من البحث والتحقيق حول «تاريخ حضرموت في شخصيات»:

عزيزي الأخ علي بن شيخ بلفقيه المحترم

بعد التحية.. علمت من صديقنا السيد محمد السري بوصول رسالتي السابقتين إليكم مع خطاب المعارف الرسمي. والآن استلمت الرد على رسائلي من السادة عبد الله بن حسن ومحمد بن هاشم وصالح بن علي الحامد، ويعلم الله سروري بتلك التحقيقات التي تفضل بها عليَّ هؤلاء الأعلام وسوف تلقى ما تستحق من اهتمام وعناية، أرجو أن ترفع إليهم تشكراتي القلبية على هذه المعونة الصادقة التي قدموها لي بخصوص هذا العمل الوطني المشترك، وسوف أنتهز أقرب فرصة للكتابة إليهم معترفاً بفضل هذه الأبحاث التاريخية في توثيق صلتي الودية بثلاثة من أعلام القطر الحضرمي.



تفنيد مزاعم الشيخ صلاح البكري

في تحكمه بنسب الإمام

أحمد بن عيسى النقيب

العلوي البصري

قطعة منقولة

من كتابه صوع الدياجر في تاريخ المهاجر

تقريظ

بقلم فضيلة العلامة السيد الحبر
علوي بن طاهر الحداد

الحمد لله..

طلب مني السيد البحاثة النقادة المؤرخ عبد الله بن الحسن بلفقيه العلوي الحسيني أن أكتب مقدمة لرسالتيه (نقاش تمحيص وتنقيب) و(تفنيد مزاعم التاريخ السياسي الحضرمي).

ولكني كتبت على الرسالة الأولى (تتميم وتعقيب) فقط، أدباً مع الكرام الكاتبين، وأحببت التماسه في وضع كلمات كالمقدمة على (تفنيد المزاعم)، وسيرى المطالعون في (تفنيد المزاعم) بياناً نيّراً وضحاً لمزاعم التاريخ السياسي مشفوعة بالأدلة والنقول، ببيان، وبحث، وتفصيل، ومقابلة بين كلام المؤرخ أبي مخرمة الذي حرّفه صاحب التاريخ، وبين كلام المؤرخ الصحيح، مع أدلة واستنباطات أخرى تجلي الحق لكل ناظر.

وللوضْعِ والكذِبِ في الروايات الحديثية والآثار والأخبار والحوادث التاريخية تاريخٌ طويل الذيل، لو أراد عالم استقصاءه لاقتضى مجلدات، وقد كتب العلماء الحفظة على الدين في تراجم الوضّاعين والمفترين كتباً ممتعة، وهم إذا ذكروا الإخباريين فإنما يذكرونهم مع تحفظ وغض، وتردد في رواياتهم. وإذا اختلط صدق الأخبار بكذبه، أو جمع في أسانيده، أو جمع روايات إلى إسناد واحد رموا به جميعاً، ولهم في رواة السير حديث طويل، وكل ذلك مشهور لا يحتاج إلى التعريف به إلا من بَعُد عن علم الآثار والتاريخ، وجهل تراجم الرجال

وطبقاتهم، أو كان من المتخصصين المقتصرين على علم واحد، وقد تتبع علماء الأمة المعنيون بهذا الفن الروايات الموضوعة والضعيفة والمشكوك فيها، ففلوها فلياً، ونقبوا عنها بالمناقير، واستخرجوها من كل مكن، ووقوا المسلمين شرور الاغترار، وشرور واضعيها. ولقد كان على عهدهم ما يحدث نظيره اليوم من الأقاصيص المستحدثة والحكايات المخترعة، كحكايات ألف ليلة وليلة، وقصة السندباد، والبحري والبري، وقصص جزائر واق واق، وقصة الغول، وبني هلال، وأبي زيد الهلالي، وأشباهها مما هو من بضائع الصفاعنة والضياطرة والبطالين والمساخر ومن لا عمل له ولا عقل، وإنما يلهو بها الحمقى والأغبياء والغارقون في حمأة الجهل البعيد عن فهم الحقائق. ومن لم يفارق درجة البهائم إلى درجة الأنام إلا بمجرد الصورة والقدرة على الكلام، وكل مقفل فهمه عن فهم الحقائق، والتفرقة بين الخطأ والصواب، والمقبول والمردود، وقد كان الأغبياء قديماً وحديثاً يقطعون أوقاتهم بتلك الأسمار، ويغرقون فيها، وإليها تميل أنفسهم لمناسبتها لطباعهم، وقربها من عقولهم.

فما كان سلف الأئمة يتعرّضون لنقد الأخبار المكذوبة والحكايات الموضوعة المذكورة في تلك الكتب؛ لكون فسادها من الأمور الواضحة التي لا تحتاج إلى برهنة ولا تدليل.

وإنما عذر المؤرخ البحاثة السيد عبد الله بن الحسن في تعرّضه لنقد موضع واحد من مزاعم التاريخ السياسي أن جهل الناس بحقائق التاريخ الإسلامي صار أكثف وأغلظ، حتى صاروا لا يفرق عامتهم بين صحيح البخاري وسيرة أبي زيد الهلالي. فلذلك كلف نفسه واضطر إلى تفنيد واقتصر على موضع واحد للدفاع عن الأصل والأهل. ولم يتعرّض لبقية المزاعم، لأنها تكثر وتستغرق الأيام ويحتاج فيها إلى إيراد الكلام، ونقول تستغرق مجلدات. فالإعراض عن ذلك والاشتغال بالنافع، وبيان الحقائق على وجهها أولى. وبالجملة فالمؤرخ

النقادة رأى أنه من الواجب أن يتعرض لشيء مما في تلك الأقاصيص المسماة بالتاريخ السياسي الحضرمي لمصلحة رآها. وحال أوجبها طارئ واقتضاها، فهو على فعله مشكور وعمله إن شاء الله عمل مبرور.

وليس كل التفات إلى افتراء يعتبر دليلاً على أن له قيمة، أو أنه مما ينبغي الاهتمام به. أو يعد طريقاً، ودليلاً إلى اعتباره، أو سبباً لنشره، ولكن كثيراً من الحمقى أثّرت في أدمغتهم تلك المزاعم لغرابتها وإسنادها إلى تاريخ مشهور، قديم، وكنا لو عرضنا عليهم ما عندنا لشكوى فيه و لم يشكُّوا في ورود الغريب، وليس عندهم ما يقدرون به على الفرق بين الكذب الموضوع، ولا الصحيح المنقول، فهم لا يرجعون إلى فهم ثاقب، ولا علم واسع، ولأنه قد حدث عندهم تعصب جنسي، وتحزب جاهلي كثفت به غشاوة الأفهام، وأغلاف القلوب، فاحتجنا إلى النقل عن النسخة المصرية كما أشار المؤرخ النقادة إلى ذلك، ونسخة الحكومة المصرية المنقولة فوتغرافيا عن الأستانة والموجودة بدار الكتب المصرية تحت رقم ١٦٧ من قسم التاريخ والنقل من الجزء الأول صفحتي ٤١٣ و٤١٤ كل ذلك موجود عند كاتب هذه السطور وهو موافق لما ذكره المؤرخ النقادة في تفنيده.

وهناك نسخة أخرى عندنا نقول منها طوال كتب في آخرها ما لفظه: انتهى ههنا ما وجدنا من هذا التاريخ بخط المصنف رحمه الله، ونفع به مسودة واخترمته المنية قبل أن يبيضه فبيضناه بحسب الطاقة والإمكان، والحمد لله أولاً وآخراً، وباطناً وظاهراً، على يد العبد الفقير إلى عفو ربه القدير أسير ذنبه وراجي رحمة ربه عمر بن إبراهيم بن رضوان بن عبد الغفار بن إسماعيل بن محمد بن عمر الحباني غفر الله ذنوبه وستر عيوبه وكشف كروبه وتجاوز عنه وعن والديه وأحبابه وأنسابه ومشايخه في الدين، إنه ولي ذلك والقادر عليه، بفضله وكرمه آمين آمين. بتاريخ أوائل شهر جمادى الأخرى سنة سبع وثمانين وتسعمائة من هجرة المصطفى صلى الله عليه وآله وسلم.

قال كاتب هذه النسخة: ثم قال في الأم التي نقلت عنها برسم سيدنا ومولانا وذخرنا وشيخنا ووسيلتنا إلى ربنا الشريف الحبيب النسيب الشيخ الكبير الشهير العالم العلم العلامة سراج الدين وبركة المسلمين وقدوة العارفين وسلالة السادة الصالحين خيار الناس المطهرين من الرجس والأدناس أبو حفص عمر بن عبد الله بن علوي بن عبد الله بن أبي بكر العيدروس باعلوي نفع الله بهم وأعاد علينا وعلى المسلمين من بركتهم وحشرنا في زمرتهم آمين.

✓ وليس كل ما في التاريخ السياسي مما يحتاج أحد إلى نقده بعد ما أقام كاتبه الشاهد الواضح على أنه لا يتورع عن الوضع والانتحال، ولكنا ندل على قضية فكاهية تدل على كنه ذلك الكاتب ودرجة عقله.

ذلك أنه صنع خريطة لوادي حضرموت نقلها على ما يظهر من خريطة الأستاذ العبقري الشاعر الناثر السيد الشريف أحمد بن عبد الله بن محسن السقاف العلوي الحسيني، وذكر في اصطلاحاته فيها أن علامة المدن دائرة كبيرة وعلامة القرى دائرة صغيرة. ومدن حضرموت الكبيرة الشهيرة تريم وسيئون وشبام كما هو معلوم، فذلك المؤرخ الغريب المزاج وضع لشبام دائرة لا بأس بها. ثم وضع لقرية تريس التي هي قبل سيئون دائرة صغيرة، ووضع لمدينة سيئون دائرة صغيرة حقيرة ولم يذكرها، ثم وضع دائرة كبيرة لقرية مريمة. وسبب هذا الاختلال يعرفه من يفهم الرؤوس المنفوخة. كما أنه أغفل مدينة تريم بالكلية. والحامل له على هذا – على ما نظره – أنه كتب ما كتب وهو ممتلئ بذكريات تاريخية وتعصّب مع قصر نظر، وقلة تدبر للعواقب. ولأنه كان لأحد أجداده في مريمة رسم دارس محيل. وما عند رسم دارس من معول، وقد اغفل موضع آل الصقير، وما هو من مريمة ببعيد، ولهما في التاريخ علاقة يعرفها هو.

وبالجملة فالفرقة التي حدثت بين المهاجرين من العرب الحضارم في جاوة، ثم في حضرموت، وبذل الأموال للسباب والمسارعة إلى الطعن بأوهى

الأسباب، والإقدام على الفرية والكذب في سبيل ذلك من غير خشية ذام ولا عاب تسبب عنها تأثير عظيم في فساد الأمانات والجرأة على القول بالباطل والتعنّت في بطر الحق والمماحكة في الصدق الواضح، وما قلنا إلا قليلاً من كثير، والله بعباده خبير بصير، وإليه المرجع والمصير، نسأله السلامة والنجاة والعافية والمغفرة، إنه ولي ذلك والقادر عليه.

هذا ما كتبه فضيلة العلامة السيد علوي بن طاهر الحداد متع الله به.



تفنيد مزاعم

جاء في الفصل الأول (من القسم الثاني من الكتاب) وهو في ذكر نسب الإمام المهاجر أحمد بن عيسى رضي الله عنه، وذلك في ختام المبحث الاستطرادي الذي عقده المؤلف في أواخر هذا الفصل بعنوان (للحقيقة والتاريخ) حينما انجر الكلام واضطر المؤلف لأن يتعرّض فيه لإيراد شيء عن محاولة الشيخ صلاح البكري في تحككه بنسب الإمام المهاجر في كتابه المسمى (تاريخ حضرموت السياسي) قال:

((وآخر المحاولات تلك المحاولة المكشوفة التي انتهت إليها عقلية الشيخ صلاح البكري، والتي أثبتها في الجزء الأول من كتابه الذي سماه (تاريخ حضرموت السياسي)؛ فإن هذه المحاولة على أنها عديمة القيمة في سائر النواحي، ولا تثير اهتمام البحث العلمي، لا من المطلعين على التاريخ الحضرمي، ولا ممن عاش على اتصال بالحياة العامة في حضرموت، أو بين الجاليات الحضرمية لتعطينا صورة نفسية عن شيء قد يكون لحد ما جدير بالنظر واستخلاص العبرة.

وذلك أن صدور مثل هذه المحاولة من الشيخ صلاح كما ينم عن سذاجة متأصلة، يدل كذلك في نفس الوقت أيضا على ما يكنه المؤلف من استخفاف بالأفهام، واستهتار بالعقول، لا أفهام القوم الذين يولونه اعتبارهم، ويعيرونه ثقتهم، بل أفهام وعقول سواهم من المستنيري الفكر والعقل من رجال العلم والثقافة الذين قد يتفق أن يعرض كتابه على البعض منهم، أو يصادف أن يقع في يد أحدهم.

ويكفي لأن تتداعى هذه المجاولة من الأساس، وتنكشف حقيقة أمرها

جلية واضحة للعيان والأنظار أن نقابل بين كلام الشيخ صلاح الذي جاء بهذه المحاولة، وبين ما أورده العلامة الطيب بامخرمة في تاريخه المسمى (قلادة النحر في وفيات أعيان الدهر)، وهو التاريخ الذي يشير الشيخ صلاح نفسه إلى النقل عنه، ويتظاهر في كتابه بأنه عمدته ومستنده فيما يحكيه ويقوله بهذا الصدد.

قال الشيخ صلاح في كتابه المشار إليه آنفا [١/ ٩٧-٩٩] ما نصه حرفيا:

((في سنة ٣١٧ للهجرة جاء -كذا- من البصرة الشيخ أحمد بن عيسى جد آل أبي علوي، وأقام بالحسيسة، ثم انتقل منها هو ومن معه إلى قارة جشيب، ثم انتقلوا إلى بيت جبير- كذا - في سمل - كذا-، وهناك احتفروا بئراً عرفت ببير أحمد، ثم انتقلوا إلى تريم، وفيها بنوا مسجدهم المعروف بمسجد أحمد - كذا-، وتوفي الشيخ أحمد بن عيسى باعلوي - كذا- بالحسيسة. وقد اشتهر بالصلاح والورع والإخلاص في النصح للناس. وقد رأى آل باعلوي من بعده أن يوجدوا لهم مركزا يكون أساسه السلطة الروحية - كذا-[1]. ولقد ساقهم إلى

(١) يصعب على المرء فهم مراد الشيخ صلاح الذي يقصده بكلمة ((السلطة الروحية)) فإن كان يصح إطلاقه على سلطة الكنيسة المسيحية لدى المسيحيين، وعلى سيادة البابوات ورجال الاكليروس مما هو خاص بالمسيحيين بل ببعض فرقهم كالأرثوذكس والكاثوليك فلن يصح إطلاقه هنا، ولم يعرف المسلمون في عصر من العصور تلك السلطة الروحية.
فالمتعارف عليه عن هذه السلطة في شؤون الأمم المسيحية أنه يقصد بهذه الكلمة ما يعنونه من ذلك التأثير العظيم الذي لسلطة الكنيسة الروحية، والذي كان يتسنى للبابوات أن يستخدموه في تأييد سلطتهم الزمنية، فانه إذا شاء البابا إخضاع ملك حظر على شعبه إجراء الشعائر الدينية، فيثور الناس على الملك، ويضطرونه لأن يرضي البابا لكي يرفع ذلك التحريم عنهم، ويجيز لهم ممارسة العبادة أولا، فإذا مارسوها وهم محرمون حسبوا آثمين ولا يقبل الله عبادتهم إلا إذا أطاعوا البابا نائبه على الأرض.
فكان البابوات بهذه السلطة يتسلحون باعتقاد الشعب هذا ضد الحكام ويتسيطرون عليهم ويتحكمون بهم كما يشاءون (أساس الشرائع الإنكليزية- تعريب نقولا حداد).
وكذا قد يراد بهذه الكلمة ما يلحق بذالك كنظام بيع الغفران المتبع لدى البابوات ورجال الاكليروس مما يجري مع ما تقدم في واد واحد (مجلة المنار المجلد الحادي والثلاثون) فغير صائب إذاً استعمال هذا التعبير الذي لا محل له ولا أساس يرتكز عليه اللهم إلا إذا كان هناك من محاولة جريئة لإلصاق شيء بالإسلام والمسلمين لم يعرفوه وهم أبرياء وبعيدون عنه. فهذا مما لا نتعرض للحكم فيه وكأنه يعزب عن فهم =

ذلك ما شاهدوه في كثير من الحضارم من السذاجة، وحسن النية وسلامة الطوية، فادعوا النسبة لأهل البيت[1]، ولكن الحضارم لم يؤمنوا بادعائهم لعدم وجود أدلة تثبت ما قالوه؛ لذلك اضطر آل باعلوي أن يبعثوا واحداً منهم إلى البصرة ليأتي بشهادة قاضيها فيما ادعوه، فرحل الشيخ علي بن أحمد – كذا– بن جديد إلى البصرة، وطلب إلى القاضي إثبات نسبهم، فأجابهم إلى ذلك، وشهد معه جمع ممن يريد السفر إلى الحج، فسافر هو وأولئك الحجاج إلى مكة، ورقب هناك حجاج حضرموت على أولئك الشهود، ثم سافر إلى حضرموت، وقدِم

= هؤلاء المغرضين أنهم بذلك يصورون الإسلام بهذه الصورة الغريبة عنه بسذاجة ولم يلتفتوا إلى ما يجره من ازراء وتجريح مما قد يؤدي إلى اعتقاد البعيد عن تعاليمه فيه ذلك.

(١) هنا يشير الشيخ صلاح برقم(١) إلى التعليق بهامش الصفحة وهو قوله ((راجع صفحة٤١٣ في المجلد الثاني من الجزء الأول من كتاب ((قلائد – كذا– النحر في وفيات أعيان الدهر)) للعلامة ابن مخرمه الحضرمي الموجود بدار الكتب المصرية)) وسيتبين لك ما ينكشف به هذا التمويه لدى المقابلة بين ما جاء بكتاب ابن مخرمه هذا وبين ما يدّعيه الشيخ صلاح، ويتاح لك فوق ذلك أن تبصر إلى أي غاية يذهب التحامل بصاحبه، وإلى أي مدى يبلغ التطاول على مقررات العلم، وكيف أن المنقول في كتاب ابن مخرمة المشار إليه هو نفس المصرح به في بقية كتب المؤرخين الحضرميين، من كون الإمام أحمد بن عيسى قد اشتهر نسبه الشريف حين قدومه حضرموت، وذلك قد كان حوالي العقد الثالث من القرن الرابع للهجرة.

أما واقعة ذلك الإثبات التاريخي الفذ وهي ما سوّل للشيخ صلاح أن يثير حولها مثل هذه المحاولة إذ خُيّل له أنه بما يصنع من ترهات وأوهام من خلفها وأمامها قد يصل إلى أن يغبر في وجه هذا الإثبات بأي تشويه أو تحريف للرواية يكون في مقدوره.

فهذه الواقعة يكفي إجمالاً لرد ما يقصد ترويجه حولها من ترهات وأوهام أن نقول: إنها ليست كما يوهمه كلام الشيخ صلاح، فالإمام احمد بن عيسى كانت وفاته كما هو معروف سنة ٣٤٥، وهي أي الواقعة إنما كانت بتريم قبيل منصرم القرن السادس وبعد أن تحول آل أبي علوي إليها من بيت جبير.

وما يصوّره الشيخ صلاح من سذاجة كان الحضرميون بزعمه عليها في ذلك العهد لا يلتئم مع ذلك التحفظ الزائد والاحتياط الحازم الدقيق الذي جرى في تسليم الحضرميين النهائي بثبوت نسب آل أبي علوي فانه كما يصرح ابن مخرمه وغيره لم يتم التسليم إلا بإقامة البينة التأكيدية بحضرموت بعد إقامتها بالبصرة ، وبتلك الطريقة التي تعطي صورة قطعية عن ثبوت هذا النسب هناك. ولو لم يوجد في الأمر إلا أن هذه الواقعة كانت في وقت اختصاص تريم وحضرموت بالعلماء وجرى الشأن فيها على ملأ من أولئك الثلاثمائة المفتى الذين كانوا إذ ذاك بتريم في ذلك العصر التاريخي الذهبي العهد الفقهي الممتاز الذي هو أزهى عصور العلم والدين بحضرموت لكان في ذلك ما يكفي ويغني عن التفصيل.

شهادة قاضي البصرة وبعض الحجاج البصريين إلى العلماء، فرفضها كثير من الناس – كذا- لعدم استنادها إلى براهين تاريخية –كذا-، واعترف بها وصحح عليها بعض العلماء كالقاضي عبد الرحمن بن علي أبي حسان، والعلامة الشيخ فضل بن عبد الله فضل، والعلامة الشيخ محمد بن احمد بن أبي الحب، والعلامة الشيخ عبد الله بن أسعد اليافعي، والعلامة الشيخ محمد بن أبي بكر عباد، والعلامة الشيخ أحمد بن محمد بن سالم المرواني التريمي.

وبالرغم من عدم اتفاق الناس – كذا- على ادعائهم النسبة لأهل البيت فقد بذل آل باعلوي كل مستطاع في توطيد مركزهم الروحي، وتظاهروا بالصلاح والتقوى، وعملوا بكل ما عرفوا به من الدهاء لجلب الناس إلى تقديسهم، والتوسل بهم. ولقد نجحوا في ذلك وفازوا بالسلطة الروحية دون غيرهم، وتضاءلت سلطة العلماء الدينية أمام سلطتهم، ولقد توطدت هذه السلطة وتوغلت عروقها في أحشاء الشعب الحضرمي حينما شرع بعض آل باعلوي يبنون القباب على بعض موتاهم رحمهم الله ويدعون الناس إلى تقديس تلك المقابر والتوسل بها –كذا-، وتقديم النذور والقرابين –كذا- لها. هكذا أصبح الحضارم يقدسون آل باعلوي الأحياء منهم والأموات (الخ) انتهى كلام الشيخ صلاح البكري.

أما ما أورده العلامة المؤرخ الطيب بامخرمة في (قلادة النحر) مما قد استوفينا نقله برمته في الفصل الثاني من القسم الأول من هذا الكتاب، فسنقتصر على أن ننقل منه الشطر الأخير، وهو ما يدّعي النقل عنه الشيخ صلاح.

ولابد مع العلم بما أسلفناه في أول الكتاب عن اعتمادنا في هذا النقل عن تلك النسخة[1] التي هي شقيقة نسخة دار الكتب المصرية التي يشير الشيخ

(١) وهي النسخة الموجودة بمكتبة آل بن سهل بتريم، وقد كتبت بتاريخ جمادى الآخرة سنة ٩٨٧ بقلم عمر=

صلاح إلى اعتماده في النقل عليها[1] ومع بيان أن هذه النسخة هي منقولة أيضا كأختها عن مسودة المؤلف – أن نذكر ما اتفق أننا سمعناه ممن تحقق من إخواننا العلويين بسنقافورة بواسطة بعض نزلاء العلويين بالقاهرة بأن النقل عن هاتين النسختين متطابق بالتمام، وقد بعث إليه فعلاً ذلك البعض بصورة ما جاء في نسخة دار الكتب لكي يتأكد من الأمر.

أما مدعاة ما حصل بسببه هذا البحث والتحقيق فهي محاولة الشيخ صلاح هذه التي نحن بصددها.

ولنعطف بعد ما قدمنا، ونأخذ في سوق كلام العلامة المؤرخ الطيب بامخرمة، وإيراده على وجهه، دون تصرف، ولا حذف.

قال بامخرمة بعد ذكر وفاة الإمام أحمد بن عيسى، ولدى ذكره لعقب ابنه عبيد الله، وما كان من انقراض بني بصري وبني جديد، وهو ما لفظه ((ولم يبق من نسل عبيدالله بن أحمد بن عيسى إلاَّ نسل الشيخ علوي بن عبيدالله، جد آل باعلوي، قال الخطيب: ولما قدم أحمد بن عيسى المذكور، ومن معه إلى

= ابن إبراهيم الحباني. وقد انتهى المؤلف فيها كشقيقتها إلى سنة ٩٢٧ وقال الكاتب فيها ما نصه ((انتهى ما وجدناه من هذا التاريخ بخط المصنف رحمه الله ونفع به مسودة واخترمته المنية قبل أن يبيّض فبيّضناه بحسب الطاقة والإمكان)).

(١) نسخة دار الكتب المصرية هذه مخطوطة بقلم يحيى بن أحمد علي الصعدي الشافعي قال كاتبها: ((انتهى ما وجدناه من هذا التاريخ بخط المصنف رحمة الله ونفع به مسودة واخترمته المنية قبل أن يبيّضه فبيضناه بحسب الطاقة والإمكان واتفق الفراغ من زبره يوم الثلاثاء تاسع شهر ربيع الأخر أحد شهور السنة الأولى بعد الألف من هجرته صلى الله عليه وسلم)).
ويوجد أيضا بدار الكتب المصرية نبذة في نسب الإمام أحمد بن عيسى عنوانها بالحرف الواحد ما مثاله: ((نبذة في نسب السيد أحمد بن عيسى بن محمد بن علي بن جعفر الصادق بن محمد الباقر بن علي زين العابدين بن الحسين بن علي بن أبي طالب، وذكر ذريته – وهي منقولة من كتاب (قلادة النحر في وفيات أعيان الدهر) للعلامة أبي محمد الطيب بن عبد الله بن أحمد بن علي الملقب بأبي مخرمة نسخة ضمن مجموعة في مجلد مخطوطه بقلم معتاد بخط السيد إسماعيل بن الحسن الحميري، والمعروف بالحره فرغ من كتابتها بمدينة صنعاء في شهر رجب الفرد سنة ١١٤٣ هجرية.

حضرموت، وادعوا النسبة الشريفة اعترف لهم أهل حضرموت بالفضل، وما أنكروه، ثم إنهم بعد ذلك أرادوا إقامة البينة توكيداً لما ادعوه، وكان بتريم إذ ذاك ثلاثمائة مفتي، فسار الإمام المحدث علي بن أحمد[1] بن أبي جديد إلى البصرة، وأثبت نسبهم عند قاضيها، وأشهد على إثبات القاضي نحو مائة شاهد ممن يريد السفر إلى الحج، ورقب بمكة حجاج حضرموت على أولئك الشهود، فلما قدموا حضرموت، وشهدوا بذلك اعترف الناس لهم بالنسابة الشريفة، وأقروا لهم بالفضل والحرمة، وأجمع على ذلك العلماء والصالحون. قال: وممن صحح علو شرفهم وصحة نسبهم الإمام محمد بن أحمد بن أبي الحب، والإمام أبو العباس أحمد بن محمد بن أحمد بن سالم المرواني التريمي، والعلامة المحدث قطب الدين عمرو بن علي، والإمام القطب عبدالله بن أسعد اليافعي، والإمام الجليل محمد ابن أبي بكر عباد، والشيخ الشهير فضل بن عبدالله فضل، والقاضي المحقق عبدالرحمن بن علي بن أبي حسان، والفقيه العالم مسعود بن سعد باشكيل في كتابه الذي ألفه في العلماء والصالحين انتهى والله اعلم)).

هذا ما ذكره بامخرمة في تاريخه (قلادة النحر)، وبالمقابلة بينة وبين كلام الشيخ صلاح الذي عمدنا إلى نقله فيما تقدم يظهر لك الفرق الهائل بين فحوى الكلاميين أو بين نقل بامخرمة ((والتاريخ بابه النقل))، وفحوى كلام الشيخ صلاح، وهو الذي يلوح منه أن الشيخ صلاح يريد أن يبتكر طريقة جديدة في التاريخ أساسها (ارتجال روايات مفتعلة أو انتحال وقائع خيالية).

فمن النقط الأساسية التي يظهر فيها الاختلاف ويقع فيها التباين بين العلامة المؤرخ بامخرمة وصاحبنا الشيخ صلاح هذه النقط المبينة بالتفصيل كما يلي:

---

(١) كذا في الأصل وصوابه (علي بن محمد) وكأن هذا الغلط وقع في نسخة الأم أعني مسودة المؤلف التي تم عنها استنساخ نسخة مكتبة آل بن سهل بتريم ونسخة دار الكتب المصرية، وهما قد علمت شقيقتان وعن نسخة الأم تطرق إلى هاتين النسختين ذلك الغلط؛ ولهذا تبصرهما وقد توارد كاتباهما عليه بصورة واحدة.

وقد وضعنا كل نقطة تختص بموضوع من كلام الشيخ بإزاء ما يقابلها مما ذكره بالمخرمة توضيحا للمقام وتسهيلا للمقابلة.

الموضوع:

(أ) *إلى أي عهد يرجع إشهار هذا النسب؟*

ما هو فحوى كلام الشيخ صلاح فيما يزعمه؟	ما هو فحوى تصريح العلامة بالمخرمة فيما ينقله؟
قد رأى آل با علوي من بعد	لما قدم أحمد بن عيسى وادعى
أحمد بن عيسى أن يوجدوا لهم مركزاً فادعوا النسبة لأهل البيت ولكن الحضارم لم يؤمنوا بادعائهم	النسبة الشريفة[1] لم ينكر ذلك أهل حضرموت

(١) تتميما للفائدة نثبت هنا في هذه القطعة المنقولة ما سبق لنا إيراده في الأصل بهذا الصدد (في أوائل الفصل الأول من القسم الثاني من الكتاب) وذلك عند نقلنا لكلام الخطيب في (الجوهر الشفاف) وهو الكتاب الذي اعتمده بالمخرمة، فقد ألممنا بشيء من البحث في موضوع هذه النقطة كتوفية لهذا المقام حيث قلنا:

«إن هناك لدى الباحث المنقّب والمحقّق المدقّق أموراً وحقائق جليلة أخرى قد تجعل الموقف أمراً لا يقبل الشك في ذلك الذي يصرح به النقل عن (الجوهر) للخطيب و(التحفة النورانية) لباوزير و(قلادة النحر) لبالمخرمة عما وقع من إشهار الإمام المهاجر وبني المهاجر أمر نسبتهم لأهل حضرموت لدى قدومهم إلى هذا القطر.

فمن هذه الأمور والحقائق ذلك الأمر الذي هو من أدل شيء على أن المهاجر وبني المهاجر كانوا يتظاهرون بحقيقتهم ويجاهرون بنسبتهم وعلويتهم كما تظاهروا ببصريتهم، وأنهم اتخذوا ذلك الاسم الذي هو في الأصل لقب لكل علوي من بني الإمام علي بن أبي طالب كرم الله وجهه، فابتكروه وجعلوه اسما بالذات للإمام علوي بن عبيد الله (وكان ميلاده بحضرموت كأخيه جديد بخلاف شقيقه بصري الذي ولد بالبصرة قبيل الهجرة) قال في (المشرع): «وهو أول من سمي بهذا الاسم».

وهذا كما ترى غاية في التظاهر والإعلان عن علويتهم وفي التعريف والإشعار بشريف نسبتهم كما أن تسمية أو تلقيب شقيقهم بصري بن عبيد الله الذي هو أكبر منه سناً إعلاناً لبصريتهم فيما سبق بتلك الطريقة نفسها. =

الموضـوع:

(ب) الأمر الداعي للإثبات.

الشيخ صلاح	العلامة بامخرمة
الحـــضارم لم يؤمنـــوا بادعـــاء آل	ثم لما أرادوا منهم[1] إقامة البينة بتريم
باعلوي؛ لعدم وجود أدلة تثبت ما	توكيـداً، وكـان بهـا إذ ذاك ثلاثمائة
قالوه؛ لذلك اضطر آل با علوي أن	مفتي سار الإمـام علي بن جديد إلى
يبعثـوا واحـداً مـنهم إلى البـصرة،	البـصرة إلى آخـر مـا نقلـه مـن تلـك

= فكم تكون التسمية بهذا الاسم الجديد (علوي) بحضرموت في ذلك العهد مثيرة للانتباه العام من جهة، وموصلة لإدراك الغرض المقصود بتلك التسمية المبتكرة من الجهة الأخرى إلى آخر ما ألمعنا إليه في نهاية هذه الإلمامة.

(١) نعلق هنا ما كتب به إلينا فضيلة القاضي العلامة علوي بن عبد الله السقاف من الاستدراك حول هذه النقطة وعما هو مرجع الضميرين في قول أبي مخرمة (ثم إنهم بعد ذلك أرادوا إقامة البينة) قال يظهر من كلام المؤلف الأخ عبدالله بن حسن أنه لأهل حضرموت، ولهذا أراد عند الموازنة لفظ منهم مع أنها ليست من كلام أبي مخرمة ويدل لما فهمه أنه أقرب مذكور.

ولكن فحوى الكلام يدل على أن مرجع الضمير هو أحمد بن عيسى ومن معه وذريته، ويدل عليه التعبير بأرادوا لا بطلبوا وهما وإن كانا متفقي المعنى لكن قد يدرك الذوق فرقا بينهما في التعبير، فهم لم يطالبوا بإقامة البينة، لأنها لا يطلبها إلا المنكر، ولا تقام إلا عليه، وأهل حضرموت لم ينكروا، وإنما حملهم التأكيد لما ادعوه بطريقه الشرعي؛ قطعا لكل ريبة يرتابها ويتعلق بها مثل صلاح ومن حذا حذوه.

هذا ما كتبه فضيلته ومع اعترافنا بفضل مكانة حضرته في علم التحقيق والتدقيق، ومع ما قد يبدو لأول وهلة للناظرين من سياق العبارة أنه ملاحظ عليه فإن ما هو مقرر من نقل (المشرع الروي) مما جاء في صراحة قوية أو مما أورده بالتفات تام في هذا المقام – كما يعبر بذلك بعض علماء القانون – لا شك أنه أولى بالتقديم بما انه نقل عن المؤرخ الحجة، وخاصة في مسألة تاريخية تتصل بهذا الموضوع – وأنه يقتضي أن لا نميل إلا إلى ما كنا ذهبنا إليه مما يؤيد هذا الفهم.

وللفائدة ننقل كلام (المشرع) كما في صحيفة(٢٩) وهو ((وقد ذكر علماء هذا الفن حكاية تشير إلى تفاصيل أصله وتدل عليه بمختصر القول وفصله وهي أن السادة بني علوي لما استقروا بحضرموت أراد بعض أئمة ذلك الزمان أن يؤكدوا تلك النسبة المحمدية والوصلة الأحمدية فطلب منهم تصحيح نسبهم الشريف وتحقيق شرفهم المنيف بحجة شرعية وأدلة مرضية، والظاهر أن الحامل له بعض من عنده نزعة إباضية..الخ)).

فرحل الشيخ علي بن جديد إلى البصرة إلى آخر ما ذكره بهذا الصدد.	الرواية الشهيرة.

* * *

الموضوع:

(ج) *هل بقي بحضرموت بعد هذا الإثبات شيء سوى التسليم الاجماعي التام بهذا السبب؟*

الشيخ صلاح	العلامة باخرمة
لما قدِم علي بن جديد بشهادة قاضي البصرة وبعض الحجاج البصريين إلى العلماء بحضرموت رفضها كثيرون من الناس، واعترف بها وصحح عليها بعض العلماء- إلى قوله- وبالرغم من عدم اتفاق الناس على ادعائهم النسبة لأهل البيت بذل آل با علوي ما عرفوا به من الدهاء لجلب الناس إلى تقديسهم، ولقد نجحوا في ذلك وفازوا بالسلطة الروحية دون غيرهم ... إلى آخر كلامه	لما قدم الشهود إلى حضرموت وشهدوا بذلك اعترف الناس لآل أبي علوي بالنسبة الشريفة، وأقروا لهم بالفضل والحرمة، وأجمع على ذلك العلماء والصالحون ... إلى آخر ما صرح به.

وبما اتضح من هذه المقابلة تكون نتيجة تقرير الاختلاف فيما هذا تلخيصه فالاختلاف في نقطة الموضوع (أ) يقع في أن مقتضى كلام الشيخ صلاح هو أن الإمام أحمد بن عيسى لم يدع بالنسبة لأهل البيت، ولّما ادعى ذلك آل باعلوي من

بعده، وأن الحضارم كانوا ينكرون انتساب الإمام أحمد بن عيسى لأهل البيت من الأصل مما اضطر آل باعلوي ذلك في النهاية إلى تكلف الإثبات، وهو نقيض ما يصرح به العلامة بامخرمة، من كون الإمام أحمد بن عيسى قد أشهر نسبه بحضرموت منذ قدومه، وأن أهل حضرموت لم ينكروا ذلك[1].

وفي نقطة الموضوع (ب) ينحصر الاختلاف فيما هو الأمر الداعي للإثبات، فعلى مقتضى كلام الشيخ صلاح أن الحضارم ما برحوا منذ البداية غير مسلمين

(١) مما يقع موقع الاستغراب تعامي الشيخ صلاح عما صرح به العلامة بامخرمة في نقله من قوله: (ولما قدم أحمد ابن عيسى المذكور، ومن معه إلى حضرموت، وادعوا النسبة الشريفة اعترف لهم أهل حضرموت بالفضل وما أنكروه) فقد تجاوز الشيخ صلاح هذا الموضع الذي يقع في صدر الكلام إلى غيره، وكأنه فيما يخيل لا يرى أية قيمة لمثل ذلك التسليم الابتدائي الذي يشير إليه هذا التصريح.
وإنه ليكفي في تفنيد مثل هذا الرأي أنه لو صح لكانت تلك الأسر المتعددة الشهيرة التي وجدت بحضرموت والتي تعود بانتسابها إلى بطون وقبائل شتى بعضها بالحجاز وبعضها باليمن وبعضها بعمان أو العراق – غير معتبرة فيما يعرف اليوم من انتسابها إلى تلك البطون والقبائل بسبب أن هذا المعروف لا يعلم عنه سوى أنه متلقى بطريق هذا التسليم الابتدائي الذي ينبي على أن الناس مؤتمنون على أنسابهم.
ومما ينبغي الإشارة إليه أن التسليم الابتدائي الذي وقع في دعوى الإمام أحمد بن عيسى قد اختص بمزية ذات شأن قام أمره أيضا عليها، وبلغ من قيمة الاعتماد والاستناد إليها أن اقتضى ذلك إشارة كتب التاريخ ألا وهي مزية الفضل المعترف به لشخصية المدعى مما قد يقوم غالبا كقرينة أو شاهد حال فيقتضي الميل إلى تصديقه في دعواه.
وأيا كان هذا الفضل فإن المراد الذي تقتضيه بالأول قرينة المقام في قولهم (اعترف لهم أهل حضرموت بالفضل وما أنكروه) لهو فضل العلم الغزير والتربية الدينية الكاملة حيث يندر أن يتعرض المتصف بذلك للوقوع فيما يلام عليه من الأمور المكروهة البسيطة فضلا عن الإقدام على أمر كهذا يرد فيه ذلك الوعيد الشديد كما في حديث البخاري ومسلم (من ادعى إلى غير أبيه أو انتمى إلى غير مواليه فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين لا يقبل الله منه يوم القيامة صرفاً ولا عدلاً).
ومن النظر إلى الظروف المذهبية والسياسية السائدة بحضرموت في عصر قدوم الإمام أحمد بن عيسى نجد أنه ربما تكون المصلحة أوفى للعلوي الذي يفد إلى حضرموت في تلك العهد ويكتم علويته – منها إلى العلوي الذي يتظاهر بحقيقة نسبته.
فكيف يظن بالأولى بوجود من يسعى بحضرموت وخاصة في تلك الظروف لانتحال النسب العلوي وادعائه، وحسبك أن حضرموت لا تعرف من الاتصال بالعلويين على العموم إلا أن أول علوي وطئ قدماه حضرموت واختص هو وذريته بسكنها كان هو الإمام أحمد بن عيسى.

أصلاً بانتساب الإمام أحمد بن عيسى لأهل البيت، وقد كان هذا هو الذي حمل آل باعلوي على ذلك الإثبات.

أما العلامة بامخرمة فيصرح بأن الأمر الداعي للإثبات هو التوكيد لما ادعوه ،أي توكيد دعوى حقيقة هذه الانتساب الذي كان قد جرى به التسليم الابتدائي منذ قدوم الإمام أحمد بن عيسى حيث إن الغاية التي تترتب على هذا الإثبات أن يستقر الأمر فيما جرى من ذلك التسليم الابتدائي في نصابه الشرعي، وأن يتقرر بصورة نهائية قاطعة لهذه النسبة المصطفوية الشريفة من الوجهة الفقهية مركزها الديني الممتاز.

إذ من المعلوم أن ذلك خير ما يفعل لضمان رعاية حق هذه النسبة في المجتمع، وحياطة كرامتها لدى العموم، وخير ما يؤتى لقطع ألسنة المتقولين المفروض إتيانهم في عصر انحطاط العلم والدين بحضرموت كما هو واقع في هذا العصر من الشيخ صلاح ومن قد يحذو حذوه.

وقد يكون هذا الاختلاف في نقطة الموضوع (ج) من أعظم الأمثلة على تهور الشيخ صلاح، وليس يعود هذا إلى أن المخالفة التي يبديها ويجنح إليها جزافاً واعتباطا لا تستند إلى أي برهان أو دليل تاريخي، فان هذا قد كان شأنه فيما تقدم من الاختلاف.

لكن الذي نعنيه هو تصديه للخوض في مسألة أصولية دينية مع الجهل الفاضح، وتعرضه لمخالفة العلماء مع عدم الفهم، أو فيما لا يعقل المراد منه، ففحوى ما يصرح به العلامة بامخرمة في هذه النقطة التي نحن بصددها يشير إلى ما أعقب ذلك الإثبات من شدة اعتراف الناس لآل أبي علوي بالنسبة الشريفة وزيادة الإقرار بفضلهم، ويقرر في قوة وبيان انعقاد الإجماع الكلي بحضرموت من علماء الأئمة وصالحيها قاطبة على التسليم التام لآل أبي علوي في دعواهم هذه النسبة، ولكن الشيخ صلاح الذي لا يفقه معنى الإجماع ولا معنى الاتفاق

المصطلح عليه لدى العلماء يقول كلاماً يقتضي (كما هو معلوم مما نقلناه عنه حرفياً فيما تقدم) أن ذلك الإثبات لما قُدِّم للعلماء قوبل برفض كثيرين من الناس -كذا- والذين اعترفوا وصححوا -كذا- هم بعض العلماء، ولم يقع اتفاق على التسليم لآل أبي علوي في دعوى انتسابهم لأهل البيت[1].

فذكره للناس غير العلماء فيما يقوله عن رفضهم أو اتفاقهم بفرض التسليم بذلك مما لا محل له في هذا الموضع، فما هي صلة الناس غير العلماء في مسألة اجماعية كهذه وهم من لا يعقد بإجماعهم واتفاقهم، ولا يعبأ برفضهم أو قبولهم. وإنما الإجماع كما هو مقرر في محله هو إجماع جميع العلماء والاتفاق اتفاق

(١) لعلنا لسنا بحاجة للإشارة إلى التضارب المدهش بين تصريح العلامة بامخرمة وكلام الشيخ صلاح، إذ ينص الأول على اعتراف الناس وتسليمهم نهائياً في هذه القضية، وإذ يأتي الآخر فيقطع بخلافه زاعما بأن الكثير منهم قد رفضوا التسليم بذلك لعدم استناده إلى براهين تاريخية.
فليت شعري هل أصبح صاحبنا الشيخ صلاح أوسع إحاطة من الطيب بامخرمة العلامة المؤرخ والقاضي المحقق والنحرير المتفنن -بما يسميه بالبراهين التاريخية- وهو ما يحاول هنا أن يوهمه غيره.
أو بتعبير آخر أعلم بتلك البراهين التي يتم بها تحقيق الأنساب وتمحيصها وينبني عليها ثبوتها والحكم بصحتها عند أئمة النسب وفي الأوساط الفقهية والدوائر القضائية. وهل يا ترى أن الأمر قد انتهى إلى حد أن يخفي موطن الضعف وموضع الخلل في هذا الاعتراف والتسليم على العلامة بامخرمة وأضرابه من علماء الحضرميين (مؤرخين ونساب وفقهاء وقضاة) منذ تلك العصور الذهبية وعلى مدى هذه القرون المتطاولة وأن ينكشف للشيخ صلاح وللشيخ صلاح وحده فقط جلياً واضحاً هذا الخلل، وبنوع خاص في ناحية ما يسميه بالبراهين التاريخية وهو الذي كم يكون من المؤسف جداً أنه لم يتكرم على العلم والتاريخ بالإفصاح عنه سيما في هذا الموقف الذي هو أحوج ما يكون فيه إلى الإفصاح.
أما إنه قد يبقى الكلام: أي أناس هم أولئك الذين يشير إليهم الشيخ صلاح وقد كانوا لم ينفكوا يرفضون ما سلّم به العلماء مما ظاهرهم الجمهور عليه فذلك مما قد يهم من يحذو حذو الشيخ صلاح أن يجد في البحث عنه.
وأما ما يمكن أن يفهم في هذا المقام فهو أنه هيهات أن تبقى شبهة لمرتاب تلقاء هذا الإثبات المنقطع النظير وهذه الواقعة التاريخية الفذة والحادثة الداوية التي قد تردد صداها في الأوساط الحضرمية وانتشر ذكرها المتواصل في تاريخ حضرموت (كما قد ألمعنا إلى هذا في موضع آخر من الكتاب).
فانظر النقل عن (الجوهر) للخطيب المتوفى سنة ٨٥٦، وعن(التحفة النورانية) للعلامة الفقيه عبدالله بن عبدالرحمن باوزير، وهو من معاصري صاحب (الجوهر) كما تنظر ما بين يديك من هذا النقل عن العلامة الطيب بامخرمة.

معظمهم وأكثرهم على حكم شرعي، ومن عمم اقتصر في تعريفه على حكم.

وكذلك فيما يذكره بأن بعض العلماء هم الذين اعترفوا وصححوا ومراده بهذا إما أنه يشير إلى من نص منهم على ذلك أو إلى علماء آخرين يقصدهم سواهم.

وإما أن مراده أنه يطمع أن يقرر بهذا أن بقية العلماء ممن عدا من تقدمت الإشارة إليهم قد رفضوا التسليم بهذا الإثبات ودعوى آل أبي علوي الانتساب لأهل البيت، فإن كان يريد الأول فإنه مع التنزل على هذا الذي يقصده معتبر أي نص بعضهم إجماعاً وحجة عند عامة علماء أهل السنة فإنهم قالوا إذا نص البعض وسكت البعض لا عن خوف وضرورة بعد اشتهار القول وانتشار الخبر ومضى مدة التأمل فذلك إجماع وحجة.

وإما إن كان يريد الأمر الثاني وهو تقرير ما يدعيه من رفض بقية العلماء التسليم بالإثبات ودعوى انتساب آل أبي علوي لأهل البيت فيطالب إذاً عمن نقل رواية هذا الرفض، وما هي أسماء هؤلاء البقية من العلماء، دع ذكر هويتهم ومكانتهم العلمية، والعصر الذي كانوا يعيشون فيه.

ولن يكون التحدي في مطالبته بإثبات مدعاه بهذا الصدد قاصراً على أمثالنا، بل إن كتب التاريخ الحضرمي الخالية عن مثل هذا وما يشبهه لتتحداه بمحتوياتها في إبراز ما يكون لديه من أدلة وبراهين بهذا الصدد، وإلا فهي دعاوى عديمة البينة، وكلام أجوف عائدته في الاعتبار العلمي والتحقيق التاريخي سقوط مكانة قائله، ومن يعزى إليه وكفى بهذه النتيجة فشلاً وإخفاقاً.

* * *

كتب حضرة الأديب الشاعر، نابغة العصر السيد عبد الله بن أحمد بن يحيى هذه الدرر النفائس ذكرى مطالعته للرسالتين وهي مسك الختام:

بسم الله الرحمن الرحيم

كشفتَ على الدُّرِ والجوهر ... بمبحثِكَ الفذِّ في أسْطُرِ
وصنتَ المُهاجِرَ في قبره ... من القاصرِ الطرف والساخِرِ[1]
وصُنتَ المشجَّرَ مِن جذرِه ... وسلسلة النسبِ الأطهرِ
ركبتَ الصُّهى فكسبتَ الوَغَى ... بدونِ سلاحٍ ولا مِغْفَرِ
فلله خيلُكَ من صاهلٍ ... ولله سيفُك مِنْ باترِ
ولله دَرُّكَ مِنْ باحثٍ ... رفعتَ القناع عن الناظرِ
بحوثٌ تُدين لبحَّاثها ... وتشهد بالحذق للقسطري[2]
ثَملنَا بها خمرةً من هُدى ... فَأعْجِبْ به من هُدىً مُسْكِرِ
سيحصي عليك سجل الحياة ... أيادٍ ستبقى على الأعصر

دار العروبة ٥ ربيع الأول سنة ١٣٤٧

فمنداغن جاكرتا



(١) يعني الشاعر بـ(القاصر الطرف) فضيلة الأستاذ الحجري وبـ(الساخر) الشيخ صلاح البكري.
(٢) القسطري منتقد الدرهم.

الحياة الثقافية والمذهبية بحضرموت

منذ وقبل

قدوم الإمام المهاجر

الحمد لله المرشد الهادي إلى منهج الحق بقويم الحجة، والصلاة والسلام على سيدنا محمد من أنارت شمس وجوده الأكوان، فغمرت عوالم الوجود بفيوضات النور وسناء البهجة وعلى آله وصحبه، وأتباعه السالكين أقوم سبيل، المتحرين انتهاج أعدل محجة.

أما بعد: فقد سألني بعض الإخوان المواطنين عما أورده الأستاذ سعيد بن عوض باوزير بكتابه المسمى (صفحات من التاريخ الحضرمي) في الفصل الذي عقده في ترجمة سيدنا الإمام المهاجر أحمد بن عيسى العلوي حول النقاط الآتية: وهي قوله:

١. إذا لم يكن للمهاجر كبير أثر في الحياة الثقافية بحضرموت حال حياته فإنه وضع بذرة مقاومة المذهب الإباضي ومحاربته، وساعد على انتشار مذهب الإمام الشافعي وعقيدة أهل السنة.
٢. وإذا كان السيد المهاجر قد انتشر به مذهب الشافعي بحضرموت ليس معناه أنه لم يكن به شافعي قبله؛ لأن الانتشار غير مجرد الوجود.
٣. ذلك النقل من كتاب (التوبيخ) للحافظ السخاوي من ظهور المذهب الشافعي باليمن، وتعليق الأستاذ سعيد باوزير على كلام السخاوي بقوله: ((إن كلام السخاوي صريح في أنه يقصد باليمن ما يشمل حضرموت)).

ومن رأي هذا السائل أن هذا الذي يحاول أن يقرره الأستاذ سعيد باوزير في الموضوع لهو شيء يستحق توجيه عناية الباحثين، وتكريس جانب من دراسات المؤرخين، وتمحيصات المحققين كنقطة ذات أهمية في التاريخ الثقافي، والتطور

المذهبي بحضرموت.

وبسبيل الشروع في الإجابة على هذا السؤال يعن لي أن أبدأ هذا البحث الموجز بما كان قد سبق لي من جواب مقتضب في أهم نقاط هذا الموضوع على سؤال شخصي كان قد تقدم به إليَّ حضرة مدير معارف الدولة الكثيرية السيد علي بن شيخ بلفقيه منذ بضع سنوات أثبتُّ هنا صورة هذا الجواب برمته بين يدي الشروع في هذا الجواب، تمهيداً للكلام، وتيسيراً للإحاطة بما كان، ولا يزال يظهر لي في الموضوع بما أعول على اعتماده بهذا الصدد وهو كما يلي:

الحمد لله ..

حضرة الأخ العزيز / علي بن شيخ بلفقيه حرسه الله تعالى

وبعد السلام، بخصوص سؤالكم عن ظهور المذهب الشافعي بحضرموت، وهل يرجع إلى ما قبل قدوم الإمام المهاجر إليها؛ لأن بعض الناس ذكر لكم أن هذا هو ما يعتقده ويظهر له من تحقيقاته بهذا الصدد.

أفيدكم أن كل ما وقفت عليه بخصوص ظهور المذهب الشافعي في اليمن على العموم، وتحقيقه منذ مدة ترجع إلى أول اهتمامي بدراسة هذه النقطة هو أن ذلك يقع حوالي أواسط القرن السابع.

واتفق لي أخيراً العثور على مقال يدل على أن هذا الذي تحققته هو ما يقرب إلى الصواب إن شاء الله تعالى، فقد قرأتُ في كتاب (أنباء الزمن في أخبار اليمن) ليحيى ابن الحسين بن المؤيد اليمني[1] في القسم الأول المطبوع من هذا

(١) من علماء النصف الثاني من القرن الحادي عشر ابتدأ في تأليفه سنة ١٠٠٥ وجمعه من نحو سبعة وخمسين تاريخاً، ورتبه على السنين، ووصل فيه إلى سنة ١٠٤٦، وبيّن فيه حدود بلاد اليمن، وسيرة النبي صلى الله عليه وسلم، ودولة الخلفاء الراشدين، ومن بعدهم من الملوك والسلاطين، وذكر الحوادث والوقائع التي حصلت في بلاد اليمن في عهد الخلفاء والملوك، وتراجم الأعيان والفقهاء على اختلاف عصرهم، وغير ذلك اهـ بتلخيص عن فهرست دار الكتب المصرية (٥/ ٤١).

الكتاب بألمانيا سنة ١٣٥٥ هـ قوله في حوادث سنة ٣٠٠هـ : (و في هذه المائة الثالثة ظهر مذهب الشافعي في بلاد اليمن وكان الداعي إليه في الجند ومخلاف جعفر[1] عمر بن محمد الخواصي السكسكي ، وقيل: إنه لم يظهر إلا في المائة الرابعة وهو الأقرب والله أعلم).

ولا يخفى أنه لو قلنا إن ظهور المذهب الشافعي بحضرموت كان سابقاً لظهوره في بلاد اليمن لا يخفى أنه يستوجب عليه أولاً إثبات وجود حركة علمية قائمة ومعروفة بحضرموت وعلماء سُنّيين بذلك التاريخ وما قبله، أي فيما قبل منصرم القرن الثالث يمكّن ظهور هذا المذهب بحضرموت في عهدهم على يدهم و بواسطتهم، وهذه الحقبة أي في ما بين دخول المذهب الإباضي بحضرموت ومنصرم القرن الثالث مما لا تزال كما هو معروف من مجاهل التاريخ الحضرمي.

وإلى أن تنجلي المناقشات الدائرة، والتمحيصات القائمة حول هذه النقاط التاريخية المهمة، وما يتصل بها ينبغي للمؤرخ المتثبّت أن لا يقطع بتقرير شيء فيها، ولعلكم تتصلون بحضرة السرجنت، وتستفيدون منه المعلومات المفيدة التي يمكن أن يكون قد توصل إلى تحقيقها بهذا الصدد، وكذلك نود أن يفيدنا والتاريخ الحضرمي بواسطة تحقيقاته اللغوية الحضرمية بخصوص ما هو شائع الاستعمال بين الحضارم من انتسابهم إلى الجد الذي ينسبون إليه بكلمة (با) كقوله بارجا، بافضل، باحرمي، باكثير بمعنى ابن فضل، ابن رجاء، ابن كثير، وإلى أي زمن يرجع هذا الاستعمال الخاص بين الحضارم الذي هو بمعنى المبنّى وليس بمعنى المكنّا كما حقّق ذلك المؤرخون الحضرميون منهم مؤلف (الطراز المعلم) الشهير

(١) نسبة إلى جعفر مولى ابن زياد تقلد جعفر هذا أمر الجبال، واختط بها مدينة المذيخره، والبلاد التي كانت لجعفر هذا تسمى مخلاف جعفر، وهو أحد الكفاه والدعاة، وبه نمت دولة ابن زياد هكذا ذكر ذلك ابن المجاور في تاريخه المسمى (تاريخ المستبصر) وهو كتاب في صفة بلاد اليمن ومكة وبعض الحجاز وطبع القسم الأول منه بليدن (هولندا) سنة ١٩٥١م.

باسم: (السلسلة العيدروسية)[1].

ونرجو أن تبلغوه تحياتنا، وتحيات الأستاذ ابن هاشم، وتقديرنا الكبير لأبحاثه وتحقيقاته ذات الصلة بهذا الإقليم وتاريخه.

ودمتم موفّقين لما يرضاه الباري، والسلام. حرر في ٨ رجب سنة ١٣٧٣هـ الموافق ١٤ مارس سنة ١٩٥٤م.

أخوكم / عبد الله بن حسن بلفقيه

* * *

وبعد هذا الذي أوردته من صورة خطابي للسيد علي بن شيخ بلفقيه، ينبغي أن أشير إلى ما يبدو إليَّ من نتيجة تحقيقات بهذا الموضوع لحضرة السرجنت المومى إليه في الخطاب، وهو المستر ر. ب سرجنت، وهو المستشرق الإنجليزي المتخصص في الوقت الحاضر في الدراسات والبحوث التاريخية واللغوية المتعلقة ببلاد الجنوب العربي.

---

(١) كان لهذا الاستفهام بهذا الموضوع هي أن حضرة الشيخ الشاعر الأديب عمر بن محمد بن محمد باكثير، وكانت لي معه واقعة وهي: أنه قدم من بلدة سيئون في زيارة لتريم، وأتى إليَّ ليفيدني بأنه اطلع في (تاج العروس) للزبيدي على الفائدة الآتية وهي قول المؤلف (٣/ ٥١٧): «وعبدالله بن أحمد بن محمد بن عمر باكثير الشبامي ممن أخذ عن البخاري»، وقال إنه قد عرض هذا على العلامة السيد المرحوم عبدالرحمن ابن عبيد الله السقاف فوافق الزبيدي على ما ذكره من هذا النقل التاريخي، فقلت له لكن الذي يظهر لي أن هذا الذي ذكرتموه مما لا يصح تاريخياً، وأنه يغلب أن هناك خطأ وتحريفا وقع في كتابة كلمة البخاري، وأن أصل الكلمة السخاوي لا البخاري، فإن عبد الله بن أحمد بن محمد بن عمر باكثير الشبامي هذا هو المعروف بالمكي الذي صحب سيدنا العيدروس الأكبر، وهو معاصر للسخاوي، وممن أخذ عنه وقد ترجم له السخاوي في كتابه (الضوء اللامع) فكان أن دهش الشيخ عمر المذكور لما قلته هذا من الاستدراك، واتصل عند عودته إلى سيئون بالسيد العلامة بن عبيد الله وذكر أمر ما قلته فلم يكن منه رحمه الله إلا أن أدرك تسرعه فيما سبق منه من ذلك التصويب والتأييد ولم يسعه إلا أن يعدل إلى تأييد ما ذكرته وأوضحته، وأن ما وقع في عبارة (تاج العروس) قد يكون نتيجة سبق قلم من الناسخ، أو خطا مطبعي في تحريف الكلمة من السخاوي إلى البخاري.

أقول ينبغي أن أشير إلى ما جاء عنه من أثناء جواب له على سؤال (حول الحضارة بحضرموت) وهو الجواب المذاع من القسم العربي بالإذاعة البريطانية بلندن في برنامج لكل سؤال جواب وذلك بتاريخ مساء الأحد في ١١ ديسمبر سنة ١٩٥٥م.

فقد قال حضرته: ((إن حضرموت عندما وصل إليها السيد أحمد بن عيسى جد العلويين الحضرميين كانت إباضية المذهب، وبوصوله انتقلت الزعامة الدينية تدريجياً من الإباضية إلى العلويين))[1].

(١) لا يفوتنا أن نقابل بين ما هنا مما توصل إليه هذا المستشرق الإنجليزي سرجنت فيما ذكره من أنه بوصول سيدنا الإمام المهاجر أحمد بن عيسى إلى حضرموت انتقلت الزعامة الدينية تدريجيا من الإباضيه إلى العلويين وبين ما حققه قديما الشيخ الإمام العلامة المؤرخ عبدالله بن عبد الرحمن باوزير المعدود في طبقة الرعيل الثاني من مؤرخي حضرموت كابن حسان، والخطيب صاحب (الجوهر الشفاف)، وذلك كما في كتابه (التحفه النورانية) فقد ذكر أثناء الكلام عن نسب الإمام المهاجر،و هجرته من العراق إلى حضرموت بعد قوله بتلك الفقرة: ((رجعنا إلى ذكر السيد الإمام الشيخ شهاب الدين أحمد بن عيسى رضي الله عنه ونفع به)) وذلك حيث قال: ((وكان له عدة من الأولاد الصالحين والسادات المباركين، منهم الشيخ الكبير والقدوة الشهير الشيخ عبدالله بن احمد المشهور المذكور في (تاريخ البهاء) للجندي رضي الله عنه)) إلى قوله: ((وكان لما قدم السيد الشيخ المذكور أحمد بن عيسى رضي الله عنه ومن معه إلى حضرموت انتشر ذكرهم، وظهرت مكارمهم، وفضائلهم، ومحاسن أخلاقهم، وفاضت منهم البركات، وطمت منهم عموم النفحات، وشدت إليهم الرحال في الزيارات، واقتبست منهم العلوم ومحاسن الأخلاق والفهوم، وانجلت بهم ظلم الجهالات، واهتدى بهم أهل العقول من البريات، واقتدت بهم أرباب الألباب في سلوك الهدايات، واغتبط بوصولهم أهل حضرموت، وقاموا بعظيم حقهم، واعترفوا بفضلهم وعظيم حرمتهم)) إلى آخر ما ذكره من قضية إثبات نسبتهم الشهيرة بالعراق، فانظر إلى قوله ولما قدم ومن معه إلى حضرموت إلى قوله: ((وشدت إليهم الرحال، واقتبست منهم العلوم ومحاسن الأخلاق والفهوم، وانجلت بهم ظلم الجهالات، واهتدى بهم أهل العقول من البريات، واقتدت بهم أرباب الألباب في سلوك الهدايات، تجد ذلك قد عبرت عنه في إيجاز تحقيقات المستشرق الآنف الذكر، مما كان قد حدث بوصول سيدنا الإمام المهاجر إلى حضرموت من تحول الزعامة الدينية عن الإباضية تدريجياً إلى الإمام المهاجر، وإلى من بعده من سلالته أي شيئاً فشيئاً مع سير التطور المذهبي)). بطبيعة الحال وهو التطور الذي دخلت فيه حضرموت بانتقاله من الإباضية السائدة فيها بذلك العهد إلى مذهب أهل السنة والجماعة والمذهب الشافعي.

الموضوع الذي ينصب عليه السؤال:

وبعد هذا الذي قدمناه من التمهيد، فإن موضوع سؤال هذا الأخ المواطن الذي إنما ينصب على ذكر ما كانت عليه الحياة الثقافية والمذهبية بحضرموت قبل ومنذ قدوم الإمام المهاجر أحمد بن عيسى ليتطلب هذا الموضوع البحث في كشف ما كانت عليه الحالة السائدة بحضرموت فيما أعقب دخول المذهب الإباضي إليها في سنة ١٢٩هـ إلى قدوم سيدنا الإمام المهاجر، ونزوله بالهجرين ثم استيطانه بوادي حضرموت الرئيسي أي حوالي سنة ٣٣٣هـ ثلاثمائة وثلاثة وثلاثون هجرية[1].

ثم فيما تلا قدوم الإمام المهاجر إلى حضرموت، وسنقتصر هنا على ذكر حالة العهد الذي يمتد من حين تديّر الإمام المهاجر بوادي حضرموت الرئيسي بذلك التاريخ الآنف الذكر إلى حين انتقال بني المهاجر بعد نحو القرنين من الزمن إلى تريم وتوطنهم بها في سنة ٥٢١هـ خمسمائة وإحدى وعشرين هجرية.

* * *

الحياة الثقافية والمذهبية بحضرموت قبل قدوم الإمام المهاجر

من المعلوم أن دراسة أحوال هذه الفترة التي أعقبت قيام المذهب الإباضي بحضرموت دراسة علمية واضحة مما لا يزال من الأمور العسيرة، لاسيما ما يتصل بالحياة الثقافية.

فهذه الفترة هي الحلقة المفقودة والتي لا تزال من مجاهل التاريخ

(١) هذا هو ما يقتضيه الأخذ مما نقله الحبيب عيدروس بن عمر الحبشي في كتابه (عقد اليواقيت الجوهرية) عن شيخه سيدنا الإمام العلامة عبدالله بن عمر بن يحيى من كون إقامة الإمام المهاجر في حضرموت كانت نحواً من اثنتي عشر ١٢ سنة، مع العلم بأن وفاته أي الإمام المهاجر سنة ٣٤٥ هـ ثلاثمائة وخمس وأربعون عاما هجرية.

الحضرمي، وبخاصة فيما يتصل بتعرف الحياة الثقافية بحضرموت التي كانت عند وبعد أن غمر البلاد الحضرمية طوفان انتشار المذهب الإباضي.

ولا ينفك المؤرخ ينقب للعثور عما عسى أن يتوصل به إلى تحقيق ما ينم عن وجود أي حركة علمية ولو بحضرموت الداخل بذلك العهد، أو يقف على أسماء علماء منوه بذكرهم في شيء من أسفار العلم والتاريخ فلا يظفر بشيء.

وإنما قلنا ولو بحضرموت الداخل لأن حضرموت الساحل أو ما يسمى بشحر مهرة وهو يطلق بذلك العهد على ما يشمل بلاد الساحل قد يكفينا أن نعتمد في تعرف ما بلغت إليه الحياة الثقافية فيه من سقوط وانحطاط ما نقله ابن خلدون عن ابن حوقل من قوله عن هذا الساحل: ((وكانت في القديم لعاد، وسكنها بعدهم مهرة من حضرموت أو من قضاعة، وهم كالوحوش في تلك الرمال، ودينهم الخارجية على رأي الإباضيه منهم)).

والغريب أنه بينما تنتشر النهضة العلمية في البلاد العربية لاسيما في علوم الدين من علم الحديث، و الفقه وخاصة في القرن الثالث الهجري نجد حضرموت وكأنه قد أقيم بينها وبين هذه النهضة العلمية الدينية ستار حاجز، فانظر ما قاله فضيلة العلامة علوي بن طاهر الحداد في (ص ١٤) من كتابه (جني الشماريخ) عن حضرموت بذلك العهد.

وذلك في الفقرة التي عنوانها (أولئك القضاة والرواة ليسوا من حضرموت)، وكذا ما نقله في هذه الفقرة عن الحافظ السخاوي من كتابه (الإعلام بالتوبيخ) حيث قال: (فالأقاليم التي لا حديث بها يروى، ولا عُرفت بذلك: الصين والهند، والسند، والخطا، وبلغار، وصحراء القفجاق ، وسراه، وقرم، وبلاد التكرور، والحبشة، والنوبة، والبجاه، والزنج، وإلى أستوان، وحضرموت، والبحرين وغير ذلك).

فانظر كيف شذت حضرموت المتأخرة ثقافياً، والمنزوية المستقلة بالإباضية

التي غمرتها، واستقرت فيها، وانفصلت بها مذهبياً عن سائر بلاد اليمن حتى إنه لم يشملها ما يوجد من هذه النهضة العلمية التي عمت البلاد العربية، والتي شملت البلاد اليمنية الأخرى[1].

* * *

(١) ذكر فضيلة العلامة السيد علوي بن طاهر الحداد في كتابه (الشامل في تاريخ حضرموت ومخاليفها) ص١٥ ما لفظه: ((إن القبائل الحضرمية وذرياتها في الأقطار الإسلامية بعد الفتوح انتشر لها ذكر وظهر فيها نجباء في الغزو والجهاد وفي الإيالة، والسياسة، والإمارة، وفي الفقه، والحديث، وأنواع العلوم، ولولا ما اعتراها من العقم وقلة الخير بسبب ظهور الخوارج بها في أوائل القرن الثاني من الهجرة لظهر فيهم في تلك العصور من النجباء، والعلماء أضعاف أضعاف ما وصلوا إليه في القرن الأول، فقد فات على حضرموت أكثر من قرنين من القرون الثلاثة التي هي خير القرون، كما في الحديث الصحيح، وهي التي أزهرت وأثمرت فيها حضارة الإسلام، وامتلأت فيها أمصار المسلمين علماء وأدباء ومؤلفين، ولكن انخزل عنها القطر الحضرمي، فكان يحول دون امتزاجه بسائر الأقطار الإسلامية وأمصارها نيران من الفتن يؤججها الخوارج كلما طفئ منها جانبا أشعلوا منها جانبا)) إلى أن قال: ((وكانت الأمصار الإسلامية تزخر بالغنى والثروة والتجارة وأموال المغانم والفتوحات الإسلامية يرن صداها في الخافقين، فحرم الحضارم من ذلك كله وتعرضوا لكراهة العالم الإسلامي لما بما فعلوه في الحرمين الشريفين؛ إذ قتلوا أبناء المهاجرين والأنصار، الذين دعا لهم رسول الله ﷺ، وأخافوا أهل المدينة)) إلى قوله: ((ثم كانت هذه الأعمال سبباً للهجوم على حضرموت، وأهلها مراراً من جيوش بني أمية وبني العباس فوقع فيها من القتل والمحن ما يطول وصفه، ومن العجيب أن فتنة الخوارج هذه نبعت من تحت قدم رجل من فخيذة بني ((شيطان)) يعني بذلك طالب الحق من كندة كما أن ردة كندة في أول الإسلام ومن تبعهم كانت بسبب بكرة (شيطان) وكل له من اسمه نصيب. قلت: وقول فضيلته في تحقيق ما وقع من بعض قبائل كندة مما قد يتناوله البحث التاريخي لا يقصد به فضيلته التغطية على فضائل كندة وغمط ما لها من مواقف وأعمال جليلة في الناحية الأخرى فقد كانت كندة المسلمة حرباً على كندة المرتدة، وكذلك كان لأخلاق كندة فيما أعقب العهد الإباضي ما عرفوا به بين قبائل حضرموت وبيوتات العلم من المساهمة في نصرة السنة، ونشر العلم، وتعضيد الثقافة بحضرموت كغيرهم ممن كانوا في مقدمة من عملوا على توطيد عقيدة السنة والمذهب الشافعي طوال الأجيال التي أخذت تتقدم فيها الحركة العلمية وتزدهر فيها الحياة الثقافية، وحينما دخلت حضرموت من باب التاريخ على إثر ذلك وتبوأت مكانها اللائق بها بين الأقطار العربية والإسلامية.

محاولة فاشلة:

روى بعض متأخري المؤرخين الحضرميين من بيوتات العلم الشهيرة بحضرموت أن أجداده كانوا ممن نشروا العلم، وطهر الله بهم حضرموت من البدعة (يعني الإباضية) قبل قدوم الإمام المهاجر أحمد بن عيسى فاستفهمني بعض من وقف على ذلك عن صواب ما يرويه هذا المؤرخ فقلت له: أتدري أين تنتهي سلسلة النسب إلى أعلا جد معروف لهذا الراوي فقال: لا، فذكرت له إن أعلا جدّ معروف لهذا الراوي لا يكاد يتجاوز طبقة سيدنا علوي بن عبيد الله حفيد الإمام المهاجر وأن أسماء من فوق ذلك الجد مجهولة أصلاً، وأنه ماداموا كذلك مجهولين حتى أسماءهم ووهويتهم فالإحالة عليهم إحالة على مجهول[1].

---

(١) من بين المحاولات في هذا السبيل للصعود بتاريخ النهضة الثقافية والتطور المذهبي من الإباضية إلى السنة إلى ما قبل قدوم المهاجر إلى حضرموت ما كان الشيخ صلاح البكري قد حاوله في كتابه (تاريخ حضرموت السياسي) وذلك قوله: ((وقد بدأت الحركة العلمية في تريم ومنها تسربت إلى شبام وإلى المجرين ثم إلى الشحر)) إلى قوله: ((وفي أواخر القرن الثالث ازدادت الحركة العلمية واتسع نطاقها)) وقوله بعد كلام: ((ولقد اشتهرت تريم بتقدم العلم فيها وكثرة العلماء والأدباء)) إلى آخر كلامه.
ثم محاولته الأخرى في تلك المحاضرة التي ألقاها بجمعية التعارف الإسلامية بالقاهرة وذكر أن عهد وجود الثلاثمائة مفتي بتريم يرجع إلى ما قبل عهد الإمام المهاجر، ولكنه أي الشيخ صلاح عندما رأى الشيخ الألمعي النجيب محمد بن عبد الرحمن بن ذياب وهو أحد مواليد شربون جاوه اندونيسيا كان حينذاك في سنة ١٣٥٣هـ يتلقى العلم برباط تريم يتصدى فيقوم بالتعقيب على محاولته هذه ويوضح أن عهد الثلاثمائة مفتي بتريم إنما يرجع إلى أواخر القرن السادس الهجري أي إلى ما بعد انتقال العلويين إلى تريم لم يسعه إلا أن يدرك خطأ اعتقاده وقصور وسائل التحقيق لديه فأعلن أن الشيخ باذيب على حق أو صواب في ما حققه وشكره على نزاهته وإخلاصه وهكذا يسقط التاريخ والتمحيص العلمي كل آراء ومحاولات ترتد إلى عدم نضوج الدراسة والتحقيق عند عرضها على محك النظر وحين يتناولها معيار العلم وتطبيق البحث العلمي وما أحكم ما قاله الأستاذ العفاد في مجلة الأزهر - رمضان سنة ١٣٧٩هـ مارس سنة ١٩٦٠م تحت عنوان البحث العلمي في تاريخ الأدب وهو ما حاصله: ((إن البحث قمين أن يبيّن لنا موضع الصحة وموضع التلفيق من كل خبر ومن كل رواية؛ لأن تبين لنا صعوبة التلفيق باستحالته أحيانا على من يريده ويتعمده إذا انكشفت المقابلة بين الأخبار والروايات عن حقيقة كانت مجهولة بسبب قصور وسائل التحقيق أو عن آفة العجز عن تطبيق قواعد البحث العلمي إيثاراً للسهولة وإخلاداً للراحة)).

ومع ذكرنا بهذا المقام لهذه الواقعة وأشباهها من محاولات تنم عن قلة التعمق، وعدم النضوج فإننا نرحب بكل محاولة تبذل للاهتداء على معرفة وجود أي نهضة ثقافية بذلك العهد، واستكشاف أسماء علماء سنيين أو إباضيين منوّه بذكرهم في أسفار العلم والتاريخ خصوصاً من أي محاول يريد أن يربأ بنفسه عن تنكب الطرق الجدية فيجتنب كل ما ينسب معه إلى العبث بحقائق العلم والتلفيق في وقائع التاريخ، إذ بدون هذا لا يمكن المؤرخ أن يكسب في هذا الميدان العلمي نصيباً من الثقة والاعتبار، ولا أن ينال ما يريد أن يدركه من التقدير والاحترام.

وحيث قد قعد بنا البحث عن الوصول إلى معرفة وجود أي حركه ثقافية بحضرموت في هذه الفترة لا يزال ويقصر بنا التنقيب عن استكشاف أسماء علماء نوهت بذكرهم أسفار العلم والتاريخ فإننا نعتقد أن مواصلة السعي والجد في البحث لتعرف حقائق الأحوال المعاصرة، وواقع الحالة السائدة بحضرموت بذلك العهد سيفيدنا فوائد جمة وسيكشف عن معلومات قد تكون على جانب من القيمة والأهمية للعلم والتاريخ، بل نرى أن الكف عن المحاولة بمواصلة السعي والاهتمام الجدي إنما يكون تسجيلاً للحكم بالفشل أو كما يقول بعضهم بداية الفشل.

* * *

التطور في الحياة الثقافية والمذهبية بحضرموت منذ مقدم الإمام المهاجر

نريد أن نقتصر في هذا الفصل من البحث على ذكر ما يتصل بذلك العهد الذي يمتد من حين إلقاء الإمام المهاجر عصا التسيار بالحسيسة من وادي حضرموت الرئيسي حوالي سنة ٣٣٣هـ ثلاثمائة وثلاثة وثلاثون هجرية إلى حين انتقال بني المهاجر إلى تريم بعد نحو القرنين من السنين، وتوطنهم ووفاة الإمام

علي بن علوي خالع قسم بها في سنة ٥٢٩ هـ أي حوالي أواسط القرن السادس.

فنقول لقد أشرنا آنفا إلى ما نقله ابن خلدون عن ابن حوقل المعاصر لأحوال الحقبة الزمنية القريبة من مقدم الإمام المهاجر إلى حضرموت، وذلك فيما يتصل بما ذكره عن الحياة الثقافية والمذهبية ببلاد الساحل والحالة السائدة المنحطة بها.

أما الحالة عن بلاد حضرموت الداخل فإنا كنا نتلمس الوصول لمعرفة أي شيء يتصل بالحالة الثقافية والمذهبية بذلك العهد نحاول ذلك بشتى الطرق ومن مختلف النواحي.

فأولاً: عن الحياة الثقافية التي تلت قدوم ووفاة المهاجر، فإننا لم نظفر بنقل سوى ما نقل عن كتاب أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم للبشاري الذي ذكر فيه أنه ألفه سنة ٣٧٥ أي بعد وفاة الإمام المهاجر بثلاثين سنة ٣٠ من قوله: «وحضرموت هي قصبة الأحقاف موضوعة في الرمال نائية عن الساحل أهلها لهم في الخير رغبة -كذا جاء في بعض النقل وفي نقل آخر- لهم في العلم والخير رغبة إلا إنهم شراه شديدة سمرتهم».

فهذا النقل يؤخذ منه أن تباشير النهضة الثقافية والإقبال على العلم بقدوم الإمام المهاجر وتديره بحضرموت لم يقتصر وينحصر فيمن إليه في المذهب والعقيدة، بل شمل ذلك وعم حتى غيرهم مما لا يزال على المذهب الإباضي، ثم من الناحية الأخرى أي عن الحالة المذهبية من وجود أناس كانوا معروفين بالتمذهب بالمذهب الشافعي، أو معتنقين عقيدة أهل السنة إلى عهد مقدم الإمام المهاجر أحمد بن عيسى إلى حضرموت، فهذا مما لم يتح لنا العثور على نقل أو ما يشبه النقل من شيء يصح للباحث أن يستأنس به في سبيل الوصول إلى ما يهدف إليه، فما كنا قد تخيلنا الظفر به للاستئناس به في هذا السبيل ما ذكره الهمداني في كتابه (صفة جزيرة العرب) عن أهل حضرموت ومهرة من التعلق الشديد بزيارة

قبر نبي الله هود على نبينا وعليه أفضل الصلاة والسلام، وأنهم يزورونه في كل وقت حيث كنا توهمنا أن الزيارة ليست من مذهب الإباضية فرأينا تقديم سؤال بهذا الصدد بين طائفة تلك الأسئلة التاريخية لفضيلة العلامة السيد علوي بن طاهر الحداد وهي التي احتواها كتابه (جني الشماريخ جواب أسئلة في التاريخ) فكان من جواب فضيلته أنه لا يعلم مذهب الإباضية في هذه المسألة.

وكان قد لمح فضيلته غرضنا من هذا السؤال حتى ظهر لنا بعد ذلك مما توصلنا إليه بالبحث في بعض كتب الإباضية[1] وتبين لنا في هذه المسألة أن الشأن في زيارة القبور لدى الإباضية كالشأن لدى أهل السنة، فأدركنا أن هذا النقل ليس في شيء يتعلق بما نهدف إليه، فهذا غاية ما تم لنا الوقوف عليه، وما توصلنا إليه في محاولاتنا بهذا الموضوع وكل ما بقي لنا أن نذكره هو إننا مع شدة تنقيبنا للظفر باستكشاف من عسى أن تكون الأسفار من حضرمية ويمنية وغيرها فيما أتيح لنا الإطلاع عليه قد نوهت بذكره من العلماء بحضرموت أي من غير بني الإمام المهاجر في الحقبة التي تبدأ من مقدم الإمام المهاجر والتي تنتهي بانتقال بني المهاجر إلى تريم، ووفاة خالع قسم بها وهي تبلغ نحو القرنين من السنين، فإننا مع ما بذلناه من جهد متواصل طوال أربعة عقود من السنين سلخناها من حياتنا للبحث في تاريخ حضرموت وخاصة من حين تسرب المذهب الإباضي إلى حضرموت إلى استيطان بني الإمام المهاجر بتريم، ووفاة خالع قسم، أعني إلى قبيل عصر تدوين التاريخ الحضرمي الذي إنما يرجع إلى أواخر القرن السادس الهجري.

نقول إننا مع هذا الذي بذلناه من الجهد طوال هذه المدة لم يتهيأ لنا سوى

---

(١) ينظر [١/ ٩٤] من كتاب (تحفة الأعيان في سيرة أهل عمان) للشيخ عبد الله بن حميد السالمي في ترجمه غسان اليحمدي أحد الإباضية المتوفى في سنة ٢٠٧ هـ الذي كان يواظب على زيارة قبر الوارث كل يوم جمعة وهو قبر الإمام الذي كان متوليا قبله المتوفى سنة ١٩٢. وانظر أيضاً ما ذكره في (صفحة ٩) في ترجمة الوارث المذكور أن من كرامته أن قبره المذكور الواقع في وادي كلبوه من نزوى أنه كلما سال الوادي جار فيدور بقبره ولم يضر بقبره وأن ذلك كرامة ظاهرة له.

العثور على ثلاثة علماء من غير بني المهاجر يعود تاريخهم إلى ما بين أواسط القرن الخامس وأواسط القرن السادس الهجري.

فأقدمهم عهداً محمد أبو المكارم الجد الجامع لقبيلة آل الخطيب التريميين الذي ينتهي نسبهم إلى أحمد بن عباد بن بشر الصحابي رضي الله عنه كما في (البرد النعيم)، (والجوهر الشفاف).

قال صاحب (البرد النعيم) في نسب خطباء تريم في كتابه هذا في وصف محمد أبي المكارم هذا: ((الإمام محمد أبي المكارم الفقيه الخطيب المشهور)).

ثم ذكر عن التاريخ المعاصر له بقوله: ((قلت والظاهر والله أعلم أنه أول من انتهت إليه نوبة الفقه والخطابة بتريم المحروسة، وإليه توجهت من الدولة القحطانيه والغسانية[1]، ولم تزل باقية في عقبه إلى الآن رضي الله عن الجميع)).

وثانيهم: وهو أقدم عالم معروف من آل أبي حاتم يحيى بن عبد العظيم الحاتمي صاحب القصيدة التي امتدح بها شيخه علوي بن محمد بن علوي بن عبيد الله بن أحمد بن عيسى صاحب بيت جبير المتوفى بها سنة ٥١٢، والتي منها الأبيات الآتية التي نقلها عن كتاب (الياقوت الثمين) مؤلف (الغرر) العلامة السيد محمد بن علي خرد، ومؤلف (العقد النبوي) السيد العلامة شيخ بن عبدالله العيدروس وهي:

هل في البلاد كمثل علوي الفتى ... فحل نمته الصِّيد في الأقاليم

شيخ تمكن في علا جرثومة ... نبوية علوية بعلوم

(١) وفي نسخة الأنصارية القحطانية والمراد بها دولة آل راشد كما يدل عليه ما ذكره المؤلف في الموضع الآخر من الكتاب المذكور عن آل أبي ظنه من قوله (فهم آل أبي ظنة ملوك حضرموت قديما قبل آل كثير وبعد آل أبي قحطان الأنصاريون المتولون نحو ثلاثمائة سنة (٣٠٠) وكان قارة باجرش مقبرة لهم) إلى قوله في ختام كلامه هذا ((قلت وقبل الجميع كندة إلى عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم)).
فانه إنما يعني بذلك الدولة الراشديه المنسوبة إلى راشد المولود (٥١٧ هـ) والمتوفى (٥٧٨ هـ) بن شجعنه (قتل سنة ٥٣١) بن فهد (وفاته سنة ٥٢٨هـ) بن أحمد (ولد بتريم سنة ٤٣٠هـ) وأخرج إلى دمون.

يزهـو بـه إقليمنـا جـذلاً بـه ... يعلـو سروراً مفرطـاً بحليـم
هذا قريع العصر وابن قريعه ... ولباب نحت الفخر والتعظيم
وأبوه أخوف خائف من ربـه ... فـالقطر قـد حَيَّـاه بالتـسليم
نظرَ العواقب بالبصيرة وانثنى ... يتلـوا كتـاب الله بالتفهيـم
ومعلم العلم الشريف مريـده ... طـول الحيـاة خبـير بالتعليـم
ذا فرع من نزل الكتاب بذكرهم ... وحبـاهم البـارئ بالتكـريم

أما ثالث هؤلاء العلماء المشار إليهم الذين لم نجد ذكراً لسواهم فيما وقفنا عليه من الكتب والأسفار ممن كانوا بهذا العهد، أي فيما بين مقدم الإمام المهاجر وانتقال بنيه إلى تريم، و وفاة خالع قسم فهو ذلك العلامة الذي نوّه بذكره الفقيه المؤرخ عمارة اليمني في كتابه (تاريخ اليمن) عند إيراده لذكر الواقعة المتعلقة بفريضة بني رزيق فذكر أنه لقي في سنة ٥٣٩ تسع وثلاثين بعد الخمسمائة في عدن شيخاً من أهل حضرموت يسمى أحمد بن محمد الحاسب، وكان حاسباً فرضياً، قد جاوز الثمانين من العمر يريد الحج، وذكر عمارة أنه كان عديله في محمل من عدن إلى زبيد وأنه ذاكره ليلة وهو معه على الجمل فريضة بني رزيق وهي إحدى وخمسون بطناً فاندفع فيها كأنه يحفظها غيباً عن ظهر قلب، حتى مطلع الفجر، وأنه في اليوم التالي صحح هذه الفريضة، وعرف سهام كل واحد من الورثة، وناوله الفريضة مكتوبة بخطه ظهر ذلك اليوم.

وهذه الفريضة كانت قد أعيت علماء زبيد، واستعصى عليهم حلها ومما ذكره عمارة أنه عندما وصل إلى زبيد أخذ يقرأ عليهم في الليل الفرائض، وبالنهار يقرأ عليهم بقراءة أبي عمرو في القرآن العظيم، إلى آخر ما ذكره عمارة من وفاة هذا الشيخ العلامة رحمه الله بعد الحج من السنة نفسها.

وبعد هذا الذي أسلفنا من كل ما تم لنا الوقوف عليه بهذا الموضوع قد

يستخلص منه أن ذلك العهد منذ مقدم الإمام المهاجر إلى حضرموت حوالي أواسط القرن الرابع أو أوائل القرن الخامس قد كان يتألف من دروس:

أحدهما: دور فجر الحركة العلمية، وتباشير التطور المذهبي، وهو الدور المنتهي بطبقة الإمام علوي بن عبيد الله بن أحمد بن عيسى.

أما الدور الذي يليه، والذي يبدأ بطبقة الإمام محمد بن علوي صاحب الصومعة وابنه علوي بن محمد صاحب بيت جبير وحفيده علي خالع قسم، فهو دور ازدهار الحركة العلمية، واشتداد التطور المذهبي، ويأتي بعد هذين الدورين عصر استبحار النهضة العلمية، وبلوغ التطور المذهبي، والتوسع الفقهي إلى تلك القمة بوجود الثلاثمائة مفتي بتريم، وما كان من اندثار المذهب الإباضي نهائياً من حضرموت حيث أزيلت معالمه الأخيرة من شبام آخر المعاقل لهذا المذهب بحضرموت بذلك العصر.

* * *

أول من ظهر وانتشر عنهم المذهب الشافعي باليمن من العلماء الأوائل

ينبغي أن نذكر هنا العلماء الذين ظهر وانتشر عنهم المذهب الشافعي باليمن وهم:

أولاً: موسى بن عمران المغافري، الإمام العلامة، ذكره الشيخ اليافعي في أول من أظهر مذهب الإمام الشافعي في اليمن من الفقهاء الجلة، ونقل عنه ذلك بالمخرمة في (قلادة النحر)، وقال: لم أقف على تاريخ وفاته وغالب ظني أنه كان في هذه المائة (يعني المائة الرابعة).

ومنهم إبراهيم بن موسى بن عمران الخداشي (بالدال) المغافري تفقّه بأبيه موسى وغيره، وبه تفقّه جماعة منهم يعقوب البغدادي، وأسعد بن الهيثم

وغيرهما، وكان أول من نشر مذهب الشافعي في أول ظهوره، وكان فقيهاً كبيراً سكن إب، والسحول قال بالمخرمة: ولم أقف على تاريخ وفاته وذكرته في هذه الطبقة ظناً والله أعلم.

ومنهم: القاسم بن محمد الجمحي القرشي المتوفى سنة ٤٣٧ ذكر ابن سمرة وبالمخرمة أنه هو الذي انتشر عنه المذهب الشافعي في مخلاف الجند، وصنعاء، وعدن انتشاراً كلياً.

وذكر ابن سمرة عند كلامه على قيام الإمام يحيى الهادي باليمن الذي كان خروجه سنة ٢٨٠ و٢٨٣ وكانت وفاته سنة ٢٩٨ ما هذا لفظه: ((كان أهل اليمن صنفين إما مفتون بهم (يعني الزيدية)، وإما خائف تمسك بنوع من الشريعة إما بمذهب أبي حنيفه وهو الغالب وإما بمذهب مالك)) هكذا ذكر ابن سمرة عن الحالة المذهبية باليمن في أواخر القرن الثالث.

ثم إنه بعد ذلك تطرق إلى الكلام فيما سبق عصر القاسم القرشي المتأخر عن عهد الإمام يحيى الهادي هذا بأكثر من قرن بقوله: ((وكانت الشفعوية وكتبها قبل القاسم بن محمد القرشي وأصاحبه غير مشهورة باليمن)) ثم قال: ((والمقصود أن أذكر أن أول من أظهر مذهب الشافعي في اليمن من الشيوخ على الترتيب وفي التاريخ وأعلاهم رتبة الشيخ الحافظ موسى بن عمران المعافري)).

وقال ابن سمرة عند ذكر أهل تهامة هكذا: ((وفضائل آل أبي عقامة مشهورة وهم الذي نشر الله بهم مذهب الشافعي في تهامة))[1].

ومنهم الفقيه الإمام عبد الله بن علي المرادي، رحل إلى مكة، وسمع بها في سنة ٣٥٣هـ.

---

(١) ذكر الفقيه عمارة اليمني في كتابه (تاريخ اليمن) أن آل أبي عقامه هؤلاء قضاة زبيد من ولد محمد بن هارون التغلبي الذي بعثه المأمون العباسي سنة ٢٠٢ هـ مع ابن زياد أمير اليمن حاكماً ومفتياً قال: ولم يزل الحكم فيهم متوارثاً حتى أزالهم علي بن مهدي حين أزال الحبشة، وكان نزول الحبشة سنة ٥٥٤هـ.

ومنهم الإمام أبو الفتح يحيى بن عيسى بن ملابس المتوفى سنة ٤٢١ هـ.

ومنهم الإمام العلامة صاحب كتاب (البيان) يحيى بن أبي الخير العمراني المتوفى سنة ٥٥٨هـ.

ومنهم الإمام العلامة أبو العباس أحمد بن عبد الله أحد الفقهاء الصعبيين قضاة سهفنه إماماً كبيراً عالماً، حج سنة ٣٨٨ ثلاثمائة وثمانية وثمانون[1] هو والفقيه القاسم بن محمد الجمحي القرشي وأخذا بمكة عن بعض المراوزة، وأخذا أيضاً عن الحسين بن جعفر المراغي (مختصر المزني) و(سنن الربيع)، وكانت وفاة أبي العباس هذا على رأس أربعمائة (أي نهايتها).

ومنهم أبو أسامة زيد بن عبد الله اليفاعي نسبة إلى قرية يفاعه قريبه من الجند المتوفى سنة ٥١٤هـ.

ومنهم أبو عبد الله محمد بن الحسين بن عبدويه على وزن سيبويه إلا أن العين مفتوحة صاحب جزيرة كمران الفقيه العلامة الكبير أصله من العراق، وأخذ العلم هنالك عن الشيخ أبي إسحاق الشيرازي صاحب (التنبيه) وغيره توفي بكمران سنة ٥٢٥هـ.

ومنهم العلامة الفقيه عمر بن محمد الخراشي السكسكي السالف الذكر في أول هذا البحث.

فهؤلاء المنقول عنهم إظهار ونشر مذهب الإمام الشافعي بالجند، وصنعاء، وعدن، والسحول، وتهامة، ومخلاف جعفر وما يلي ذلك من بلاد اليمن.

وانظر كلام ابن سمرة وهو الحجة في تحقيق مثل هذا الموضوع ومن أقدم مؤرخي اليمن، وقوله إن أعلاهم رتبه الشيخ الحافظ موسى بن عمران المعافري وهو الذي يغلب أن يكون من أهل المائة الرابعة كما ذكر ذلك بالمخرمة في (قلادة

(١) كذا بالأصل، والصواب: ثمانين.

النحر) تجد أن ما رجحه ابن المؤيد اليمني في كتابه (أنباء الزمن في أخبار اليمن) وهو الذي أوردنا النقل عنه سالفاً في أول هذا البحث من كون ظهور المذهب الشافعي في اليمن يرجع إلى المائة الرابعة لا إلى المائة الثالثة وهو الصواب.

وقد قدّمنا أن حضرموت فيما قبل قدوم الإمام المهاجر ظلت منحازة في جهالتها وإباضيتها عن اليمن، وقد كانت دون بقية اليمن بذلك العهد، بل دون بقية البلاد العربية الأخرى كالبحرين ليس لعلم الحديث بها سُوقٍ، وهو أصل الفقه بعد القرآن كما ذكر ذلك الحافظ السخاوي في كتابه (الإعلان بالتوبيخ)، وكما يشير إلى ذلك موجز بحث العلامة السيد علوي بن طاهر الحداد بهذا الصدد في كتابه (الشامل في تاريخ حضرموت ومخاليفها).

وهذا الذي تقدّم نقل معظمه فيما سبق، وفي كل ما أسلفنا من النقل بهذا الموضوع يظهر جلياً أن ما ورد في كتاب (المشرع الروي) من قوله [١/ ١٢٧]: «ولما وصل السيد الإمام أحمد بن عيسى تلك الديار قصدته الأخيار». إلى إن قال ما لفظه: «وقام بنصرة السنة حتى استقامت بعد الاضمحلال، ولاح بدرها في أوج الكمال، وطلعت شمسها بعد الزوال، وأظهر إمامة الإمام الشافعي رضي الله عنه بنشر مذهبه» أنه هو أول من أظهر مذهب الإمام الشافعي بحضرموت، ونشر مذهبه، وإن ما قرره (المشرع) من ذلك لا يعدو الصواب.

وبهذا كان بدء انتقال الزعامة الدينية إليه منذ وصوله إلى حضرموت من مذهبها الإباضي إلى عقيدة أهل السنة والمذهب الشافعي، وليكن هذا آخر البحث وأن المقصود إنما هو جواب السائل وإيضاح ما توصل إليه الدراسة والتمحيص ويؤدي إليه التّتبع والاستنتاج في حدود ما لدينا من هذا النزر اليسير من النقل عن هذه الحلقة السابقة لعهد تدوين التاريخ الحضرمي، أي من حلقات التاريخ الإسلامي بحضرموت، وإننا لنعجب أن يكون الأستاذ سعيد باوزير بهذا قد عاد من جديد في كتابه (صفحات من التاريخ الحضرمي) إلى

بحث موضوع (المهاجر والثقافة العامة) وبذلك الأسلوب أو ما يقرُب منه وهو الموضوع الذي كان هو قد كُتب إلينا بالتوقف عنه حيث يقول: ((فموضوع الثقافة العامة في حضرموت مثلاً عند قدوم السيد المهاجر قد حذف بكامله من الكتاب المختصر))..

وذلك عند ما كنا لاحظنا على حضرته في تبسطه وسلوكه فيما يقرّره عن هذه الفترة وهي التي لا تزال من مجاهل التاريخ الحضرمي في مسلك الإشارة والتنويه بوجود حركه ثقافية قائمة بحضرموت عند قدوم الإمام المهاجر وعلماء سنيين في الفقه والكلام والحديث وغيره هكذا نعجب أن يعود حضرته، ويأخذ بما يوهم منه أسبقيته وجود حركة ثقافية على قدوم الإمام المهاجر وعلماء سُنِّيين قائمين بنشر عقيدة أهل السنة، وترويج المذهب الشافعي، وبما يخيّل للمرء أنهم أي هؤلاء المتوهم وجودهم من العلماء كانوا هم الأصل والمحور للحركة والشأن الثقافي القائم، والتطور المذهبي السابق لقدوم الإمام المهاجر، وهم فقط الذين كان لهم الأثر الكبير، والشأن الفخم دون الإمام المهاجر الذي يرى حضرة الأستاذ أنه لم يكن له كبير أثر في الحياة الثقافية بحضرموت، ويرى أنه إنما ساعد فقط على انتشار المذهب الشافعي وعقيدة أهل السنة وكل المهمة التي قام ونجح فيها هي وضعه بذرة مقاومة المذهب الإباضي، والحال أن الواقع الذي تشير إليه الأدلة التاريخية، ويبرهن عليه البحث، ويتضح مما قدمناه من التحقيقات بهذا الصدد هو على خلاف ما يذهب إليه حضرته حيال ما يريد انتهاجه، وما يحاول سلوكه في الإيضاح والتقرير، مما يتصل بهذه النقطة التاريخية المهمة في التاريخ الثقافي والتطور المذهبي بحضرموت، ويصادم الحقيقة مصادمة كبرى.

أما حول ما أشار إليه السؤال مما ورد بتلك النقاط من كون الإمام المهاجر وضع بذرة مقاومة المذهب الإباضي ومحاربته فإننا لا ندري فيما إذا كان يعني الأستاذ باوزير في هذا المقام بقوله هذا شيئاً آخر غير مهمة قيام الإمام المهاجر بما

تصدى له من بذر عقيدة أهل السنة، ونشر المذهب الشافعي، وتطوير حضرموت أولياً تطويراً مذهبياً، فإن كان يعني بهذا شيئاً آخر غير ما ذكرناه فهذا الذي يعنيه هو مما نبدي أسفنا بأنه مما يتوقّف الفهم لدينا عن إدراكه ويقصر بنا الوعي عن الإلمام بالمراد منه، وإن كان يقصد بذلك ما ذكرناه من قيام الإمام المهاجر ببذر عقيدة أهل السنة ..الخ فيكون قد ناقض نفسه واعترف بأن الإمام المهاجر هو أول من قام بنشر عقيدة أهل السنة، ونشر المذهب الشافعي؛ إذ لا معنى لمقاومة مذهب ومحاربته إلا بالعمل على إزالته وإحلال غيره محله.

ومن الله نستمد التوفيق، ونسأله أن يمُنَّ على الجميع بالإعانة في تحقيق الحق، وإصابة الصواب، وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم، والحمد لله أولاً وآخراً.

كمل بحمد الله إنجاز واستنساخ هذه النسخة، وقد تم هذا الإنجاز والاستنساخ والمقابلة. وبالله التوفيق.

قال ذلك القائم باستنساخ هذه النسخة عبدالرحمن بن حسين الخطيب بتاريخ ١٨ شهر ربيع الأول سنة ١٣٩٦ هـ ألف وثلاثمائة وست وتسعين من الهجرة النبوية الشريفة.



تذكرة الباحث المحتاط

في شئون وتاريخ الرباط

وهي فذلكة

في مجمل شئون وتاريخ رباط تريم

تقديم وتعريف بالمؤلف

بقلم السيد الجليل

عبدالرحمن بن حامد السري العلوي

أما بعد: حمداً لله بجميع المحامد، والصلاة والسلام على سيدنا محمد ما رسخت في ثرى العلم الغزير، ورست على أصل العرفان العميق قواعدُ المعاهد، وعلى آله وصحبه ما خلصت النيات وحسنت المقاصد، وعذبت المشارب، وحلت الموارد. إليك أيها القارئ المتطلع، والباحث المحقق، هذه التذكرة التي جمعت فأوعت، وبرزت في قشيب ثوب جلائها، وأنيق حلة بهائها، فبهرت الأنظار واسترعت. فهي كما تراها غنية بما حوته من التحقيق الممتع، والتدقيق البالغ الغني عن التنويه والتفريط، ولا حاجة للإشارة إلى مؤلفها المؤرخ البحاثة السيد عبدالله ابن حسن بلفقيه، قد قضى عدة سنوات في التنقيب، والاستقصاء بجمع المستندات الوثيقة، وتحصيل المعلومات الدقيقة، واستوفى الموضوع من جميع نواحيه، كشأنه فيما يتصدّى له من الموضوعات والأبحاث التي يهتم بتحقيقها، ويتعرض لمعالجتها وتمحيصها.

وإذا كان لنا أن نقتصر ونسجل شيئاً في هذا المقام، وعن هذه التذكرة، وما لمؤلفها من مكانة مرموقة، واعتبار مشرف، وميزة في البحث والتحقيق بين مؤرخينا في هذا العصر الحديث، فهو أن نذكر أنه قد شهد له فيما يزاوله من الكتابة والتصنيف، في المواضيع المتعلقة بأبحاث النسب والتاريخ المختصة بحضرموت، باعتبار أن تحقيقاته ودراساته تحتل مكانة سامية، وتضرب إلى أقصى ما يمكن من تحري الصواب، والتعمق في البحث، استجلاء للحقائق،

وتمحيصاً للدراسة، بدافع خدمة العلم، وحافز تقرير الواقع، وسائق الغيرة على الحق، إلى جانب ما هو عليه من نزاهة القصد والأمانة في النقل.

شهد له بذلك أمثال العلم الشهير، والجهبذ النقاد البصير، والكوكب الوقاد المنير، الحبيب المرحوم مصطفى بن أحمد المحضار، والعلامة النحرير الأستاذ القدير، علي بن محمد بن يحيى.

فقد أطرى الحبيب مصطفى كتابات وأبحاث المؤلف من أثناء ذلك الخطاب المستطاب للأستاذ محمد بن هاشم الذي جعل عنوانه: (جواب شاهر، لأخينا السيد الظاهر، محمد بن هاشم بن طاهر) بمعرض تقريظه لكتابه: (تاريخ الدولة الكثيرية) عقب اطّلاعه على الجزء الأول منه، فما قاله في صدر هذا الخطاب بعد كلام ما لفظه: ((وكتب ونطق، وأرخ وفتق، وأحسن من غيره صدق، إلا ما كتبه أخونا الجهبذ النبيه - يعني بذلك مؤلف هذه التذكرة - فهو وابن هاشم فرسا رهان، في هذا الميدان، بلا مجازفة، ولا عندهم أزفت الآزفة، بل حصان رزان، وكل شيء بالميزان كلام معقول، عن أهل الصدق منقول)) - إلى قوله- في الموضع الآخر من هذا الخطاب: ((والتاريخ وضعه ثقيل، ولا نأمن عليه إلا القليل، كالأخ عبداللاه وبقية المؤرخين يؤرخون، وفي تواريخهم يزغفون[1]، يجرون ويرخون، يا زغيف الزغيف، بالتالد والطريف، والبارد والحريف، والتصحيح والتحريف، والجرار والعطيف، وقل لربك يالطيف)).

ثم بعد كلام قال: ((ويلفقيه دقق، وابن هاشم حقق، والمؤرخ أمين، ولا ينطق ولا يكتب إلا باليقين، بين الرقيق والثخين، ولا صفط[2] الكون إلا كذب المؤرخين)).

وشهد له بذلك أيضاً العلامة النحرير، الأستاذ القدير، علي بن محمد بن

(١) أي يزيدون بل يتعدّون الحد.

(٢) الصفطة كلمة عامية باللغة الدارجة الحضرمية ويراد بها هنا الانتحال والعبث بحقائق التاريخ.

يحيى، مدير المعهد الديني بغيل باوزير، فإنه كتب بعد اطلاعه على هذه التذكرة خطاباً للمؤلف مؤرخاً ١٦/ ١١/ ١٣٧٨هـ، مثنياً على الجهود المخلصة التي يبذلها المؤلف، ومعجباً بما أوتي من ذكاء نادر، وعقل راجح يساعدانه على إطالة البحث والصبر، والأناة على التحقيق، وتدبر المشاكل، فيدرك اللمحات التي تدق عن إدراك أنظار الفحول، قائلاً بعد ذلك:

«وصلني كتابكم المسمّى (تذكرة الباحث المحتاط)، الذي جمعتم فيه شتات المعلومات، التي تتصل بتاريخ رباط تريم، وتصفحته، ووجدته فذلكة جامعة، عن أعظم مؤسسة، استفاد منها المسلمون في هذا القطاع العربي».

وبعد كلام قال: «فهو حديث الخريت المطلع على أسرار التاريخ، والغائص على عيونه، والعارف بما يفصله من أخباره وتراجم رجاله».

وقد بين أغراض المؤسّسين للرباط، والواقفين والمتصدّقين عليه بالوثائق الصحيحة المحفوظة إلى أن قال: «ولهذا فإن كتابكم هذا يوجه أنظار جميع المهتمّين بإنهاض الحركة العلمية في تريم وحضرموت، إلى هذا الغرض الأصيل ليكون موضع اهتمامهم وتمسكهم، لاسيما أننا نشعر بالحاجة الملحة لوجود حياة علمية، توجّه ضد الجمود والجحود اللذين قضيا على الإسلام».

وختم خطابه بقوله: «لم نجد ما نلاحظه على كتابكم لأمرين: الأول: أنه من تحصيل عالم، محقق، مخلص، وهذا يجعلنا نطمئن إلى ما فيه من قضايا.

الثاني: أن بضاعتنا ولاسيما في التاريخ الخاص مزجاة، وهذا يجعلنا نسلم الأمر لأهله».

وقد شهد له بمثل هذا غير من ذكرنا كأصحاب الفضيلة السنادة الأعلام: علوي بن طاهر الحداد، وعلوي بن محمد المحضار، ومحمد بن هاشم بن طاهر وغيرهم، في رسائل وتقريظات على بعض مؤلفات المؤلف، مما لا

يتسع المجال لذكره.

ونثبت للفائدة في آخر كلمة هذا التقديم للكتاب، ما وفقنا للحصول عليه من المعلومات عن ترجمة المؤلف، وهو مما لم نسبق إليه فنقول:

كان ميلاد المؤلف متّع الله به في عافية بتريم، يوم الخميس في ٢ربيع الأول سنة ١٣١٤هـ، وتلقى أولى دروس القراءة والكتابة، وقراءة القرآن ومبادئ الديانة على المعلّم عوض بن سالم عواضة، ثم سنة ١٣٢٢ عند ما قدِم والده رحمه الله من جاوه، التحق بمكتب بارشيد، وهو المعلامة المنسوبة لسيدنا الإمام عبدالله بن أبي بكر العيدروس، المتولين التعليم فيها المشايخ آل أبي حرمي.

أما التحاقه بعد ذلك للتلقي عن أشياخ العلم بتريم بمعاهدها وزواياها ومساجدها، فيرجع إلى سنة ١٣٢٤هـ.

فممن قرأ عليه وتلقى عنه: الحبيب العلامة السيد علوي بن عبدالرحمن المشهور، والحبيب العلامة السيد علي بن عبدالرحمن المشهور، والحبيب العلامة السيد عبد الله بن عمر الشاطري، والحبيب العلامة السيد حسين بن أحمد الكاف، والحبيب العلامة السيد سقاف بن حسن بن أحمد العيدروس، والعلامة السيد أبو بكر بن محمد بن عمر بلفقيه.

والمشايخ الأجلاء: العلامة أحمد بن عبدالله البكري الخطيب، وولداه العلامتان أبو بكر وعبدالله، والعلامة الشيخ محمد بن أحمد الخطيب وغيرهم، كالعارف بالله الحبيب السيد عبدالله بن عيدروس بن علوي العيدروس.

ثم ارتحل من تريم إلى جاوه وكان ذلك بتاريخ ٤ محرم سنة ١٣٢٩، وقرأ بها على العلامة السيد عمر بن محمد بن إبراهيم السقاف بقرسي، وقد اشترك معه في هيئة إدارة المدرسة الحسينية بها. وممن لازمه كثيراً وأخذ عنه أخذاً تاماً وأجازه شيخه العارف بالله الحبيب السيد أبو بكر بن محمد السقاف بقرسى، وذلك منذ

إقامته بها فيما بين سنة ١٣٣١ و١٣٤٦.

وممن لقيهم بجاوه واتصل بهم، وأجازه البعض منهم من العلماء والأعلام العارفين والسادة الأئمة: أبو بكر بن عمر بن يحيى، وعبدالله بن علي بن حسن الحداد، ومحمد بن أحمد المحضار، وأحمد بن طالب العطاس، وأحمد بن محسن الهدار، وعبدالله بن محسن العطاس، ومحمد بن عيدروس الحبشي، والحبيبان السيد علوي بن محمد الحداد، وجعفر بن شيخان السقاف، والحبيب العلامة السيد علوي بن سقاف السقاف، والحبيب السيد يحيى المهدلي اليمني. وممن اتصل به وتلقى عنه بجاوة من غير الحضرميين: السيد محمد صالح الشواشي الباجي التونسي، الذي أوصاه شيخه العلامة الحبيب علوي المشهور عندما قدم في آخر رحلاته إلى جاوة بملازمته والاستفادة من علومه الجمة، ومعارفه الغزيرة، واطلاعه الواسع على علوم وفنون من قديمة وحديثة. فهو ممن انتفع به واستفاد منه كثيراً في نواح مختلفة من حياته الفكرية، وثقافته السلفية والعصرية.

وقد اشترك المترجم له في خلال إقامته بجاوة في حركة الإصلاح والنهضة العربية بها، بإلقاء المحاضرات التي منها محاضرته عن مدينة تريم، ماضيها وحاضرها، وهي التي نشرتها مجلة الرابطة العلوية بعد مدة من إلقائها بتعليقات عليها ثمينة للسيد العلامة علوي بن طاهر الحداد، وبالاشتغال بالصحافة بتحرير المقالات المفيدة في جريدتي (الإقبال) و(حضرموت) وغيرهما، وهاتان الجريدتان المشار إليهما كان هو في مقدمة العاملين في إدارتهما أيضاً.

ونذكر أنه لأول قدومه إلى جاوة، وإقامته بضعة شهور بسورابايا عند عمه المرحوم السيد عبد الرحمن بن محمد بلفقيه، وكان ذلك أثناء وجود العلامة السيد عمر بن عبدالرحمن المشهور قاضي تريم سابقاً بها، فكان السيد عمر المذكور يلح على عمه السيد عبدالرحمن المذكور، لما آنس من حُسن استعداد المترجم له وميله الفطري للإقبال على طلب العلم ببعثه إلى الجامع الأزهر

بمصر. وقد وافق المترجم له وعمه السيد عبدالرحمن مبدئياً على هذا الاقتراح، غير أنه حدث أن عدل السيد عبد الرحمن عن تنفيذ ذلك، ولعل السبب عدم توفر المال لديه الذي يقوم بكفاية ما يحتاج إليه لتنفيذ هذا الاقتراح من نفقات السفر وغيرها.

ويرجع عهد المترجم له بالأبحاث التاريخية الحضرمية خاصة، وما يتعلق بعلم النسب، إلى حوالي سنة ١٣٣٢هـ. و نذكر من مؤلفاته هنا مما تم تصنيفه، أو مما يرجى ويقرب أن ييسر الله له إتمامه:

١- استدراكات وتحريات على تاريخ حضرموت في شخصيات. طبع بالمطبعة التجارية بعدن في ١٩ جماد الآخر سنة ١٣٧٥، وهو يحتوي على نقد كتاب الأستاذ سعيد عوض باوزير.
٢- نحو المدخل إلى التاريخ الحضرمي، مخطوط. ويشتمل على بحث وتحقيق للتعقيب على مقال الأستاذ الصحافي أحمد عوض باوزير، المنشور في جريدة النهضة العدنية في ١٦/ ١٠/ ١٣٧٣هـ بعنوان (المدخل إلى التاريخ الحضرمي).
٣- نقاش تمحيص وتنقيب عن حقيقة الملقب بالنفاط في بنى عيسى النقيب، طبع في جاكرتا اندونيسيا.
٤- تفنيد مزاعم الشيخ صلاح البكري. طبع في جاكرتا اندونيسيا.
٥- جلاء الحقائق وتمحيص النقل. نقد كتاب (صلة الأهل) للشيخ محمد بن عوض بافضل، مخطوط.
٦- الشواهد الجلية المفصحة عن مدى الخلف في القاعدة الخلدونية. يحتوي على أبحاث وتحقيقات علمية في نقض قاعدة ابن خلدون، التي يحاول جعلها أصلاً وقانوناً يرجع المحقق إليه في تمييز سلاسل الأنساب المضبوطة العد، عن غيرها من السلاسل المغلوطة العد -أي المنقوصة

أو المزيدة ـ مخطوط .

٧- لمحة من زاوية التاريخ الحضرمي. تحت الطبع، هي محاضرة تاريخية ألقيت في مقر جمعية الأخوة والمعاونة بتريم، في ٢٧ شعبان سنة ١٣٧٩هـ، تتضمن تحقيقات نفيسة في موضوع أبيات الشيخ الرحالة العلامة عبدالرحمن بن عبدالله بن أسعد اليافعي المكي الشهيرة، وهي:

مررت بوادي حضرموت مسلماً فألفيته بالبشر مبتسماً رَحْبَا

وألفيت فيه من جهابذة العلا أكابر لا يلقون شرقاً ولا غربا

ونسأل الله تعالى أن يديم له ولجميع المشتغلين بخدمة العلم، والمضطلعين بحمل مسؤولية إنارة العقول والأذهان، بتبراس حقائق العرفان كل توفيق، في سلوك أقوم طريق، والاقتداء بأكرم فريق. وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه والتابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين.

عبدالرحمن بن حامد السرى

* * *

تصدير

الحمد لله عمّت رحمته نوالاً وفضلاً، وتمّت كلمته صدقاً وعدلاً.

والصلاة والسلام على أسمى البرية كمالاً ونبلاً، وأكرمهم ذاتاً وفرعاً وأصلاً، سيدنا محمد وعلى آله وصحبه، من أشرقت بهم شموس العلم فبددت ظلاماً ونسخت جهلا، وعلى خلائقهم ممن مضوا على قصد السبيل بتشييد معاهد العلم الفياضة لإرواء الطلاب من معين العرفان علاً ونهلا، أولئك الكرماء على الله وعلى الناس ببذل صالحهم الخاص للصالح العام للأئمة ممن كانوا لمكارم البر والتقوى أهلاً. فأكرم بهم سادة قادة، وأكرم بها مناهجا وسبلاً.

وبعد: فإن في نشر تذكرة تحتوى على فذلكة عن مجمل شؤون وتاريخ معهد الرباط[1] بتريم، تأدية لحق المحسنين المؤسسين الذين انتهضوا لإبراز المشروع، وقياماً أيضاً بالواجب لتخليد ذكرى من حملوا رسالة العلم، ونشروا لواء الشريعة من علماء ومدرسين، بواسطة وجود هذا المعهد الديني العلمي، فأعلوا مكانته التي ظلت مكانة فريدة زمناً طويلاً، بحيث صار هذا المعهد المنار الأعلى في بلاد الجنوب العربي، وانتهت أشعة العلوم والثقافة الإسلامية والعربية التي تنبعث منه إلى إفريقيا الشرقية، وإلى أقاصي الملايا واندونيسيا.

وعسى أن يكون من الثمرات التي يهدف الاهتمام إليها بتصنيف هذه

---

(١) ترجع الأسبقية في إنشاء الأربطة العلمية الدينية بحضرموت، إلى الإمام العارف بالله الحبيب علي بن محمد الحبشي، نفع الله به. فقد أنشأ رباطه المعروف بسيئون، قبل سائر الأربطة بحضرموت، ونسج على منواله أولئك القائمون بمشروع الوقفية، التأسيسية، بإنشاء رباط تريم.

أما تاريخ إنشاء رباط الحبيب علي المذكور بسيئون، فيقع في سنة ١٢٩٦ ست وتسعين ومائتين وألف هجرية، على ما استفدناه مما كتب به إلينا حفيده السيد الفاضل الجليل عبدالقادر بن محمد بن علي الحبشي، كما وجد ذلك في كلام الحبيب علي المنثور.

التذكرة، أن يتجدد للغيورين الذين يهمهم شأن العلم والدين، التفات لتدعيم ما وصل إليه مستوى التعليم، وتخريج الطلبة في هذا المعهد الذي له تاريخه الشهير، وماضيه الزاهر، والذي أصبح اليوم وحده المعقل الأخير لطلاب التخصص في الفقه وعلوم العربية بتريم، أشهر بلدان الجنوب في تاريخ العلم والدين، بمن أنجبته من الكثير الطيب من رجال العلم وقادة الملة.

ولن يتم هذا الالتفات وهذا التدعيم إلا بمراعاة اختيار المدرسين من ذوي الكفاءات العالية، وتحميلهم مسؤولية السير بجد لبلوغ المقاصد والغايات المنشودة، من قيام مشروع هذا المعهد العلمي الديني، كما ينص على ذلك ما جاء في الفقرة الثالثة من صيغة الوقفية التأسيسية لهذا المعهد عن المقاصد الأساسية له. مع أن من المعلوم أن مراعاة هذا الاختيار للمدرسين هو روح هذه المقاصد، وعليه يدور شأن مشروع المعهد كله، وبدونه لا يتم الوصول إلى الغاية المرادة من إنشائه.

كما أن إقبال الطلاب على هذا المعهد ـ سواء كانوا من أبناء تريم أو من غيرها لن يساعد عليه شيء سوى هذا الذي ذكرنا من قيام ذوي الجدارة والكفاءات العالية من المدرسين، للأخذ في السير بهذا المعهد إلى الأمام بكل همة ونشاط، فلا يتعثر في السير الضعيف الواني بسبب القصور وفتور الهمة.

وصفوة القول أن أخشى ما يخشاه كل ذي غيرة وذي شعور إن دام هذا السير أن ينقطع هذا المعهد دون أدنى الغايات المرادة من تأسيسه، وبدلاً من أن يعمل هذا المعهد لسد الفراغ الواقع اليوم في نفس البلاد، بالعكوف على ما يطلب منه من التعمق في دراسة علوم الملة، والعلوم العربية، وتخريج الطلاب المتخصصين فيها في مدة محدودة، وأعوام معدودة، يقررها المعهد، حتى يتخرج فيما بين كل بضعة أعوام مثلاً طائفة لتأتي أخرى، يخشى بدلاً من كل هذا أن يصبح هذا المعهد في نهاية الأمر إلى أن لا يزيد على كونه تكية من التكايا. وحينئذ تكون النتيجة هي تمضية أزمنة وأعمار، كما هي إضاعة جهود ونقود يخسرها

المجتمع، أحوج ما كان لصرفها على من هو أكفأ من الرجال المتأهلين لحمل أمانة خدمة العلم والملة فيما هو أجدى من الوسائل الكفيلة بتحقيق المراد، وبلوغ المقاصد الأساسية للمعهد.

فهذه هي كلمة التصدير لهذه التذكرة الموسومة بـ(تذكرة الباحث المحتاط، في شؤون وتاريخ الرباط). وهي فيما نعتقد عمل يدعونا إليه واجب الإخلاص والغيرة بوضع هذه التذكرة بين يدي الكرام البررة من علماء وأعيان من سائر الإخوان والمواطنين، بسبيل أن يقوموا بلفتة صادقة، وينظروا بعين رامقة، إلى هذا المعهد العلمي الديني، فيسعفوه بمختلف المساعدات، من مادية وأدبية، ويحوطوه بكل عناية وعطف، بما لديهم من إرشادات وملاحظات، وكذا من نصائح للقائمين بالنظارة الحالية؛ خدمة لمستقبل العلم والدين، وحرصاً على مركز تراث عظيم، يعد في طليعة مآثر هذا البلد الأمين، والله ولي الهداية وهو الموفق والمعين.

* * *

توطئة

كانت زوايا التعليم ومواضع التدريس في مطلع هذا القرن الرابع عشر الهجري بتريم، التي يرتادها الطلبة للتخرج في علوم الفقه والنحو وغيرهما من العلوم، وفنون الدراسة المعهودة التي كان يتلقاها النشء من أبناء تريم، وممن يفدون إليها من الخارج.

كانت هذه المواضع كالآتي:

مدرسة آل عبدالله بن شيخ العيدروس: ويتولى التدريس فيها الحبيب العلامة أحمد بن محمد الكاف.

وزاوية سيدنا الإمام الشيخ علي بن أبي بكر بن عبدالرحمن السقاف: وكان المتولي للتدريس فيها الحبيب العلامة مفتي الديار الحضرمية عبدالرحمن ابن محمد المشهور. وكذلك كان يدرس أيضاً آنذاك بالسحيل في بيته الذي كان يعرف بدار القراءة.

وزاوية مسجد سرجيس: ويتولى التدريس فيها الشيخ العلامة محمد بن أحمد الخطيب، بعد أن كان يدرّس قبل ذلك بزاوية مسجد الأوابين.

وزاوية مسجد نفيع: والمتولى للتدريس فيها العلامة الشيخ أحمد بن عبدالله البكري الخطيب بعد وفاة شيخه المؤسس لها الحبيب العلامة أحمد بن عبدالله بلفقيه سنة ١٢٩٩، وبعد وفاة الحبيب أبي بكر الخرد.

ومسجد سُوَيِّه: الذي يتولى التدريس فيه أيضاً هذا الشيخ أحمد المذكور.

ومسجد بني حاتم المعروف الآن بمسجد عاشق: ويقوم بالتدريس فيه الحبيب العلامة علوي بن عبدالرحمن بن أبي بكر المشهور.

وزاوية الشيخ سالم بن فضل بافضل: والمتولي التدريس فيها العلامة الحبيب أبو بكر بن عبدالله الخرد المتوفى سنة ١٣١٢.

ولعله من أجلِ تعزيز الجهود المبذولة حينذاك لتنشيط الحركة العلمية التي يقوم على رأسها أمثال مفتي الديار الحضرمية، العلامة الحبيب عبدالرحمن بن محمد المشهور، والعلامة الحبيب علوي بن عبدالرحمن بن أبي بكر المشهور، والشيخ العلامة أحمد بن عبدالله البكري الخطيب. تضافرت الهمة من أثرياء تريم من القاطنين بها، والمهاجرين بسنقفورة وجاوة. فقام أولئك النفر من آل الحداد، وآل السري، وآل الجنيد، وآل عرفان بما بذلوه وما جمعوه من المال من أرباب البِر والإحسان، بإنشاء تلك الوقفية التأسيسية لمعهد الرباط بتريم، وتنظيم ما ينص عليه قانونها من الشروط والمقاصد المسجل ذلك القانون بسنقفورة، وذلك بوقف العقارات المشتراة بسنقفورة المخصصة للاستغلال باسم هذا المعهد، وعندما أخذوا في اختيار الموضع بين مختلف المواقع في مدينة تريم بحسب نظرهم في ذلك الوقت، وعزم السيد المفضال محمد بن سالم السري على شراء بيت ورثة سعيد مقبل ووقفه، ليكون موضعاً لبناية المعهد، وقد تم له شراء ذلك بتاريخ ١٠ القعدة سنة ١٣٠٣، كان أن سارع أحد عظماء الأتقياء، ونجباء الأسخياء، وكرماء الأثرياء، وهو السيد أحمد بن عمر الشاطري، لإحراز قصب السبق في مضمار هذه المبرات الخالدة، فبادر لشراء الدار المعروفة بدار محسن، والحارة المتصلة بها، وعجل بوقفها كي تقام في موضعها، وموضع دار ورثة سعيد مقبل البناية المراد إنشاؤها للمعهد. وكان وقف السيد محمد بن سالم السري المذكور لدار ورثة سعيد مقبل المذكور بتاريخ ١٨ القعدة سنة ١٣٠٣.

وجعل الواقفان المذكوران النظر في ذلك لأمناء الوقفية التأسيسية لهذا المعهد، أي (ترستي بيوت وعقارات سنقفورة) وهم السادة: عبدالقادر بن أحمد الحداد، ومحمد بن سالم السري، وأحمد بن عبدالرحمن الجنيد، والشيخ محمد بن

عمر عرفان، وخلفاؤهم وورثتهم وأوصياؤهم.

وبوشر العمل في مشروع البناء القديم والتمهيد لإقامة البناية، كما في تقارير السيد الجليل الثبت عمر بن أحمد الشاطري، وذلك بيوم السبت في ٢٥ القعدة من العام المذكور، وتم العمل في إقامة البناية المذكورة في آخر يوم من ذي الحجة العام الرابع بعد الألف والثلاثمائة، وكان الاحتفال بافتتاح هذا المعهد العلمي الديني في ١٤ محرم سنة ١٣٠٥ بقراءة قصة المولد النبوي الشريف.

وكان الإشراف العام والرئاسة العلمية في معهد الرباط المذكور مسنداً من قبل الأمناء في ترتيب التدريس الخاص، والتصدر في الدرس العام الذي يعقد يومي الأربعاء والسبت من كل أسبوع، كل ذلك كان إلى العلامة مفتى الديار الحضرمية الحبيب عبدالرحمن بن محمد المشهور[1].

---

(١) لإتمام الفائدة نقتطف بعض ما ورد في رسالة مؤرخة ٢٢ شعبان ١٣٠٥، كتبها السادة عبدالقادر بن أحمد الحداد، وأحمد بن عبدالرحمن الجنيد، وعمر بن أحمد الشاطري، وعمر بن سالم السري، إلى السيد محمد وعقيل ابني سالم السري بسنقفورة، هي أشبه ما تكون بتقرير يقدم عن حالة وسير هذا المعهد، وتكاليف البناية والميزانية، واهتمام الحبيب عبدالرحمن المشهور بوضع الترتيبات للتدريس الخاص للطلبة، فما جاء فيها بشأن الإقبال العظيم على الانضمام للتعليم بهذا المعهد في هذه الرسالة ما لفظه: ((وعمارة المدارس فيه بالطلبة وغيرهم معاد تنزاد)) أي مما لا مزيد عليه ((وكل شهر أحسن مما قبله)). وأما عن شدة اهتمام الحبيب عبدالرحمن المشهور بوضع الترتيبات لدراسة الطلبة فقد ذكروا في هذه الرسالة: ((وفي رمضان بعض المدارس)) يقصدون بذلك دروس الطلبة ((با تتوقف وجعَلَ لهم ترتيب خاص الأخ عبدالرحمن لترتيل القرآن وتجويده)).

ومما ورد في هذه الرسالة القيّمة والوثيقة التاريخية، مما يحسن كشهادة وعبرة لنظرات صادقة، وتفكير صائب بقصد محاولة تحويل بعض ما للوقفية من المال بسنقفورة لشراء أراضي ونخيل بحضرموت للوقفية، للاستغلال احتياطا لطوارئ الزمان، وتطورات الأحوال، مما ختمت به هذه الرسالة من الاقتراح وهو قولهم: ((والمطلوب إن سعيتم في دراهم مع الذي عرفتم أنه بطرفكم ١٢٠٠ ريال إن لم تأخذوا بها بيوت بانحول عليكم بقدرها هذا الذي استحسناه ونشتري للرباط بها نخل وذبر منه حاصل في أماكن زينة، ولا يمكن ماله بعيد منه وما ندري بالوقت وما الأيام والليالي منطوية عليه، واجتمع رأي الجميع على هذا، وأنتم فكروا وانظروا بعين الحقيقة إلى نهاية الأمر والزمان)).

فتفكر في بعد نظر هؤلاء الأكياس، وأنه كيف تكشفت الحوادث اليوم وبرهنت الأحوال الراهنة عن =

أما الإشراف على العمارة في إقامة البناية وما يتعلق بإدارة أمور الطلبة المقيمين بالمعهد فموكول من قبل الأمناء المذكورين إلى اهتمام السيد المحسن الموفق عمر ابن أحمد الشاطري المذكور، فقد تبرّع رحمه الله وأجزل ثوابه بالخدمة أكثر من خمسة وثلاثين عاماً، فكان من سنة ١٣٠٣ إلى مستهل سنة ١٣٣٩ لا يتناول أي فلس لقاء أتعابه في خدمة هذا المعهد، ثم في سنة ١٣٣٩ إلى حين وفاته سنة ١٣٥٠ إنما كان يخصم خدمة زهيدة كانت الحاجة قد اضطرته إليها. تقبّل الله منه صنيعه الجميل الخالص لوجه الله، وطيب ثراه.

* * *

= تلك الحقيقة التي كأنهم ببصائرهم النافذة وإدراكهم الواعي كانوا ينظرون إليها من وراء حجاب، وأضحت الآن حقيقة ملموسة لدينا أمام ما يطبق من المبدأ القائل بإبطان الثروة، والقاضي بمنع تسرب الثروة من مملكة إلى أخرى إلا مقايضة.

التدريس

المدرسون للطلبة في التدريس الخاص

الصدارة في الدرس العام

ما كاد هذا المعهد يفتح أبوابه لقبول الطلبة في مستهل عام ألف وثلاثمائة وخمس، ويتولى التدريس الخاص فيه من فقه، وتوحيد، وتجويد، وصرف، ونحو وغير ذلك من علوم العربية أمثال أولئك العلماء الأعلام وهم: الحبيب العلامة النحرير السيد علوي بن عبدالرحمن بن أبي بكر المشهور[1]، والسيد الفقيه

(١) ولد بتريم سنة ١٢٦٣، وتوفي بها في محرم سنة ١٣٤١ من مشاهير علماء حضرموت وفقهائها، حفظ القرآن العظيم على المعلم عوض بكر بن عوضه بتريم، ثم أمره والده بالرحلة إلى الخريبة بدوعن مع بعض، إخوانه لتلقي العلم بها على العلامة الفقيه الشيخ محمد بن عبدالله باسودان، ومكث بها نحو سبع سنين، ثم رحل إلى الحجاز فتلقى عن شيوخ العلم هناك كالشيخ العلامة الشهير السيد/ أحمد زيني دحلان، والسيد العلامة النحرير حسين بن محمد الحبشي، وكذلك رحل إلى اليمن، ورحل أيضاً إلى مصر مرتين، واتصل بعلمائها كالسيد العلامة الشهير أحمد بك الحسيني شارح كتاب (الأم) للإمام الشافعي، وتزوج بها، ثم بعد أن تضلع من العلوم نصّب نفسه للتدريس ونفع الطلبة بتريم بمسجد عاشق المعروف سابقاً بمسجد بني حاتم، وبمعهد الرباط المذكور، وله رحلات للتذكير والدعوة إلى الله إلى إفريقيا الشرقية، وملايا، واندونيسيا، وسيلان، والهند، وكثيراً ما كان يسافر للبوادي بحضرموت وغيرها لهداية البادية وإرشادهم، وأحياناً يستصحب معه العمال لحفر الآبار في المناطق التي تشح فيها المياه، وقام ببناء وتأسيس بعض المساجد المعروفة بتريم والمكلا وغيرها وممن تلقى عنه وتخرج به السيد العلامة عبدالله بن عمر الشاطري، والشيخ العلامة محمد بن أحمد الخطيب، والشيخ الفقيه فضل بن عبدالله عرفان، والسيد العلامة عيدروس بن محمد بن هارون بن شهاب وغيرهم، وكان نفع الله به من نوابغ المدرسين الممتازين بالحذق في جودة التقرير، وحسن الإلقاء، وسهولة التعبير، ومما يؤثر عن أحمد بركات الشبامي ذي المفاكهات اللطيفة، والنكات البديعة، وقد سأله بعضهم عن مشاهداته ومن لقيه في خلال زيارة قام بها حينذاك إلى تريم ماراً بحوطة آل أحمد بن زين الحبشي والغرفة وسيئون، وكان طوافاً أثناءها على مواضع التدريس ومجالس العلم بالمعاهد والمساجد التي يتولى التدريس فيها علماء هذه البلدان فقال: لقد حضرت تدريس العلامة فلان، والحبيب فلان، والشيخ فلان فلم أخرج بطائل، ولا فائدة لأن أحدهم قد جعلني أضيع بين الحجر والرمل - قال ابن حجر قال الرملي- وكثير لم أدر ما يقولون، لكن الحبيب علوي بن عبدالرحمن المشهور الذي كنت قد حضرت تدريسه في مسجد عاشق =

العلامة القاضي الورع حسين بن أحمد بن محمد بن عبدالله بن محمد الكاف[1]، والشيخ العلامة أحمد بن عبد الله البكري الخطيب[2]، والعلامة السيد حسن بن علوي بن شهاب[3]، والشيخ العلامة النحرير أبوبكر بن أحمد بن عبد الله

= هو الذي كنت قد استفدت من تقريره؛ إذ كان ينشر ويوضح لك المسألة من جميع جوانبها بحيث يصورها لك في طولها وعرضها ليقرب فهمها إلى ذهنك وإلى حد في إفادته للطالب كأنه يأخذ المسألة بعد وعي الطالب لها فيلفها له في غلاف لينصرف بها في جيبه، وهكذا لا ينصرف المرء من تدريسه إلا وهو قد وضع يده على ما يكون قد احتواه من مسألة أو مسألتين أو ثلاث مسائل من العلم.

ويؤثر عن هذا الحبيب نفع الله به أنه كان يقول: إنني أقرر عبارة (فتح الجواد) للعلامة ابن حجر بنفس العبارة التي كان يقرر بها شيخنا محمد بن عبدالله باسودان، وكان شيخنا محمد المذكور يقرر أيضاً بنفس عبارة شيخه الحبيب العلامة عبدالله بن عمر بن يحيى.

ومما لا يفوتنا إثباته بهذا التعليق هو ما منح الله هذا الحبيب من السمت الحسن، والبسطة في العلم والجسم، فكان كما وصفه أحد علماء المغاربة الجامعين بين العلوم القديمة والحديثة ممن ساح في مختلف الأقطار، وهو السيد محمد صالح الباجي التونسي المعروف بالشواشي من أقران الشيخ عبدالعزيز جاويش، والشيخ حافظ وهبه، فقد لقي السيد محمد المغربي هذا الحبيب علوي المذكور أثناء رحلة الحبيب علوي الأخير إلى جاوة بقرسي، فقال من أثناء حديث دار بيني وبينه:((إن هذا الحبيب علوي، والحبيب محمد بن أحمد المحضار كانا بين من لقيتهم من أكابر وعلماء السادة الحضرميين ممن لا أقول عنهما إنهما يملآن العين فقط، لكني أقول يملآن العين حتى تفيض))، ومما يتسم به هذا الحبيب من صفات جليلة، وأخلاق عالية أنك بينما تجده أشد الناس عزوفاً عن مواقف الضعة وترفعاً عن التملق للكبراء من أغنياء وأمراء تلقاه جم التواضع عظيم الحفاوة في مقابلة أهل الفضل والدين وتكريم العلماء، وإظهار العطف والاحترام لطلبة العلم حتى إنه عندما يلاقي في الطريق العام وهو راكب طالب العلم كثيراً ما يترجل فينزل لملاقاته ومصافحته، يرى أن ذلك حق لتكريم العلم في شخص هذا الطالب، وحافز يزيد من إقبال طلاب العلم واهتمامهم في التحصيل، ومن معرفتهم بمكانة العلم بين الناس .

(١) كان عالماً جليلا، تولى القضاء بتريم مرتين، وتوفي بها سنة ١٣٣٣، قال عنه شيخه مفتي الديار الحضرمية الحبيب عبدالرحمن المشهور في (شجرة أنساب السادة العلويين) ما مثاله: ((سيداً ذكياً فقيهاً رضياً)).

(٢) ولد بتريم سنة ١٢٥٧، وتوفي بها في ٢٨ جمادى الأولى سنة ١٣٣١، كان حبراً عالماً فقيهاً صوفياً وأديباً نحوياً، تخرج بتريم على شيخه الحبيب العلامة عبدالله بن أحمد بلفقيه المتوفى بتريم سنة ١٢٩٩، ثم رحل إلى الحرمين الشريفين وتلقى بهما عن السيد العلامة أحمد زيني دحلان، والحبيب العلامة محمد بن حسين الحبشي، وانتدبه أشياخه أثناء مجاورته بمكة المكرمة لنشر الدعوة في قرى وبوادي الحجاز، ثم عاد إلى حضرموت وتصدى للتدريس ونشر العلم، وكان الغالب عليه الميل للتصوف، وممن تخرّج به أولاده العلماء الفقهاء الأعلام أبو بكر وعبد الله .

(٣) كان من أعيان علماء تريم المبرزين، تخرّج وتلقى العلم من فقه، ونحو وغيرهما عن أئمة وشيوخ =

البكري الخطيب[1]، والشيخ محمد بن أحمد الخطيب[2].

وتسامع الناس بذلك حتى تسارعوا إليه، وأقبلوا على الانتظام في سلك طلابه إقبالاً عظيماً، وهؤلاء المدرسون هم الذين انتدبوا للقيام بهذه المهمة من حين افتتاح هذا المعهد في سنة ١٣٠٥ إلى سنة ١٣١٤، حينما تأهل وانتدب لذلك العلامة السيد عبدالله بن عمر الشاطري على إثر عودته من الحجاز، وهو رحمه الله ممن تلقى العلم أولاً بحضرموت في هذا المعهد على بعض أولئك المدرسين،

= عديدين بحضرموت، والحجاز وغيرهما، نذكر في مقدمتهم الحبيب الإمام عيدروس بن عمر الحبشي بالغرفة، والحبيب الإمام علي بن محمد الحبشي بسيئون، والإمام أحمد زيني دحلان بمكة، والسيد سالم ابن أحمد العطاس مفتي جوهور ببلاد الملايا، وأقام مدة بسنقفورة لتعاطي التجارة والكسب، وأصدر بها منذ حوالي ستين عاما جريدته (الوطن) ولعله أول حضرمي زاول الصحافة، وكان الرائد الأول لها بين أولئك القلائل من الأفراد الحضارمة بسنقفورة، القائمين هناك حينئذ بحركة النهضة الإصلاحية العربية الحديثة، ولقد لقيته بجاوة لعله في سنة ١٣٣٠ قبيل عودته الأخيرة إلى حضرموت، وكانت وفاته رحمه الله بتريم سنة ١٣٣٣.

(١) ولد بتريم سنة ١٢٨٦ وتوفي بها سنة ١٣٥٦ أحد الفقهاء الأفذاذ الذين أنجبتهم حضرموت في العصور المتأخرة المشهود لهم بسعة العلم والورع. تلقى علوماً شتى من نحو، وفقه، وأدب وتصوف وغيرها وتصدر للإفتاء قبل أن يبلغ العشرين من العمر، وانتهى إليه مقام الفتيا عقيب وفاة شيخة العلامة مفتي الديار الحضرمية الحبيب عبدالرحمن المشهور، وكان على أعظم جانب من التواضع، والزهد، والعبادة، والتقشف، وحج بيت الله الحرام مراراً، وقد جمع من فتاويه الجليلة النفع، القيمة الفائدة، ما تم العثور عليه، وذلك في أواخر أيام حياته، وقوبل، عليه رحمه الله وأثابه رضاه وجعل الجنة مأواه.

(٢) ولد بتريم سنة ١٢٨٤، وتوفي بها سنة ١٣٥٠، كان علامة نحريراً، وفقيهاً مدرساً حاذقاً تلقى عنه الكثيرون ليس خلال تدريسه بهذا المعهد فقط، ولكن فيما كان يقوم به أيضاً من التدريس في زاوية مسجد الأوابين، ثم زاوية مسجد سرجيس، ثم زاوية مسجد بروم؛ إذ يحضر دروسه كثير من أعيان الطلبة من أهالي تريم وغيرهم، وممن لازم التلقي عنه السيد الفقيه العلامة عمر بن محمد بن إبراهيم السقاف، والسيد العابد الصالح أبو بكر بن محمد بلفقيه والسيد الأديب العلامة حسن بن عبدالله الكاف، والسيد العلامة علي بن زين الهادي، والسيد الفقيه العلامة سالم بن سالم السري، والسيد العلامة عقيل بن عبدالله مطهر المولود بتريم، والمتوفى بمكة المكرمة مجاوراً لطلب العلم بعد سنة ١٣٣٩ عما يناهز الأربعين عاماً من العمر، والسيد الأستاذ الأديب الكبير والمؤرخ الشهير محمد بن هاشم بن طاهر، والشيخ الفقيه الصالح عبدالرحيم بن عبدالله بن سالم الخطيب، والسيد الفقيه العلامة أبو بكر ابن محمد السري.

وخاصة الحبيب علوي بن عبدالرحمن المشهور، والحبيب عبدالرحمن المشهور، وكذا على الحبيب أحمد بن محمد الكاف وغيرهم من علماء تريم وسيئون والغرفة، ثم سافر للحج بمعية والده في سنة ١٣١٠، وأراد أن يستمر في الطلب والاستزادة من العلم بالتلقي عن علماء الحرمين الشريفين، فكان ابتداء طلبه للعلم بمكة في ١٥ محرم سنة ١٢١١، وبقي مجداً في ذلك إلى ١٥ الحجة سنة ١٣١٣ حينما عزم على العودة إلى حضرموت[1]، وقد كان من أول مساعديه لدى توليته زمام التدريس الخاص بهذا المعهد السيد العلامة علوي بن أبي بكر الخرد[2] والشيخ محمد بن حسين البيضاوي الهيثمي، الذي قدم حضرموت سنة

(١) ولد بتريم سنة ١٢٩٠ وتوفي بها سنة ١٣٦١ صنف في ترجمته تلميذه السيد الفقيه العلامة الواعظ محمد ابن سالم بن حفيظ بن الشيخ أبي بكر بن سالم مصنفاً سماه (نفحة الطيب العاطرى) وينبغي بمناسبة ما نحن فيه من هذا الموضوع في الترجمة لهذا السيد الذي ارتضع أفاويق العلوم، ونشأ وترعرع قبل وبعد قيام هذا المعهد في كنف شيخيه وركني تخرجه العلمين الشهيرين المتولين زمام التعليم والتدريس الخاص والعام في هذا المعهد، وهما الحبيب العلامة عبدالرحمن المشهور، والحبيب العلامة علوي بن عبد الرحمن المشهور، وينبغي أن نذكر أن هذا السيد البعيد الهمة القوي العزيمة الذي أراد بحق وعن جدارة أن يكون كفواً وخلفاً لشيخيه المذكورين في اقتعاد تلك المنصة، والتربع بتلك المكانة قد أدنى له الجد المتواصل في تلقي العلم وتحصيل الفنون الوصول إلى ما كان يترشح له، وينشده من هذه الغاية وما يتوج به جهاده العلمي من تولى الرئاستين في التدريس الخاص أولاً منذ سنة ١٣١٤، ثم في الدرس العام في سنة ١٣٤٤، وصار يصدق عليه حينئذ قول الشاعر أبي العتاهية:

أتته الخلافة منقادة ... إليه تجرر أذيالها

فلم تك تصلح إلا له ... ولم يك يصلح إلا لها

وقد تخرج به في المدة التي قضاها في رئاسة التدريس الخاص بالمعهد وهي نحو (٤٧) سنة الجم الغفير، وانتشر عنه ذلك النفع الكبير، مما يعود الفضل فيه إلى ما أوتيه من التعمق في العمل والمثابرة والانقطاع لوظيفة التدريس، فوق ما تحلى به من إخلاص وتفان في خدمة العلم، جعله يمضي كل هذه المدة الطويلة هو ومساعدوه على منهج من تقدمهم من شيوخ العلم بهذا المعهد في التبرع بالتدريس مجاناً لوجه الله تعالى، وإن شئت فقل وبالتبرع أيضاً بتحويل ما يستحقونه أي من المقرر للماهيات للمدرسين المقدم الرتبة في مصارف الوقفية التأسيسية على ما يليه في الرتبة، وصرفه لأقوات الطلبة المقيمين بالمعهد، وكذا إلى غيره مما يطلب من قهوة وبخور للمدرس العام وللاحتفال السنوي بذكرى المولد النبوي.

(٢) توفي بتريم في ٧ شعبان ١٣٥٥ مما يناهز الستين عاماً من العمر.

١٣١٥، ومكث فيها نحو ثماني سنوات يتلقى العلم بهذا المعهد، ولا يزال يعيش ببلده، وهو في حدود العقد التاسع من العمر، ثم كان من أكبر مساعديه المدة المستطيلة الحبيب العلامة علوي بن عبدالله بن شهاب.

وممن كان من مساعديه المدة الطويلة أيضاً السيد العلامة حسن بن إسماعيل ابن الحامد بن الشيخ أبي بكر بن سالم، وممن عرفناهم من مساعديه السيد العلامة علوي بن عبد الله الحبشي، والسيد العالم علي بن عبد الله بن شهاب، والشيخ العالم سالم باحميد من أهالي قرية عرف، والشيخ الفقيه عبدالرحيم بن عبد الله الخطيب. وبعد هؤلاء كان من تلاهم من أكبر مساعديه الفقيه العلامة السيد أحمد بن عمر الشاطري، والسيد العلامة الفقيه حامد بن محمد السري، والعلامة الفقيه السيد عبد الله بن شيخ بلفقيه، والعلامة السيد محمد بن حسن بن شهاب، والشيخ العلامة سعيد حداد المكفوف البصر، ولعله من أهالي حبان، والشيخ الفقيه أحمد بن عمر العزب، وأخيراً العالم الأديب السيد زين العابدين الجنيد، والشيخ الفقيه العلامة سالم سعيد بكير رئيس مجلس الإفتاء بتريم حالياً، والسيد الفقيه العلامة محمد بن سالم بن حفيظ، والسيد العلامة المؤرخ عمر بن علوي الكاف، والشيخ العالم المدرس بهذا المعهد محفوظ بن سالم ابن عثمان، والشيخ الفقيه عمر بن عوض حداد، والأديب العلامة السيد محمد بن أحمد الشاطري، والعالم الواعظ السيد محمد بن الحبيب عبد الله بن عمر الشاطري.

وبعد إنهاء الكلام فيما يتعلق بشؤون التدريس الخاص للطلبة، وذكر من تولى ذلك التدريس ومساعديهم فيه منذ افتتاح هذا المعهد الشهير، نأخذ في سرد ما يختص بالدرس العام من التحقيقات، فنقول: يعقد هذا المدرس العام بالمعهد للقراءة في التفسير، والحديث، والفقه، والتصوف، والمدون من كلام ومذكرات أئمة العلم والصلاح من مشاهير حضرموت في العصر الأخير، وميعاد عقده

بيومي الأربعاء والسبت[1] من كل أسبوع ما عدا الأيام التي تصادف المناسبات من الأعياد، وشهر رمضان، وزيارة نبي الله هود على نبينا وعليه أفضل الصلاة والسلام، أو التي يتفق فيها وجود عائق من نحو تشييع جنازة من يهتم المتصدر بحضور جنازته، أو جمهور الحاضرين بهذا المدرس.

أما الصدارة في هذا المدرس فهي لمن يكون بمثابة عين العلماء بتريم، إذ يحضر هذا المدرس العام غالباً علماء وطلبة العلم بتريم ونواحيها، كما يحرص على حضوره غالباً الأعيان، وكثير ممن دونهم من أهالي تريم وضواحيها، وكذلك يحرص على شهوده القصاد لزيارة تريم.

فكان أول المتصدرين فيه الحبيب العلامة النحرير الحبر الشهير عبدالرحمن ابن محمد المشهور مفتى الديار الحضرمية، بصفته عين العلماء بتريم بذلك العهد[2]، وهو عهد الصدارة الأولى لهذا المدرس، واستمر على ذلك نفع الله به، إلى حين وفاته سنة ١٣٢٠، وقد كان يستخلف عند غيابه من هو مترشح لهذه الصدارة العلمية، فتارة أحد القائمين بالتدريس الخاص بهذا المعهد، وهو السيد

---

(١) يعقد هذا المدرس صباحاً، وفي تقارير السيد الجليل عمر بن أحمد الشاطري المؤرخة أواخر سنة ١٣٤٧ أنه هكذا يعقد الأربعاء والسبت لكن فيما يرويه البعض أنه إنما كان في بداية الأمر يعقد الأربعاء والأحد، ثم حول إلى السبت لكثرة ما يصادف صبيحة الأحد من ولائم الأعراس.

(٢) ولد بتريم سنة ١٣٥٠ وتوفي بها في صفر سنة ١٣٢٠ علامة شهير، وإمام نحرير في علوم وفنون شتى، ورعاً تقياً زاهداً، ومن أشهر مؤلفاته فتاويه الفقهية المسماة (بغية المسترشدين)، التي كانت ومازالت من أكبر مراجع الفتيا المعتمدة في فقه الشافعية، وكذلك (مشجرة في نسب السادة بني علوي)، الذي يعد الموسوعة الكبرى الجامعة لمحتويات المؤلفات السابقة المصنفة في أنسابهم وذكر مشاهيرهم، وعليه المعول بين أرباب الشأن في تحقيق وضبط أنساب بني علوي. ولا يتسع المقام لسرد الكثير من ترجمة هذا الإمام وإنما نكتفي بالإشارة إلى ماله من مكانة عظيمة ومنزلة عالية ومقام سام بين مشاهير العارفين وأقطاب أئمة العلم وأعلام الدين، فنورد هنا ما صرح به تلميذه الحبيب العلامة إمام الوادي والقطر وشيخ المرشدين الهداة والدعاة إلى الله في هذا العصر علوي بن عبدالله بن شهاب إذ يقول عنه: ((إنه متى عددنا الأئمة الأكابر من مشاهير الأسلاف كالفقيه المقدم، والسقاف، والمحضار والعيدروس، والحداد فينبغي عده في صف هؤلاء كخامس خمسة أو سادس ستة)) وقد ألف ابنه الحبيب العلامة علي في ترجمته وذكر مناقبه سفراً خاصاً سماه (شرح الصدور).

العلامة علوي بن عبدالرحمن بن أبي بكر المشهور، وتارة ابنه السيد العلامة علياً، وهو من غير القائمين بالتدريس الخاص بهذا المعهد، ويقال: إن ممن استخلفه في وقت من الأوقات الشيخ العلامة أحمد بن عبدالله البكري الخطيب.

أما الصدارة الثانية: فكانت للسيد العلامة الحبيب علي بن عبدالرحمن بن محمد المشهور[1] المدرس بزاوية الشيخ علي بن أبي بكر بن عبدالرحمن السقاف، فكانت -أي هذه الصدارة- له منذ وفاة أبيه سنة ١٣٢٠، وامتدت نحو ربع قرن إلى حين وفاته في شوال سنة ١٣٤٤، وكان يستخلف في غيابه السيد العلامة الحبيب علوي المشهور، أو السيد العلامة حسين بن أحمد الكاف، وفي آخر عهده بعد وفاة الحبيب علوي المشهور في محرم سنة ١٣٤١، كان يستخلف السيد العلامة الحبيب عبد الله بن عمر الشاطري المتولي للتدريس الخاص بالمعهد. وقد تقدم أن إسناد التدريس الخاص إليه كان منذ عودته من الحرمين سنة ١٣١٤.

وهنا نشير إلى احتواء الدروس بهذا المدرس العام غالباً على تقرير ومباحثات فيما يقرأ من الكتب لاسيما في علم الفقه، ومما يذكر أنه وقعت مباحثة بواسطة السيد العلامة حسن بن علوي بن شهاب في مسألة ماعون (الحُوَف) طوائف أبناء الحارث، هل يعتبر عارية أو أمانة، وكانت هذه المباحثة خلال هذه الصدارة الثانية. على أنه أحياناً قد يلقي هذا الحبيب شيئاً من المذاكرات في السير، ويتطرق إلى الوعظ، وذلك خلال ما يلوح بموضوع الدرس له - نفع الله به - مما يناسب المقام.

---

(١) ولد بتريم سنة ١٢٧٤ وتوفي بها في ٩شوال سنة ١٣٤٤ من أعلام الملة وأكابر العباد المتقين الورعين الزهاد، ذو جلد غريب، وروحانية قوية في مزاولة النسك ومعانقة العبادة. وحسبنا فيما يُروى عنه أنه وقد اشتد به مرض الموت وفي اليوم الذي توفي فيه صلى نحو مائة ركعة بل وكأنه فيما يرويه أيضاً عنه العلامة الثقة الثبت السيد عمر بن محمد بن إبراهيم السقاف كان يتغذى بهذه العبادة، فقد ذكر أنه نزل عليه ضيفاً ذات ليلة ببلده قسم فلما حضر العشاء قال نفع الله به: إذا سمحتم لي فإني لا أرغب في الطعام وأريد أن أجعل عشائي هذه الليلة صلاة، ومضى في صلاته ليلاً طويلاً، ثم أخذ راحته ونام قدراً من الوقت إلى حين قيامه في السحر. قال السيد عمر المذكور: والغريب أنه نفع الله به كان عندما أصبح وقد بات طاوياً كان أوفر نشاطاً منا نحن الذين تناولنا طعام العشاء.

وأما الصدارة الثالثة: فهي صدارة الحبيب العلامة عبدالله بن عمر الشاطري، وكانت من سنة ١٣٤٤، أي بعد وفاة الحبيب علي المشهور إلى حين وفاته نفع الله به في سنة ١٣٦١.

وفي عهد صدارته عمل رحمه الله لما رآه من تأخر الهمم في الطلب، والجد في البحث، وهبوط المستوى العلمي، وانخفاض مقياس الوعي الفقهي، لدى الحاضرين في المدرس العام، بالنسبة إلى من كانوا سابقاً في عهد الحبيب العلامة عبد الرحمن المشهور، ويضاف إلى هذا زيادة الإقبال من سواد العامة، ومن في مستواهم على المواظبة في حضور هذا المدرس العام، وممن كانوا أكثرية الحاضرين، فجعل في هذا المدرس ينتحي غالباً نفع الله به ناحية الدعوة والإرشاد، والوعظ والتذكير، دون ناحية الدراسة والتقرير، والبحث والتحقيق[1]، و لكنه إرشاد فيّاض من جوانب إمام نحرير، وتذكير بلسان الحال والمقال، مفصح ومتدفق من بحر علم غزير، تلمع من حواشيه شذرات علمية في فنون شتى، من فقه، وحديث، وتفسير، ونحو، وأمثال ذلك.

وكان طيّب الله ثراه وعطر ذكراه يستخلف في غيابه الحبيب العلامة بقية السلف، وعين أعيان الخلف، الإمام الكامل الأواب علوي بن عبدالله بن شهاب. وقد استخلف في وقت من الأوقات السيد العلامة الحسن بن إسماعيل ابن الشيخ أبي بكر بن سالم كما بلغنا عن بعضهم.

ومن الواقع أنه مراعاة للتقاليد المتبعة غالباً بحضرموت في كثير من المجالس والمدارس العامة، وذلك أنه عند غياب المتولي مقام المشيخة أو

---

(١) كان السيد العلامة علوي بن أبي بكر الخرد، وهو من متخرجي هذا المعهد، ومن أقدم مساعدي الحبيب عبدالله الشاطري في التدريس الخاص قد طلب منه الحبيب عبدالله المذكور أثناء صدارته للمدرس العام حضور هذا المدرس، فأجابه قائلا له: إن كان هناك بحث وأخذ ورد فسأحضر، وإن كان المدرس قراءة وتذكيراً فلا أريد أن أحضر، فأرسل الحبيب عبدالله إليه أبياتا أولها:

أيا علوي دعوتك للمعالي ... فإن تكن السميع لها أجبتا

الصدارة، وتغيب خليفته المرشح لملئ هذا المقام، يسند حينئذ التقدّم المؤقت المحدد في هذا المجلس أو المدرس؛ لافتتاح المجلس، واختتامه بقراءة الفاتحة والدعاء إلى من يحضر من أرباب المقامات الدينية، فإن لم يحضر من هؤلاء أحد فإلى الأسن. ومن هذا القبيل كان يتقدّم المنصب السيد الجليل عيسى بن عبد القادر الحداد في أيام توليته المقام، وكذا أخوه السيد الفاضل عبد الله بن عبد القادر الحداد حينما تولى المقام بعده في عهد صدارة الحبيب عبد الله الشاطري.

أما الصدارة في الوقت الحاضر، ومنذ وفاة الحبيب العلامة عبد الله الشاطري في سنة ١٣٦١، فهي للحبيب العلامة شيخ الدعوة والإرشاد، وخليفة الأعلام القادة والأسلاف والأمجاد، والمجمع على فضله بين العباد علوي بن عبد الله بن شهاب، متّع الله بحياته، وأدام النفع به، وأفاض على الجميع شامل بركاته.

ولم يكن أمد الله في أيامه وأعوامه يستخلف عند تخلفه عن الحضور لقيام عذر به أحداً غير السيد العلامة المرحوم أبي بكر بن محمد السري[1].

أما بعد وفاة هذا السيد المرحوم أبي بكر السري، فلم يستخلف أحداً، بل جعل يمتنع عن استخلاف من يقوم مقامه عند تخلفه عن الحضور، ويقول: إنه ينبغي أن يتفق الناس على من يرتضونه للنيابة والاستخلاف، وأكون أنا كواحد منهم، كما صرح بذلك أمام الجمهور في الدرس العام الواقع يوم الأربعاء ٢٨ جمادى الأولى من عامنا هذا أي عام ١٣٧٨ عندما تكلف الحضور يومئذ أثناء توعك مزاجه من الحمى، حفظه الله وأبقاه.

(١) ولد بتريم سنة ١٣١٠ وتوفي بها في ٢٨ ربيع الأول سنة ١٣٧٦. كان فقيهاً، نحوياً، عابداً متواضعاً، صبوراً، وكان أحد المدرسين زمناً طويلاً بمدرسة آل الكاف التي أنشئت تحت رعاية جمعية الحق بتريم، ثم تولى التدريس في مدرسة قبة آل عبدالله بن شيخ العيدروس وكذا بمكتبة آل بحيى وهي الواقعة في جانب من موضع البقعة لدار سيدنا الفقيه المقدم أو ما يلاصقها، وكان مع ما له من مكانة مرموقة في العلم، والصلاح، والفضل والاستقامة ملامتي الحال، ميالا للخمول، رحمه الله وأرضاه.

الوقفيات والنظارة، الوقفية التأسيسية وملحقاتها
هيئة النظار (الأمناء)، وقفيات أخرى خاصة ومشتركة

تشتمل وثيقة الوقفية التأسيسية لمعهد الرباط المسجلة بسنقفورة المؤرخة في ١٠ مارس سنة ١٨٨٦، بين السيدين عقيل بن سالم السري، وعبدالرحمن بن علي الجنيد، كلاهما من تجار سنقفورة. وبين الأمناء السادة عبدالقادر بن أحمد الحداد، ومحمد بن سالم السري، وأحمد بن عبدالرحمن الجنيد، والشيخ محمد بن عمر عرفان، على الإشارة إلى المكاتبات المنعقدة بخصوص تحويل العقارات المشتراه بحسب بيانها للوقفية، وبوقفها وقفاً مؤبداً بمقتضى تفصيل الشروط المشروطة في هذه الوقفية فيما يتعلق بالأمناء، وبصرف الحاصل من العقارات في المصارف المعينة وعلى الوجه المقرر. وكذا في قبول الطلبة، وفي إدارة التعليم، وتقرير قواعده من وقت حسب ما يضعها الأمناء، وفي وضع قواعد لضبط سلوك الطلبة المقيمين بالمعهد، وكل ذلك مما يعود الحق وترجع المسئولية فيه إلى الأمناء وحدهم فقط. وكذلك فيما يختص باجتماعات هيئة الأمناء من ترتيبات عقد الجلسات، وأخذ القرارات، ومن نصب خازن لقبض المال وصرفه وتقييد الحسابات، وتقديم التصفية السنوية في الجلسة التي يعقدها الأمناء.

وهنا نقتصر في النقل حرفياً من صيغة هذه الوقفية التأسيسية على ما يهم الاطلاع عليه، ويناسب حجم هذه التذكرة بقصد إرشاد الباحث، ولخدمة التاريخ والحقيقة، وذلك مما جاء عقيب وصف وتحديد وبيان العقارات الموقوفة المذكورة بهذه الصيغة وهو قوله:

«تكون تلك الأملاك والعقارات الموصوفة أولاً وثانياً وثالثاً ورابعاً أعلاه محولة ليستعملها الأمناء المذكورون، وورثتهم، وأوصياؤهم، ومستخلفوهم بيد

الأمانة والمقاصد، وعلى الشروط المشروطة عليها بعد هذا أدناه وقوله:

والشرط أنه إذا أحد من الأمناء المذكورين المعينين مات في الخارج، أو طلب الانعزال، أو امتنع من العمل، فعند ذلك يجوز لبقية الأمناء، أو أوصيائهم، أو خلفائهم أن يعينوا بدل من مات، أو امتنع، أو انعزل، أو عجز. وقد صار الاتفاق على الشروط الآتية أدناه.

(١) إن الأمناء المذكورين أو اثنين منهم يُنَصَّبُون وكلاء معتمدين لقصد جمع الأكرية، ومحاصيل العقارات والأملاك المذكورة.

(٢) الأمناء المذكورون يستعملون تلك الأكرية والمحاصيل:

١- في بناء بيت وأماكن مناسبة تسمى برباط تريم (وتوصف بعد هذا أدناه بصفة المقام) في بلد تريم حضرموت بجزيرة العرب.

٢- في ترميم وإصلاح ذلك الرباط.

٣- في استحصال معلمين عارفين بشريعة وعلوم المسلمين[1] لقصد

---

(١) الملحوظ من التعبير في هذا المقام بقوله: ((عارفين بشريعة وعلوم المسلمين)) أن يدخل في هذا النطاق جميع ما زاوله المسلمون من علوم وفنون، لا ما يختص بعلوم الإسلام مما يتصل عن قرب بعلم الدين فقط، وما يعتبر من العلوم التي هي كالوسائل الضرورية لفهم كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم من علوم العربية.

ففي رسالة (الانصاف بين النحلة والإتحاف) المنسوبة للشيخ أحمد فهيم صدقي الدسوقي الأزهري المطبوعة بمطبعة الإمام كمنفى ليمتد بسنقافورة سنة ١٣٢٦ وهي مؤلفة للانتصار لمصنف النحلة أحد الشيوخ المدرسين الأوائل بهذا الرباط والمطالبين بإصلاح التعليم بحضرموت السيد العلامة الحسن بن علوي بن شهاب، المطبوعة بسنقافورة طبعاً حجرياً المفروغ من تأليفها سنة ١٣٢٣ ويغلب أن تكون رسالة الأنصاف هذه بالنظر إلى اسلوب كتابتها ومعظم محتوياتها أنها من وضعه أو بمشاركته فقد أوضح فيها كتب فيها ما يتعلق بهذا المقصد الذي يهدف إليه الملحوظ من هذا التعبير، فقد ذكر في بحث إصلاح التعليم بحضرموت ما ينبغي تدريسه من العلوم والفنون في الأربطة التي يشبه أن تكون مهمتها مهمة الجامعات والكليات بالنسبة لحضرموت - ذكر عند تعديده للعلوم والفنون المنشودة العلوم والفنون التي يزاولها المسلمون علم التفسير، والحديث، وعلوم العربية، والأدب، والمنطق، والتاريخ، والجغرافيا، وعلوم الهيئة، والفلك، والحكمة الإلهية، والهندسة، والحساب، والطب، =

تعليم فقراء العرب بفروضهم الدينية.

٤- في استحصال أقوات ومنازل للجالسين في ذلك المقام.

(٣) الأمناء المذكورون من وقت إلى وقت حسب القواعد التي يجرونها يلزمهم أن يعينوا من المعلمين المنتخبين رئيساً على تلك المدرسة أو المقام على بقية المعلمين والمحللين فيها، فيهتدوا بإرشاده حسب القواعد التي يقررها الأمناء.

(٤) لا يقبل دخول أحد في الرباط أو المدرسة المذكورة غير من كان من فقراء العرب التابعين للسنة، إما للحنفي أو الشافعي أو المالكي أو الحنبلي.

(٥) للأمناء أن يفعلوا قواعد فيما يتعلق بسيرة الحالين فيها. ولهم في أي وقت كان أن يخرجوا أو يطردوا أحداً منهم لسوء سيرته، أو إذا كانوا يرون أنه ليس مستاهلا لهذه الصدقة.

(٦) تدخيل الطلبة الحالين يكون في يد رئيس المقام، ولكن ليس هو مفوضاً على طرد أحد منهم.

(٧) في الغالب الأمناء يجتمعون مرة في السنة للنظر في أمور الصدقة المذكورة، ويكون في يوم يقرره الأمناء على ما يوافقهم.

(٨) يجوز للاثنين من الأمناء أن يطلبوا الاجتماع بإصدار إعلان مكتوب للبقية، وبإرسال إعلان إلى بيوتهم قبل الاجتماع ومقصده.

(٩) الأمناء يقررون لهم أكثرية الاجتماع.

(١٠) في كل جلسة الأمناء ينصبون لهم رئيساً.

---

* والزراعة، قائلا: «إنه لا يكفي أن تكون مهمة الأربطة مقصورة على فروع من فقه الشافعي» وجعل من علم النحو حتى كأنه يشير إلى التقصير الواقع في تطبيق ما تنص عليه هذه المادة بهذه الفقرة من المقاصد النبيلة لهذا الرباط.

(١١) كل أمر تفصله الأمناء بأكثرية الحاضرين، وإذا استووا في الرأي فالرئيس يكون رأيه مضاعفاً.

(١٢) حينما يصير تحرير كل ما يحدث من الأعمال بالجلسة في كتاب يوضع لذلك المقصد، ويصحح عليه الرئيس ويتحرر، ويصحح، يكون مشهداً بما يذكر فيه.

(١٣) الأمناء لهم أن يتحروا قواعد لإدارة أشغال الصدقة بشرط أن لا تكون مناقضة لأساسها.

(١٤) للأمناء أن ينصبوا خازناً من بينهم يقبض كل ما يلزم دفعه للمقام، ويلزم الخازن أن يقيد كما ينبغي حساب الداخل والخارج، ويصير تصفية حسابه في الجلسة المعتادة عند الاجتماع.

السيد عقيل بن سالم السري.
السيد عبدالرحمن بن علي الجنيد.
السيد عبدالقادر بن أحمد الحداد.
السيد محمد بن سالم السري.
الشيخ محمد بن عمر عرفان.
السيد أحمد بن عبدالرحمن الجنيد

أمضاها وختمها السيد عقيل بن سالم السري، والسيد عبدالرحمن بن علي الجنيد، والسيد عبدالقادر بن أحمد الحداد، وسلمت بحضرة براد ان فيكت وسلسر (معين الوكلاء) بسنقفورة.

أما الوقفيات الملحقة التي جعل النظر عليها بمقتضى النظر في هذه الوقفية التأسيسية المذكورة فمنها الوقفيتان لموضع بناية هذا المعهد، أولها وقفية السمح الجواد السيد أحمد بن عمر الشاطري وهذا نصها برمته:

«الحمد لله وحده، وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم.

أما بعد .. فقد وقع الطلب من السادة عبدالقادر بن أحمد الحداد، ومحمد ابن سالم السري، والشيخ محمد بن عمر عرفان بارجاء، والسيد أحمد بن عبدالرحمن الجنيد أرباب ترستي بيوت سنقفورة الموقوفة على مدرسة تريم التي ستبنى بها في سنة ١٨٨٦ ست وثمانين وثمانمائة وألف بموجب صيغة الترستي المحررة في عشرة مارس سنة ١٨٨٦ من السيد أحمد بن عمر الشاطري أن يقف داره المسمى دار محسن، والحارة التي بحريه على طلبة العلم بتريم من أهلها والآفاقيين بها، فأجابهم السيد أحمد لذلك رجاء للثواب، واشترط عليهم شروطاً، وقبلوا ما اشترطه، فقال: وبعد فقد وقفت وحبست وتصدقت وحرمت وأبّدت وأنا الفقير إلى الله تعالى أحمد بن عمر الشاطري، وذلك جميع داري المسمى دار محسن مع الحارة التي بحريه الكائنين بحافة السوق بساحتي مسجد الجامع وبابطينه بتريم المحروسة الحاد لذلك قبلياً الطريق ثم دار الغرنوق ودار آل قوزان ودار آل جنيد، وشرقياً دار آل مقبل، ونجد[1] أي شمالياً حيط مسجد بابطينه، وبحرياً أي جنوبياً الطريق ثم دار آل عبيدة، وقفت المكانين المذكورين ليبنى فيهما مدرسة وما احتيج إليها لطلبة العلم الشريف بتريم المستوطنين بها، والآفاقيين واشترطت أن لا يكون في حائل المدرسة النجدي أي الشمالي التي ستبنى في الأرض الموقوفة، والتي يستأجرها النظار من نائب مسجد بابطينه، أو التي تضاف إلى المدرسة من ملك ووقفية وإجارة وغير ذلك، لا خلفة، ولا فتحة، ولا كوة، ولا عكرة في جميع الحائل النجدي في المدرسة المذكورة. اللهم إلا جعل باب يخرج إلى مسجد بابطينة بأسفل المدرسة التي عند البير، وباب نافذ إلى باحة المسجد المذكور، ومنافذ بيوت الماء بالحائل المذكور.

واشترطت أيضاً أن لا يجعل باب في الجانب القبلي في أسفل الحائل لا في الخصر ولا غيره، بل يكون أسفل الحائل مسنداً، واشترطت أيضاً يكون علاء

(١) كذا بالأصل، ولعل الصواب نجلياً.

المدرسة قصرين معتدلين من غير سطوحه، وأن يكون شق الريوم النجدي غاية علاه خمسة أذرع طول والبحري لا يزيد على ثلاثة أذرع ونصف. وقفت وأنا أحمد بن عمر المذكور جميع ما ذكر بالشروط المذكورة وقفاً شرعياً معتبراً مرعياً مؤبداً محرماً وصدقة ماضية لا تبدل ولا تغير ولا تباع ولا تورث حتى يرث الله الأرض ومن عليها، وهو خير الوارثين، وجعلت النظر لمن جعل ناظروا ترستي على بيوت سنقفورة، وهم: عبدالقادر بن أحمد الحداد، ومحمد بن سالم السري، ومحمد بن عمر عرفان وأحمد بن عبدالرحمن الجنيد، ثم من سيوليه الأكثر عند موت أحدهم أو مخالفته، وثم من بعدهم ممن يتولى على الترتيب حسبما ذكر في صيغة الترستي المذكورة: ﴿ فَمَنۢ بَدَّلَهُۥ بَعۡدَ مَا سَمِعَهُۥ فَإِنَّمَآ إِثۡمُهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ يُبَدِّلُونَهُۥٓۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾.

جرى ذلك وصدر حال الصحة والاختيار من غير إكراه ولا إجبار، بتاريخ شهر القعدة الحرام سنة ١٣٠٣ ثلاث وثلاثمائة وألف وكفى بالله شهيداً.

كتبه وأشهد عليه وصح عنده وثبت لديه وحضره خادم الشريعة المطهرة بالغناء تريم عبدالرحمن بن أحمد فضل عبد القوي بلحاج بافضل.

أقر بجميع ما ذكر وجريانه السيد أحمد بن عمر الشاطري، وتلفظ به وكتب بأمره، وحضره وشهد به عمر بن أحمد بن عمر الشاطري.

أقر وشهد بما ذكر أعلاه عبدالقادر بن أحمد بن عبدالقادر الحداد .

أقر بما ذكر أعلاه الحقير محمد بن سالم بن علوي السري.

أقر بما ذكر السيد أحمد بن عبد الرحمن الجنيد.

أما الوقفية الثانية لموضع بناية هذا المعهد فهي وقفية السيد العلامة المحدث المسند الغيور الأريحي محمد بن سالم السري[1]، ولا يختلف ما تحتويه صيغة هذه

(١) ولد سنة ١٢٦٤ بسنقفورة وتوفي بتريم سنة ١٣٤٦، قال عنه الشيخ العلامة أبو بكر بن أحمد الخطيب في رسالته في ذكر من تولى الخطابة الجمعية بتريم ما لفظه: «وبعد فقد سألني وندبني سيدي وشيخي =

الوقفية عن صيغة السيد أحمد بن عمر الشاطري إلا في اسم الواقف، وذكر الدار الموقوفة الصائرة إلى الواقف بالشراء من ورثة سعيد مقبل بحدودها الأربعة، وتاريخ وثيقة هذه الوقفية في ١٨ شهر القعدة سنة ١٣٠٣هـ ثلاث وثلاثمائة وألف.

= الصفوة القدوة المحدث المسند الرحالة العلامة الولي السيد الشريف محمد بن سالم بن علوي السري، رحمه الله ونفعنا به وبأسراره» وذلك لما ذكر سبب تأليفه لهذه الرسالة، ونجد التنويه بهذا السيد المحدث العلامة وبمكانته بين محدثي عصره في بعض مؤلفات أشهر معاصر وأحد أئمة هذا العلم، وهو علامة المغرب السيد محمد عبد الحي الكتاني الفاسي، فقد سماه عند ما ذكره في كتابه: (فهرس الفهارس والأثبات) المطبوع بفاس سنة ١٣٤٧ حيث قال: ((مسند تريم بل مسند اليمن)). ومعلوم أن ذلك يرجع إلى ما لهذا السيد من الإسناد العالي والتقدم في علم الحديث، وأخذ جماعة عنه للأسانيد العالية في المسلسلات وأمهات كتب الحديث.

وكان متمكناً من علوم أخرى، ويقصده العلماء والطلبة في بيته، إما للأخذ عنه ولطلب الإلباس والإجازة، وإما للتبرك والقراءة عليه. وقد روى لي بعض كبار أدبائنا النابهين أنه في أوائل نشأته كان عندما أخذ في القراءة عليه في بعض الكتب جاهداً أن تكون قراءته معربة، وكان رحمه الله يلحظ أن ذلك مشوباً بشيء من التصنع فكان أن أشار عليه بترك التكلف، قال: ولكني أظهرت أن في وسعي التزام القراءة المعربة، فانبرى لي نفع الله به حينئذ ولم ينفك يتعقبني في أغلاطي في هذه القراءة حتى رأيت أن الانصياع للنصيحة هو الأولى، والأسلم في الموقف.

وذكر بعض الثقات عن السيد العلامة علوي بن طاهر الحداد، مفتي جوهور الحالي، وأنه وقع لصاحب الترجمة بسنغفورة في بعض مجالس الذكر التي كانت تعقد هناك (لعله في يوم معين من الأسبوع) لقراءة بعض كتب الفقه الشافعي، واحتيج لمراجعة كتاب (فتح الجواد) للشيخ ابن حجر أثناء البحث في بعض المسائل، وأنه عرضت في هذه المراجعة عبارة، اعتاص على الحاضرين، وفيهم أمثال السيد العلامة محمد ابن عقيل بن يحيى فهم المقصود منها، وبالرغم من إطالة التأمل ومعاودة النظر في هذه العبارة، تفرقوا عند انتهاء الدرس وقد كلت الأفهام بدون طائل.

وحدث أنه لما نام المترجم للقيلولة، أن رأى الشيخ ابن حجر مؤلف (الفتح) فقال له لما عرفه: مالك يا شيخ عقدت العبارة في (الفتح) حتى إنا قرأنا عبارة وعجزنا في محاولة فهم المراد منها، فقال له: اقرأ العبارة، فقرأها، فقال: أخطأت لأنك جعلت هذه الكلمة من العبارة فعل ماض وهي مصدر، قال: فلما قرأتها مصدراً تبين المقصود وانحلت المشكلة، فأخبر عقيب ذلك أقرانه بهذه الرؤيا، واتضح لهم الأمر جلياً من حيث فهم المراد من العبارة، وكان بعضهم قد أراد أن ينسب ما في هذه الواقعة للمترجم له - نفع الله به - إلى قوة الفهم وجودة الإدراك لا إلى ما يشبه الكرامة بواسطة الرؤيا وعامل الإلهام والتلقي، فصرح له آنذاك قائلا: إنا نسلم بصحة هذا الفهم للمراد، ولا نسلم بصحة الرؤيا، فرحم الله الجميع، وبوأهم حضائر قدسه، ومنازل قربه وأنسه، وأحلهم دار كرامته، وأنزلهم فراديس رضوانه.

فهي أي هذه الصيغة تنص كتلك الصيغة وبتلك الصورة على وقوع طلب أرباب الترستي المذكورين من السيد محمد بن سالم السري أن يقف داره المذكورة على طلبة العلم المذكورين، كما تنص أيضاً على ما اشترط لصيانة بيت السيد أحمد ابن عمر الشاطري الكائن نجدي بناية المعهد من عدم جعل نوافذ أو كوات، ومن تحديد علو الارتفاع لبناية المعهد، وكذا من شرط النظر لأولئك المتولين، ومن سيتولى نظارة ترستي بيوت سنقفورة حسبما في وثيقة الترستي المذكور.

ومما يجري مجرى هاتين الوقفيتين لبناية المعهد فيما بلغنا، وقفية السيد المفضال، ذي الشهامة والحمية عبد الرحمن بن علي الجنيد بالديار الصائرة إليه بالشراء، من آل الخديد لتوسعة بناية هذا المعهد، وكذا للاستغلال، وذلك من جعل النظر في هذه الوقفية لنظارة ترستي بيوت سنقفورة حسب صيغة الترستي المذكور.

أما هيئة النظار (الأمناء) فكانت أولى الهيئات تتألف من أولئك المنصوص عليهم في وثيقة الوقفية التأسيسية وهم السادة عبد القادر بن أحمد الحداد، ومحمد ابن سالم السري، وأحمد بن عبدالرحمن الجنيد، والشيخ محمد بن عمر عرفان.

ثم في ربيع الأول سنة ١٣١٤ موافق سنة ١٨٩٧، تكونت الهيئة الثانية من الأمناء الآتية أسماؤهم، وذلك طبقاً لقرار الجلسة المنعقدة لهذا الشأن بتريم، تحت رئاسة السيد محمد بن سالم السري، وننقل هذا القرار كما يأتي:

«في ١٣ ربيع الأول سنة ١٣١٤، طلب السيد محمد بن سالم السري اجتماع أوصياء المتوفين، وهم السيد عبد القادر بن أحمد الحداد، وأحمد بن عبد الرحمن الجنيد، ومحمد بن عمر عرفان، وحضروا السيد علوي بن عبد الرحمن الجنيد وصي أخيه أحمد بن عبد الرحمن الجنيد بموجب وصيته المحررة سنة ١٣١٣، والسيد عيسى بن عبد القادر بن أحمد الحداد وصي والده عبد القادر بن أحمد الحداد بموجب وصيته المحررة سنة ١٣٠٩، حال كون والده وصي محمد عرفان، وحضر الجميع بعد الإعلان بموجب الشرط في الترستي في بيت السيد علوي بن

عبد الرحمن الجنيد، واتفقوا على ما سيأتي:

(١) أولاً: رئيس المجلس في هذه الجلسة السيد محمد بن سالم السري.

(٢) اتفق الرأي بأن يكون السيد علوي بن عبدالرحمن الجنيد ترستي وناظر، بدل أخيه السيد أحمد بن عبدالرحمن الجنيد.

(٣) اتفق الرأي أيضاً بأن يكون السيد عيسى[1] بن عبد القادر الحداد ترستي وناظر، بدل والده السيد عبد القادر بن أحمد الحداد.

(٤) اتفق السيد محمد بن سالم السري، وعلوي بن عبد الرحمن الجنيد، وعيسى بن عبدالقادر الحداد، بأن يكون السيد عمر بن أحمد الشاطري ترستي وناظر، بدل المتوفى محمد بن عمر عرفان، وأعلموه بذلك، وقبل لكونه حاضراً. أقر بما ذكر أعلاه الفقير إلى ربه الجواد عيسى بن عبدالقادر بن أحمد الحداد عفا الله عنه.

- أقر بما ذكر الحقير علوي بن عبد الرحمن بن أحمد الجنيد.
- أقر بذلك الحقير محمد بن سالم السري ترستي مدرسة تريم.
- شهد على ذلك حسن بن محمد بلفقيه
- شهد على ذلك شيخ بن عوض الشاطري.
- شهد على ذلك عمر بن عوض سعيواد.
- شهد على إقرار السيد محمد بن سالم بن علوي السري عمر بن عبد الله.

(١) ميلاده بحوطة حاوي تريم سنة ١٢٩٠، ووفاته بها في ٢٩ رجب سنة ١٣٥٤ وهو ممن تلقى العلم عن العلامة الشيخ أحمد بن عبدالله الخطيب، ولازم ابنه العلامة الشيخ أبا بكر بن أحمد الخطيب، وأخذ عن الحبيب العارف بالله طاهر بن عمر الحداد بقيدون، وله فضل وخدمات جليلة، قام بها لهذا المعهد، لاسيما عندما رحل إلى سنغفورة، وتولى فيما بين سنة ١٣٣٣ على عقارات وقفية هذا المعهد هناك، فقد عمل على تنمية إيراد الوقفية، واجتهد في خدمة هذا المعهد بكل أمانة وإخلاص، رحمه الله وخلد ذكراه، وأثابه ثواب السعاة المصلحين، والرعاة الناصحين.

وأما الهيئة المؤلفة أخيراً والتي تشكلت برعاية وإشراف السلطان الكثيري، هو والقاضي الشرعي بتريم، وذلك في ٣ القعدة ١٣٧٦ الموافق ١ جون سنة ١٩٥٧[1] فهي تتألف من هؤلاء الآتية أسماؤهم:

- السيد أحمد بن عبد القادر الحداد.
- السيد عبد الله بن عمر بن محمد السري.
- السيد عبد الله بن علوي الجنيد.
- السيد محمد بن عبد الله بن عمر الشاطري.

ثم إنه في شهر القعدة سنة ١٣٧٧ على إثر وفاة المرحوم السيد أحمد بن عبدالقادر الحداد انعقدت الجلسة من بقية أعضاء هذه الهيئة، وهي التي تم فيها

(١) كان السيد المرحوم أحمد بن عبد القادر الحداد يتلكأ في تشكيل هذه الهيئة التي تنص عليها شروط الوقفية التأسيسية بوثيقة الترستي، فتدخل فضيلة القاضي الشرعي بتريم السيد سالم بن عمر السقاف، بأن بعث إليه برسالة ينصحه فيها بضرورة المبادرة بتأليف هذه الهيئة، واستحسن أن يتولى حمل هذه الرسالة إليه السادة أبو بكر بن حسين الكاف، وعمر المحضار بن علوي الكاف، وعلي بن عبد الله بن سميط، ومؤلف هذه التذكرة. ولدى اطلاع فضيلة القاضي المذكور على ما كتب به السيد أحمد بن عبدالقادر المذكور لمن حملوا إليه رسالة القاضي باقتناعه بالموافقة وقبول النصيحة، وما أعقب ذلك فعلاً من تشكيل الهيئة وجه فضيلة القاضي رسالة شكر لأولئك المذكورين محررة ١٠ نوفمبر عام ٧٦ نقتطف منها ما يسجله التاريخ لفضيلة القاضي بهذا المقام، تلقاء مزيد الاهتمام، المشكور المبذول من لدن فضيلته، وذلك بما يعرب في رسالته المذكورة بعد ما جاء فيها من قوله: ((وقد أخذنا علماً عما في الرسالة المذكورة من إقامة هيئة نظار رباط تريم، من السادة أحمد بن عبد القادر الحداد، وعبد الله بن محمد السري، وعبد الله بن علوي الجنيد، ومحمد بن عبد الله بن عمر الشاطري، خلفاً عن أسلافهم السابقين فيها، وهي على غرار الهيئات السابقة، وطبقاً لما في الوثائق، وهي وحدها ستقوم بأعمال وتدبير وإدارة شئون الرباط، فنشكر له هذا التبليغ رسمياً بواسطتكم عن إقامة الهيئة، وأنها ستقيد بمراعاة الوثائق التي لا يصح التصرف شرعاً وقانوناً بما يخرج عن حدودها. ونوصل منه لتكون المعلومية تامة لدينا أن يرسل إلينا صورة من قرار الهيئة عن إقامة الهيئة بإمضاء أعضائها)).

ونعنى بذلك قوله في ختام هذه الرسالة المعبر عن هذا الاهتمام: ((وغاية ما نؤكد نصيحتنا له ولأعضاء الهيئة على العموم، هو أن يلاحظوا في تصرفاتهم الدقة التامة في مراعاة ما في الوثائق، دون التقيد بما يخرج عن حدودها، فضلا أن يكون مخالفاً لأساسها)) ووجه فضيلته النظر لالتفات الهيئة إلى ما تنص عليه وثيقة الترستي بهذا الخصوص نهائياً عقيب تأكيد النصيحة.

انتخاب السيد علوي بن عيسى بن عبدالقادر الحداد خلفاً عن السيد أحمد المذكور.

وهنا نذكر ما يتسع له المقام من أمر بقية الوقفيات الخاصة بهذا المعهد، أو المشتركة بينه وبين جهات خيرية أخرى، مما علمنا أو مما بلغنا بحسب ما وصل إليه البحث:

فمنها وقفية الشيخ الثري الشهير سالم بن محمد بن طالب الكثيري ببيت رقم (١٠٦) كالغ رود بسنقفورة على هذا المعهد.

ومنها وقفية السيد المفضال عبد الرحمن بن عبد الله الكاف ببيت رقم (١٣) بين استريت بسنقفورة على المصالح العامة لهذا المعهد كنفقة على تلاميذ المعهد، وغير ذلك بموجب الوثيقة المحررة ١٣ ديسمبر سنة ١٩٢٢ المسجلة بسنقفورة في ٢١ فبراير وارى سنة ١٩٢٢.

ومنها وقفية الشيخ أحمد بن سعيد جوبان في البيت رقم (٢٥) جده استريت بسنقفورة، المشترك بين هذا المعهد ورباط عينات، وأرحام الواقف بحضرموت.

ومنها وقفية السيد الموفق عبد القادر بن شيخ الكاف المشتركة ببيت رقم (١٥٩) بوت كي بسنقفورة على المصالح العامة لهذا المعهد، وعلى أي معهد خيري أو أي مقبرة شعبية بتريم حسب الوثيقة المؤرخة ١٢ مارس سنة ١٩٢٥.

ومنها وصية السيد الصالح محمد بن أحمد عبد الله عيديد ببستان المطاط في موار بجهة ملايا بالمكان المسمى (بكري).

ومنها وصية سالم بن علي بن شرمان بنصف في بيته الكائن في حارة منجو كالى ببومباسا بأفريقيا لهذا المعهد.

ومنها الوقفية لتلك العقارات بجاكرتا اندونيسيا الموقوفة على هذا المعهد المؤسسة بواسطة السيد عبد الله بن عبد القادر الحداد، والشيخ أحمد العزب من

متحصل التبرعات المجموعة بسعي الحبيب الجليل علوي بن محمد الحداد.

ومما يؤسف له أن تظل غلات هذه الوقفية مجمدة إلى اليوم لدى ناظر الوقفية بجاكرتا، ومثلها غلة وصية سالم بن علي بن شرمان التي ما برحت محبوسة لدى الوصي ببومباسا، مما ينبغي استلفات حكومة تلك البلاد إليه للعلم بواقع الحال من الظلم الجاري، والهضم المستمر لحقوق هذا المعهد، والتعطيل لمقاصد المتصدقين.

ولا يفوتنا التنويه بذكر تلك المبرة السخية الشهرية التي أجراها الشيخ المثري الكريم محمد بن عوض بن لادن لهذا المعهد منذ سنة ١٢٧٥هـ بواسطة السيد محمد المهدي بن عبد الله بن عمر الشاطري، وكتب له بذلك هذا الصك وهو كما يلي:

«الحمد لله الذي خص بالتوفيق من أراد من عباده، والصلاة والسلام على سيدنا محمد القائل «**من أعان طالب علم ولو بقلم فكأنما بنى الكعبة سبعين مرة**» وعلى صحبه. وبعد فقد تبرع وتصدق الشيخ الموفق محمد بن عوض بن لادن لوجه الله الكريم طائعاً مختاراً وهو بكامل الأوصاف المعتبرة شرعاً، لطلبة العلم الشريف الآفاقيين برباط تريم الغنا بحضرموت، بمبلغ ألفين شلن شهرياً تصرف بنظر السيد محمد المهدي بن الحبيب البركة عبدالله بن عمر الشاطري، ثم إخوانه، ثم الأرشد من أولاد السيد محمد، ثم أولاد إخوانه على طلبة العلوم الدينية الذين يبعد محل إقامتهم من بلد تريم فوق المرحلة الشرعية، وللناظر أو من يقوم مقامه الحق في صرف ما يراه على الفقير الوطني الذي لا يستطيع النفقة على نفسه وهو منقطع لطلب العلم في الرباط المذكور إذا رأى ذلك، وله أن يصرف ذلك بأي طريقة يرى فيها مصلحة الطلبة، وعلى أي وضع، وليس على الناظر أو من يقوم مقامه مسئولية لأي متدخل سوى المتبرع، وليس لإدارة الأوقاف أو أي هيئة، أو فرد حق التدخل في التبرع المذكور.

وأوصى المتبرع الناظر أو من يخلفه بتقوى الله، والمحافظة على ذلك، وصرفه فيما يرى فيه مصلحة طلبة العلم، أو ما تعلق بهم إذا رأى ذلك. جرى ذلك من الشيخ محمد المذكور أعلاه، وهو نافذ التصرف وجائزه، رغبة في تشجيع العلم ونشره، وإحياء لمعالم الدين الحنيف، وهو بحال الصحة والاختيار، عالم بمدلول ذلك. والله شهيد.

حرر بجدة الحجاز
في شهر ذي القعدة سنة ١٣٧٤.
محمد بن لادن

* * *

هذا ما تيسر بعون الله جمعه في هذه التذكرة، ورائدنا بحمد الله هو التبصرة، وتخليد ذكرى أولئك المحسنين والعاملين البررة، وما نرجوه من استعادة هذا المعهد لمكانته العلمية، التي إنما ينتهض دعائمها، وتتوطد بأرباب الكفاءات كي يسترد هذا المعهد ما كان من إقبال الطلبة العظيم عليه في عهوده الماضية الزاهرة، سواء من أبناء تريم أو من الطلبة القادمين من البلدان والجهات الأخرى[1]، بل ويسترجع ما كان له أيضاً من اعتباره أزهر العلوم الدينية ببلاد الجنوب العربي، وأشهر المعاهد العربية الإسلامية بإقليم جنوبي آسيا وشرقي إفريقيا.

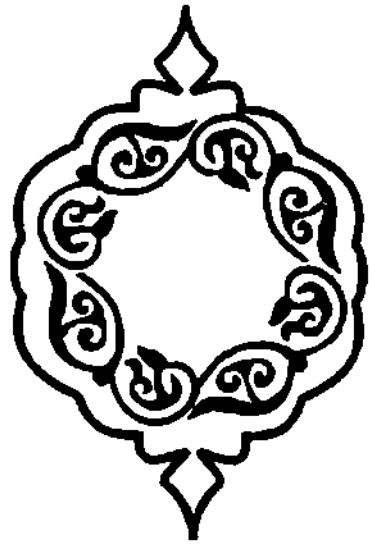
والله المسئول للتوفيق لبلوغ أفضل الغايات المرضية لديه من أقرب سبل الوصول إلى النجاح، والطرق الكفيلة بالمراد لإدراك مغانم الفوز ونيل مطالب الفلاح.

وحسبنا الله ونعم الوكيل، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم، وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم، والحمد لله أولاً وآخراً.

كان الفراغ من جمع هذه التذكرة في ٢٧ شعبان سنة ١٣٧٨.



(١) يؤخذ من تقارير المرحوم السيد الجليل عمر بن أحمد الشاطري أن الطلبة المقيمين بالمعهد الذين يتناولون القوت (الجراية) من المعهد، قد يبلغ عددهم المائة والخمسين طالباً، وقد يتناقص في أوقات إلى الثمانين.
أما في وقتنا هذا فيكادون لا يبلغون الخمسين طالباً، ومعلوم أن نسبة المتعلمين من أبناء تريم ممن تلقوا دراستهم القليلة أو الكثيرة في الماضي بهذا المعهد، من طبقة المثقفين، قد كانت نسبة عالية ولا تقل عن ٩٠٪، أما اليوم فإنها قد لا تتجاوز ٢٥٪.
ولا بأس أن نذكر أن مما يسترعي النظر في تقارير السيد المرحوم عمر المذكور هو شعوره البالغ بمسئوليته في إيضاح ما جل ودق من شئون مالية هذا المعهد، وفي ما كان يجري عليه من الضبط والتحري في ترتيب مصروفاته، نعني بذلك مسئوليته شرعاً وقانوناً كأمين أمام هيئة نظار الوقفية التأسيسية، ورعاية منه لحق أعضاء هذه الهيئة حيث نجده يعلن ويؤكد غرضه من هذه التقارير الموضوعة لإطلاع الهيئة بالخصوص بقوله: ليعلم الواقف على هذا من أرباب تريستي رباط تريم.



جلاء الحقائق وتمحيص النقل

حول ما أورده مؤلف صلة الأهل في الترجمة

لفضل بن محمد والد الإمام سالم بن فضل

اللهم أرنا الحق حقاً وارزقنا اتباعه، وأرنا الباطل باطلاً وارزقنا اجتنابه، ونعوذ بك أن يُشتبه علينا فنتبع الهوى.

الحمد لله الذي أحكم تصاريف الأقدار، وأبدع أسرار الخلق في مختلف الأحوال والأطوار، فسبحانه من عظيم قهار وملك جبار يخلق ما يشاء ويختار، والصلاة والسلام على مشرق الهداية ومحور فلكها الدوّار، سيدنا محمد وعلى آله الكواكب الأقمار، أئمة الحق ومعادن الأسرار، وصحبه الهداة الأبرار، والقادة الأخيار.

أما بعد: فإنه ورد إليَّ من فضيلة العلامة الشهير، المفتي الكبير، الجهبذ النحرير الشيخ فضل بن عبد الله عرفان بارجاء رسالة تحوي سؤالاً مهماً يتضمن استشكالاً تاريخياً من مما لا يزال يعرض لفضيلته حول ما جاء بكتاب (صلة الأهل بتدوين مناقب آل أبي فضل) تأليف العالم الأديب الشاعر محمد بن عوض بافضل بصدد تلك الترجمة التي عقدها بذلك الكتاب لفضل بن محمد بن عبدالكريم بافضل والد الإمام سالم بن فضل، والتي اعتمد هذا المؤلف في وضعها على أساس ما نقله من تلك النقول عن كتاب (الجوهر الشفاف) تأليف الإمام العالم المؤرخ الشيخ عبدالرحمن بن محمد الخطيب المتوفى بتريم سنة ٨٥٥هـ ثمانمائة وخمس وخمسون[1] هجرية.

وذكر فضيلة السائل الشيخ فضل أن أكبر ما يثير هذا الاستشكال حول تلك النقول المأخوذة من (الجوهر الشفاف) هو مخالفتها لما قرّره وحقّقه وجرى على تطبيقه مؤلف (الجوهر) في كتابه المذكور، وهو ما يعلمه من طالع كتاب (الجوهر) المذكور، وما يعيه كل من وقف عليه من شرط مؤلفه فيه ذلك الشرط

(١) كذا بالأصل والصواب خمسين.

الصريح المفهوم الواضح الذي وضعه المؤلف في مقدمة الكتاب عن أصل ومبتدأ الشهرة بالصلاح في أصول وأجداد من ترجم لهم من رجال (الجوهر).

أما نص هذا السؤال فكما جاء ضمن رسالة فضيلة السائل المحتوية للسؤال المذكور، والتي سنثبتها برمّتها في أول البحث ونسوقها كما هي بنصها الحرفي.

وليس لنا تلقاء جميل ظنه، وحسن ثقته بالعاجز، ومع ما نطمع أن نتوصل إليه بمعونة الله تعالى، ولطف مشيئته الربانية في سبيل بحث السؤال، وتحقيق الحق في هذا الإشكال إلا الاعتراف بما نشعر به من عجزنا، وقصور علمنا، وفتور ذهننا في توفية مثل هذا الموضوع، وما يحتاج إليه من واسع التحقيق العميق، ويتطلبه من مزيد التمحيص والتدقيق، بحيث يتم جلاء الحقائق، وإزالة هذا الإشكال في وضوح، ويأتي الجواب على السؤال مستوفياً لنواحي البحث كما يجب لا كما يجيء.

* * *

الرسالة المحتوية للسؤال

حضرة البحاثة المؤرخ السيد عبدِ الله بن حسن بلفقيه حفظه الله.

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

وبعد: فإنه لما لكم من الاطلاع، ودقة النظر في كتب التاريخ الحضرمي، والاهتمام بدراسة تراجم المشاهير من الحضارم، ولما تقومون به من البحث فيما يؤثر من مناقب وسير الأكابر من أعلام العلماء، وأعاظم الرجال، لاسيما في القبائل التي اشتهرت قديما بالعلم والصلاح بوادي حضرموت، قد جال بخاطري أن التمس منكم الجواب على السؤال الآتي الذي يدور على ذلك الإشكال الحاصل لدي مما هو مبين بالسؤال، وهو الحامل لي على رفعه، فلعلكم تتفضلون بذلك في أول فرصة تتهيأ لكم، ولكم من الله وافر الجزاء، ومنا أطيب الثناء، وخالص الدعاء. لازلتم مصدراً للإفادة ومرجعاً للتحقيق.

السؤال:-

ما قولكم فيما جاء بكتاب (صلة الأهل) لمؤلفه الأديب الشاعر المؤرخ الشيخ محمد بن عوض بافضل، حيث ترجم لفضل بن محمد والد الإمام سالم بن فضل فقال: ((فضل بن محمد بن عبد الكريم بن محمد بافضل واسطة العقد، ويتيمة سلك المجد، الإمام الذي سما قدره، وطال وطاب ذكره، إنسان عين الفضلا، وإكليل تاج الأئمة الكملاء، مطلع شمس العلا، والمكتسي من المعارف مطارف وحللا، تبوأ من الفضل الرتبة القعساء، وخلد مجداً لا ينسى.

أخذ عنه أكابر عصره، وعلماء قطره قال فيه الإمام الشيخ عبد الرحمن بن محمد الخطيب في (الجوهر الشفاف): ((وكان الفقيه فضل المذكور رضي الله عنه

من كبار العلماء العاملين...)) إلى آخر ما ذكر وقرر بكتابه (صلة الأهل) من أن (الجوهر الشفاف) ترجم لفضل والد الإمام سالم بن فضل وأن هذه النقول التي ينقلها من (الجوهر الشفاف) كان صاحب (الجوهر) قد ساقها وأوردها بمعرض الترجمة لفضل المذكور، وكذا ما أورده ضمن هذه الترجمة من كلام آخر منقول عن غير (الجوهر)، وتركه مجهول المصدر، ثم في الآخر والنهاية ما أخذ يذكره من تلك الرواية التي يرويها هو عن جده الشيخ العلامة المتحرّي المتثبت أحمد بن عبد الله بن أبي بكر الخطيب وهي التي ربما كان قد خُيل إليه أنها ذات فائدة ما، لكن الذي يظهر أن ليس في هذه الرواية إلا إتيانها بصورة أنها مما يؤيد ويشهد لمؤلف (الراوي) بسداد الفهم وصواب النقل، وأنها مما يقوم كتزكية لروايته هذه، وتوثيق له في ما يميل لتقريره، ويذهب إليه بسبيل وضع ترجمة لفضل والد الإمام سالم بن فضل، وأيضا بالاختصار نقول: إن مؤلف (الصلة) جرى على ما قدّره وجزم به في ترجمته لفضل المذكور، فطبق حينئذ على أساس هذا المقرر لديه كلامه في فاتحة الترجمة لابنه الإمام سالم بن فضل؛ إذ بنى على ذلك أن الإمام سالم قبل ارتحاله إلى العراق تلقى العلم عن أبيه ومن في طبقته من أئمة العلم بحضرموت، فالمعنى الذي يُدركه الذوق من هذا التعبير الذي يكثر وروده في مصنفات التراجم والمناقب أن أباه المشار إليه كان معروفاً بأنه في رأس طبقة أئمة العلم بحضرموت في ذلك الزمان أو من رؤوس الطبقة، ويظهر أنه يريد الأول بقوله في ترجمته (أي الأب) أخذ عنه أكابر عصره، وعلماء قطره. فنقول هنا: إن نقل مؤلف (الصلة) هذا من (الجوهر الشفاف) في ترجمة فضل والد الإمام سالم ابن فضل، وقوة الجزم بذلك، وتقريره له علمياً، حتى لقد جعله ذلك الأساس الضخم الذي يشيد عليه بنيان الترجمة الفخيمة لفضل المذكور، **إن هذا كله مما لا يزال مشكلاً لدينا أعظم الإشكال وزيادة** أنه فيما نحسب قد مضى على تأليف كتاب (صلة الأهل) ثلاثون عاماً تقريباً ومؤلفه خلال هذه الأعوام الكثيرة لا يكل ولا يمل من بذل الجهد المتواصل في تحقيقه وتنقيحه وتحريره، وإشاعة نسخ

متعددة منه بتريم وغيرها، أما أكبر مثال لهذا الإشكال القوي فهو ما يعلمه مُطالِع (الجوهر) وما يعيه - من الوعي - من شرط مؤلفه ذلك الشرط الصريح الواضح الذي وضعه المؤلف بصدر الكتاب في مقدمته، وجرى فعلاً على تطبيقه في الكتاب فعلى مقتضى هذا الشرط الذي جعله مصنف (الجوهر) أساساً ثابتاً، وقاعدة كلية يدور الأمر عليها في تمييز رجال (الجوهر)، وترتيب طبقاتهم، والسبيل إلى معرفة مبدأ الشهرة العلمية في أصولهم، لا مناص لمطالِع (الجوهر الشفاف) بالنظر إلى هذا الشرط من القول بأن الشهرة لآل أبي فضل بالعلم إنما كان أصلها ومبتدأها من الشيخ سالم بن فضل وأنه لا شهرة لأبيه، ولا جده عبدالكريم الجد الجامع لآل أبي فضل بذلك على ما عرفه وحققه هذا الإمام العَلَم المؤرخ مؤلف (الجوهر الشفاف)، وقرره من ذلك بمقتضى شرطه الصحيح بمقدمة كتابه، وكذلك بمقتضى تطبيقه، فهذا ما يجده الباحث يتنافى مع صنيع مؤلف (الصلة) في هذا النقل عن (الجوهر) ذلك النقل الذي قد أورده بترجمة والد الإمام سالم بن فضل الذي يجعل شهرة آل أبي فضل العلمية وجدت وبدأت من والد الإمام سالم بن فضل أومن جده عبد الكريم الذي ترجم له مؤلف (الصلة)، أيضاً لأن هذا كما سبق مما يأباه شرط (الجوهر) المذكور ولا يقبله أصلاً.

ومما يحار المرء فيه ذلك الذي ذكره مؤلف (الصلة) بمقدمتها بتلك الرواية عن الرياسة والظهور والمشيخة في آل أبي فضل بتريم قبل اشتهار السادة آل أبي علوي بها و من أن التقبيل والعمامة والمخاطبة بلفظ الحبيب إنما كان مختصاً بهم، أي آل أبي فضل فمحوه عن أنفسهم، وجعلوه خاصاً بالأشراف وعلامة لهم إجلالاً منهم وتعظيماً لأهل بيت النبوة، وزهداً وتواضعاً وفتوة. فهل يقوم لهذا شاهد من النقل أم لا؟ فإن هذا لمن أعظم ما يثير دهشة الناظر؛ لكونه يشعر بأن السادة آل أبي علوي كانوا لا يعملون بالسنة من لبس العمامة، وكذا فقهاء تريم السابقون من آل أبي حاتم، وآل أبي الحب، والسادة آل بصري، وآل جديد كانوا لا يعملون بهذه السنة أتراهم جاهلون بهذا؟.

فهل كان سيدنا الإمام علي بن علوي خالع قسم لا يعمل بالسنة، وكان ممن لا يقبِّل يده أحد مع شرفه واشتهاره بالولاية؛ لأنه كان يسمع رد النبي صلى الله عليه وسلم في الصلاة وغيرها على سلامه إذا سلّم عليه؟ وكيف حال الثلاثمائة مفتي الذين كانوا بتريم في زمان واحد أفما كان اختصاص العمامة إلا بهؤلاء عملوا بالسنة دون غيرهم؟ وهل بمقتضى هذا المحو وصيرورتهم جعل العمامة أمراً خاصاً بالأشراف ترك الشيخ الإمام سالم بن فضل ومن بعده من آل أبي فضل لبس العمامة ولم يبالوا بمخالفة السنة أم ماذا كان؟ وهل يا ترى كان التقبيل لآل أبي فضل يختص بعظمائهم وكبارهم أم يعم حتى صغارهم؟ وهل تنادى المرأة منهم بالحبابة كما ينادى الرجل بالحبيب؟ فإنه ينبني على التسليم بهذا أن شهرتهم لا بد أن تكون أقدم مما يقتضيه صنيع (الجوهر) في شرطه وتطبيقه.

المسئول من حضرة سيدي توضيح هذا الإشكال ودفع هذا الخبط والاختلاط . وكتبه الفقير إلى الله فضل بن عبد الله عرفان بارجاء.

الجواب:-

نسألك اللهم هدايةً تنير لنا سبل الحق، ومحجّة الصواب.

اعلم وفّقنا الله وإياك أن الشأن بهذا المقام يتطلب منا قبل الشروع والأخذ في صميم الموضوع؛ مراعاةً لطبيعة البحث، وتبعاً لمقتضى الحال أن نلم مبدئياً بنقطتين مهمتين **أولاهما:**

ذكر ما قالوه واشترطوه في المؤرخ، وأداروا عليه النظر في الاعتبار بأبحاثه وكتابته.

وثانيهما: إيراد شيء من تاريخ العهد الذي يعد بداية لعصر تدوين التاريخ بحضرموت، وعن أولئك المؤلفين لتاريخ حضرموت وهم الذين يعتبرون الرعيل الأول لمؤرخي حضرموت، وتقع مؤلفاتهم المراجع الأولى

الأصلية والمصادر التاريخية المكتوبة لحضرموت، والتي جرى عليها اعتماد من تلاهم من المؤرخين فيما استسقوه ودوّنوه من أخبار القدماء بها، وتلقوه من مناقب العلماء والمشاهير الأوائل، فعن النقطة الأولى إليكم ما قالوه:

شروط المؤرخ: -

لا نحب أن نطيل بكل ما اتفق لنا الاطلاع عليه عن العلماء المتقدمين بهذا الصدد[1]، بل نقتصر أولاً على تلخيص شيء مما ذكره بهذا المبحث الإمام المحقّق تاج الدين السبكي في (طبقات الشافعية) [١/ ١٩٧] فقد ذكر بعد قوله قاعدة: في المؤرخين نافعة جداً ما موجزه:

«إن أهل التاريخ ربما وضعوا من أناس، ورفعوا أناساً إمّا لتعصب، أو لجهل، أو لمجرد اعتماد على نقل من لا يوثق به، أو غير ذلك من الأسباب» ثم قال: فيما نقله عن والده الإمام تقي الدين السبكي فيما اشترطوه في المؤرخ مما نورده باختصار أيضاً: «ويشترط في المؤرخ الصدق، وإذا نقل يعتمد اللفظ دون المعنى، وأن يسمي المنقول عنه، ويشترط فيه أيضا لما يترجمه من عند نفسه، ولما عساه يطول في التراجم ويقتصر أن يكون عالماً بحال صاحب الترجمة، علماً وديناً وغيرها من الصفات، وهذا عزيز جداً، وأن يكون حسن التصور، حتى يتصور حال ترجمته جميع حال ذلك الشخص، ويعبر عنه بعبارة لا تزيد عليه، ولا تنقص عنه، وأن لا يغلبه الهوى فيخيل إليه هواه الإطناب في مدح من يحبه، والتقصير في

(١) ربما يعتقد المطالع لهذه الرسالة أننا فيما نرمي إليه من هذا التأليف ومن الجواب على هذا السؤال نريد أن يكون ذلك نواة لنقد كتاب (صلة الأهل) فقط بسبب أن لهذا الكتاب قيمة في نواحي أخرى علمية وبسبب أن لمؤلفه رحمه الله مكانة مرموقة في المجتمع الحضرمي، والواقع أننا نرمي من وراء ذلك أيضا إلى أن يكون هذا الذي تصدينا له من هذا البحث والتمحيص نواة لنقد أوسع نحدوا لديه علماءنا وأدباءنا فيما ينبغي لهم أن يتناولوه خدمة لتحقيق التاريخ الحضرمي وتمحيص الحقائق العلمية من نقد ما ظهر حديثاً وما سيظهر من الكتب التاريخية الجديرة بالتحقيق والدراسة.

غيره، بل إما أن يكون مجرداً عن الهوى، وإما أن يكون عنده من العدل ما يقهر به هواه، ويسلك طريق الإنصاف». ونردف ثانياً بما قاله الشيخ الإمام عبد الله بن أسعد اليافعي في تاريخه من كلام له في الموضوع يعتذر به عن عدم استيعابه لذكر تاريخ المتأخرين من مشاهير اليمن وعلمائها وهو ما صورته مجملاً:

«وإنما لم أذكر تاريخ المتأخرين، لأنه لابد لمن تصدّى لعلمٍ من معرفة موارده، وحصول استمداده من مواد التاريخ التي تقدم كتابهم فيه عليه يعتمد، ومنه في المولد والوفاة والأنساب والأوصاف يستمد، ولعمري إنه كثر في اليمن من السادة الذين جلى قدرهم، وشاع ذكرهم، ولم ينتدب لتاريخهم من أظله عصرهم، ولا من تأخر زمانه عنهم، حتى أسعد سالكاً في ذلك الأثر، ومقلداً له فيما ثبت عنه من الخبر، فذلك هو الذي منعني مما ذكرت، وحال بيني وبين ما أردت، بعد ما التمس غير واحد من أهل العلم والصلاح، وله عقيدة حسنة في الأولياء أولى الأوصاف الملاح، فاعتذرت لسبب ذلك»[1] فهذا مثال لما اعتبره في كتابة التاريخ وفي المؤرخ علماؤنا السابقون الجهابذة المحققون رضوان الله عليهم.

ولفضيلة مولانا العلامة الحجة، نادرة الزمان، البحر الزاخر، فخر المواطن والمعاصر الوالد علوي بن طاهر بن عبد الله الحداد أدام الله به النفع وأمد في حياته فيما ألمع إليه بمقدمته الثمينة لرسالتنا تفنيد المزاعم في الرد على الشيخ صلاح البكري ما يصور لنا مبلغ تحري العلماء المحققين في الأزمنة السابقة مع الرواة والمؤلفين للسير والأخبار، والحوادث التاريخية حيث قال: «وإذا اختلط صدق الإخباري بكذبه، أو جمع في أسانيده أو جمع روايات إلى إسناد واحد رموا به جميعاً، ولهم في رواة السير حديث طويل».

وقد أشار إلى ما وصل إليه تمحيص الرجال المعنيين بهذا الفن لمنقول

---

(١) تاريخ اليافعي المسمى (مرآة الجنان) وعبرة اليقظان الطبعة الأولى بمطبعة دائرة المعارف النظامية بحيدر أباد سنة ١٣٣٩هـ (٤/ ٣٣٦).

رواة السير والأخبار والحوادث التاريخية وإلى ما كان لهم من التتبع وشدة الاستقصاء بقوله:

(ففلوها فلياً، ونقبوا عنها بالمناقير، واستخرجوها من كل ممكن، ووقوا المسلمين من شرور الاغترار بها، وشر واضعيها) وقد يكون من المتعين علينا بهذه المناسبة ولما نعلمه بأننا صرنا اليوم في تباشير فجر نهضة علمية تاريخية لوجود الأفراد الذين يتزايد عددهم بيننا من المشتغلين بالبحث والكتابة في تاريخ حضرموت إن شئت من مواطنينا أو من الأجانب أن نومئ إلى الأصول الحديثة في أخص شروط الطريقة العلمية في درس التاريخ وكتابته:

فأولها: أن يستوعب المؤرخ كل ما قيل، وكتب في موضوعه، مما يتعلق بحادث أو شخص، أو موضع لا يفوته من ذلك شيء، بحيث يكون قد أتى على المادة، ووضع يده منها حيث أراد وأمن من أن يكون قد ند عنه أمر ذو بال.

أما الشرط الثاني: فهو أن ينتفي من أهوائه ونزعاته، ويتجرد من شخصه الإنساني ليصبح في عمله شخصاً تاريخياً، كما يتجرّد القاضي؛ ليكون في قضائه شخصاً قانونياً لا غير[1]. أمّا ما قرروه وفاقاً للأصول الحديثة في بحث التاريخ حول الاستنتاج والاستنباط فقد ذكروا أنه يتحتم علينا في علم التاريخ أن نحدد الحقائق أولاً، ثم بعد تحديد هذه الحقائق وإثباتها إلى الاستنتاج والاستنباط ضمن نطاقها، ونتمكن من وضع النظريات بعد أن نقتبس أسسها من حقائق التاريخ وحوادثه، أي يجب أن يكون استنباطنا نفسه مقتبساً من حقائق ثابتة في التاريخ؛ ليصح أن نعتبره علمياً مقبولاً، فالنظرية والاستنباط لا يفيدان في تقرير الحقائق التاريخية شيئاً، لاسيما إذا كانت المصادر تروي خلاف ما يرميان إليه، والصلة مقطوعة بين الباحث الحالي، وبين الحوادث التي مر عليها قرون عن غير

(١) راجع كتاب (تحت راية القرآن) لمصطفى صادق الرافعي (ص ١٤٨) في الرد على كتاب طه حسين (الشعر الجاهلي) وبحثه في تاريخ الشعر العربي.

هذه المصادر، وقد ذكروا أيضاً أنه لا يمكننا تغيير نظرية مَّا واستبدالها بغيرها إلا بالاعتماد على وجود حقائق محدودة يشهد التاريخ بوجودها وإقرار تلك النظرية الجديدة، ودحض القديمة بموجب سياق هذه الحوادث والحقائق، وأنه لا يحق لنا أن نتوسع في الاستنباط إلى الحد البعيد الذي يتنافى مع الحقائق المدونة[1].

أما عن النقطة الثانية وهي: عصر تدوين التاريخ بحضرموت كل ما يستفاد في تعيين أقدم زمن يرجع إليه تدوين التاريخ بحضرموت، وما يستخلص من محصول ما تتضمنه كتب التاريخ الحضرمي هو أن هذا التدوين كانت بدايته حوالي أواخر القرن السادس الهجري، وغاية ما يعرف عنه أن أقدم المؤرخين هم تريميون ومعاصرون لبعضهم بعضاً في تلك الحقبة التاريخية، وهم الإمام العلامة أبي سعيد محمد بن أحمد بن أبي الحب المتوفى بتريم سنة ٦١١ ستمائة واحد عشر هجرية، ومؤلف الياقوت الثمين الذي ذكروا أنه كان تريمياً، وكان ممن ترجم للإمام سالم بن بصري المتوفى بتريم سنة ٦٠٤ ستمائة وأربع هجرية.

أما المؤرخ الثالث: فهو الإمام القاضي أحمد بن محمد باعيسى المتوفى بتريم أيضا سنة ٦٢٨ ستمائة وثمان وعشرين هجرية.

وقد تقدم لنا التلويح إلى أن مؤلفات هؤلاء السابقين الذين هم الرعيل الأول لمؤرخي حضرموت هي المراجع الأولى الأصلية، والمصادر التاريخية المكتوبة، وهي المستند لمن تلاهم من المؤرخين، فيما دونوه من المعلومات التاريخية عن حضرموت، لاسيما عن أخبار المشاهير والعلماء بها في القرن الرابع والخامس والسادس، ولئن كان من المؤلم حقاً أن تصبح مؤلفات هؤلاء السابقين الأولين قد ذهبت اليوم ضحية الإهمال والضياع، وبادت من الوجود، وكاد ينطمس ذكرها، وينمحي من الأذهان لدى الناس حتى المعرفة بأسمائها، فلن يخفى على الباحث المستقصي لأخبار تدوين التاريخ كون هذه المدونات التي هي

(١) عن (مجلة المقتطف) عدد يوليو سنة ١٩٣٦ هجرية مع شيء من الاختصار.

الأصل للتاريخ الحضرمي المدوّن قد ظلت ينبوعاً حياً، ونبراساً متألّقاً منه تزود الرواة والمؤرخون لحضرموت، وعنه اقتبسوا ما تهيأ لهم جمعه من أخبار وآثار ومناقب مشاهير حضرموت تلك الحقبة من الزمن، فيما بين مستهل القرن الرابع وأوائل القرن السابع للهجرة النبوية، حيث استسقى المؤرخون لحضرموت ممن عاش في القرن العاشر والقرن الحادي عشر، وممن تقدمهم من المؤرخين في القرن التاسع عن هذه الأمهات والأصول مباشرة وبالواسطة معلوماتهم القيمة الحافلة بالكثير الطيب من أخبار المشاهير، ولاسيما مناقب وأخبار العلماء والمشاهير في القرن السادس خاصة.

وينبغي أن نشير أيضا إلى ما يمتاز به هذا القرن، أي السادس وذلك بأنه هو ذلك القرن الذي برزت فيه هذه الأمهات التاريخية المدونة والمصادر المكتوبة القديمة، بمعنى أنه قد كان نفس العصر الذي كتبها أصحابها فيه، فحققوا المعلومات التي تتعلق برجاله ومشاهيره عن كثب أي عن اتصال مباشر أو عن قرب.

ولنأخذ بعد إنجاز الكلام بصدد تينك النقطتين التمهيديتين إلى ما يتعلق بلب الموضوع وجوهره عما ينبني عليه السؤال وهو:

وجه الإشكال:-

إن الشيء الذي يتلخص الكلام فيه هنا حول موضع الإشكال في السؤال هو أننا نقف أمام حقيقتين يستلزم ثبوت إحداهما نفي الأخرى:

فأما الأولى: فهي القول بصحة مادة تلك الترجمة التي عقدها مؤلف (الصلة) لفضل والد الإمام سالم بن فضل، وثبوت تلك النقول التي استمدها مؤلف (الصلة) في أصل نقله من كتاب (الجوهر الشفاف) للشيخ العلامة المؤرخ عبد الرحمن بن محمد الخطيب.

وأما الثانية: فهي تصويب ما يقتضيه شرط كتاب (الجوهر الشفاف) الذي وضعه مؤلفه بصدر الكتاب، وما ينتج منه من أن شهرة آل بافضل إنما ترجع في أصلها ومبتدئها إلى الشيخ الإمام سالم بن فضل، وأنه لا شهرة لأبيه فضل، ولا لجده عبد الكريم الذي هو الجد الجامع للمشايخ آل أبي فضل.

ففي الحكم بثبوت أولى هاتين الحقيقتين وهي ما أورده مؤلف (الصلة) بتلك الترجمة منقولاً من (الجوهر) نقض من الأساس لبنيان الحقيقة الثانية وهي ذلك الشرط الذي قرره مصنف (الجوهر)، وجعله أساسا عاماً، وقاعدة كلية ثابتة في السبيل لمعرفة أصل الشهرة بالصلاح ومبدئها في أصول كل من رجال (الجوهر) وأجداده ممن إليهم يدلي بانتسابه، كما أن الحكم بتصويب ما يقتضيه في الناحية الأخرى شرط (الجوهر) من تلك الحقيقة الثانية هدم لما شادته تلك الترجمة لوالد الإمام سالم بن فضل ولكل ما بنته على أساس ذلك النقل عن (الجوهر) وتقويض له يأتي عليه من أصل قواعده ويهدم قوائم أركانه.

ومحصل القول أنه لابد لنا في إزالة ما يقوم من هذا الإشكال من التسوية في بحث قضية الشقين (الجوهر الشفاف للخطيب) و(صلة الأهل لبا فضل) وتمحيص كلتا الحقيقتين وهما ما يقتضيه (شرط الجوهر)، وما تقتضيه (ترجمة الصلة لوالد الإمام سالم بن فضل) فليس للباحث إلا السير وفق ما يتمشى عليه الأمر في أبواب التحقيق، وما ينساق إليه في انتهاج أصول البحث، والطرق العلمية على ضوء الأدلة والبراهين في ما هو بصدده من هذا التمحيص، ولا يصح له أن يهتم أصلاً بما وراء ذلك من النتيجة سواء انتهت في تقرير الحكم إلى الجزم ببطلان شرط (الجوهر) وتفنيده، أو ببطلان صنيع (الصلة) في تلك الترجمة لوالد الإمام سالم بن فضل، وإلغاء الاعتبار بما فيها من نقل مؤلف (الصلة) ذلك النقل عن (الجوهر) وسقوط استدلاله بهذا النقل أساسياً في بناء أصل ثابت مكين يقوم عليه إنشاء الترجمة.

ونجد أننا مضطرون من أجل هذا لجعل البحث على نطاق أوسع بالرغم مما كان مظنونا ومما نقصد توخيه من الاختصار والإجمال.

وليكن بحثنا الآن مختصاً بالشق المتعلق بالترجمة لوالد الإمام سالم بن فضل الذي لطروّه كان ما كان من حدوث هذا الإشكال، ونحن في تحقيقه نسلك الطريق الطبيعية الجادة بحسب ما يأتي:

تمحيص حقيقة الترجمة:-

مهما ذهبنا لما يتطلبه تمحيص الترجمة لوالد الإمام سالم بن فضل، وتحليل مواد الكيان القائم الذي تتشخص هذه الترجمة فيه لا نجد إلا أن هذه المواد ترجع في الأصل إلى الأمور الآتية:

١. المادة المعمولة بتلك الديباجة الموجودة بأول الترجمة، والتي تحوي أوصاف ونعوت المترجم له في إطناب زائد وتمجيد فائق.

٢. ما استمده مؤلف (الصلة) بالنقل الذي أصله من (الجوهر) مما نقله معزوّاً إليه في صراحة، أو بالإيماء.

٣. ما نقله عن غير (الجوهر)، وسمى المصدر المنقول عنه، أو ترك مصدره غير مسمى.

فأما ذلك الذي تحويه تلك المادة المعمولة للديباجة، وهو الذي استهل المؤلف به الكلام في مطلع الترجمة فقال: «فضل بن محمد بن عبد الكريم بن محمد بافضل، واسطة العقد، ويتيمة سلك المجد، الإمام الذي سما قدره، وطال وطاب ذكره، إنسان عين الفضلاء، وإكليل تاج الأئمة الكملاء[1]، مطلع شمس

(١) مما اتفق لبعضهم من الاستغراب من هذا الكيل جزافاً للألقاب والأوصاف، وكان قد زارني أثناء اشتغالي بتحرير هذا الجواب، أنه قال عند ما أجال نظره بهذا الموضع من الديباجة مستعظما هذه المغالاة وهذه الجراءة: (في حدود أي نقل أو أي حقيقة مقتبسة من حقائق التاريخ جاز لمؤلف (الصلة) يا ترى =

العلا، والمكتسي من المعارف مطارفاً وحللا، تبوأ من الفضل الرتبة القعساء، وخلد مجداً لا ينسى، أخذ عنه أكابر عصره وعلماء قطره)). فكل هذا الذي حوته مادة الديباجة للترجمة لهو مما ينبغي لنا أن نتجاوزه؛ لأنه فرع وتوليد، لا يثبت منه شيء إلا بقدر ثبوت الأصل الذي هو النقل، ولا ينهض الدليل على اعتبار وقيمة ما في هذه الديباجة إلا على أساس صحة ذلك النقل، ومطابقته للحق، والواقع، والشيء الذي له وحده الأهمية الخطيرة في الموقف، والذي عليه تدور رحى تحقيق الحق في تمحيص الترجمة، وتقرير الحكم إنما هو مادة ذلك النقل ليس إلا، وهو الذي أورده مؤلف (الصلة) مَعْزُواً في صراحة، أو في إيماء إلى مصدر تاريخي مكتوب، ومصنف شهير معروف ككتاب (الجوهر الشفاف) للخطيب، المعدود في طليعة المؤلفات التي هي عمدة مؤرخي حضرموت، فمادة النقل هذه التي قد استمدها مؤلف (الصلة) من (الجوهر) في الموضوع لهي النقطة الرئيسية الوحيدة التي هي موضع تركيز التمعن، ومحل تصدي الباحث المحقق قبل غيرها في استقصاء نواحي الموضوع تمحيصاً وتدقيقاً، وعليها يدور تفصيل القول في البحث، بحسب ما يتطلبه المقام في مختلف وجوه الدراسة والتحقيق.

وإليك بالحرف ما نقله مؤلف (الصلة) عن (الجوهر) معزواً في صراحة،

= كل هذا الإغراق في الوصف والغلو في الإطناب التمجيد الذي يندفع معه ويتهي فيه إلى هذا المدى السحيق؟) فقلت له: ليهُن عليك هذا، فليس هو كل ما يجده من يريد مؤاخذة مؤلف (الصلة) على شيء من قبيل هذا، فلو رأيت ذلك البيت الذي امتدح به الشيخ الإمام إبراهيم بن يحيى بافضل الذي هو كما علمت أحد تلامذة سيدنا الفقيه المقدم ذلك البيت الذي أورده بتلك القصيدة التي بآخر الترجمة وهو:

كانت بدايته نهاية غيره ... فلذاك جاز السبق والتقديما

لأدركت أن مؤلف (الصلة) كان أراد بهذا مجاراة بيت الإمام الحداد الشهير في الإمام الفقيه المقدم، ولرأيت فوق ذلك عجباً يطول معه استغرابك لما يوجد في بيت الإمام الحداد من مزيد احتراس، وشدة تحفظ مع أن الممدوح هو سيدنا الإمام شيخ الشيوخ الفقيه المقدم، والمادح سيدنا الإمام القطب الحداد بعكس الحال فيما تراه من ذلك الاسترسال المطلق والإطلاق الكلي الذي يوجد في بيت مؤلف (الصلة)، فهل لنا أن نقول في حدود أي برهان علمي أو في حدود أي معرفة بالمقامات وإطلاع كشفي قال ما قال مؤلف (الصلة) في هذا البيت المشار إليه، ورحم الله امرءاً عرف حده فوقف عنده.

وأورده في صدر الترجمة التي هي موضوع البحث حيث قال عقيب الديباجة مشيراً إلى صاحب الترجمة: «قال فيه الإمام الشيخ عبد الرحمن بن محمد الخطيب في (الجوهر الشفاف): وكان الفقيه فضل المذكور رضي الله عنه من كبار العلماء العاملين، والأئمة المحققين، والفقهاء المدققين، وكان مع ذلك من الزهاد الورعين، وكان فيما روي عنه إذا سجد على الأرض تسمع لجبهته قربعه كأنها عظم لا لحم عليه من شدة تجويعه لنفسه، واجتهاده، وكان سخياً كريماً، رضي الله عنه»، ثم ما طرز به تلك الترجمة في مواضع أخرى منها تقع في أثنائها وأواخرها، وذلك قوله فيما نقله عن (الجوهر) بدون عزو صريح إليه: «وقال الفقيه أحمد بن محمد بن فضل أصاب بعض جوار[1] الفقيه فضل بن محمد بن أبي فضل رضي الله عنه صرع، فقرأ الفقيه فضل على الجارية، فخرج الجني عنها، فتبعه الفقيه فضل حين خرج، وجعل يطرده، والجني هارب منه، حتى اختفى في بعض الأماكن، فرجع عنه الفقيه»، ثم قوله في الموضع الآخر عن (الجوهر) من غير عزو صريح أيضاً ما لفظه: «وقال الفقيه أحمد بن محمد بن أبي حرمي كنت أرى كل ليلة عموداً من نورعلى قبر الفقيه فضل بن محمد، ولا يزال ذلك العمود على القبر حتى يطلع الفجر الصادق، وكان له من الولد ثلاثة الشيخ الحبر محي الدين سالم، والشيخ محمد، والشيخ يحيى» وكذا قوله في الموضع الآخر مع عزوه ذلك إلى (الجوهر) صريحاً: «وذكر مؤلف (الجوهر) أنه يروى أن الدعاء مستجاب بين قبره وقبري ولديه سالم ومحمد، وكانت قبورهما معاً».

وفي اعتقادنا أنه ليس لذلك النقل الذي هو ثالث مواد هذه العناصر التي هي الأجزاء التركيبية للترجمة وهو ما نقله عن غير (الجوهر) إلا أهمية ثانوية صغيرة على حد ما يلوح للمطالع، فغاية المرمى من ذلك فيما يبدو لنا هو أن يكون هذا في الجملة كالشواهد والمتابعات لذلك المنقول الرئيسي الأصل، وكالاستقصاء

(١) كذا بالأصل، والصواب جواري.

لما يمكن لمؤلف (الصلة) أن يسوقه كمؤرخ بمعرض الترجمة هذه، ويورده عن حال المترجم له، في سبيل الحرص على تدوين وضبط ما هو موثوق به من النقل لدى المؤلف من كل ماله (الصلة) بالمترجم له مما عرف عنه أو قيل فيه.

وترى مثال مجموع ما جاء في الترجمة من هذه المادة الثالثة منقولاً بصورته الحرفية فيما يلي وذلك قوله في أواسط الترجمة: ((ويلقّب بالقار لكرامة جليلة وقعت له، وهي أن كاتب الدولة في عصره أراد أن يثبت اسم الشيخ في ديوان المخروسين من الرعية، فأحس في فمه مرارة شديدة، ولم تزل من فمه حتى صرف عزمه عن ذلك، وقيل: إن الملقب هو ابنه محمد بن فضل، ولعل الحكاية وقعت لهما معاً)) وقوله أيضاً تعليقاً على ما نقله عن (الجوهر) بدون عزو صريح مما سبق لنا نقله في خروج الجني من الجارية المصروعة وهو ما لفظه: ((قلت: وأخبرني جدي وسيدي الشيخ العارف بالله أحمد بن عبد الله بن أبي بكر الخطيب رحمه الله قال: إن ذرية الشيخ فضل من وقته إلى الآن لم يصب أحداً منهم طائف الجن حفظاً من الله لهم ببركة الشيخ رضي الله عنه))، وقوله في أواخر الترجمة: ((وكانت وفاته سنة ٥٣٣ ثلاث وثلاثين وخمسمائة، ودفن بمقبرة الفريط)).

فهذا هو نتيجة تحليل كيان الترجمة، وشرح عناصر المواد التي تتألف منها أجزاؤها وبسائطها الأولية.

وننتقل من هذا الشطر وتحليل مواد الترجمة إلى الشطر الآخر من تمحيص البحث وهو الشطر الذي يترتب عليه مناط الحكم، والقول الفصل بالنسبة لهذه الترجمة واعتبارها فيما لها وعليها، وذلك بعرض ما احتوت عليه هذه الترجمة من ذلك النقل الرئيسي الجوهري، وكذا من ذلك النقل الثانوي الإضافي، وامتحان حقيقة هذه النقول على محك النقد والاختبار.

امتحان صحة النقل:-

من أهم ما يتحتم في تمحيص الموازنة والمقارنة بين النقل، وأصله أن يحتاط الباحث بمراعاة أفضل الطرق والوسائل في إجراء المقابلة لمعارضة النقل بالأصل، وفهم ما عسى أن تكون عليه حالة النقل من تمام، أو نقص في مطابقة للأصل.

ومما تنبغي الإشارة إليه أنه لا يقع الاعتبار والوثوق كاملاً إلا إذا كانت المقابلة قائمة على اعتماد أصل معتبر، ونسخة مضبوطة لمصدر النقل، ومهما كانت النسخة شهيرة، أو تمتاز بأنها مما قوبل على نسخة أصل المؤلف إما مباشرة أو بالواسطة، أو بأنها مكتوبة بخط من يوثق بضبطه وأمانته، كان الاعتبار بهذه المقابلة على أتمه وأوفاه؛ ولهذا السبب فقد حرصنا غاية الحرص، وتحرينا إجراء هذه المقابلة على نسخة شهيرة من كتاب (الجوهر الشفاف) مكتوبة بخط الثقة الثبت عبد الله بن عمر بن أحمد الخطيب المتوفى بتريم سنة ١٢٨٦ ست وثمانين ومائتين وألف هجرية، الذي يتصل نسبه بمؤلف (الجوهر)، فهو الجد العاشر له في سلسلة النسب.

أما في الجهة الأخرى فقد اعتمدنا النقل من كتاب (صلة الأهل) على نسخة كتبت بخط الشيخ عبد الرحمن بن أحمد بارضوان بافضل، وهذه النسخة يوجد بهامشها تصحيحات وزيادات أضيفت بمعرفة المؤلف، مما يستدل منه على أنها مما قوبل وصحح على نسخة أصل المؤلف، ولما كانت المقابلة هي معارضة الشيء بالشيء ليرى وجه التماثل أو التخالف بينهما، ولا يتضح إدراك الفارق للناظر جلياً بسهولة، ولا فهم مبلغ التفاوت الواقع في مخالفة النقل للأصل إلا بمقارنة يستعرض فيها مثال النقل بإزاء مثال الأصل، فيتبين بواسطتها ما يوجد من الفارق الذي يفترق فيه النقل عن الأصل، إما لوقوع غلط اتفق حدوثه، وبسبب تحوير أو تشويش حصل في هذا النقل.

فقد رأينا أنه يحسن هنا من أجل هذا كله أن نعمل في هذه المقارنة على

احتذاء طريقة جداول المقابلة بين النصوص بوضع الجدول الآتي لمواد نصوص الأصل، والنقل، وتوضيح الفارق بينهما بحسب ما يلي:

الجوهر الشفاف		صلة الأهل		الفارق
أصل النص	الموضوع	النقل	الموضوع	
الحكاية الثالثة	مناقب	قال فيه الشيخ	ترجمة	هو تخالف (صلة الأهل)
والتسعون عن الفقيه	الشيخ	الإمام عبد الرحمن	فضل بن	مع (الجوهر) في أصل
أحمد بن محمد بن أبي	فضل بن	ابن محمد الخطيب	محمد بن	الموضوع فـ(الجوهر) يورد
فضل رضي الله عنه	محمد بن	في (الجوهر	عبدالكريم	هذه الحكاية الثالثة
قال: ((أصاب بعض	فضل بن	الشفاف): وكان	ابن محمد	والتسعين في كرامات
جوار الفقيه فضل بن	عبدالكريم	الفقيه فضل	بافضل	فضل بن محمد (الحفيد)
محمد بن أبي فضل	ابن محمد	المذكور رضي الله	والد	ومناقبه بينما الصلة تعمد
رضي الله عنه صرع،	بافضل	عنه من كبار	الإمام	إلى نقلها في الترجمة لفضل
فقرأ الفقيه فضل	الذي	العلماء العاملين،	سالم	ابن محمد (الجد)، ويقع
المذكور على الجارية،	ترجم له	والأئمة المحققين،	بافضل	التخالف بينهما أيضا فيما
فخرج الجني عنها،	(الجوهر)	والفقهاء المدققين،	وجد	يترتب على إغفال الصلة
فرآه الفقيه حين خرج	في الطبقة	وكان مع ذلك من	فضل	لذكر الموضع المنقول عنه
فتبعه الفقيه يطرده،	الثانية وهو	الزهاد الورعين،	وأحمد	من (الجوهر) بعدم ضبط
والجني هارب منه	أخو	وكان فيما روي	القاضي	عدد الحكاية وبيان الطبقة
حتى دخل إلى بعض	القاضي	عنه إذا سجد على	ابني محمد	من ذلك الإخلال
الأماكن، فرجع عنه	أحمد بن	الأرض تسمع	ابن فضل	بمقصود مؤلف (الجوهر)
الفقيه، وقال أحمد بن	محمد	لجبهته قريعة كأنها	المذكور	من هذا الضبط والبيان؛
محمد أبي حرمي:	بافضل	عظم لا لحم عليه	وهما	إذ قد كان قد صرح
كنت أرى كل ليلة	الذي	من شدة تجويعه	اللذان	بالحامل له على ضبط
على قبر الفقيه فضل	سيأتي	لنفسه واجتهاده،	ترجم لهما	الحكايات وترتيب
ابن محمد عموداً من	ذكره بهذا	وكان سخياً كريماً	الجوهر في	الكتاب على طبقات من
نور ولم يزل ذلك	الجدول	ﷺ، وقال الفقيه	الطبقة	أنه فرار من وقوع القاري
العمود على القبر	والذي	أحمد بن محمد بن	الثانية في	في الإشكال والغلط من
حتى يطلع الفجر	ترجم له	فضل أصاب	الحكاية	أجل تشابه الأسماء. أما
الصادق، وكان الفقيه	(الجوهر)	بعض جوار	الثالثة	التخالف الثالث فهو ما

الجوهر الشفاف		صلة الأهل		الفارق
أصل النص	الموضوع	النقل	الموضوع	
فضل المذكور من كبار العلماء العاملين، والأئمة المحققين، والفقهاء المدققين، وكان مع ذلك من الزهاد الورعين، وكان فيما روي عنه إذا سجد تسمع لجبهته قربعة على الأرض كأنها عظم من شدة الجوع والاجتهاد، وكان سخيا كريما رضي الله عنه وكان له من الولد. . . الحكاية الثانية بعد المائة: حكي أن الفقيه الزاهد الورع الصالح العالم العامل أحمد بن محمد بن أبي فضل رضي الله عنه قال: من جاء عند قبري وقرأ عندي سورة الفاتحة مرة والإخلاص ثلاثا ضمنت له على الله تعالى بإجابة ثلاث دعوات من الله تعالى.	في الطبقة الثانية أيضا وهما حفيدا فضل بن محمد والد الشيخ سالم الذي ترجم له صاحب (صلة الأهل) هذه الترجمة كرامات الشيخ القاضي أحمد بن محمد بافضل الذي ترجم له (الجوهر) في الطبقة الثانية وهو كما تقدم أخو فضل الذي	الفقيه فضل بن محمد بن أبي فضل ﷺ صرع فقرأ الفقيه فضل على الجارية فخرج الجني عنها، فتبعه الفقيه فضل حين خرج وجعل يطرده والجني هارب منه حتى اختفى في بعض الأماكن، فرجع عنه الفقيه، وقال الفقيه أحمد بن محمد بن أبي حرمي كنت أرى كل ليلة عموداً من نور على قبر الفقيه فضل بن محمد ولا يزال ذلك العمود على القبر حتى يطلع الفجر الصادق، وكان له من الولد ثلاثة الشيخ الحبر محي الدين سالم، والشيخ محمد والشيخ يحيى.	والتسعين والحكاية الثانية بعد المائة بقية ترجمة (صلة الأهل) لفضل بن محمد والد الإمام سالم بن فضل جد أحمد القاضي هذا وأخيه فضل الذي ترجم لهما الجوهر في الطبقة الثانية في الحكاية الثالثة والتسعين والحكاية الثانية بعد المائة.	وقع من تحوير وتشويش في نقل مؤلف (الصلة) عن (الجوهر) في تلك الزيادة التي وضعها لإملاء ذلك الفراغ المعروف في (الجوهر) بعد قوله: ((وكان له من الولد بقوله ثلاثة الخ)). وهو تخالف (صلة الأهل) مع (الجوهر) في ذات الموضوع فالجوهر إنما أورد هذه الحكاية في معرض الترجمة المختصة بأحمد القاضي الذي هو الحفيد الآخر لفضل الجد، ولكن مؤلف الصلة جرها من موضعها في مناقب أحمد القاضي إلى تلك الترجمة التي اهتم بوضعها لفضل الجد والد الإمام سالم بن فضل، ويوجد هنا أيضا نظير ذلك التخالف السابق من الإخلال بمقصود (الجوهر) من ضبط عدد الحكايات وبيان الطبقة كما يوجد أيضا مثل ذلك التخالف الآخر الشنيع

الجوهر الشفاف		صلة الأهل		الفارق
أصل النص	الموضوع	النقل	الموضوع	
قلت ويروى أن الدعاء مستجاب بين قبر هذا السيد المذكور وبين قبري والده وعمه وكانت قبورهما معا رضي الله عنهم إلى آخر ما في الحكاية من كلام آخر لا صلة له بالبحث.	ترجم (الجوهر) له في هذه الطبقة أيضا.	وذكر مؤلف الجوهر أنه يروى أن الدعاء مستجاب بين قبره وقبري ولديه سالم ومحمد، وكانت قبورهما معا قدس الله أسرارهم الزكية ونفعنا بهم آمين.		من التحوير والتشكيك في النقل وذلك من إبدال مؤلف (الصلة) عبارة (الجوهر) التي لفظها: وروي أن الدعاء مستجاب بين قبر هذا السيد المذكور وبين قبري والده وعمه بقوله: ((بين قبره وقبري ولديه سالم ومحمد)).

يتضح مما تقدم في الجدول من المقارنة بين نصوص الأصل والنقل تعدد وجوه التخالف بينهما، وكون تصادم النقل مع الأصل لم يقتصر على ناحية واحدة فقط، بل تناول نواحي متعددة فهو يقع أولاً في الموضوع حيث إن المترجم له في (الجوهر) بهذه المناقب والكرامات في الحكاية الثالثة والتسعين هو: فضل بن محمد الحفيد، وفي الحكاية الثانية بعد المائة هو القاضي: أحمد بن محمد أخو فضل هذا لا فضل بن محمد (الجد) الذي نقل مؤلف (الصلة) هذه المناقب والكرامات في الترجمة له، وخيل للناس بهذا النقل أنها وردت في (الجوهر الشفاف) في حق فضل (الجد هذا)، وأنه ممن ترجم له (الجوهر) بين مشاهير علماء وصالحي تريم، وكذلك يقع هذا التصادم باجتياز مؤلف (الصلة) لما أقامه مؤلف (الجوهر) من حاجز للحيلولة دون ما قد يوقع فيه تشابه الأسماء من الغلط والاشتباه، فقد تغافل مؤلف (الصلة) عن هذا الضابط، ولم يكترث بمقصود المؤلف وغايته التي يرمي إليها في ترتيب الطبقات وضبط عدد الحكايات.

وفي نظرنا أنه على أساس ما يوجد في الناحيتين السالفتي الذكر من ذلك

التخالف والتصادم الهائل ينبني كل ما حصل من تحوير وتشويش في ذلك النقل عن (الجوهر) من إملاء مؤلف (الصلة) للفراغ الذي بآخر الحكاية الثالثة والتسعين من (الجوهر) وهو ما بعد قول (الجوهر): ((وكان له من الولد ...)).

فإنه يوجد هكذا بياض بكتاب (الجوهر) معروف، ولدى المطلعين عليه حيث أضاف مؤلف (الصلة) لإملاء هذا الفراغ قوله: ((...ثلاثة الشيخ الجد محي الدين سالم والشيخ محمد والشيخ يحيى)) وكذا من تغييره العبارة الأخرى من الحكاية الثانية بعد المائة في (الجوهر الشفاف) التي أصلها: ((بين قبر هذا السيد المذكور، وبين قبري والده وعمه)) حيث أبدلها بقوله: ((بين قبره وقبر ولديه سالم ومحمد)).

ومجمل القول وقد جرى بنا الشوط في امتحان صحة نقل مؤلف (الصلة) عن (الجوهر) إلى هذه الغاية من التمحيص والدرس أنه لا مهرب لنا في تقرير النتيجة وتسجيل الواقع الذي ينكشف عن الاختبار والفحص من اقتباس ذلك المعنى الجليل الذي قاله أحد شيوخ التحقيق تعليقاً على ما يشبه هذا المقام ومن الاستشهاد به ههنا بهذه المناسبة حيث قال: ((حسبك من عدم صحة النقل مصادمته للأصل)).

* * *

تكملة البحث في النقل وذلك في المنقول عن غير الجوهر

وحيث انتهينا إلى الكلام في تمحيص ما نقله مؤلف (الصلة) عن غير (الجوهر) هو كما أسلفنا ثالث المواد التي تتألف منها عناصر الترجمة لفضل بن محمد والد الإمام سالم بن فضل، فمن المهم أن نشير إلى أن كل نقطة من تلك النقاط الثلاث الواردة في هذا المنقول عن غير (الجوهر) لتفتقر الواحدة منها بحد ذاتها ومع ما هي عليه من ضعف أهميتها إلى تخصيصها بدراسة مستقلة، ولهذا فنحن نشرع في بحثها بحسب ترتيبها كما يلي:-

١. قال مؤلف (الصلة): ((ويلقب بالقار لكرامة جليلة وقعت له، وهي أن كاتب الدولة في عصره أراد أن يكتب اسم الشيخ في ديوان المخروسين من الرعية، فأحس في فمه مرارة شديدة، ولم تزل من فمه حتى صرف عزمه عن ذلك. وقيل: ((إن الملقب هو ابنه محمد بن فضل، ولعل الحكاية وقعت لهما معاً)) فأول ما يلاحظ في هذا النقل أن مؤلف (الصلة) قد أورده هكذا غير منفصل عن ذلك النقل الذي استمده من (الجوهر)، وعزاه إليه في صراحة، وهذا شيء قد يوقع المطالع في الغلط، فيتوهم أنه مما نقله المؤلف من كلام (الجوهر) لاسيما وقد جاء نقله عن هذه الحكاية عارياً عن تسمية المصدر المنقولة عنه.

ولا ندري إلى أي حد ينتهي عجب المرء إذا علم أنه لن يقف في هذا البحث المتعلق بهذه النقطة أمام مشهد، ويقع التضارب فيه ما بين كلام مؤلف (الصلة) هذا وكلام غيره، وإنما يقع التضارب في ذلك بين كلام صاحب (الصلة) نفسه في هذا الموضع من ترجمة فضل والد الإمام سالم، وفي هذا الصدد، أي في الملقب بالقار، وبين كلام الآخر في منقول بهذا الصدد نفسه في الموضعين الآخرين من الكتاب ذاته، أي فيما ترجم به الشيخ محمد بن فضل أخي الإمام سالم ولابنه الإمام العلامة فضل بن محمد، فإننا حيث نجده هنا أي في ترجمة فضل والد الإمام سالم يجعل أصل النقل في الملقب بالقار وارداً في حق فضل

الجد، لا في ابنه محمد وذلك لما يقتضيه كلامه في هذه الترجمة من قوله: ((ويلقب بالقار لكرامة جليلة وقعت له..الخ))، ومن قوله: ((وقيل: إن الملقب هو ابنه محمد))، تلقاه في الناحية الأخرى في الموضعين المشار إليهما أي في ترجمة الشيخ محمد بن فضل، وابنه فضل قد قاده الأمر الواقع لإثبات النصوص الواردة التي هي المرجع في الرواية لحكاية هذا الملقب، فانساق بهذا إلى ما فيه بطبيعة الحال إبطال لمقتضى كلامه السابق.

وتوضيحاً للمقام نضع الجدول الآتي للمقارنة بين كلام مؤلف (الصلة) عن حقيقة الملقب بالقار في أولئك الثلاثة الذين ترجم لهم، وهم فضل بن محمد الجد وابنه محمد، وابن ابنه فضل.

مثال ما قاله في ترجمة فضل بن محمد الجد	مثال ما أورده في ترجمة محمد بن فضل أخي الإمام سالم	مثال ما ذكره في ذكر ترجمة فضل بن محمد الحفيد
ويلقب بالقار لكرامة جليلة وقعت له، وهي أن كاتب الدولة في عصره أراد أن يثبت اسم الشيخ في ديوان المخروسين من الرعية، فأحس في فمه مرارة شديدة، ولم تزل من	ذكر العلامة عبد الله بن محمد بن حكم باقشير[1] وقال فيه: هو السيد الولي الملقب بالقار؛ لأنه لا يقدر ظالم على السطوة على شيء له، ولأخيه محي الدين الفقيه سالم ابني فضل رضي الله عنهما، وقال المحدث السيد الإمام محمد بن علي خرد في كتابه (الغرر) عن ترجمة لسيدي القطب علي بن أبي بكر السكران وأمه أم الشيخ علي، وأم	وكان يعرف القار أيضاً؛ لعدم قدرة الظلمة على تناول شيء من ماله عدواناً، ورأيت بخط بعض الفضلاء على ظهر كتاب (النور السافر) ما هذا مثاله: الشيخ الكبير العارف بالله فضل ابن عبدالله الساكن بالشحر ابن الفقيه فضل بن محمد القاضي ابن أحمد بن محمد أخي الشيخ

(١) يغلب على الظن أن مؤلف (الصلة) نقل هذا من كتاب (مفتاح السعادة والخير) للعلامة الفقيه الشيخ عبد الله بن محمد باقشير، فإن المؤلف باقشير قد استطرد لذكر هذا؛ لأن الكلام على إقامة أبيه محمد بتريم لملازمة شيخه الشيخ علي بن أبي بكر السكران، وتزوجه من أمه أي المؤلف باقشير المذكور، وهي المرأة الصالحة رقية بنت محمد فقيه بافضل، ولما وصل إلى ذكر العلامة أحمد القاضي قال: ((ابن السيد الولي المعروف بالقار؛ لأنه لا يقدر ظالم على السطوة على شيء له، أو لأخيه محمد أخي الفقيه محي الدين سالم ابن فضل)).

مثال ما قاله في ترجمة فضل بن [illegible]	مثال ما [illegible]	مثال ما ذكره في ترجمة فضل بن محمد المحضار
فمه حتى صرف عزمه عن ذلك، وقيل: إن الملقب هو ابنه فضل بن محمد، ولعل الحكاية وقعت لهما معاً.	العيدروس المرأة الصالحة مريم بنت الشيخ أحمد بارشيد وأم أحمد المذكور فاطمة بنت عبد الله بن علي بن أبي فضل، وأمها بهية بنت الفقيه فضل ابن الإمام محمد بن الفقيه أحمد بن محمد أخي الإمام العلامة محي السنة ومميت البدعة سالم بن فضل، وكان محمد المذكور يسمى القار وذلك أن والي تريم لما أقام نخيل رعيته وأراضيهم لتخصيص الخرص عليها قيل للكاتب اكتب محمد بن فضل، فأحس في فمه مرارة عظيمة لتسميته له فلذلك سمي القار.	محي الدين سالم بن فضل. ولمحمد هذا الأخير ولد يقال له فضل القار قلت: هو المترجم له هنا والمشهور وصف والده بالقار ولا يعرف لفضل هذا عقب، وكثيراً ما ينقل سعد الفقيه في كتابه المشهور. في الطب عن فضل بن محمد فيظن من لا خبرة له بهم أنه أخوه الفقيه فضل بن محمد وإنما هو فضل ابن محمد القار.

فبالتأمل فيما يؤخذ من هذه المقارنة نرى أن المآخذ التي يمكن أن تحصى على مؤلف (الصلة) في ترجمة فضل الجد لا تنحصر في إغفاله الذكر لمصدر النقل وعدم بيان الدليل من النقل الذي يستند إليه، والحجة التي يعتمد عليها في تقرير قضيته كلامه من أن فضل الجد هو الملقب بالقار في الأصل، ومن أن تلقيب ابنه محمد بذلك إنما هو على ما قيل فقط، ولكن أعظم المآخذ تؤخذ عليه هو هجومه على الترجيح مع فقدان مرجح معلوم من كلامه أي مؤلف (الصلة)، ولا مرجح مفهوم من فحوى تلك النصوص التي نقلها من المؤرخين بترجمة محمد بن فضل وابنه الشيخ فضل، وإذاً فصنيعه هذا تحكم في قضية تاريخية بلا دليل، وإن شئت فقل إنها مراغمة ظاهرة لنصوص هؤلاء المؤرخين بلا حجة وبرهان.

وإلا فأي شيء تكون هي المراغمة والمكابرة لاسيما بإزاء نصوص كهذه هي على ما هي عليه من وثوق وقوة صراحة وشدة جلاء، حتى إنه لا يجعل

الاحتجاج بها إلا من باب الاحتجاج بالضعيف الواهي.

وهل لنا علاوة على ما تقدم أن نعتقد أن مؤلف (الصلة) قد فاته الاطلاع على ما استقر عليه تحقيق بعض أولئك العلماء الأفاضل الفطاحل من آل أبي فضل ممن بحث وتعقب أمر ذلك الخلاف، وأصّله بغاية من التوفيق والأمانة في خدمة العلم، وضربوا مثالاً رائعاً بهذا التحقيق، يجسم للناس كيف تكون النزاهة والورع والإخلاص للعلم، وهو أي ذلك الخلاف فيما إذا كان الملقب بالقار هو الشيخ محمد بن فضل أو ابنه فضل بن محمد (الحفيد) المترجم له في (الجوهر) كما سترى ذلك فيما نثبته من صورة هذا التحقيق التاريخي الثمين الذي ألقته المصادفة إلينا، والذي نورده كما هو بنصه تحت ما يأتي من بقية هذا الكلام، وسوف يبصر الناظر فيه كيف أنهم أظهروا عدم التعويل على ذلك القول لبعض المتأخرين ممن تكررت منه المحاولات في أن الملقب بالقار هو فضل الجد.

* * *

صورة التحقيق المشار إليه :

الحمد لله وجدنا فيما راجعناه في الشيخ[1].

أحدها: أنه فضل بن محمد بن عبد الكريم بافضل، والد الشيخ الإمام سالم بافضل، وهذا ذكره بعض أولاد الشيخ أحمد الشهيد، وتكرر منه مراراً في نبذة في مناقب جده الشيخ الفقيه عبد الله بن عبد الرحمن بافضل نفع الله بهم.

والثاني: أنه محمد أخو الشيخ الإمام سالم بافضل المذكور وهذا القول ذكره السيد الإمام محمد بن علي خرد في (الغرر) في ترجمة الشيخ الخطيب علي بن أبي

(١) نقلنا هذا التحقيق من أصل تعليقة قديمة قد تفتت منه موضع هذا الفراغ في السطر الأول المتروك هنا بياضاً، وورق هذا الأصل بقدمه ويشبه أن يكون هذا الأصل مكتوباً بخط الشيخ رضوان نفسه، وقد تحرينا نقله بصورته وضبط ما فيه من إشارات ورموز.

بكر نفع الله بهم فقال: «وأمه أي الشيخ علي وأم أخيه الشيخ عبد الله العيدروس المرأة الصالحة مريم بنت أحمد بارشيد، وأم أحمد المذكور فاطمة بنت عبد الله بن علي بن أبي فضل، وأمها بهيه بنت الفقيه فضل بن الإمام محمد بن الفقيه أحمد بن محمد بن فضل أخي الإمام العلامة محي السنة ومميت البدعة سالم بن فضل، وكان محمد المذكور يسمى القار، وذلك أن والي تريم لما أقام بنخيل رعيته وأراضيهم لتخصيص الخرس عليها، فلما قيل للكاتب محمد بن فضل أحس في فمه مرارة عظيمة لتسميته له فلذلك يسمى القار، وكانت بهيه المذكورة من الصالحات انتهى.

والثالث من الأقوال: أنه ولد الشيخ محمد المذكور وهو فضل بن محمد بن فضل بن محمد بن عبد الكريم وأنه أخو القاضي أحمد يقال له: فضل بن محمد القار يعلم من هذا النقل: الحمد لله، وجد ما قاله الشيخ الكبير العارف بالله فضل بن عبد الله الساكن بالشحر ابن الفقيه فضل بن محمد بن القاضي أحمد بن محمد أخي الشيخ محي الدين سالم بن فضل، ولمحمد هذا الأخير، ولا يقال له فضل القار، والمشهور وصف والده بالقار، ولا يعرف لفضل هذا عقب، وكثيراً ما ينقل سعد الفقيه في كتابه المشهور في الطب عن فضل بن محمد، فيظن من لا خبرة له بهم أنه أخو الفقيه فضل بن محمد، وإنما هو فضل بن محمد القار نفع الله بهم آمين انتهى.

فتأمل قوله: «والمشهور وصف والده بالقار - أي محمد بن فضل - تعرف به صحة ما ذكره صاحب (الغرر) في القول الثاني أنه محمد المذكور، ووقفت على مثال هذا العبارة المذكورة في القول الأخير بخط القاضي عمر بن إبراهيم المؤذن بافضل وقال: «إنه وجد ذلك بقلم والده العلامة إبراهيم، والعلم عند الله تعالى، فمن اطلع على زيادة بيان أو إيضاح فليحرره، وليصحح عليه ما وافق أحد الأقوال الثلاثة والحمد لله رب العالمين. قال ذلك الفقير إلى الله رضوان بن أحمد

بارضوان بافضل لطف الله به بتاريخ منتصف ربيع الثاني سنة ١٢٣٩ هـ)).

وأخيراً قبل إلقاء القلم وإنهاء البحث في هذه النقطة نقول فيما يتحصل مما تقدم أننا لم نفهم بعد فيما إذا كان مؤلف (الصلة) قد أراد أن يحذو حذو هذا القائل من أولاد الشيخ أحمد الشهيد الذي أشار إليه الشيخ رضوان فيقول بقوله، ويجرى على غراره أو كان لديه ما يصحح به كلامه فيما ذهب إليه من ذلك القول الذي علمت أنه لم يعول عليه أولئك المحققون من علماء آل أبي فضل أنفسهم، وأنه أي مؤلف (الصلة) إنما جرى على ما جرى عليه هنا اتفاقاً فقط أو بالتالي لما هو بسبيله بصدد الترجمة لفضل بن محمد والد الإمام سالم بن فضل.

فكل هذه الافتراضات هي ما يقع في بال الباحث في هذا الموقف الغريب.

٢. قال مؤلف (الصلة) تعليقاً على نقله الذي استمده من (الجوهر)، والذي سبق لنا إيراده عن حكاية خروج الجني من الجارية المصروعة ما مثاله: ((قلت: وأخبرني جدي وسيدي الشيخ العارف بالله أحمد بن عبد الله بن أبي بكر الخطيب رحمه الله قال: إن ذرية الشيخ فضل من وقته إلى الآن لم يصب أحداً منهم طائف الجن حفظاً من الله لهم ببركة الشيخ رضي الله عنه)).

فهذه الرواية كما أشار فضيلة السائل الشيخ فضل عرفان ليس فيها إلا إتيانها بصورة أنها مما يؤيد ويشهد للمؤلف (الراوي) بسداد الفهم وصواب النقل، وتوثيق له فيما يميل لتقريره إلى أخر ما قاله فضيلة السائل.

ونقول: ونحن نريد أن نتابع تمحيص البحث والمناقشة في هذه الرواية أنه بصرف النظر من أنه لا يليق بذي فطنة أن يقيم من قوله وروايته دليلاً بحيث يسند الحكم هكذا في قضية ما يميل إليه من ذلك الغرض المعروف بمحاولته ومداورته له بكتابه إلى نفسه وعلمه نقول إننا بصرف النظر لا نسلم بصحة هذه الرواية، وكيف يتفق لرواية كهذه أن تروج دع أن تثبت تاريخياً، وهي تحمل علة

سقمها في أصلها، وتدلك على طريقة كسرها بذاتها[1] فالشيخ أحمد بن عبد الله الخطيب الذي ينسب مؤلف (الصلة) إليه هذه الرواية باعتبار أنها كالمتابعة والتقرير له فيما يذهب إليه من أن المترجم له بهذه الحكاية في (الجوهر) إنما هو (فضل الجد) والد الإمام سالم بن فضل، لا فضل بن محمد (الحفيد).

إن هذا الشيخ أحمد بن عبد الله الخطيب المذكور هو رجل شهير بين الناس، ومعروف بعلمه وسعة إطلاعه، وشدة تحريه وتثبته فيما يأتي ويذر، وكتاب (الجوهر الشفاف) كتاب متداول، ومرجع تاريخي ممتاز بالنظر إلى تراجم مشاهير وصلحاء تريم عامة، وبالأخص تراجم سلف هذا الشيخ العلامة وأجداده، ومشاهير قبيلته آل الخطيب، ولا يخامر الناس أي شك في أن هذا الكتاب قد قرأه هذا الشيخ العلامة، وقرئ عليه عشرات المرات في خلال تلك الحياة العلمية الطويلة التي تناهز الخمسة والسبعين عاماً، والتي من المسلَّم أنه أفناها في مدارسة العلم والتعليم والمذاكرة في المأثور من تواريخ ومناقب السلف، لاسيما علماء وصلحاء تريم، فهل لنا أن نقول في هذا الشيخ العلامة

(١) من هذا الضرب من الروايات التي يسقطها التاريخ والتي لا ثمرة فيها إلاّ وصمة مؤلف (الصلة) لمن يسند إليهم مثل هذه الرواية بأنهم ممن يلقون الكلام على عواهنه ويرسلونه بدون روية وفي غير تدبر.
رواية مؤلف (الصلة) بمقدمة كتابه هذا عن الحبيب الإمام أحمد بن حسن العطاس، وما يذكره من أن المشايخ آل أبي فضل كانوا ممن طهر الله بهم حضرموت من البدع وصفاها بهم من الكدورات والعقائد الزايغات قبل سيدنا الإمام المهاجر إلى الله أحمد بن عيسى، فالمشايخ آل أبي فضل أو بعبارة أخرى أجدادهم الذين كانوا في عصر المهاجر هم ممن لم يوفق الناس لاكتشاف ما تجهله نحن ومؤلف (الصلة) حتى معرفة أسمائهم فكيف يتأتى للمرء أن يصفهم بأنهم كانوا كذا وكذا، أو أتوا من الأعمال كيت وكيت، على أن الذي قرره مؤلف (الصلة) فيها أن الجد الجامع لآل أبي فضل إنما هو عبد الكريم بن محمد الذي يجعله مقارنا في الزمن للإمام علوي بن عبيد الله بن أحمد بن عيسى، وموجز القول أن الحبيب الإمام أحمد بن حسن العطاس المشار إليه معروف لدى الناس بأنه ليس بالرجل الذي يقول بالارتجال والانتحال في التاريخ، والرواية، بل طال ما اشتهر منه أنه أوصى وأشار على من استشاره في الكتابة والتأليف في تاريخ حضرموت بأن يرجع إلى ما عدده وسماه من تواريخ حضرموت والتواريخ الأخرى التي تعرضت لذكر حضرموت كالمسعودي وغيره.

وهو كما وصفنا أنه ممن قرأ كتاب (الجوهر الشفاف) وفهمه ودراه، وأنه ممن لا يغيب عنه دقائق معناه، أو أنه ممن يقال في حقه: إنه كآحاد أولئك الناس ممن لم يمر طرفه في (الجوهر) إلا مراراً في خلال ما اتفق له من مطالعته أو قراءته مرة أو مرتين في العمر، أي ممن أتى على هذا الكتاب وقرأه من دون دراية ووعي لما فيه، وتأمل لما يحويه لا بجهة الإجمال، ولا بجهة التفصيل، ثم من وراء هذا الذي ذكرنا فإن الشيخ أحمد لو فرضنا أنه ممن يتخيل وجود ترجمة لفضل (الجد) والد الإمام سالم بن فضل، وأورده في (الجوهر) أو لو أردنا أن نجعله فوق هذا على جانب من الغفلة والذهول فلن يدور بفكره أنه يجوز عادة أن صاحب (الجوهر) بينما يقدم ذكر ترجمة الإمام سالم بن فضل وترجمة ابنه يحيى بن سالم بين من ترجم لهم في الطبقة الأولى من الكتاب يترك الترجمة لفضل والد الإمام سالم في هذه الطبقة، ولا يعمد إليها إلا في الطبقة الثانية إن هذا في حد ذاته بعيد جداً، حتى ولو لم يكن هناك قاعدة أساسية مذكورة (بالجوهر) قد انبنى عليها تأليفه وضبطه في تبويب الحكايات وترتيب الطبقات[1].

ويتلو هذا أمر آخر أيضاً ربما كان من أشد ما يستوقف الباحث والمؤرخ، وهو أنه على هذا الذي يميل إليه مؤلف (الصلة) من أن الحكاية الثالثة والتسعين من (الجوهر) وردت بمعرض الترجمة لفضل (الجد) يترتب على هذا أن لا يبقى هناك وجود للإمام العلامة المحقق أبي العباس فضل بن محمد (الحفيد) بين المترجم لهم في (الجوهر)، وهو من هو في شهرته وعلو مقامه المجمع عليه،

(١) نترك للباحث من مطالعة تلك المنظومة في التوسل بمشايخ الجوهر، وهي التي أنشأها الشيخ الفقيه أحمد بن عمر بن عبدالرحمن مؤلف (الجوهر) بن محمد الخطيب المتوفى سنة ٩٦٩ عن ثمانين سنة من العمر، ويبدو له من مراعاة الناظم في سرده لتعديد هؤلاء المشايخ بحسب ما جاء من ترتيبهم على الطبقات من كتاب (الجوهر) وكترتيبهم في الذكر في الجوهر غالبا - ما كان لدى هذا الناظم أو لدى سلالة مؤلف (الجوهر) من اهتمام لاتخاذ وسيلة أخرى للحيطة والحيلولة، وسد الباب في وجه من يطمع في الاستفادة من وراء العبث والتصرف في حقيقة المترجم لهم في (الجوهر)، بمحاولة الدرس والتحوير أو بطريق الزيادة والحذف، وبلغ أبيات هذه المنظومة أربعة وتسعين بيتا.

يكفيك من ذلك الأبيات للجحيشي الواردة في حقه وشأنه، ونقل الشيخ علي بن أبي بكر لهذه الأبيات في (البرقة) التي منها:

أنتَ يا فضلُ فاضلُ العصرِ حقاً أنتَ يا فضلُ معدنُ الإفضالِ
أنتَ فردُ الزمانِ حلماً وعلماً أنت إنسانُ عينِ أهلِ الكمالِ

أما صنيع مؤلف (الصلة) بما حاوله لسد هذا الفراغ الذي يقع في (الجوهر الشفاف) لو خلا عن الترجمة لهذا الإمام الشهير وذلك من اهتمامه الذي يبدو في رتق هذا الفتق بالاعتياض لها من ترجمة أخرى، وذلك باقتناص الحكاية الثالثة والثمانين التي أوردها (الجوهر) بترجمة الشيخ علي بن محمد الخطيب صاحب الوعل فهذا الصنيع هو تصرف معيب، وليس هو مما يعتاض به لهذا الإمام الشهير فضل (الحفيد) الذي طاب (للصلة) أن تسلبها ما أفرده به مؤلف (الجوهر) من تلك الترجمة والمناقب المذكورة في الحكاية الثالثة والتسعين التي مر نقلها، وتفصيل الكلام عليها.

٣. ما ذكره مؤلف (الصلة) في آخر الترجمة وهي قوله: ((وكانت وفاته سنة ٥٣٣ ثلاث وثلاثين وخمسمائة، ودفن بمقبرة الفريط)) إن هذه النقطة تقع آخر أبحاث هذا الموضوع في تمحيص النقل بترجمة فضل بن محمد والد الإمام سالم بن فضل، وقد رأى القارئ فيما جريتُ عليه في معالجة بحث الجواب على ذلك السؤال العلمي التاريخي كيف أني راعيت جهدي في التصدي لما يطالب به المحقق والناقد من رد الأشياء إلى أصولها، كما بذلت وسعي في التمشي وفقاً لطبيعة البحث ومسايرة المقتضيات التي لها فائدتها العلمية في جلاء الموضوع وتقريبه، وفي تيسير الوصول لفهم ما قد يهم المرء من الحقائق العلمية والمسائل التاريخية الحضرمية مبتدئاً في ذلك بذكر ما شرطوه في المؤرخ، وما يعرف عن مبدأ عهد تدوين التاريخ الحضرمي، وسالكاً في التعقيب على ما جاء في بسط وجه الإشكال الذي يدور عليه محور السؤال على ما لابد منه في تمحيص حقيقة

الترجمة، وفي الكشف عن غوامضها من تحليل موادها أولاً، ثم من امتحان ما احتوته من المواد من عناصر النقل والرواية، إلى آخر ما قد وعاه المطالع مما قد تقدم من البحث في هذا الشطر المختص بتحقيق موضوع هذه الترجمة وتمحيصه، ومع أن الأقدار الإلهية قد ساعدت في كشف الحقائق فيما يتعلق بمنقول (الصلة) بتلك الترجمة، وبما يتصل بها من جميع ما سبق بحثه والكلام عليه حتى تم لنا بحمد الله بوجه التقريب تتبع هذه المواد المنقولة، وهي التي تقدم ذكرها وانتهينا من دراستها بمصادرها، فإنه قد بقيت هذه النقطة الأخيرة التي نحن الآن بسبيل البحث فيها، مما لم يهتد التنقيب بعد لمعرفة مصدر النقل فيها، وهي على ضؤولة قيمتها من الناحية الجوهرية في موضوع البحث لا تزال لها في الناحية الأخرى أهميتها لما يحيط بها من غموض حائل دون الوقوف على مرجع أصل النقل فيها.

ولهذا فلا عجب إذا أمسيت اعتبر توضيح أمر هذا المصدر من الأمور الشاقة في تمحيص هذا النقل، وكذلك إذا ظلت هذه النقطة، وهذا النقل الذي أورده مؤلف (الصلة) لغزاً معمياً، وطلسماً مستغلقاً في نظري إلى الآن؛ فإن هذه النقطة هي مما حرص مؤلف (الصلة) أن لا يشير إلى شيء يمكن أن يفهم منه المرجع له في هذا النقل، ومادامت الحال هكذا في هذه الحقيقة الراهنة من حرص مؤلف (الصلة) على الاحتفاظ بسرية مصدر هذا النقل، ومن إخفاقي الآن في العثور على ما أتوصل به إلى معرفته وتحقيقه، فلماذا يقع مني أن أتردد في إعلان عجزي هذا عن اكتشاف أصل النقل في هذه النقطة؟ ولماذا لا أبديه هنا صراحة فلعل سواي من الباحثين والمؤرخين بحضرموت الموجودين اليوم، أو ممن يوجد في الغد ممن سيعرف بهم الزمان في الأجيال المقبلة قد يوفق للعثور على هذا الذي قد خفي علينا، وعلى ما يظهر خفي على أولئك الذين سبقوا من مؤرخي حضرموت من أمر مصدر النقل لهذه النقطة، ولعله قد ينكشف له شيء من غامض حقيقته؟

أما إنه إن بقي هناك شيء ربما لا ينبغي للباحث والمؤرخ أن يتغافل عنه أو أن يهمل الإشارة إلى ما حام من البحث حوله وفيه باعتبار أن فيه شيئاً قد يتصل بقضية تحقيق هذه النقطة فذلك هو ما سيتاح للمرء هنا أن يعرفه على مثال ما يأتي من حكاية هذه الواقعة.

منذ خمسة أعوام تقريباً اتفق للقاضي المرحوم الشيخ مبارك عمير باحريش، وذلك قبل توليه وظيفة القضاء بتريم مطالعة كتاب (صلة الأهل)، ولما وقف على ما ترجم به مؤلف (الصلة) لفضل بن محمد والد الإمام سالم بن فضل، وجدّه عبد الكريم، مما تؤخذ منه علو مقامهما وارتفاع شأنها بين أكابر علماء وصلحاء السلف الأوائل بتريم لم يلبث أن وقع نفسه كيف يصح للخلف هذا التجاهل والغمط في حق هذين الإمامين الشهيرين بحيث يبلغ ما هو واقع من الجفا نحوهما من زوار المقابر بتريم إلى حد أنهما وضريحيهما يقعان بجوار ضريح الشيخ الإمام سالم بن فضل في المقبرة وهو ابن أحدهما وحفيد الآخر تجد الزائر الذي يقصد زيارة الإمام سالم المذكور، لا يشير إليهما، ولا يشركهما صريحاً فيما يهديه من ثواب القراءة، وسواء في ذلك الزائر الذي يقف في الموضع المعروف بزنبل خارج قبة الشيخ عبد الله بن أبي بكر العيدروس، والذي يأتي إلى موضع قبر الإمام سالم بن فضل بمقبرة الفريط، بينما هذا له أثر لا ينسى أن يذكر، وأن يشرك ضريحان ذلك غيرهما من المجاورين من علماء وصلحاء آل أبي فضل كالإمام يحيى بن سالم، والقاضي أحمد بن محمد وغيرهما ممن يوجد ذكرهم في ترتيب الزيارة المرعي في زيارة المزارات بتريم، بل إن الزائر ليقفز بموجب ما جاء بترتيب الزيارة إلى ذكر الشيخ فضل رحمه الله، والشيخ عبد الله بن عبدالرحمن صاحب المختصر المقبور بالشحر، وهذا هو ما يعرفه من قرأ كتاب (مرهم السقيم في زيارة تربة تريم) للحبيب العلامة أحمد بن علي الجنيد في المنقول والمعمول به في زيارة مشاهير علماء وصلحاء تريم.

هكذا لاحظ القاضي المرحوم مبارك عمير المذكور بهذا الأمر ما ذكرنا وهكذا وقع في نفسه ما وقع .

ومن أجل هذا جاء ذات يوم إليَّ وأبدى ما لديه من عجب، وما عنده من استشكال بهذا الشأن؛ إذ خيل إليه أن عندي ما يدفع هذا العجب ويفسر هذا الإشكال، فوعدت بمساعدته ببحث هذا الموضوع لكن على أن يقوم هو بنقل وضبط ما يقف عليه من كل ما يوجد له صلة وتعلق بالبحث مما يوجد بـ(مرهم السقيم) بهذا الصدد، ومما كان مكتوباً على ألواح ضرايح والد الإمام سالم بن فضل وجده عبد الكريم، وأن يحضر هذا المنقول في الفرصة المناسبة، وما لبث إلا أياماً رحمه الله حتى حضر بالنقل المطلوب لبحث الإشكال، ودرس قضية ما قام بنفسه من عجب.

وقد احتفظت بصورة هذا النقل الذي كتبه بخطه وضبطه عن (مرهم السقيم)، وكذا بمثال ما وجده من الكتابة في ألواح ضريحي والد الإمام سالم بن فضل، وجده عبد الكريم، ولزيادة الفائدة نثبت هنا بصورته الحرفية طبقاً لما هو محفوظ لدينا من الأصل بخط القاضي المذكور.

فأما ما نقله عن (مرهم السقيم) فهو كما يأتي قال يعني في (المرهم السقيم): ((ثم يسير مقبلاً إلى تحت قبة الشيخ عبد الله بن أبي بكر العيدروس، ويرقى على الدرج، ويقف تحت الباب، ويرد رأسه منجداً، ويقابل الفريط، ويرتب الفاتحة للشيخ سالم بن فضل بن عبد الكريم بافضل، وولده يحيى، والقاضي أحمد، وفضل بن محمد، وأخيه سعد الفقيه بن محمد، والشيخ فضل بن عبد الله صاحب الشحر، والشيخ عبد الله بن عبد الرحمن مصنف (المختصر)، وولده حسين بن عبد الله صاحب (الفصول الفتحية)، والشيخ إبراهيم بن يحيى صاحب الرباط، والشيخ أحمد بارشيد، هؤلاء قبورهم نواحي الشيخ سالم إلا الشيخ فضل بن عبد الله، والشيخ عبد الله بن عبد الرحمن، فهما في الشحر، والشيخ حسين بن

عبدالله قبره نجدي الشيخ سالم على بعد)). ثم قال: ((قال في (مرهم السقيم) أيضاً: ثم يزور الفريط يبتدئ بقبر الشيخ سالم بن فضل بن محمد بافضل، وولده يحيى بن سالم، والقاضي أحمد، والشيخ فضل، وسعد الفقيه ابني محمد بافضل، قبراهما بحري الشيخ سالم، والشيخ أحمد بارشيد قبره نجدي الشيخ سالم، والشيخ إبراهيم بن يحيى بافضل صاحب الرباط نجدي الشيخ سالم على بعد، ويستحضر الشيخ فضل بن عبد الله صاحب الشحر، والشيخ عبد الله بن عبدالرحمن صاحب (المختصر)، قبراهما في الشحر كما سبق، ويزور ولده الحسين، وقبره نجدي صاحب الرباط مشرِّق على بعد اهـ)).

وأما ما وجده القاضي المذكور من الكتابة في ألواح الضرايح الآنفة الذكر هذه صورته طبق الأصل المنقول بخطه:

((*صورة ما في الشاهدة القديمة الموضوعة:*

في جهة رجلي قبر الشيخ عبد الكريم:

الحمد لله وحده و بعد انتقل الشيخ عبد الكريم بن محمد
العارف بالله فضل بن عبد الله صاحب الشحر أنهم
يتصلون لسعد العشيرة وهو سعد العشيرة بن

هكذا أربعة أسطر، والسطر الأخير جزء من أسفله مستور، والفراغ الذي تراه في أول السطر الثاني وآخر السطر الثالث والسطر الرابع لم نفهم ما فيه من كتابه.

وصورة الكتاب في الشاهدة الجديدة الموضوعة في جهة الرأس.

الحمد لله وبعد فهذا
ضريح الشيخ الكبير الإمام
عبد الكريم بن محمد

بافضل تغمده الله
برحمته وأسكنه
بحبوحة جنته آمين .

هكذا ستة أسطر .

صورة ما في شاهدة قديمة موضوعة في جهة الرجلين من قبر الشيخ فضل ابن محمد.

الحمد لله وحده الباقي بعد فناء خلقه سبحانه وتعالى
انتقل السيد الكبير الشيخ الشهير الولي العالم الفقيه
العارف بالله وحيد عصره فضل بن محمد بن عبد الكريم
سنة ثلاثة وثلاثين وخمسمائة من الهجرة رحمه الله تعالى آمين

هكذا أربعة أسطر وبقيت كلمة واحدة قبل قوله آمين من آخر السطر.

انتهى صورة ما وجده القاضي المذكور منقولاً من خطه. وبعد ما تقدم فإننا لا نحب أن نطيل على القارئ بعرض بحثنا المشترك مع القاضي المذكور فيما نفضيه بهذه الواقعة وإنما اقتصر على خلاصة ما خرجنا به من نتيجة هذا البحث المشترك وهي أن ما قد جرى عليه العمل في ترتيب الزيارة مما يقع في زيارة الإمام سالم بن فضل من ذكر الإمام يحيى بن سالم، والقاضي أحمد بن محمد وغيرهما صريحاً، ومن استثناء ذكر فضل بن محمد والد الإمام سالم بن فضل وبعده عبدالكريم مع كونه الجد الجامع لآل أبي فضل.

يظهر للباحث منه أنهم قد حولوا في ترتيب الزيارة بتريم على اعتماد ما يقتضيه شرط مؤلف (الجوهر) من كون أول شهير عرف في آل أبي فضل بالعلم والصلاح إنما هو الشيخ الإمام سالم بن فضل.

أما ذلك الذي يقرؤه الزائر على اللوح الموضوع على قبر فضل بن محمد والد الإمام سالم ، وكذلك على اللوح الآخر الموضوع على قبر جده عبد الكريم، من كل ما يشير إلى وجود شهرة تاريخية وثبوت مكانة ممتازة لهما بالعلم والصلاح بين أهل عصرهما، وكأنهم قد رأوا فيه عند ترتيبهم القاعدة المرعية في الزيارة أنه مما لا يوثق به ولا يعرج عليه، فهذا هو خلاصة ما اتفق من البحث بيننا وبين القاضي المذكور وما جرى بسبب واقعة اطلاعه على ما ترجم به مؤلف (الصلة) لوالد الإمام سالم بن فضل وجده عبد الكريم، ولقد أسلفنا ما سبق من إيراد الحكاية من تلك الواقعة مع القاضي المذكور، وأثبتنا ما هو منقول بخط (مرهم السقيم) من مثال ما يوجد على الألواح الموضوعة لقبر فضل بن محمد والد الإمام سالم بن فضل، وقبر جدّه عبد الكريم، فأوردنا جميع ذلك باعتبار ما له من اتصال مما نحن بصدده في تحقيق النقطة التي يدور عليها محور هذا البحث، وهي ما يهمنا في تعرف المرجع الذي يحتمل أن يكون مؤلف (الصلة) قد نقل عنه ولا ذكره من تاريخ وفاة فضل بن محمد والد الإمام سالم.

ويعلم أنه عندما وقفنا على مثال ما وقفه القاضي المذكور عن اللوح الذي بقبر فضل المذكور، وعندما لاحظنا ما يتوافق فيه نقل (الصلة) من تاريخ عام الوفاة مع ما يحويه اللوح المذكور لم يكن إلا أن تبادر إلينا لأول وهلة أن مؤلف (الصلة) لا يبعد أن يكون قد عرج في نقله هذا على ما يوجد بهذا اللوح بيد أنه ما عتمنا أن تمكنا بمعاودة النظر مرة أخرى، ولمؤلف (الصلة) بموضوع تلك الترجمة المذكورة لفضل المذكور أن هذا المتبادر للذهن مما لا يمكن أن يكون صحيحاً بدليل أن مؤلف (الصلة) قد تحامى السلوك هنا في النقل من هذا اللوح، بل قد نأى بعيداً في هذا التحامي إلى حد أنه لم يتناول في كلام أي ذكر لما يوجد بهذا اللوح، ولما سطر فيه من نعوت سامية، وأوصاف جليلة لصاحب الترجمة، فلم يحوهم أصلاً على الإشارة دع التنويه بأي شيء مما جاء في هذا اللوح، لا من قريب، ولا من بعيد، ولئن كان قد فاتنا فهم ما في هذا التنائي والتحامي الشديد

عن سر غريب هو يثير للتعجب فلن يفوتنا أن صنيعه هذا إن دل بالطبع على شيء فإنما يدل ليس على أن ما يوجد لهذا اللوح هو مما لا يتأتى ثبوته واعتماده تاريخياً، بل يدل أيضاً على أن مؤلف (الصلة) يرى أن ما سطره بهذا اللوح بالخصوص هو مما ليس للمرء أن يلتفت إليه ويعيره أي قيمة يشهد بهذا البرهان المحسوس الذي أقامه مؤلف (الصلة) في التفريق بين ما جرى عليه فيما ترجم به لعبد الكريم الجد الجامع لآل أبي فضل، واعتماد النقل فيه على ذلك اللوح الموضوع على قبره، وبين ما هنا مما جرى عليه إلى النقيض، وهو ما نجده من شدة إغفاله وتحاميه للإشارة إلى ذكره الذي يوجد باللوح المنصوب على قبر فضل والد الإمام سالم بن فضل، وهنا يتردد النظر في الأخذ والتعويل على ما يوجد في الألواح الموضوعة في القبور، والمعروف هو عدم تعويل المؤرخين على مجرد ما يوجد في مثل هذه الألواح، وخصوصاً في التي يرجع وضعها إلى أزمنة متأخرة، وتمتد الفترة بين وضعها ووفاة أصحاب الأضرحة إلى المئات من السنين كما هو الحال في أضرحة السلف الأُول بحضرموت، أي فيما قبل أوائل القرن السابع الهجري من حين ظهور المذهب الشافعي بها[1]، فالمؤرخون يجعلون كل ما يبعد العهد فيه ولاسيما في أمور من هذا القبيل عرضة لأن ينمى بكثير من الدس والعبث والتحوير.

أما إذا كان ما في هذه الألواح وما يشبهها مما يتعارض مع نقل المؤرخين والمراجع المدونة للتاريخ فهو لا قيمة له من الأصل، ساقط ومتهافت بذاته، وإليك الشطر الأول من ترجمة عبد الكريم التي اعتمد فيها على النقل من ذلك اللوح الذي يشير إليه بكتاب (الصلة) والتي هي فاتحة التراجم في (صلة الأهل)

(١) قال مؤلف (المشرع) لما ذكر كثرة المقبورين بتريم من الصلحاء والعلماء ما لفظه: «... إلا أن كثيراً منهم لا يعرف عين قبره، بل ولا جهته؛ لأن المتقدمين كانوا يجتنبون البناية والكتابة على القبور، وإنما استحسنه المتأخرون لأمور... الخ» والمراد بالمتقدمين هم من في عصر الفقهاء وهو العصر الذي أشرنا إليه آنفا في الأصل.

ننقله بلفظه لتعلقه بما ذكرنا قال: ((عبد الكريم بن محمد بافضل، وهو الجد الجامع لجميعهم فيما نعلم، لم أقف له على ترجمة خاصة، وإنما رأيت على لوح قبره بخط قديم مكتوباً: هذا ضريح الشيخ الإمام الكبير الشهير عبد الكريم بن محمد بافضل جد جميع آل أبي فضل، نفعنا الله بهم، وبسلفهم، آمين في الدارين آمين. وفي اللوح الآخر نحو ما تقدم، وذكر فيه أنه يتصل بسعد العشيرة كما تقدم، وتاريخ الوفاة مطموس، وقبره بالفريط، وهو على جهة التقريب مقارن في الزمن لسيدنا علوي بن عبيد الله المدفون بسمل)).

وهذا ما جاء بترجمة (الصلة) لعبد الكريم مما يختص بما ذكرنا، ويقول المؤلف: ((إنه رأى هذا الذي نقله مكتوباً على لوح قبره بخط قديم))[1]، فكيف

(١) مما تنبغي الإشارة إليه هو ما يقع للباحث المتتبع من حيرة واندهاش لدى تأمله فيما ذكره مؤلف (الصلة) من قوله: ((وإنما رأيت على لوح قبره بخط قديم مكتوباً: هذا ضريح الشيخ الإمام الكبير الشهير عبدالكريم بن محمد بافضل جد جميع آل فضل، نفعنا الله بهم وبسلفهم في الدارين، آمين. وفي اللوح الآخر نحو ما تقدم وذكر فيه أنه يتصل نسبنا بسعد العشيرة))، فإن الواقع فيما يوجد الآن على قبر عبدالكريم أنه يوجد في جهة الرأس لوح جديد مكتوب بقلم جديد أيضاً بنسبة جدا كتابة مشاهير الخطاطين المعاصرين بتريم، كما يوجد لوح آخر قديم بجهة الرجلين، ومثال هذين اللوحين وما فيهما من كتابة وفراغ لا يكاد يعرف ما فيه قد تقدم صورة ذلك فيما نقلناه مما ضبطه ونقله من مثال لهذين اللوحين القاضي المرحوم مبارك عمير باحريش، ويرى المطالع مقدار المغايرة والفرق الكبير بين ما في المثال الذي ضبطه القاضي المذكور لهذين اللوحين، وما فيهما مما هو مشاهد محسوس الآن، وبين ما ذكر مؤلف (الصلة)، وأدار عليه محور تلك الترجمة لعبد الكريم، فكلام مؤلف (الصلة) يقتضي وجود لوحين قديمين على القبر، وأن ما في اللوح المؤخر هو نحو ما في اللوح المقدم أي الموضوع بجهة الرأس أي من قوله الشيخ الإمام الكبير الشهير جد جميع آل أبي فضل نفعنا الله بهم وبسلفهم في الدارين آمين - بينما الواقع الآن كما أسلفنا أن الموجود على قبر عبد الكريم لوح جديد في جهة الرأس فيه الشيخ الكبير الإمام تغمده الله برحمته وأسكنه بحبوح جنته آمين وآخر قديم في جهة الرجلين ليس فيه إلا ذكر الشيخ فقط وأنهم يتصلون نسبا بسعد العشيرة، فهذان اللوحان القديمان اللذان نقل عنهما مؤلف (الصلة)، وذكر أنهما على قبره لا يوجد لهما الآن من أثر على قبر عبد الكريم فهل لنا أن نقول أنهما قد عدت عليهما عوادي الزمان، أو نقول أن هذا الحال مثال ناطق وعبرة قائمة على مصداق ما ذهب إليه المؤرخون من أن مثل هذه الألواح وما تشبهها هي مما يقع دائما عرضة للعبث والدس والتحريف، فلذلك لا يحتج بما فيها بمجرده.

لنا أن نفسر ما جرى من إسناد ما ترجم به لعبد الكريم إلى ذلك اللوح الذي يشير إليه، وصح له ذلك، ولم يصح له في الناحية الأخرى فيما ترجم به لفضل ابن محمد والد الإمام سالم أن يشير، ويستند إلى ما يوجد في اللوح المنصوب على قبره من أوصاف باهرة، ونعوت سامية، وكذا من تاريخ الوفاة الذي لا شك أنه مطلب مُهِم، وضالة منشودة يهتم التاريخ بضبطها، وتحقيق مصادرها ومراجعها الأولى سواء في المراجع والمدونات التاريخية الحضرمية، أو فيما يوجد خارجها، وذلك مادام أننا نقول إنه يوجد لهذا المترجم له شيء في الأصل، والواقع من حقيقته الشهرة التاريخية إما في ذاته وإما بالتبعية لشهرة ولده الشيخ الإمام سالم ابن فضل، أي ذلك الإمام الذي هو المؤسس الأول على ما يؤخذ من شرط «الجوهر» لتلك الشهرة الشامخة التي وجدت بواسطته للمشايخ آل أبي فضل، ونالوا بها تلك المكانة المعروفة بين من اشتهر بعدهم من قبائل حضرموت من ذوي المشيخة والجاه الديني، والتبريز في العلم، والصلاح، وليكن هذا ختام تحقيق القول بالشق الأول من البحث، وهو المتعلق بكتاب «صلة الأهل» لبافضل فيما يقتضيه «ترجمة الصلة لوالد الإمام سالم بن فضل»، وسنأخذ بعد هذا في بحث الشق الآخر، وهو ما يتعلق بقضية «الجوهر الشفاف» للخطيب فيما يقتضيه شرط «الجوهر»، والقاعدة التي قررها الخطيب بهذا الشرط لاستبانة حدود أولية الشهرة بالصلاح في أصول المترجم لهم في «الجوهر»، وتفاوت مداها بحسب ما حققه، فيما عرف من أحوال أجداد رجال «الجوهر» بطرق الاستفاضه بتريم، ومن كان متميزاً منهم بالشهرة العريقة بالصلاح بتلك العصور الأولى، أي فيما قبل ذلك العصر العلمي الذهبي، والعهد الفقهي الممتاز بحضرموت الذي ازدهر في أواسط القرن السادس الهجري، ومن لم تكن له شهرة إلا منذ ذلك العصر المشار إليه، وما تلاه من العصور.

ونسأل الله دوام هدايته وعونه فيما نحن بسبيله من تحقيق البحث، وخدمة العلم، وتيسير الفهم لسائل التاريخ الحضرمي.

بحث في شرط الخطيب في الجوهر:

نتجه الآن بحول الله لتناول البحث في قضية شرط الخطيب بمقدمة كتاب (الجوهر الشفاف)، ونورد هنا كل ما له صلة ببحث هذا الشرط مما يتعلق بالقواعد الأساسية التي انبنى عليها تأليف كتاب (الجوهر الشفاف) في ترتيبه، وثبوته ومصطلحه مما أوضحه المؤلف بمقدمة الكتاب، فنسوقه إلى جانب شرط (الجوهر) الذي يتكلم مع ما ذكرناه فيما مهد به المؤلف للكتاب بهذه المقدمة.

فنقول احتوت مقدمة كتاب (الجوهر) فيما أشرنا إليه من تلك الأمور على ما يأتي:

(١) ما ذكره المؤلف من أنه أودع كتاب (الجوهر) أربعة فصول وخمسمائة حكاية.

(٢) قوله في فرضه من ترتيب الحكايات على طبقات وهو: ((وأتبعت الفصل الثاني بالكرامات المذكورات، وجعلتها في أربع طبقات؛ لأن أسماء مشايخها تتشابه، فخفت أن يشكل على القاري مما يعرف هذا الشيخ من هذا الشيخ الآخر، فجعلت كل أهل عصر في طبقة مع حكاياتهم، ثم إني لست أشترط بين كل أهل طبقة ترتيباً بتقديم الأفضل، ولا الأسن، ولا الأكثر كرامات)).

(٣) كلامه عن مصطلحه في تسمية أكثر المترجم لهم في (الجوهر) بالمشايخ حيث ذكر ذلك بقوله: ((وسميت أكثر من له منهم فضل وكرامة شيخاً وإن كان بعضهم ليس له نفير، ولم يحكم أصلاً؛ لأن كل عارف بشيء شيخ فيه، وإن لم يعلمه غيره، وهم العارفون بالله تعالى، وبالطرق إليه فصاروا أهلا لذلك الاسم)).

(٤) بيانه لذلك الشرط الذي وضعه لمعرفة أولية الشهرة بالصلاح بتريم في

أصول المترجم لهم في (الجوهر)، وهو ما في قوله: ((وإذا ذكرت شيخاً صيرت[1] كراماته، ونسبته في أول كرامة له حتى أصله بأول من نعرفه[2] من أجداده اشتهر بتريم بالصلاح إن كان ذلك، ثم أتبع كل شيخ من أولاده من كان من ذوي الكرامات، وأسكت من[3] نسبهم؛ لأن نسب الآباء يقوم مقامه، وأقدم أسنهم على أصغرهم إلا أن تكون امرأة، فأقدم إخوتها عليها وإن كانوا أصغر منها سناً، وابتدي بكل طبقة بمن فيها من الأشراف)).

(٥) خامساً: ما أوضحه من أن أكثر الحكايات الطبقات الثلاث الأُول مروي بالإسناد عن من سماهم بكتاب (الجوهر) بأولئك الرواة من خواص المشايخ الذين من بينهم الشيخ أبو العباس فضل بن عبد الله صاحب الشحر، وأن هذا المروي عنهم من الحكايات هو أيضا مما يرويه غيرهم من الأعيان المشهورين، ومما تلقاه الأصاغر من الأكابر، إلى ما زاده مؤلف (الجوهر) من تفصيل بذكر أن ما بقي من حكايات هذه الطبقات الأول مما يوجد غير مسند فهو أيضا مستفاض مشهور إلا أنه على قسمين: فالذي هو الأكثر شهرة واستفاضة فهو يرويه بقوله: ((رُوِيَ))، والذي هو أقل شهره واستفاضة فهو يرويه بقوله: ((حُكِيَ)). ثم إلى ما ذكره كذلك من كونه قد يغير بناء بعض الحكايات بدون إخلال بما تحويه في جوهرها وحقيقتها، فيورد بمعناها، ولا يتقيد باللفظ، ويقع بهذا تغيير في العبارة، وتصرف بزيادة أو حذف.

وبما أن بحثنا في هذا الجواب مقصور على موضوع السؤال، وهو بحث

---

(١) وفي نسخة ذكرت.

(٢) وفي نسخة يعرف، والمراد بالمعرفة العلم اليقين الموافق للحق، فهي هنا عبارة عما حققه وتلقاه المؤلف من أهل هذا العلم بتريم من طريق الشهرة والاستفاضة والرواية والنقل.

(٣) كذا في الأصل ولعل الصواب عن نسبهم.

شرط الخطيب في (الجوهر) أما أولاً: فيما يتعلق بصحة تطبيقه، وأما ثانياً: فبامتحان هذا الشرط تمحيص حقيقة؛ لذلك نحصر كلامنا فيما نحن بصدده بخصوص هذين الطلبين ونبتدي ببحث أولهما.

امثلة من تطبيق الخطيب لشرطه المذكور:-

تسهيلاً لمعرفة ما إذا كان صحيحاً أو غير صحيح رأينا أن نعمل زيادة على توضيح ما ينطوي عليه هذا الشرط بأن نشير إلى تحليل عناصر المواد التي ينبني عليها هذا الشرط في وضعه، وهي ما يستخلصه المطالع من كلام مؤلف (الجوهر) في الشرط المذكور بحسب ما يأتي:

(١) أنه إذا ترجم لشيخ بسرد كراماته، وبذكر نسبته في أول كرامة له، حتى ينتهي في ذلك إلى ذكر من يعرف من أجداده اشتهر في تريم بالصلاح إذا كان في أجداده من يعرف بالصلاح.

(٢) أنه يتبع كل شيخ من أولاده من كان من ذوي الكرامات، ويسكت عن نسبهم؛ لأن نسب الآباء يقوم مقامه.

(٣) يقدم الأسن على الأصغر إلا أن تكون امرأة، فيقدم إخوتها.

(٤) يبتدي في كل طبقة بمن فيها من الأشراف.

أما عند تعقبنا لما جرى عليه الخطيب من التطبيق في (الجوهر) للوفاء بما قرره بهذا الشرط[1] فنجد أنه عمل مثلاً في الطبقة الأولى من (الجوهر)، فبدأ وذكر

(١) نورد ما يأتي من هذه الأمثلة اعتباراً لصحة تطبيقها على هذا الشرط، ولكون البعض من هذه الأمثلة هو مما يدخل في صميم موضوعنا من بحث الجواب على فضيلة السائل، فإننا هكذا قد سلكنا في بحثنا في شرط (الجوهر) وتمحيصه وضعاً وتطبيقاً جرياً على ما ينبغي للباحث من أنه يبدأ النظر فيما أمامه من قضية الطرفين على السواء، ولا يقر حقاً ولا يقطع برأي حتى يكون على يقين من أنه قد استوعبه درساً وتمحيصاً، ولسنا نقول إنه لن يتفق للباحث أصلا أن يصادف في (الجوهر) ما يظهر له ولو في =

وذكر في رأس الطبقة الحكاية الأولى في كرامات ونسب خالع قسم فقال عنه: ((كان الشيخ الكبير العارف، بحر العلوم والمعارف، ومطلع الأنوار، ومنبع الأسرار، عمدة السالكين، وقدوة العارفين، العالم الرباني المربي علي بن علوي خالع قسم ابن محمد بن علي بن علوي بن عبيد الله بن أحمد بن عيسى بن محمد ابن علي بن جعفر الصادق بن محمد الباقر بن علي زين العابدين بن الإمام الحسين بن علي بن أبي طالب كرم الله وجهه، ورضي الله عنهم أجمعين)).

وفي الحكاية الخامسة ذكر كرامة الشيخ علي إبراهيم الخطيب، ونسبه وقال: ((الحكاية الخامسة عن بعض أهل العلم والصلاح قال: رأيت الخطيب الفقيه علي بن إبراهيم بن يحيى بن إبراهيم بن علي بن محمد بن سليمان[1] بن أحمد ابن عباد بن بشر الصحابي الأنصاري رضي الله عنه)).

وفي الحكاية الثامنة في كرامات الشيخ سالم بافضل قال في نسبه: ((الفقيه سالم بن فضل))، ولم يزد وإليك ما هو لفظه من صدر هذه الحكاية المشار إليها عن الفقيه أحمد بن محمد بن أبي فضل قال: ((انحدرت أنا وبعض الأصحاب إلى العجز، وأنا إذ ذاك صغير، فاجتمعنا بسعد بن أحمد بن أبي الهياج، فقال سعد لصاحبي من هذا الذي معك؟ فقال: هذا ولد محمد بن عبد الله بن أبي فضل،

= بعض نقاط نادرة إنها ربما شذت في شيء من تطبيقها أو أنه ربما يشكل تحقيقها، فقد يوجد هناك من شيء هذا كتلك النقطة التي استشكلها الحبيب الإمام أحمد بن زين الحبشي في (شرح العينية)، فالكمال لله وحده ومن المسلم أن المجال متروك للمناقشة في هذا الموضوع وغيره لمن لديه أدلة علمية لتصحيح أي حقيقة أو إبطالها.

(١) هكذا ساق نسب الإمام محمد الخطيب هذا وهو الجد الجامع لآل الخطيب إلى سليمان ابن الإمام التابعي أحمد بن عباد بشرط مؤلف (الجوهر لذلك)، والشيخ محمد بن عبد الله الخطيب (ولد سنة ٩٥٦هـ وتوفي بعد سنة ١٠٢٢هـ) في كتابه (البرد النعيم) ويؤخذ من كلام هذا الأخير الشيخ محمد بن عبد الله الخطيب أنه كان موجوداً في عصر تأسيس دولة آل راشد، أي عقيب منتصف القرن الخامس، أما جده أحمد بن عباد التابعي الذي ينتهي نسبهم إليه فقد ذكر أن وفاته بتريم، وأنها كما يفهم مما ذكر حوالي منصرم القرن الأول، وقد بسطنا كلامه هذا مما نقلناه بكتابنا (الشواهد الجليلة) المفصحة عن مدى الخلف في القاعدة الخلدونية، الذي نشتغل بجمعه في مباحث علم النسب.

فقال سعد هذا جده الفقيه سالم بن فضل.. الخ)).

و كذلك عمل مثل هذا في الحكاية التاسعة الواردة في مناقب الإمام سالم ابن فضل المذكور حيث قال: ((روى المشايخ رضي الله عنهم أن الإمام سالم بن فضل رضي الله عنه.. الخ)) وفي الحكاية العاشرة في ذكر كرامة ابنه يحيى بن سالم قال في نسبته: ((يحيى بن الإمام سالم بن فضل)) ولم يزد.

وفي الطبقة الثانية من (الجوهر) بتصرف بدأ بذكر سيدنا الإمام الفقيه في أول كرامات أهل هذه الطبقة، وسرد نسبه إلى سيدنا الإمام علي بن علوي خالع قسم تطبيقاً لما ذكره من أن نسبة الآباء يقوم مقام نسب الأبناء.

وفي الطبقة الثانية ذكر (الجوهر) ما ترجم له من المناقب والكرامات لذينك الشيخين الشهيرين من آل أبي فضل وهما: أحمد القاضي، وأخيه فضل ابني محمد ابن فضل أخي الإمام سالم بن فضل، مما تقدم بسط الكلام عنه؛ ولكون كل واحد منهما يعد أصلاً للمنتمين إليه بمقتضى شرط الجوهر؛ وذلك بسبب أن الجوهر لم يترجم لأبيهما محمد بن فضل بين من ترجم لهم[1] لم يزد في سرد نسبهما على أن قال في الأول كما في الحكاية الثانية بعد المائة: ((الفقيه الزاهد الورع الصالح العالم العامل أحمد بن محمد بن أبي فضل رضي الله عنه)) الخ، وعلى أن قال في الثاني كما في الحكاية الثالثة والتسعين: ((الفقيه فضل بن محمد بن أبي فضل رضي الله عنه..)) الخ. وربما أن ما في الحكاية الثالثة بعد المائة وهي تلك الحكاية

(١) لعل الخطيب لم يترجم للشيخ فضل بن محمد المذكور، ومع ورود تلك الكرامة له التي نقلها السيد المحدث الإمام محمد بن علي خرد مؤلف (الغرر)، والشيخ عبد الله بن أحمد باقشير مؤلف (مفتاح السعادة والخير) وهي الكرامة التي لقب بسببها بالقار هو أن صاحب (الجوهر) لم يطلع على هذه الكرامة فيما اطلع عليه، وعليه يكون هذا بمثابة ما استدركه هذان المؤرخان على الخطيب فيما يكون قد فاته الإطلاع عليه فيما يتعلق بمناقب آل أبي فضل. إن رواية هذه الكرامة لم تثبت استفاضتها لديه فاعتبرها خارجة من دائرة ما اشترطه بمقدمة (الجوهر) بخصوص ما يورده من الكرامات، وهذا قد يدل عليه ذلك الخلاف الذي سبق نقله من الشيخ رضوان فيما جاء في نسبة الشيخ فضل بن عبد الله صاحب الشحر من قوله: ((ولمحمد هذا ولا يقال له فضل القار والمشهور وصف والده بالقار)).

الواردة في كرامات الشيخ محمد بن القاضي أحمد بن محمد بافضل من سرد ما يعرف من نسب الترجمة له بتمامه بهذه الحكاية حيث قال: «تعين القضاء على الفقيه الأجل العلامة محمد بن أحمد بن محمد بن فضل بن محمد بن عبد الكريم ابن محمد بن أبي فضل رضي الله عنه..الخ». قد يجعل هذه النقطة مبهمة في نظر بعض مطالعي «الجوهر»، وذلك فيما يتعلق بصحة تطبيق الشرط المذكور؛ لكون المترجم له إنما هو من الفروع، فهذا الذي قد يعرض ببادئ الرأي هنا لا يلبث أن يزول إذا اتضح له بالتأمل أن مؤلف «الجوهر» فيما يظهر قد ساق المعروف من نسب آل أبي فضل، وقرره هنا بهذه الحكاية؛ لسبب أن هذا الموضع هو من أنسب المواضع لما هو بصدده من إثبات ما يعرف عن سلسة نسب آل أبي فضل من تجنب الوقوع فيما يصادم به شرطه فيما لو سرده في كرامات أحد أولئك الثلاثة الأجداد الأصول المذكورين من آل أبي فضل المؤسسين لشهرة المنتمين إليهم.

وقد دل مقتضى هذا الشرط بما أبانه فيه بوضوح مؤلف «الجوهر»، وقرره نظرياً، وكذلك بما طبقه عملياً في سرده نسب من أوردنا ذكرهم بهذه الأمثلة من أولئك المترجم لهم من مشايخ «الجوهر» أن مبتدأ الشهرة في السادة آل أبي علوي ترجع إلى سيدنا الإمام علي بن أبي طالب كرم الله وجهه، وفي المشايخ آل الخطيب ترجع إلى سيدنا عباد بن بشر رضي الله عنه، وإنما في المشايخ آل أبي فضل ترجع إلى الشيخ الإمام سالم بن فضل أي إلى أواسط القرن السادس أو على أكبر تقدير إلى أوائله.

تمحيص حقيقة هذا الشرط :-

أول ما يهم الباحث في دراسة الأصل هذا الشرط هو تحقيق ما إذا كان لهذا الشرط ما يرتكز عليه من شواهد ومؤيدات في المصادر التاريخية المكتوبة يصح للخطيب معها أن يذهب إلى ما ذهب إليه في هذا الشرط، أو ما إذا لم يكن هذا الشرط إلاّ عبارة عن رأي خاص، ونظرية غريبة فقط، وهو مما يغلب عدم إمكان

تقريره علمياً، وثبوته تاريخياً؛ بسبب أن هناك في المؤلفات والمصادر التاريخية ما يهدمه ويعارضه.

وقد رأينا فيما سبق من بيان محتويات هذا الشرط أنه ليست النقطة المهمة في هذا الشرط التي يهم الباحث درسها وتمحيصها إلا تلك النقطة الأولى فيه وهي: (ما يعرف بتريم عن أولية الشهرة بالصلاح في أجداد من ترجم لهم الجوهر)؛ فلهذا سيكون هذا التمحيص مقصورا عليها.

وها هنا فإننا في طليعة هذا التحقيق، وقبل الكلام فيما نحن بصدده نقول:

إن سبيل البحث في متعلق قضية هي تختص بما نحن فيه من موضوع تحقيق مبدأ الشهرة في آل أبي فضل، وهل يرجع ذلك إلى الإمام سالم بن فضل على حسب ما يقرره الخطيب في (الجوهر)؟ أو يرجع لما هو أقدم من هذا؟ أي إلى جده عبد الكريم الذي ترجم له مؤلف (الصلة)، أو يرجع بعبارة أوضح إلى ما هو أوغل في القدم أي إلى عهد أسبق من زمن هجرة الإمام المهاجر أحمد بن عيسى، واستيطانه بوادي حضرموت؟ وهو ما يريد مؤلف (الصلة) أن يقرره بما يرويه هو من تلك الرواية التي أوردها بمقدمة (الصلة) عن الحبيب الإمام أحمد ابن الحسن العطاس التي أسلفنا ذكرها بتلك الحاشية على كلامنا في بحث رواية مؤلف (الصلة) التي يرويها عن جده العلامة أحمد بن عبد الله الخطيب حول حكاية الجارية المصروعة نقول:

إن سبيل البحث في مثل هذه القضية التاريخية المهمة إنما يتهيأ بالرجوع إلى المراجع الأصلية، والمصادر الخاصة بحقائق الماضي، وهي المدونات التاريخية، ولاسيما المؤلفة في نفس ذلك العصر، أو ما يقرب منه والتي كان مؤلفوها من نفس تريم.

وقد رأى المرء مما قدمنا عن تاريخ العهد الذي يعد بداية العصر لتدوين التاريخ بحضرموت أن أولئك السابقين الأولين من مؤرخي حضرموت كانوا

تريميين، وكانوا أيضاً ممن عاش في القرن السادس، وكانت مؤلفاتهم التي هي الأمهات والمصادر المكتوبة لتاريخ حضرموت، وخاصة تاريخ ذلك القرن السادس وما قبله من الثلاثة القرون قد كتبت تقريباً في نفس ذلك القرن كما علم مما ذكرنا أنه مما لا يخفى أنه على هذه الأمهات جرى اعتماد من تلاهم من المؤرخين فيما استسقوه ودونوه من أخبار القدماء بتريم وغيرها، وتلقوه من مناقب العلماء والمشاهير الأوائل، ونعني بالمؤرخين من تلا أولئك السابقين هم كالإمام القاضي عبد الرحمن بن علي بن حسان المولود بتريم الذي عاش في القرن الثامن وتوفى سنة ٨١٨هـ، والشيخ الإمام علي بن أبي السكران بن عبد الرحمن السقاف والشيخ عبد الله بن عبد الرحمن باوزير المعاصر لصاحب (الجوهر)، ثم من جاء من بعدهم في القرن العاشر والقرن الحادي عشر من طائفة المؤرخين الحضرميين تريميين وغير تريميين.

وإذا نحن أدركنا أن تأليف الخطيب لكتاب (الجوهر الشفاف) كان في أوائل القرن التاسع حيث ذكر أنه بدأ في تأليفه في العام العشرين بعد الثمانمائة، وإذا نحن عرفنا أيضاً أن هذا الكتاب قد ظل في مقدمة الكتب التاريخية المؤلفة في مشاهير رجال العلم والصلاح بحضرموت من حيث الانتشار والتداول في أيدي علماء حضرموت ومؤرخيها؛ بسبب أنه كان كتاباً جامعاً لتراجم مشاهير العلماء والصلحاء بتريم، وليس خاصاً بمشاهير قبيلة أو أسرة أمكننا أن نفهم إلى أي حد يكون كتاباً كهذا الكتاب معرضاً لسهام نقد العلماء والمؤرخين بتريم وغيرها لمن عاصر مؤلفه، وكذا من جاء بعده من المؤرخين خصوصاً من اهتم بالترجمة لمن ترجم لهم (الجوهر) من العلماء والمشاهير كالإمام محمد بن علي خرد وكالطيب باخرمة مؤلف (قلادة النحر) وغيرهما.

وأول من تعرض صدور هذا التعقيب منه (الجوهر) في شرطه هذا ما يختص بأولية الشهرة لآل أبي فضل فيما لو كان هناك معمر في تطبيق هذا الشرط.

عليهم هو الإمام الشيخ علي بن أبي بكر السكران بن عبد الرحمن السقاف في كتاب (البرقة)، فإننا على ما نجده من تقديمه، وشدة تنويهه بعلماء وفقهاء آل أبي فضل، واستيعابه تقريباً لتعديد فقهائهم قد افتتح تعديده لفقهاء آل أبي فضل بالشيخ الإمام سالم بن فضل، فلو كانت هناك شهرة لآل أبي فضل أقدمية في الشهرة يمكن الاعتراض بها على شرط (الجوهر)، ولو بصورة ضمنية لكان الإمام الشيخ علي المذكور يقول في فقهاء آل أبي فضل، وهم الذين قدمهم في الذكر في (البرقة) على فقهاء آل أبي حاتم وغيرهم من فقهاء تريم ما قاله في آل أبي حاتم من قوله: «ومن قدماء فقهاء تريم الفقهاء بنو حاتم الأئمة الكاملون، والعلماء المشهورون».

وكذلك من الفروض أيضاً تعقب بقية المؤرخين للخطيب، وخصوصاً مؤلف (الغرر)، ومؤلف (قلادة النحر)، ومؤلف (مفتاح السعادة والخير)، وأمثالهم من المؤرخين الحضرميين.

وغني عن البيان أن المؤرخين الحضرميين في جميع مختلف العصور قد حرصوا أشد الحرص منذ بداية عهد تدوين التاريخ الحضرمي على تدوين مناقب علماء وصلحاء آل أبي فضل، ومن المشكوك جداً أن يظن بهم أنهم قد تواطئوا أو سكتوا عن حقيقة تاريخية تتعلق بأولية الشهرة لآل أبي فضل إلى حد أن الخطيب مؤلف (الجوهر) قد تم له تشويه هذه الحقيقة كيفما أراد ما شرطه وطبقه في (الجوهر)، ولم يصادف من أحد من مؤرخي وعلماء هذه القرون الماضية المتعددة أي مناقضة ولا اعتراض، ويكفي في كون هذا أمر من المحال أننا لو كان لنا أن نعتقد شيئاً من هذا لكان فيه تجريح وأي تجريح لمؤرخي حضرموت، واطراح للثقة بهم فيما جمعوه ودونوه.

إذا تحققت هذا الذي ذكرناه عما عرف من حرص المؤرخين على تدوين كلما جاء من مناقب علماء وصلحاء آل أبي فضل متقدميهم ومتأخريهم أيقنت

أن هؤلاء المؤرخين لم يكونوا ليعرضوا عن البحث فيما يقتضيه شرط الخطيب بالنسبة لأولية الشهرة لآل أبي فضل إلا لكون ما جرى عليه الخطيب لا يعدو أن يكون في نفس الواقع حقيقة تاريخية ثابتة، ومسألة علمية مقررة، ولم يكن ليفوتك بيد هذا أن صنيع مؤلف (الصلة) فيما حاوله من وضع تلك الترجمة لوالد الإمام سالم بن فضل وحده إنما هو قائم على فكرة التشكيك في صحة شرط (الجوهر)، وفي الثقة بمؤلفه، أو بتعبير أدق قائم على محاولة العمل بما يؤدي إلى نقض هذا الشرط وهدمه.

وخلاصة القول أنه في ضوء ما سبق من الحقائق والتوضيحات يتبين للمرء أن مؤلف (الصلة) لم يزد بمحاولته وصنيعه هذا من الترجمة لفضل بن محمد والد الإمام سالم، ومِنْ سوقه لما نقله عن (الجوهر) في غير مسافة على كونه قد خرج بكلام (الجوهر) عن موضعه، وجعله يتحول في غير مجراه، وعلى هذا فإن شرط (الجوهر) لا ينفك عما يقتضيه وضعاً وتطبيقاً في الكتاب، ولا يزال في ظاهره وفي حقيقته على أصله هذا، وأنه من بديع حكمة الله أن يكون من طبيعة الحقائق ومن خواصها البارزة أنها كما ذكرها أحد حكماء الغرب بقوله: ((هي الحقيقة يخدمها أعداؤها وأصدقاؤها على السواء))، فلو لم يحدث للخطيب هنا بما وقع من مناوأة الصلة، وتعرضها لشرطه، ومحاولة النقض بتلك الترجمة لوالد الإمام سالم بن فضل لما ظهر لنا بوضوح ما هو عليه شرط (الجوهر) من هذه الصحة والثبوت تاريخياً، وقس على هذا الأمر الحال في سائر الحقائق فلا يصح غير الصحيح ﴿كَذَٰلِكَ يَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْحَقَّ وَٱلْبَٰطِلَ﴾[الرعد: ١٧]، فالباطل يضمحل وينمحق بطبيعته، وإن ظهر وعلا على الحق في بعض الأوقات، والحق بطبيعته ثابت باق كما قد فسروا الآية بهذا فيما دل عليه قوله تعالى: ﴿فَٱحْتَمَلَ ٱلسَّيْلُ زَبَدًا رَّابِيًا﴾[الرعد: ١٧] ، وقوله تعالى: ﴿زَبَدًا﴾ مشاع، وقوله ﴿﴿فَأَمَّا ٱلزَّبَدُ فَيَذْهَبُ ...﴾﴾ الخ.

أما فيما يتعلق بما تطرق إليه الموضوع في ختام سؤال فضيلة السائل عما جاء بمقدمة (الصلة) من رواية المؤلف التي يسندها إلى الحبيب العالم الورع علي بن عبد الرحمن المشهور ووالده العلامة الشهير مفتي الديار الحضرمية الفقيه النسابة المحقق عبد الرحمن بن محمد المشهور وذلك عن اختصاص آل أبي فضل بتريم بالتقبيل والعمامة والمخاطبة بلفظ الحبيب في الزمن السابق لتوطن آل أبي علوي بها، وهل لما يقوله ويرويه مؤلف (الصلة) من هذا مستند من النقل؟ فقد علم مما مر عن تحقيق البحث وتمحيص النقل فيما أورده مؤلف (الصلة) بنقله وروايته لتدعيم وجهة نظره في امتداد أقدمية شهرة آل أبي فضل إلى أبعد من عهد الإمام سالم بن فضل، بل ومحاولته إيصالها إلى ما هو أقدم من هجرة الإمام أحمد بن عيسى إلى حضرموت، وكذا فيما تصدينا له في تمحيص حقيقة شرط (الجوهر)، وامتحان صحة تطبيقه، عُلِمَ وتعيَّن مما ذكرناه كيف أن نتائج البحث والتحقيق لا تدل إلا على صواب ما يقتضيه شرط (الجوهر)، وصحة ما ذهب إليه من التطبيق من أن شهرة آل أبي فضل إنما تبدأ من الشيخ سالم بن فضل، وأنه لا شهرة لمن تقدم من أصوله بتريم[1]؛ ولهذا فالقول بما يخالف ما جرى عليه (الجوهر) من وجود شهرة لآل أبي فضل فيما تقادم من العصور قبل عهد الإمام سالم فضلاً عن المشيخة والرئاسة والظهور لهو شيء يعارض ما تقدم عن (الجوهر)، أو بالأقل لهو مما يفتقر إلى إقامة الدليل العلمي والبرهان التاريخي عليه.

وإن رواية مؤلف (الصلة) مثل هذا عن الحبيب العلامة علي بن عبدالرحمن المشهور عن والده عن مشايخه لمن أكبر ما يثير الغرابة في النفوس، ويحمل الباحث على زيادة التشكيك في صحة هذه الرواية.

فلو لم يكن إلا أن قبول هذه الرواية ينبني عليه الحكم باختلال الضبط

(١) ومعلوم أنه لم يكن الشيخ سالم إلا ممن أخذ عن الإمام محمد صاحب مرباط الذي كان توطن آل أبي علوي بتريم في عهد أبيه الإمام علي خالع قسم انتقل إلى تريم سنة ٥٢١ المتوفى بها سنة ٥٢٩هـ.

والإدراك لدى مفتي الديار الحضرمية العلامة الشهير الذي هو فقيه عصره، ونسابة قطره، أو بأنه يخبط خبطة عشواء، فلا يعي بما يروي، كما لا يدري ما يقول فيما يقرر ويفتي لكان ذلك كافياً في نبذ هذه الرواية وعدم التعريج عليها.

وكيف لا ينتج من تصديق هذه الرواية وقبولها ما ذكرناه ومفتي حضرموت المذكور قد سبق له قبل ميلاد مؤلف (الصلة) أن بحث مسألة تقبيل أيدي السادة الأشراف في كتابه (بغية المسترشدين)[1]، وأورد من الأدلة في ذلك واقعة ابن عباس مع زيد بن ثابت رضي الله عنهما، وقول زيد لما قبّل يد ابن عباس: «هكذا أمرنا أن نفعل بأهل بيت نبينا»، وذلك أيضاً في آخر بحثه علة ما درج عليه العلماء والصلحاء من تعميم تقبيلهم أيدي الأشراف من بين سائر الناس، ولو لجاهل وطفل، وأن ذلك، لما كان في كل واحد من ذرية سيدتنا فاطمة الزهراء رضي الله عنها جزء من بضعة النبي صلى الله عليه وسلم وإن كثرت الوسائط كما نص عليه العلماء.

أفلا يمكن لذلك المفتي أن يدرك ما في هذا من دليل ناطق صريح بأن الأصل في استحباب هذا التقبيل إنما هو تقبيل الناس لأهل البيت، لا تقبيل الناس للمنسوبين لغيرهم من ذرية أولي العلم والصلاح إن كان لتقبيل هؤلاء أصل من الوجود في قطر أو عصر من العصور.

وهل يمكن أن يبلغ بذلك المفتي فوات الفهم وقصور الإدراك ليس إلا أن يتفق أن تروج عليه هذه الرواية، ويسلم بها وبصحتها فقط، وإنما إلى أن ينتهي ارتضاؤه لها في الأخر إلى حد أنه يرويها للناس وتؤخذ عنه.

وكم يخطر لنا أن نسجل كلمة لا بد منها في مثل هذا المقام وهي أنه مهما كان من المؤلم أن يبلغ ببعض أناس ممن عَنَّ لهم الاشتغال بالكتابة في التاريخ من

(١) راجع صفحة ٣٥٧ و٣٥٨ من بغية المسترشدين المطبوعة بالمطبعة المصرية بمصر سنة ١٣٠٣هـ.

مواطنينا استغفالهم أحياناً من مضى من علماء حضرموت، وكذا اعتقادهم سذاجتنا واستغلالهم غباوتنا نحن معاصروهم ومطالعو كتبهم فلا نرى أنه يليق أن ينتهي بهم الأمر إلى حد كهذا من الاستهتار والازدراء بالمعقول والعبث بالحقائق والاستهانة بأقدار العلماء والمحققين.

أما ندب لبس العمامة، وكونه ممن شهدت الأدلة الشرعية بطلبيته من كل فرد من أفراد الأمة الإسلامية، ومما اتفقت الأئمة على مشروعيته مدى الأيام والأزمان فأمر لا يخفى على أحد، ولا يجهله عوام الناس فضلاً عن المترسمين بالعلم علاوة على ما يعرف من أن العمائم تيجان العرب، وأن ذلك كان منذ جاهليتهم، يكفيك ما ذكره المؤرخ السيد العلامة محمود الألوسي في كتابه الشهير «بلوغ الأرب في معرفة أحوال العرب» فيما اختص به العرب أن من شعارهم في الغالب لبس العمامة تيجاناً على رؤوسهم. وأما فيما نقل في المخاطبة بلفظ الحبيب فليس لد ينا فيما وقفنا عليه في أصل المخاطبة أو المناداة بلفظ الحبيب لمن يكون من السادة آل أبي علوي إلا ما كان الشيخ العلامة المحقق الشهير عبد الله ابن أحمد باسودان قد حققه وهو أن هذا العرف مما لم تجر التقاليد الحضرمية عليه إلا منذ زمن الحبيب عمر بن عبد الرحمن العطاس فقط، أي منذ القرن الحادي عشر الهجري.

ومن هذا الذي أوضحناه يتبين لك قيمة هذا الضرب من الروايات التي يرويها مؤلف «الصلة» لتقرير ما هو بصدده مما يذهب إليه في نقض شرط «الجوهر» بمحاولته التي يريد أن يفضي عليها لباساً علمياً بمثل انتحال هذا النقل وهذه الروايات.

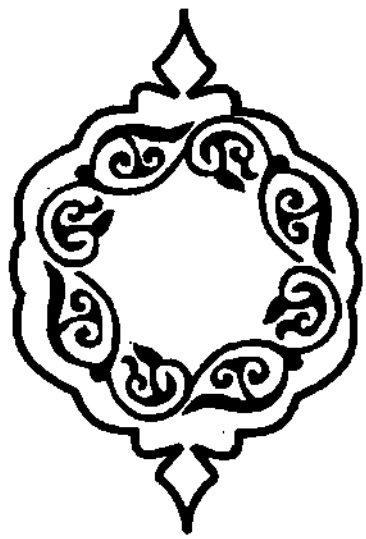
هذا ما حضرنا وظهر لنا في الجواب على هذا الاستشكال التاريخي الذي ينطوي عليه سؤال فضيلة السائل، وقد يكون فيما سطرناه شيء من الخطأ، وقصور التحقيق أو الشطط، وسوء الفهم منشأ ما تقدمت الإشارة إليه من ضيق

الباع، وفتور الذهن، وما يوجد من تعليل البال؛ بسبب حوادث الزمان لكثير المحال، ولما أنه ليس لنا من غاية بإجابة السائل إلا خدمة العلم والتاريخ، وكذا فتح باب المساجلة في الأبحاث التاريخية والتحقيقات العلمية فإن من دواعي سرورنا أن نجد من حضرات المشتغلين والمهتمين بالكتابة والتأليف في التاريخ، وفي مقدمتهم حضرة الشيخ العالم الفاضل مؤلف «الصلة»، ومِنْ كُل مَنْ كان رائده النقد النزيه؛ لخدمة العلم، ونصرة الحقيقة نقول ونكرر إن من دواعي سرورنا واغتباطنا أن نجد من ينتدب في هذا المقام من يكتب وينبه على ما ربما نكون قد وقعنا فيه من خطأ أو سوء فهم إن كان، وإننا لعلى استعداد لأن نرجع إذا ظهر لنا الحق إلى قول كل من يبين ويكشف لنا عن هذا الخطأ لأن نتخلى عن رأينا، وما كان من سوء فهمنا، ونصحح أغلاطنا، ونتقبل منه هذا الصنيع الممدوح بجزيل الشكر والمنة، فالإنسان محل الغلط والشطط والكمال لله وحده.

والله المسئول أن يجعلنا من المهتدين بالعلم، المتواضعين للحق، السالكين سبيل الرشد، والحمد لله أولاً وآخراً، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم، وصلى الله وسلم على سيدنا محمد خير الأنام وعلى آله وصحبه ما أسفر صبح الحقائق فتبدد متراكم القتام، وما عبق عطر التبرك بذكره الشريف في كل بدء وختام.

وكان الفراغ من تحرير هذه الرسالة بتاريخ ٢٧ محرم أحد شهور سنة ١٣٦٨ هـ ثمان وستين وثلاثمائة وألف.





لمحة من

زاوية التاريخ الحضرمي

(ألقيت في مقر جمعية الأخوة و المعاونة بتريم بتاريخ ٢٧ شعبان ١٣٧٩هـ)

الحمد لله حمداً يوافي نعمه، ويكافئ مزيده، والصلاة والسلام على سيدنا محمد، وآله وصحبه وأتباعه من جهابذة الدين، وأئمة الإسلام، ممن حفظ الزمان حقهم على تطاول الأحقاب، وخلد لهم تكريمه وتمجيده.

وبعد: فإليك أيها القارئ الكريم، وإليك أيها المواطن العزيز، الحريص على تراث الماضي، وما حفل به التاريخ الواقعي من مثالية الصفوة من السلف الصالح، أولي المعالي، والذين لنا فيهم حسن الأسوة، أولئك أهل عزائم اليقين، ومكارم التقوى، المتعلية إنسانيتهم، وكمالاتهم الحقة:

تلك المكارمُ لا قِعْبانِ من لَبَنٍ ... شِيبَا بماءٍ فَعَادا بَعْدُ أبوالا

هذه هي المحاضرة والمثافنة التي ألقيت بمقر جمعية الأخوة والمعاونة بتريم سنة ١٣٧٩هـ بعنوان: (لمحة من زاوية التاريخ الحضرمي)، في موضوع أبيات اليافعي الشهيرة، رغِب إليَّ الكثيرون في تجديد إشاعتها أو طبعها إن أمكن، ولما كان الميسور لا يسقط بالمعسور، فقد سمحت لبعض المتصدين من الإخوان المثقفين والغيارى على ذكريات مشاهير السابقين بالقيام بهذه المهمة، واستحسنت أن يكون العنوان (لمحة عن التاريخ الواقعي حول الأبيات الشهيرة للعلامة الرحالة عبدالرحمن بن عبد الله بن أسعد اليافعي) وهي:

مررتُ بوادي حضرموتَ مسلماً ... فألفيتُهُ بالبِشْر مبتسماً رَحْبا

وألفيتُ فيه من جهابذةِ العُلاَ ... أكابرَ لا يُلْقَون شَرقاً ولا غَرْبَا

وما عسى أن يكون التنويه بأكابر رجالات وفحول العلماء بوادي حضرموت، في تلك الحقبة التاريخية الزاهرة المعاصرة للإمام عبد الرحمن السقاف، والإمام محمد بن أبي بكر عباد، وهي الواقعة ما بين أواسط القرن

الثامن وأواسط القرن التاسع الهجري، وهل لهذا التنويه البالغ ظل من الواقع تؤيده الحقائق تاريخياً وثقافياً؟ وما عسى أن تكون مكانة قائل هذه الأبيات، وهو العلامة الشيخ عبد الرحمن ابن الإمام عبد الله بن أسعد اليافعي، وهو المكي مولداً، أو منشأً، وتهذيباً، وتثقيفاً، وتربية، وتوعية، في أم القرى مكة المكرمة عاصمة بلاد الإسلام، والتي يفِدُ ويتردّد إليها أئمة العلوم الإسلامية على اختلاف أجناسهم وأقطارهم، وتفاوت مشاربهم ومذاهبهم، وعلو كعبهم في مجالات التحقيق العلمي، والتعميق الثقافي والتربوي.

هذا ما كان علينا أن نكتفي به من الإيماء في سبيل الإشارة حول هذا المقام، وأمام الدارسين والمتعمقين في تحليل الحقائق، واستجلاء الغوامض التي تعرّض للباحثين فيما يتعلق بأطوار الأجيال، وتمحيص الأقوال المتعلقة بنهضات الشعوب والأمم، تاريخياً، وثقافياً متسع من الوقت لمن يريد تمحيص هذه الأبيات التي هي موضوع هذه المحاضرة، ولاسيما من لا يميلون إلى التسليم مبدئياً، وما أحسن التمثيل هنا بأبيات سيدنا الإمام عبد الله بن علوي الحداد من قوله في القصيدة العينية:

وظواهرُ الأحوالِ تغني ذا الحجا ... والفَهْمِ عن نُطقِ اللسانِ الذائعي

لكنْ لعلك أو لعلك تبتغي ... بالشرحِ إعلامَ البعيدِ الشاسعِ

ونسأل الله -وهو المسئول- تيسير الوصول إلى ما نبتغيه، ونرجوه التوفيق وبلوغ السول في خدمة ما نحن بصدده من تحقيق الموضوع، ونيل ما نطمع فيه من الثواب والقبول، بمنّه وكرمه إنه ولي الهداية والتوفيق.

عبدِ الله بن حسن بلفقيه

تريم في ١٤ جمادى الأولى سنة ١٣٩٢هـ

الموافق ٢٥ يوليو سنة ١٩٧٢م

الحمد لله، والصلاة والسلام على أفضل رسل الله، سيدنا محمد وآله أئمة التقى الجهابذة الوعاة، وصحبه أعلام الهدى المرشدين الدعاة.

وبعد: فهذا بحث يدور فيما نحن بصدد الكلام عليه من التحقيقات حول البيتين الشهيرين للعلامة المكي الشيخ عبدالرحمن ابن الإمام عبدالله بن أسعد اليافعي اللذين أنشدهما في وصف وادي حضرموت الرئيسي عقيب زيارته لحضرموت خلال القرن الثامن الهجري، وكان ذلك في عصر سيدنا الإمام السقاف (ولد سنة ٧٣٩هـ وتوفي سنة ٨١٩هـ) وهما:

مررت بوادي حضرموت مسلماً ... فألفيته بالبِشر مبتسماً رحبا

وألفيت فيه من جهابذة العلا ... أكابر لا يلقون شرقاً ولا غربا

ولا شك في أنه ينبغي وبوجه أخص للمهتمين بدراسة تاريخ عصور النهضة العلمية الدينية بحضرموت، أن يُولوا مثل هذين البيتين جانباً من الأهمية في البحث، والتعرف إلى حقيقة ما ينطويان عليه من أمر ذلك الثناء الفذ، والإكبار البالغ لأكابر أئمة الدين، وجهابذة العلم والتربية بحضرموت، الأمر الذي لا يليق بنا جهله ولا تجاهله.

وبفرض أنه قد يكون بيننا من لا يقبل التسليم لأول وهله بكل ما فيهما من عظيم الوصف الباهر، والإعجاب المتناهي كقضية مسلّمة، فإنه لا يجمل على أي حال بالباحث المحقق، والمؤرخ المنصف، أن ينصرف جملة، ويعرض أصلا عن دراسة حقيقة شأنهما، أو يقف موقف المغرضين من الدراسات التاريخية، فإن هؤلاء عند ما تجابههم بعض الحقائق، والمواضيع للوقائع التاريخية التي قد لا تروق لديهم، ولا تنسجم وتلتئم مع مبادئهم وأهدافهم، أو لا تتمشى مع

عواطفهم ونظراتهم في الحياة، يولونها إعراضاً ويرخون دونها حجاباً.

وإن أمانة العلم والتجرّد لتمحيص الحقائق لتأبى على هؤلاء كغيرهم من حملة العلم، وطلاب الحقيقة، أن يكونوا ممن يخرون صماً وعمياناً، فيما يعرض لهم من الدراسات العلمية، والمباحث التحقيقية من تاريخية وغيرها.

وقد دعاني إلى تخصيص هذا البحث الذي كانت النفس طالما نزعت بي للتعريج عليه، والإفاضة فيه منذ سنوات، وذلك عند ما زار حضرموت السيد الجليل عمر بن عبد الله ابن الشيخ أبي بكر بن سالم، وهو من مواليد شرق أفريقيا، وأحد الشباب المثقف ثقافة عالية، عصرية وسلفية، لدى عودَتِهِ من لندن بعد أن أتمّ دراسته بها في التشريع المقارن.

أقول دعاني إلى تخصيص هذين البيتين المشار إليهما بالبحث، ما كان السيد عمر المذكور حدثني به قبيل مبارحته حضرموت، بعد أن جاب في رحلته أكثر وأهم بلدان حضرموت ساحلاً وداخلاً، وطاف بمدارسها المختلفة من أهلية وحكومية، ابتدائية ووسطى، فإنه عند ما أخذ يحدثني عن شيء من الانطباعات والمشاهدات، التي تركتها في نفسه هذه التنقلات بين المعاهد والمدارس التي تمثل في الوقت الحاضر السير الثقافي بحضرموت من عصري وسلفي، وعند ما تناول في خلال حديثه ما تردد صداه في تواريخ حضرموت، من مفاخر الماضي العلمي التاريخي لحضرموت في ميدان الثقافة الإسلامية، ومجالات التربية الدينية، ذكر لي هذا السيد الغيور أنه لشدة ما كان يحز في النفس أسف بالغ وأسى شديد من ناحية ما ظهر له من قلة الاهتمام الصحيح، وتعليم الناشئة بدراسة كل ما يتعلق بتاريخ الوطن،ويتصل بمفاخر البلاد، قائلاً: أتدري أني كم كنت مندهشاً أثناء كلامي مع تلامذة المدرسة التي تعد أرقى المدارس الوسطى،والتي يقال: إنها أوسع المدارس الحضرمية، وأكثرها على الخصوص اهتماماً بدراسة وخدمة التاريخ الحضرمي، وهي إحدى المدارس بالساحل، ويدرَّس فيها بعض

المشتغلين بالتاريخ الحضرمي، فإنني أثناء كلامي مع هؤلاء التلامذة عن حضرموت، مفاخر ماضيها التاريخي، وذلك عند ما استطردت للاستشهاد بما أنشده الشيخ العلامة الرحالة المكي عبد الرحمن بن عبد الله بن أسعد اليافعي، من أبياته الشهيرة في وصف حضرموت الحافلة حينذاك بفطاحل أئمة الملة، وأعيان شيوخ العلم والتربية في ذلك التاريخ المعاصر، وبما سجله كشاهد عيان، أقول أنه قد أسقط في يدي حينما لم أجد بين تلامذة الصف العالي في هذه المدرسة من يشاركني في الإلمام بهذه الأبيات الجليلة، حتى لقد قلت في نفسي والألم يملأ ما بين جوانحي، كيف يا ترى إلى هذا الحد ينتهي بالناشئة المدرسية بحضرموت الجهل بأمجاد التاريخ والمفاخر في ماضي البلاد الحضرمية!.

فهكذا كان خلاصة ما أبدى لي حضرة السيد عمر الآنف الذكر من حديثه الذي كان يمازجه في أشد المرارة والأسف حول واقع هذا الحال المؤلم، والجهل المخجل.

وهنا أشرع بتقديم ما تيسر لي دراسته وتحقيقه آملا أن يكون فيه ما يشفي غليل المتطلع، ويروي تعطش الباحثين عن هذه الحقائق التاريخية المتعلقة بجانب من الماضي التاريخي الزاهر بحضرموت.

الشيخ العلامة الرحالة اليافعي - قائل الأبيات -

أبدأ بذكر صاحب هذه الأبيات فأقول:

هو الشيخ الإمام، العلامة، عبد الرحمن ابن الإمام العلامة المتفنّن، والصوفي الشهير عبد الله بن أسعد اليافعي اليمني ثم المكي.

وإنه لم يسعفني الحظ فيما وصل إليه بحثي بالوقوف على ترجمة له فيما طالعته من أسفار التاريخ وكتب التراجم.

ومما يظهر هو أن يكون الإمام السخاوي قد ترجم له في كتاب (الضوء اللامع في أعيان القرن التاسع)، إلا أنه يبدو أن تكون قد سقطت هذه الترجمة أثناء الاستنساخ من نسخة الأصل، وذلك هو ما يدل عليه السياق في ترجمة السخاوي لأخيه العلامة عبد الوهاب بن عبد الله بن أسعد اليافعي في الجزء الخامس من (الضوء اللامع)، فقد قال ما لفظه: ((أخو زينب الآتية، وعبد الرحمن الماضي، ووالد محمد الآتي، ولد بمكة وسمع بها عن أبيه، وخالتيه أم الحسن والحسين ابنتي أحمد ابن الرضا الطبري)) إلى قوله: ((مات في أربع رجب سنة خمس أي بعد الثمانمائة، وصُلي عليه من الغد، تقدم الناس خاله أبو الحسين الطبري)).

ولهذا فإن كل ما يمكن أن نسوقه بسبيل التعريف بهذا العلامة الرحالة فيما عدا تلك التتف الصغيرة الواردة عنه بكتب التواريخ الحضرمية، إنما سبيلنا فيه ما يلوح بطريق الدراسة ويتحصل بواسطة الاستنتاج من أحوال حياة الأسرة التي أنجبته وطبيعة البيئة التي نشأ فيها، وهو التاريخ المعاصر الذي عاش في ظله باعتبار أن المرء غالباً لا ينفك أن يكون صنيعة هذه العوامل الثلاثة التي يترعرع المرء في دائرة محيطها، ويتطبع بأحوالها، يشهد لهذا قوله تعالى: ﴿وَٱلْبَلَدُ ٱلطَّيِّبُ يَخْرُجُ نَبَاتُهُۥ بِإِذْنِ رَبِّهِۦ﴾[الاعراف: ٥٨].

وهكذا فإننا في ضوء ما ذكرنا سنجري على طريقة هذه الدراسة التي نحن

بصددها هنا، بالقدر الذي يكفي لإعطاء الصورة الإجمالية التي تتصل بغرضنا في التعريف بهذا العلامة الرحالة، وفي حدود ذلك المدى فيما كان هذا العلامة الرحالة قد أراد أن يعبر عنه في هذه الأبيات من فائق التفخيم، وباهر الإعجاب بجهابذة الدين، وأئمة التصوف بحضرموت بذلك العهد الزاهر الذي قد كان امتداداً لاستبحار النهضة العليمة الدينية، والحركة التربوية التصوفية، منذ القرن السادس والسابع الهجري.

* * *

التقديم بشيء من ترجمة أبيه الإمام عبدالله ابن أسعد واتصالاته بالحضرميين

أما منهجنا فيما نذهب إليه بهذه الدراسة فهو التقديم بشيء من ترجمة أبيه الإمام، الصوفي، الشهير، العلامة، المتفنّن، النحرير، عبد الله بن أسعد اليافعي المكي، وإيراد شيء مما روته بعض كتب التاريخ الحضرمي، ونحوها عن الاتصالات فيما بينه وبين بعض علماء وصلحاء حضرموت، فيما قبل قيام ابنه الشيخ عبد الرحمن بالرحلة لزيارتها.

ترجمة الشوكاني له في (البدر الطالع):

فنقول: إن ممن ترجم للإمام الشيخ عبد الله بن أسعد المذكور الإمام القاضي محمد بن علي الشوكاني في (البدر الطالع) (١/ ٣٧٨)، ونقتصر من ذلك على ما يهم، وهو قوله: ((عبد الله بن أسعد بن علي بن سليمان بن فلاح اليافعي اليمني ثم المكي، عفيف الدين، أبو السعادات، وُلِدَ قبل السبعمائة بسنتين أو ثلاث، وأخذ باليمن عن جماعة من العلماء، ونشأ على خير وصلاح، وحج سنة ٧١٢هـ، وحفظ (الحاوي)، و(الجمل)، ثم جاور بمكة سنة ٧١٨هـ، وتزوج بها،

ولازم مشايخ العلم كالفقيه نجم الدين الطبري، والرضي الطبري، ورحل إلى القدس سنة ٧٣٤هـ، ودخل دمشق، ومصر، ثم رجع إلى الحجاز، وجاور بالمدينة، ثم رجع إلى مكة، وأثنى عليه الأسنوي في «الطبقات»، وقال: «كان كثير التصانيف، وله قصيدة تشمل على عشرين علماً أو أزيد»، إلى أن قال: «مات في العشرين من جمادى الآخرة سنة ٧٦٨هـ».

ترجمة الشرجي له في (طبقات الخواص):

وممن ترجم له الشيخ، الإمام، العلامة، أبو العباس أحمد بن أحمد بن عبداللطيف الشرجي في (طبقات الخواص) فقال في [ص٦٧و٦٩]: «أبو محمد عبد الله بن أسعد اليافعي، نزيل الحرمين الشريفين، الذي كان يقتدى بآثاره، ويهتدى بأنواره، شهرته تغني عن إقامة البرهان، كالشمس لا يحتاج واصفها إلى بيان، شيخ الطريقين، وإمام الفريقين، كان مولده بمدينة عدن ونشأ بها، واشتغل بالعلم حتى برع فيه، ثم حج، ورحل إلى الشام» إلى قوله بعد كلام: «ثم رجع إلى الحجاز، وأقام بالمدينة مدة، ثم عاد إلى مكة، ولازم المجاورة والاشتغال بالعلم والعبادة، وتزوج وأولد بها في هذه المدة، ثم قصد اليمن لزيارة شيخه علي الطواشي»، وفي آخر الترجمة قال: «و بالجملة فمناقبه مشهورة، وآثاره مذكورة، ذكره الشيخ جمال الدين الأسنوي وأثنى عليه كثيرا، وقال: توفي سنة ٧٦٨هـ، وهو إذ ذاك فضيل مكة، وفاضلها، وعالم الأباطح، وعاملها، ودفن بباب المعلاة إلى جنب الفُضيل بن عياض نفع الله بهما، قال: وبيعت أشياء حقيرة من تركته بأغلى الأثمان، حتى بيع له مئزر عتيق بثلاثمائة درهم، وطاقية بمائة درهم».

* * *

الاتصالات بينه وبين علماء حضرموت وصلحائها

أما عن اتصالات الشيخ الأمام عبدالله بن أسعد اليافعي بعلماء وصلحاء حضرموت، فمن ذلك ما جاء في الحكاية الحادية والثلاثين بعد الأربعمائة من كتاب «الجوهر الشفاف» للشيخ العلامة المؤرخ عبدالرحمن بن محمد الخطيب «ولد قبل سنة ٧٩٤هـ وتوفي سنة ٨٥٦هـ» عند ذكر الشيخ الصالح عبد الله بن محمد بن علي الخطيب المتوفى سنة ٧٩٣هـ حيث قال: «وصحب إمام الورعين، وحجة الله على السالكين، عبد الله بن أسعد اليافعي رضي الله عنه، وكتب شيئا من مصنفاته، وأرسلها إلى أولاده بحضرموت، وكان الشيخ اليافعي يعطيه الورق، وهو ينسخ، فإذا فرغ من نساخته قرأه أو قابله على الشيخ رضي الله عنه».

ومن هذه الاتصالات الاتصال بينه وبين الشيخ الإمام فضل بن عبدالله بافضل عام حج الشيخ فضل سنة ٧٦٤هـ كما نقل ذلك الشرجي في (طبقاته) وسؤال الشيخ فضل له عن الخوف؟ وجوابه الذي كان على البديهة بقوله للشيخ فضل: يُخِيفُك حتى لا تأمنه، خير لك من أن يُؤمِّنك حتى لا تخافه.

* * *

رحلة قائل الأبيات إلى حضرموت في حياة أبيه

وفي ما سيأتي من النقل عن كتاب «السلسلة العيدروسية»، في أن الشيخ عبد الله بن أسعد اليافعي هو الذي أرسل ولده الشيخ عبدالرحمن من مكة إلى حضرموت، أي إن الرحلة الأولى كانت في حياة الشيخ عبد الله بن أسعد، هو الذي يؤدي إليه البحث فيما بلغ من انتشار الشهرة خارج حضرموت، لشيوخ الملة والتصوف بها بذلك العهد في القرن الثامن الهجري، خاصة ومنذ أوائل هذا القرن، فقد ذكر ابن فضل الله العمري صاحب «مسالك الأبصار في ممالك الأمصار» في كتابه «التعريف بالمصطلح الشريف» كما نقلت ذلك في كتابي «نحو

المدخل إلى التاريخ الحضرمي)عند ذكر العمري لبقية أهل العلم والإمامة والتقوى والصلاح بذلك العهد، من فروع البضعة النبوية وأهل البيت المصطفوي حيث قال ما لفظه:((وهذه البقية الآن بصنعاء وبلاد حضرموت وما والاهما من بلاد اليمن)).

ومثله أيضا مما يؤدي إلى تقريب كون هذا هو الواقع من القيام برحلته الأولى إلى حضرموت في حياة أبيه، تنويه أبيه بذكر الأسر والبيوت ذات الشهرة والعلم والصلاح والفضل بحضرموت في قصيدته الغوثية أو المنظومة التوسلية بقوله:

وحضرموت بها قوم بفضلهم ... يستعطر الواكف الهامي من الديم

بنو أبا علوي والكرامُ بنو ... عُبَّاد السادة الحامون للحرم

فلعله أي الإمام عبد الله بن أسعد عند ما قصد اليمن، لزيارة شيخه علي الطواشي المتوفى سنة ٧٤٨هـ، وأدرك عجزه عن الرحلة إلى وادي حضرموت (حضرموت إحدى ولايات إقليم اليمن الثلاث وهي تشتمل على مابين عدن أبين وأصل بلاد عمان أي ما بين خطي طول ٣٠/ ٥٦/ ٤٥ شرقا. أما الولايتان الأخريان فهما الجند وصنعاء) الرئيسي بنفسه للاتصال الشخصي بمن فيه من جهابذة الملة وأعلام المشيخة، لم يسعه إلا إرسال ابنه عبد الرحمن قائل الأبيات؛ لينوب عنه في هذا الاتصال، الذي كانت تنبعث لديه الرغبة الأكيدة في تحقيقه، ولا يفوتنا أن نورد بقية الأبيات من هذه القصيدة التي تناولت التنويه بذكر سواهم من بيوتات الصلاح والعلم والفضل في المخاليف الحضرمية التي ورد ذكرهم في هذه المنظومة، ومنها ظفار مهرة التي هي في الأصل مما يدخل ضمن الخريطة التاريخية لولاية حضرموت بمقتضى التقسيم الإداري لإقليم اليمن في صدر الإسلام إلى نحو أواسط عهد الدولة العباسية، وذلك قوله:

وعُصبةٌ في نواحي الشحرِ بل ببني ... أبا وزير ذوي الإحسانِ والكَرَمِ

وفي ظَفَارَ رجالٌ يُستغاثُ بهم ... ويُستعانُ بهم بالدفع في النِّقَمِ

وأيضا قوله فيما قبل هذه الأبيات:

بوادِيَ عَمْدٍ بساداتٍ بها وبمَنْ ... في دوعن من صبيح الوجه مبتسم

بني أبا حفصٍ الأخيارِ ثم بني ... سعيدِ العيسوي الوافون بالذمم

واهتف بيوسف مهما كنتَ منتظرا ... فَنِعْمَ غوثٌ للهوفٍ ومُهتضَمِ

* * *

روايات كتب التاريخ الحضرمي عن رحلة أو رحلتي قائل الأبيات

نورد هنا ما تناقلته كتب التاريخ الحضرمي من الروايات بهذا الصدد:

روى هذه الأبيات وقدوم صاحبها إلى حضرموت، الشيخ العلامة المؤرخ عبد الرحمن بن محمد الخطيب في كتابه (الجوهر الشفاف) الذي بدأ تأليفه سنة ٨٢٠هـ، فذكر ما لفظه: ((وقال الشيخ العارف المحقِّق الزاهد الصالح عبد الرحمن ابن الشيخ عبد الله بن أسعد اليافعي رضي الله عنهما حين قدم حضرموت، واجتمع بمن فيها من الصالحين، وبأهل الطبقة الأخيرة من طبقات هذا الكتاب حيث قال:

مررت بوادي حضرموت مسلما ... فألفيته بالبشر مبتسما رحبا

وألفيت فيه من جهابذة العلا ... أكابر لا يلقون شرقا ولا غربا

ومراده بالطبقة الأخيرة في الكتاب الطبقة الرابعة التي في عصر سيدنا الإمام عبد الرحمن السقاف.

أما الشيخ علي بن أبي بكر السكران ابن الإمام عبد الرحمن السقاف (ولد سنة ٨١٨هـ-وتوفي سنة ٨٩٥هـ) فقد حقّق أن لصاحب الأبيات رحلتين، كما

قال في كتابه (البرقة المشيقة): ((ولقد سافر -يعني قائل الأبيات- إلى حضرموت من مكة شرفها الله تعالى سفرتين، إحداهما قبل الميات، والأخرى قبلها بزمان)).

وممن روى ذلك الشيخ الفقيه العلامة عبد الله بن محمد باقشير مصنف (القلائد) في الفقه المتوفى سنة ٩٥٨هـ، في كتابه (البركة والخير في مناقب آل أبي قشير) قال:((ولما وصل العارف بالله عبد الرحمن ابن الشيخ الإمام عبد الله بن أسعد اليافعي رحمهما الله إلى حضرموت، قام على قبر الشيخ عبد الله باقشير، وقال هذا رجل صاحب جد واجتهاد - إلى قوله- وقال عبد الرحمن أيضا رضي الله عنه في مشايخ حضرموت وعلمائها شعراً)) وذكر البيتين.

وذكر السيد المؤرخ أحمد بن عبد الله شنبل المتوفى (سنة ٩٢٠هـ)، في تاريخه، حوادث سنة ٧٩٤هـ ما مثاله: ((وفيها قدم ولد عبد الله بن أسعد اليافعي حضرموت))، ورأيت نقلاً عن تاريخ باشراحيل (و لعله هو قاضي شبام محمد بن عبدالرحمن باشراحيل المتوفى سنة ٨٢٣هـ) قال في حوادث سنة ٧٩٤هـ : ((وفيها قدِم الشيخ أبو النجيب عبد الرحمن بن عبد الله بن أسعد اليافعي حضرموت وسار منها في رجب)).

وأما العلامة مؤلف (السلسلة العيدروسية) السيد شيخ بن عبدالله العيدروس (ولد سنة ٩٩٣هـ وتوفي سنة ١٠٤١هـ)، فقد قال عند ذكر فضائل علماء وصلحاء حضرموت: ((أن الشيخ عبد الله بن أسعد أرسل ولده عبد الرحمن من مكة المشرفة لزيارتهم مرتين وكلما عاد إليه سأله عنهم فيقول رأيتهم لا يحصون كثرة ورأيت أنوارهم مشرقة وروي أنه قال حينئذ: مررت بوادي حضرموت.. الخ الأبيات)).

وهذا يقتضي أن تكون لصاحب الأبيات ثلاث رحلات لا رحلتين، لكن الأشبه بالصواب ما حقّقه الشيخ الإمام علي بن أبي بكر في (البرقة) مما تقدّم نقله، وقد ذكر لي بعضهم فيما كان قد اطلع عليه في بعض التعاليق أنه كانت لصاحب

الأبيات زيارتان، أولاهما في عهد والده، والأخرى بعد وفاة والده، ولعل هذا هو الصواب إن شاء الله.

ونقل هذه الأبيات آخرون من متأخري المؤرخين الحضرميين، ممن نضرب صفحاً عن ذكرهم لأنهم في هذا النقل عاله على من تقدّم.

* * *

الجهابذة من العلماء والشيوخ الأكابر
بوادي حضرموت بذلك العهد

نذكر هنا من يحضرنا من أسماء المشاهير المعاصرين لرحلة قائل الأبيات من جهابذة الملة، وأكابر الشيوخ العارفين الذين يحتمل أن يكونوا في مقدمة من لقيهم، واتصل بهم الشيخ العلامة عبد الرحمن اليافعي صاحب الأبيات، فيما بين أوائل وأواخر النصف الثاني من القرن الثامن الهجري بوادي حضرموت، من علويين وغير علويين، من أهل الوادي، أو ممن اشتهر بكثرة الاتصال والترداد إلى أقرانه من الشيوخ الأكابر، والعلماء الأعلام بالوادي بتريم، وشبام، والعجز.

وهم الذين ترسم لنا هذه الأبيات الصورة الجليلة للمكانة التي يقتعدونها، والذروة التي يتسنمونها بين أعلام الملة، وشيوخ التربية، وأئمة السلوك الصوفي في أقطار العالم الإسلامي بذلك العصر، فمنهم:

[١] الإمام محمد مولى الدويلة بن علي بن علوي بن الفقيه المقدم (المتوفى سنة ٧٦٥هـ) ولد بتريم، ونشأ بها، وتربى في حجر عمه الشيخ عبد الله باعلوي، وارتحل إلى الحرمين الشريفين لأداء النسكين، وزيارة سيد الكونين، وأخذ بالحرمين عن جماعة من العارفين، والأئمة الأعلام، واجتمع في رجوعه بالشيخ العارف بالله علي بن عبد الله الطواشي، صاحب حلي يعقوب، شيخ الشيخ عبدالله بن أسعد اليافعي فاعترف

كل للآخر بمقامه السامي، ومكانته العظمى، وممن ترجم له صاحب (الغرر) و(المشرع). ومنهم:

[٢] **الإمام محمد صاحب العمائم بن علوي بن أحمد ابن الفقيه المقدم المتوفى سنة ٧٦٧هـ.** ولد بتريم، وحفظ القرآن العظيم، و(التنبيه)، وأكثر (المهذب)، وتخرج في العلوم الشرعية، والفقه، والتصوف على الشيخ الإمام عبد الله باعلوي، والفقيه عبدالله بن فضل بافضل، وأخذ الطب، والفلك، والحساب عن الشيخ سعد الفقيه بن محمد بافضل، ورحل إلى اليمن، وأخذ عن علماء زبيد، وتعز، وعدن، ورحل إلى الحجاز وجاور بالحرمين الشريفين، وأخذ عمن بها من العلماء الوافدين والمستوطنين، ثم رحل إلى مقدشوه، فأخذ عن علمائها، وبرع في علوم التفسير، والحديث، والفقه، والتصوف، وعلوم الأصلين، والعربية، والمنطق، وممن تخرّج به وأخذ عنه سيدنا الإمام العارف بالله عبد الرحمن السقاف، والإمام الشيخ محمد بن أبي بكر عباد، والإمام الشيخ فضل بن عبد الله بافضل، والإمام المعلّم محمد أبي مريّم ابن عمر بن محمد بن أحمد ابن الفقيه المقدم، والشيخ الفقيه سعد المعلّم باعبيد، وغيرهم، وكان يقرأ عليه (المهذب) في سنة، (والتنبيه)، و(الوسيط)، و(الوجيز) في سنة، وكانت قراءته قراءة تحقيق مع بحث وتدقيق، وسُمي بصاحب العمائم بسبب أنه كان يطالع بالليل فيستغرق نصفه أوجله وربما استغرق الليل كله، واحترقت عليه من شدة استغراقه أحيانا في المطالعة (١٣) ثلاثة عشر عمامة، ومع ذلك كان متواضعاً لم تسمع منه دعوى في شيء من العلوم،ترجم له صاحب (الغرر) و(المشرع) وغيرهما من المؤرخين اهـ. ومنهم:

[٣] **سيدنا الإمام عبد الرحمن السقاف بن محمد مولى الدويلة (ولد سنة**

٧٣٩هـ وتوفي سنة ٨١٩هـ) ولد بتريم، وحفظ القرآن العظيم، وأتقن علم التجويد، والقراءات، وتخرّج على الإمام صاحب العمائم، والإمام الشيخ محمد بن أبي بكر باعباد، ورحل إلى الغيل، وأخذ عن الإمام الفقيه محمد بن سعد باشكيل، ثم رحل إلى عدن، وأخذ بها عن القاضي محمد بن سعيد بن كبن، وتخرّج في الفقه، أتقن علم النحو، والصرف، والمعاني، والبيان، وكاد من كثرة قراءته (الوجيز) و(المهذب) يحفظهما عن ظهر قلب، وبرع في الأصول، وعلم المنقول، والمعقول، والتفسير، والحديث، والتصوف، وكانت الطلبة ترحل تقصده من مختلف الجهات، والفتاوى تُحمَل إليه وتخرّج وانتفع به في هذه العلوم وعلم الحقائق الجم الغفير من بينهم أولاده، وفي مقدمتهم الإمام أبوبكر السكران، والإمام عمر المحضار، وأولاد أخيه في مقدمتهم الإمام حسن الورع بن علي بن محمد مولى الدويلة، والعارف بالله أبو بكر بن علوي الشيبه، والإمام محمد بن حسن جمل الليل، والإمام محمد بن علي مولى عيديد،والإمام سعد بن علي مذحج، والشيخ محمد بن عبدالرحمن الخطيب، وولده الشيخ عبد الرحمن مصنف (الجوهر)، وأكثر قراءته في الفقه في (البسيط)، و(الوسيط)، و(المهذب)، و(المحرر)، وكان أعبد أهل زمانه، والفائق على أقرانه، وأسفار التاريخ الحضرمي طافحة بذكر أحوال مجاهداته العظيمة، وصفاته ومناقبه الفخيمة اهـ. ومنهم:

[٤] **الإمام محمد بن أبي بكر باعباد (ولد سنة ٧١٢هـ وتوفي سنة ٨٠١هـ)** من كبار الأئمة المحقّقين، والجهابذة المدقّقين، الجامعين عِلما وعملا، وزُهدا وورعا، وهو ثالث الأئمة من الأكابر المتخرّجين على الإمام محمد بن علوي صاحب العمائم، والآخران سيدنا الإمام عبدالرحمن السقاف، والشيخ الإمام فضل بن عبد الله بافضل، وفي الطليعة بين أولئك الأكابر الجهابذة الذين تشيد أبيات الشيخ العلامة عبد الرحمن

اليافعي بالثناء عليهم، والتنويه بسمو مكانتهم العالية، بل ذكر الإمام الشيخ علي بن أبي بكر في كتابه (البرقة المشيقة) فقال: ((وللشيخ عبدالرحمن بن الشيخ عبد الله اليافعي في الشيخ جمال الدين محمد بن أبي بكر (يعني صاحب الترجمة) قصائد جليلة، يثني عليه فيها ويمدحه بها مدحا جميلا، ومن جملتها هذه الأبيات:

كيف لا أملأ أسماع العلا ... ولمولانا على الكون الولا
من أحاديثك يا شمس الضحى ... وهي ريحان وريح يجتلى
وبك الله يوالي فضله ... في البرايا ويغيث المبتلى
لو تكون الدار تدني مُغْرَمَا ... لتبوأنا شباماً منزلا

ومنهم:

[٥] **الشيخ الإمام فضل بن عبد الله بافضل (ولد سنة ٧٣٠هـ وتوفي سنة ٨٠٦هـ)** هو الشيخ الإمام فضل بن عبد الله بافضل، ولد بتريم، وتخرّج على الإمام محمد بن علوي صاحب العمائم في العلوم الفقهية فروعاً وأصولاً، والعربية، والحديث، والتفسير، والرقائق، قال فيه الإمام الشيخ علي بن أبي بكر في (البرقه) ما لفظه: ((ومنهم الشيخ العارف بالله تعالى العالم الرباني، الفقيه أبو العباس فضل بن عبد الله ابن الفقيه فضل بن محمد التريمي الحضرمي، كان من العلماء العاملين، والمشايخ العارفين، الذين كمِلوا في الاقتداء والمتابعة للمصطفى، شُدّت لزيارته الرحال، وقصدته لالتماس البركة فحول الصالحين الأبطال، وكان الشيخ الإمام محمد بن أبي بكر باعباد يعظّم الشيخ فضل كثيراً، ويُجلّ صوادره، ويجلّ أحواله وأفعاله وأقواله رضي الله عن الجميع ونفع بهم))، وقد ترجم له المؤرخون الحضرميون واليمنيون.

[٦] **والإمام محمد صاحب تربة المصف بـ (قسم) بن أحمد بن عبد الله بن علوي ابن الفقيه المقدّم المتوفى سنة ٧٨٧هـ.** أحد الأعلام، والشيوخ العارفين الذين أضاءت بهم حنادس الظلام، ولد بتريم، ونشأ بها، وحفظ القرآن العظيم، وأخذ عن أبيه، وجده الإمام الشيخ عبد الله باعلوي، والفقيه فضل بن عبد الله بافضل، وكان يضرب به المثل في حفظ الأوقات، وأقام آخر عمره بمدينة قسم، واستوطن بها، وانتفع به كثيرون في التصوف، وتخرّج به غير واحد من العارفين، وممن أخذ عنه الإمام السقاف.

[٧] **والإمام حسن الورع ابن علي بن محمد مولى الدويلة المتوفى سنة ٧٨٩هـ** ولد بتريم، وحفظ القرآن العظيم، وتفقّه على الإمام محمد بن أبي بكر باعباد، والقاضي علي بن عبد الله باحرمي، ولازم عمه الإمام عبدالرحمن السقاف، وارتحل إلى اليمن، وأخذ عن جماعة من العلماء العارفين، وذكر صاحب (الجوهر الشفاف) أنه ألّف كتاباً في مناقب السادة، وله نظم بديع لكنه غير مدوّن انتهى. ومنهم:

[٨] **الإمام محمد جمل الليل بن حسن بن محمد بن علي بن الفقيه المقدَّم (ولد سنة ٧٥٠هـ وتوفي سنة ٨٤٥هـ)** ولد بتريم، وحفظ القرآن العظيم، وتفقه على الإمام صاحب العمائم محمد بن علوي بن أحمد ابن الفقيه المقدّم، وأخذ عن الشيخ محمد بن أبي بكر باعباد التفسير والحديث، وأخذ التصوف عن الإمام محمد بن عمر أبي مريّم، والشيخ محمد بن حكم باقشير، وأخذ عن صاحب الترجمة، وانتفع به جماعة كثيرون، وكان يُربّي السالكين، ويفيد الطالبين، وكان يعرف أحوال الصوفية العارفين، ويشرحها شرحاً للراغبين، ويقرر اصطلاحاتهم ويحررها أحسن تحرير، وممن تخرّج به وأخذ عنه ولداه علي وعبد الله، وسيدنا

الإمام عبد الله بن أبي بكر العيدروس، وأخوه الإمام الشيخ علي بن أبي بكر، والشيخ سعد بن علي مذحج.

[٩] والإمام المعلّم محمد بن عمر أبو مريّم بن محمد بن أحمد بن الفقيه المقدم المتوفى سنة ٨٢٠هـ. ولد بتريم، وحفظ القرآن العظيم، وحفظ كتاب «التنبيه»، وقرأه على الشيخ الإمام محمد بن أبي بكر باعباد، وصحب سيدنا الإمام عبدالرحمن السقاف، وأخذ عن العلامة محمد بن أحمد ابن الفقيه المقدم، وكان هو والإمام محمد بن حسن جمل الليل رفيقين في الطلب، حتى برعا في العلوم الشرعية والفنون الأدبية، واشتغل بعلوم القرآن، وجلس لتعليم الصبيان، فحفظ عليه جم غفير نحو ثلاثمائة ، ومن أكمل حفظه أمره بحفظ ربع العبادات من «التنبيه»، وكان يُراعي خلاف الأئمة المجتهدين، لاسيما الأئمة الأربعة رضي الله عنهم، وكان الإمام عبد الرحمن السقاف، يقول: لو وقع اجتهاد محمد بن عمر على جبل لدكّه، وقال الشيخ الإمام محمد جمل الليل بن حسن صحبته أربعين سنة فما رأيته غضب، وقال كثيرون من تلامذته: ما سمعناه شتم أحداً، ولا غضب على تلميذ بليد.

[١٠] والإمام محمد مولى عيديد ابن علي بن محمد بن عبد الله بن الفقيه أحمد ابن عبد الرحمن المتوفى سنة ٨٦٢هـ ولد بتريم، وحفظ القرآن العظيم، وتفقّه على جماعة منهم: الشيخ الكبير محمد حكيم باقشير، والفقيه عبدالله بن فضل، وأخذ التصوف وعلوم القوم عن سيدنا عبد الرحمن السقاف، وعن أولاده، وعن الإمام محمد جمل الليل، والعلامة الشيخ عبد الرحمن بن محمد الخطيب صاحب «الجوهر»، وذكر في «الغرر» أخذه عن سيدنا محمد مولى الدويله المتوفى سنة ٧٦٥هـ، وذلك يقتضي أنه عاش أكثر من مائة سنة، وتخرّج به جماعة كثيرون منهم سيدنا

الإمام عبدالله بن أبي بكر العيدروس، وأخوه الإمام علي بن أبي بكر، والشيخ العلامة محمد بن أحمد بافضل.

[١١] **والإمام أبو بكر السكران ابن عبد الرحمن السقاف المتوفى سنة ٨٢١هـ** ولد بتريم، وحفظ القرآن العظيم، وصحب أباه، ولازمه من صِباه، وممن أخذ عنه الشيخ سعد بن علي مدحج، وهو كما قال ولده الشيخ علي بن أبي بكر ممن تحقّقوا بكمال الاقتداء والمتابعة للنبي صلى الله عليه وسلم، ومن أكابر العارفين.

[١٢] **والإمام عمر المحضار ابن الإمام عبد الرحمن السقاف المتوفى سنة ٨٣٣هـ** ولد بتريم، وحفظ القرآن العظيم، وتربّى في حجر أبيه، وحفظ (منهاج الطالبين)، وتفقّه على الفقيه أبي بكر بن محمد بلحاج بافضل، وصحب جماعة من الأكابر العارفين، ثم رحل إلى الشحر، واليمن، والحرمين، وصحب بها جماعة كثيرين، وكان كثير الاعتناء بـ (المنهاج)، و(التنبيه) و(الإحياء) وتفسير السلمي، وكاد أن يحفظه عن ظهر قلب، وأخذ عنه كثيرون من أجلّهم: سيدنا الإمام عبد الله بن أبي بكر العيدروس، وأخوه الشيخ علي، والشيخ أحمد، والشيخ عبدالله ابن الفقيه علي باحرمي، وغيرهم، وترجم له المؤرخون الحضرميون، وبعض اليمنيين.

[١٣] **والإمام محمد بن حكم باقشير (المولود في حدود سنة ٧٥٣هـ والمتوفى سنة ٨٢٩هـ)** أحد العلماء الأعلام، والشيوخ الأكابر، أكثر أخذه عن الإمام محمد بن علوي صاحب العمائم، والإمام محمد بن أبي بكر باعباد، والإمام الشيخ محمد بن سعيد باشكيل، والإمام عبد الله بن أسعد اليافعي، ترجم له الشيخ عبد الله بن محمد صاحب (القلائد) في كتابه (البركة والخير في مناقب آل باقشير)، وذكره غيره من المؤرخين الحضرميين.

[١٤] والإمام الشيخ سعد بن علي مدحج المتوفى سنة ٨٥٧هـ الإمام العارف بالله، أفرده الإمام الشيخ علي بن أبي بكر السكران بكتاب في ترجمته سمّاه (الدر البهي في مناقب الشيخ سعد بن علي) فذكر تلقّيه لكتاب الله على الإمام محمد أبي مريّم، وقراءته عليه في الفقه، وعلى الإمام محمد ابن حكم باقشير، والفقيه عبدالله بن فضل، وذكر بين من أخذ عنهم من كبار الشيوخ سيدنا الإمام عبدالرحمن السقاف، وولديه الشيخ أبوبكر السكران، والشيخ عمر المحضار، والإمام محمد بن حسن جمل الليل، والشيخ علي بن أبي بكر باحرمي.

[١٥] والإمام الشيخ عبد الله بن عبد الرحمن باوزير: أحد الأعلام العلماء، والشيوخ الأكابر، وهو من أهل حورة، وكان كثير الاتصال والترداد إلى أقرانه من أكابر العلماء والشيوخ بوادي حضرموت، رحل في طلب العلم إلى اليمن، والحرمين، وتخرّج وبرع في العلوم والفنون، ومن بين مَن أخذ عنهم من الشيوخ والعلماء الأكابر: الفقيه محمد بن سعيد بن كبّن، والإمام مسعود ابن سعد باشكيل، والإمام جمال الدين الناشري، والشيخ عبد الله بن أسعد اليافعي، وذكر المعلّم سعيد بن محمد بامدحج في مجموعته أنه بعد خروجه من اليمن إلى بلده حورة استوطن، وتزوج، ولم يزل يتردّد من بلده إلى جهة حضرموت لزيارة الصالحين الأولياء، وله اتصال من جهة إحدى كرائمه المتزوجة من القطب سيدنا عمر المحضار، وذكر أن له كتاباً يسمى (تحفة النفوس والروض المأنوس في مناقب العيدروس)، وهذا الكتاب لعله هو الكتاب المسمى أيضا (التحفة النورانية)وذكر صاحب (المشرع) وغيره عند ذكر الآخذين عن سيدنا الإمام عبدالله بن أبي بكر العيدروس أنه قد كان الإمام العارف بالله محمد بن علي صاحب عيديد، والإمام سعد بن علي مدحج، والشيخ عبد الله بن عبد الرحمن باوزير، مع الاتفاق على جلالة قدرهم،

وعلو منصبهم، وكبر سِنهم، ممن أخذوا عنه، ولازموا صحبته، وأخذوا عنه طريقته، ويقرُب أن تكون وفاته فيما بعد منتصف القرن التاسع الهجري اهـ.

[١٦] **والإمام الشيخ عبدالرحمن بن علي حسان المتوفى سنة ٨١٨هـ** الإمام، الفقيه، الزاهد، القاضي، العلامة، المؤرخ، المحقق، ولد بتريم، له تصانيف في الفقه منها: (شرح جامع المختصرات)، و(نكت على المهذب)، ونبذه في أدلة (التنبيه)، وله التاريخ المشهور الذي نقل عنه بامخرمة في كتابه (قلادة النحر) وله كتاب مناقب الفقيه المقدّم وغيره، كانت وفاته بالمشقاص، وتولّى القضاء بها، وكان والده قاضياً بها أيضاً، وله القصيدة المشهورة في مدح سيدنا الفقيه المقدّم التي مطلعها:

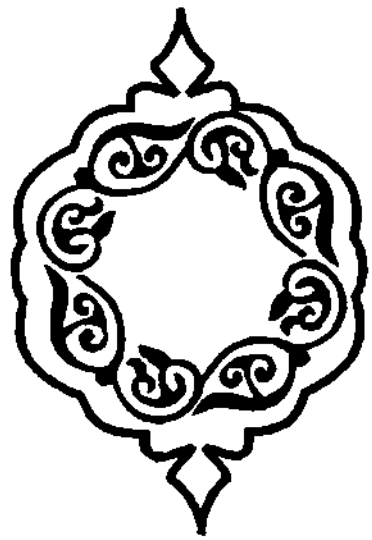
قفا عند مشتاق إلى الربع شاعر يغني بسكان الحمى والمشاعر

وقصيدة في الشيخ محمد بن حكم باقشير، وبعض فقهاء بني قشير مطلعها:

إذا ذُكِرَتْ أُحَيْبَابٌ بنجدٍ تَحَدَّرتِ الصبابةُ للوَلُوعِ

فهؤلاء هم أعلام الجهابذة، ومشاهير الأكابر، لتلك الحقبة التاريخية الذهبية قدّس الله أسرارهم، وجدّد آثارهم، وأفاض على الجميع ببركتهم وأنوارهم، وعطّر ذكراهم، ولا حرمنا رؤيتهم ولقياهم في علي الجنان، وفراديس القُرب والرضوان آمين.





الفرائد في قيد الأوابد وإلحاق الشوارد

حول المزارات والزيارات بوادي حضرموت

الحمد لله والصلاة والسلام على أشرف الخلق سيدنا ومولانا محمد المبعوث بالحق والصدق، وعلى آله وصحبه أجمعين.

وبعد: فهذه تعليقات وتحقيقات تاريخية، تحتوي على ما جاء في أسفار التاريخ الحضرمي وغيرها من التواريخ اليمنية، حول المزارات والزيارات، وما كان يرجع إليه تاريخ بناء القبب بوادي حضرموت، والعهد الذي كان فيه إحداث الكتابة على شواهد القبور، وألواح الضرائح، وتطور طرق الزيارة لضرائح مشاهير السلف بوادي حضرموت، وما أعقب من ذلك من إقامة الزيارات والحوليات لبعض ضرائح المتأخرين من المشاهير. فنقول: ذكر المؤرخ العلامة الخطيب صاحب (برد النعيم) في كتابه (البرد النعيم) ما يتعلق ببناء أقدم القبب بتريم؛ وهي قبة السلطان مسعود بن يماني مُريد الشيخ الإمام علي بن محمد الخطيب الشهير بصاحب الوعل المتوفى سنة ٦٤١ ستمائة وإحدى وأربعين هجرية، وهذا السلطان مسعود المذكور قد اتخذ صاحب الوعل شيخاً له، فتاب على يده، وتخلّى عن السلطنة، وطلّق هذا المنصب، والتحق بمريدي الشيخ علي ابن محمد المذكور، وتعفّف من أكل أموال السلطنة تورعاً، حتى بلغ إلى حد أنه كان يطلب الزكاة، فقيل له: كيف بلغ بك الحال، وانتهى أمرك إلى أن صرت تطلب الزكاة؟ فقال: الزكاة تحل لي.

وكانت وفاة مسعود المذكور الذي بنيت على قبره أول قبة في تريم كانت وفاته كما في تاريخ المؤرخ أحمد بن عبد الله شنبل[1] سنة ٦٤٨ ثمان وأربعين وستمائة، وقد ذكر المؤرخ الخطيب صاحب (البرد النعيم) أنه تولّى بعد تخلّيه عن

(١) قشطها في الأصل وهذا هو الصحيح فإن وفاة شنبل ٩٢٠ وإنما المقصود وفاة مسعود وهو توفي سنة ٦٤٨.

السلطنة ابنه عمر بن مسعود الذي امتدّت ولايته إلى حين وفاته سنة ٦٧٥ ستمائة وخمسة وسبعين هجرية. وقال صاحب (البرد النعيم): إنه هو الذي قام ببناء القبة على قبر والده مسعود المذكور. وعلى هذا فان عهد بناء القبة يرجع إلى النصف الثاني من القرن السابع الهجري.

أما ثاني القبب التي بُنيت بمقابر تريم فهي ما ذكروه أن بناء قبة بمقبرة زنبل على ضريح الإمام سالم بن بصري المتوفى سنة ٦٠٤ هجرية ستمائة وأربع. فهذه القبة إنما يغلب أنه كان بناؤها بعد أمد طويل من وفاة الإمام سالم بن بصري المذكور، يمكن أن يكون ذلك في القرن الثامن، وتكن قد انهدمت قبل وفاة الشيخ حسن بن علي بن أبي بكر السكران، الذي كانت وفاته سنة ٩٥٦ ست وخمسين وتسعمائة، حيث ذكروا أنه دفن في قبر الإمام سالم بن بصري، ولا بد أن دفن المذكور، ونبش ضريح الإمام سالم بن بصري إنما كان بعد انهدام القبة، ومما يقال: إن هذه القبة جاءت الإشارة إليها في بعض قصائد الإمام الشيخ علي بن أبي بكر السكران بقوله: ((يا قبة السعد)).

أما القبة الثالثة التي بُنيت بتريم فهي قبة الإمام عبد الله بن أبي بكر العيدروس، وكانت وفاة العيدروس المذكور كما هو معروف سنة ٨٦٥ هجرية خمس وستين وثمانمائة، وقد جاء ذكر هذه القبة في قصيدة ابنه الإمام أبي بكر بن عبد الله العيدروس المتوفى سنة ٩١٤ أربع عشر وتسعمائة هجرية، وتوفي بعدن، من قوله في تلك القصيدة:

وقبة الشيخ المنور الشيخ عبد الله وسعدون

فيغلب أن يكون بناء هذه القبة إما في أواخر القرن التاسع، أو أوائل القرن العاشر.

أما الكتابة على شواهد القبور فننقل هنا من عبارة (المشرع الروي) في صفحة [١٤٦] فانه قال:

((إن المتقدمين كانوا يجتنبون البناء والكتابة على شواهد القبور، وإنما استحسنه المتأخرون لأمورٍ منها: أن يُعرف الميت هل بلي أو لا؛ لأن المشهور عندهم أن الميت لا يبلى إلا بعد أربعين سنة أو نحوها. ومنها: أن يعرف صاحب القبر؛ ليُزار، ويُتبرّك به، ويُدفن عنده أقاربه، ونحو ذلك من المقاصد الحسنة)).

والظاهر أن الكتابة على شواهد القبور لا ترجع إلّا إلى عصر سيدنا عبد الرحمن السقاف بن محمد مولى الدويلة، وإليك صورة ما نراه على شاهدة الإمام عبد الله باعلوي، والتي هذه صورته بالحرف:

هذه صورة الكتابة على شاهدة عبد الله باعلوي

الحمد لله ولي الحمد ومستحقه
الباقي بعد فناء خلقه
و بعد هذا ضريح الوفي
الشيخ التقي الولي الورع
عبد الله بن علوي بن الفقيه المقدم
يوم الربوع ربيع الأول سنة ٧٣١ هجرية

وبالنظر إلى ما ذكروه فيما يتعلّق بمسألة عدم نبش القبور ما لم يغلب وقوع بلاء بالميت، فالمشهور في عمل أهل تريم بالنسبة لمقابر بشار الثلاث المعروفة بتريم أن النبش في مقبرة زنبل لا يكون إلا بعد مرور ستين سنة على وفاة المقبور، ومثلها أكدر، أما الفريط فيكون بعد مرور أربعين سنة.

* * *

فوائد مقممة وشوارد مهمة حول التجمع لزيارات المشاهير من الأسلاف بحضرموت وإقامة الحول عند ضرائح بعضهم

فنقول:

أولاً: فيما يتعلق بأشهر الروايات عن موقع قبر النبي هود على نبينا وعليه أفضل الصلاة والسلام فقد جاء في كتاب (الأزمنة والأمكنة) للمرزوقي من أهل القرن الخامس الهجري وكتابه هذا مطبوع بالهند في حيدر آباد الدكن، ويقع في جزءين، وقد قال عند ذكر أسواق العرب التي كانت تقام في بلاد العرب على عهد الجاهلية قبيل الإسلام قال عند ذكر سوق شحر مهرة: إن هذا السوق يقام تحت الجبل الذي يقع فيه قبر النبي هود، وذلك في منتصف شهر شعبان. فهذه أقدم وأشهر ما وقفنا عليه من الروايات المصرّحة بأن القبر يقع في الجبل.

أما الرواية الثانية: فهي ما صرّح به الإمام الحجة مؤرخ اليمن الكبير الهمداني الملقب بابن الحائك في كتابه الشهير (صفة جزيرة العرب) المطبوع في أوربا ومصر فقد قال: ((إن أهل حضرموت ومهرة يزورُون قبر النبي هود في كل وقت)) وكانت وفاة الهمداني في سنة ٣٣٥ هجرية ثلاثمائة وثلاثين أي إن تاريخ وفاته متقدّم عن وفاة الإمام المهاجر أحمد بن عيسى سنة ٣٤٥ ثلاثمائة وخمس وأربعين هجرية بنحو عشرة سنين، وكلامه في كتابه هذا (صفة جزيرة العرب) لابد أن يكون متقدّم تأليفه بسنوات قبل وفاة مؤلفه، والذي يؤخذ من فحوى ما ذكره أن القبر كان معروفاً وظاهراً للزوّار، وأن الزيارة كان معمولاً بها لدى الإباضية، وذلك بمقتضى ما ذكره مؤلف كتاب (تحفة الأعيان) العلامة السالمي الإباضي، فقد ذكر أنّ الاباضيه يزورُون قبور أئمتهم وصلحائهم للترحّم والتبرّك.

أما ما اشتهر وتوهمه الكثير من الناس بأن إظهار قبر النبي هود في موضعه المعروف بالجبل إنما كان بواسطة الإمام العلامة عبدالرحمن بن علي بن أبي بكر ابن عبدالرحمن السقاف المولود سنة ٨٥٠ خمسين وثمانمائة هجرية، والمتوفى سنة

٩٢٣ ثلاث وعشرين وتسعمائة، فيعترض عليه حيث يُوهم ذلك أن القبر لم يكن معروفاً في موضعه قبل إظهار الإمام عبد الرحمن المذكور، وليس ذلك بما يدل عليه المنقول بما تقدّم ذِكْرُهُ في كتاب (الأزمنة والامكنة)، وكتاب (صفة جزيرة العرب)، بل بما ذكره أيضا مؤلف كتاب (البركة والخير في مناقب آل أبي قشير)، وقد جاء في هذا الكتاب عند ذكر بعض مشاهير آل أبي قشير وكان معاصراً للإمام عمر المحضار بن عبد الرحمن السقاف المتوفى سنة ٨٣٣ ثمانمائة وثلاثة وثلاثين هجرية؛ ذكر صاحب كتاب (البركة والخير) المشار إليه أنه كانت توجد صخرة كبيرة عند قبر النبي هود تعوق الزوّار، فقام الإمام المحضار والمترجم له من آل أبي قشير في الكتاب المذكور بالعمل وتكسير وإزالة هذه الصخرة، وجلبوا لذلك آلات الحديد من الشحر فكسروا هذه الصخرة وأزالوها وهذه الرواية مصرّحة بأن قبر النبي هود كان معروفاً وظاهراً في موضعه للزوار قبل ما أحدثه الإمام عبدالرحمن بن علي مِنْ أيِّ بناءٍ على القبر، وينبغي أن نشير إلى أن الوَهْم الذي كان سائراً ومنتشراً بين جهلة التاريخ والتحقيق بأن القبر كان مجهولاً وغير معروف بين الناس والزوّار قبل عمل الإمام عبد الرحمن بن علي على إظهار موضع القبر فهذا الوَهْمُ هو الذي فتح الباب لأعداء الزيارة لقبر نبي الله هود حتى قالوا إن قبر النبي هود المعروف الآن إنما هو عبارة عن حجر وركام أحدثه آل أبي علوي، وقالوا عنه أنه هو قبر النبي هود، وصار هؤلاء الأعداء يعملون بهذه الدسيسة على تنفير الناس من زيارة قبر النبي هود.

ومن قبيل ما يتوهم من العبارات المنقولة في بعض كتب التاريخ بحضرموت عن موضع ضرائح المشاهير والمزارات أنه جاء في كتاب (السلسلة العيدروسية) فذكر أن الإمام السقاف كان يزور قبر الإمام المهاجر إلى الله أحمد ابن عيسى، وذكر في موضع آخر أن الإمام عبد الله بن أبي بكر العيدروس هو الذي أظهر قبر الإمام المهاجر، فقد حملنا هذا الاستشكال على الوَهْم بأن قبر المهاجر لابد أن يكون قد اندرس ولم يبقَ له أثر إلى أن أظهره الإمام العيدروس،

فسألت الحبيب العلامة أحمد بن عبدالرحمن بن علي السقاف فقلت له: هل كان الإمام عبدالرحمن السقاف يزور القبر في الموضع الذي كان مظنة المكان الذي كان فيه قبر المهاجر؟ فقال: لا إن القبر لا بد أن يكون معروفاً في موضعه، وغايته أن يكون كقبور المتقدّمين لاطئاً بالأرض، وإنما المراد من كون الإمام العيدروس قد أظهر زيارة قبر المهاجر، وتجميع الناس لها على الطريقة الصوفية، لا على طريقة الفقهاء الذين كانوا إنما يزورون في غير جموع، وكانت الزيارة عندهم وهي من عصر الفقيه وما قبله عبارة على التسليم على الميت، والدعاء له، والترحم عليه، والاتعاظ بذكر الموت. وأما الزيارة في زمان العيدروس فقد انتقلت إلى طريقه الصوفية التي لا تقتصر على ما ذكرناه، بل تتناول التوسل والاستمداد والتبرّك بالمزار له. وبالتأمل فيما أوضحه لنا الحبيب العلامة أحمد بن عبد الرحمن المذكور نجد أن الزيارة لما كانت عبارة عن التسليم والدعاء والترحم على صاحب القبر أي الزيارة التي كانت تجرى على طريقة مذهب الفقهاء، وأن التسليم المعمول به إلى الآن في زيارة قبر النبي هود عبارة عن السلام على الميت والترحم عليه، والذي كان خلواً من التوسّل والتبرّك هو كما أشار إليه الحبيب العلامة أحمد بن عبدالرحمن السقاف المذكور في طريقة الزيارة هو مذهب الفقهاء من المتقدّمين في الزيارة وزيادة أن الحبيب أحمد المذكور أنه قال: إن عمل الفقيه ومن قبله يظهر لنا أن الفقيه كان يزور قبر النبي هود على طريقة الفقهاء، وكأنه لما تأخر سنة من السنين كان كما جاء فيما يروى أنه أتى إليه النبي قائلاً: يا فقيه إن لم تزر زرناك. أما الزيارة التي انتقلت إلى طريقة الصوفية في عهد العيدروس من التجميع لها، وكان ميلاد سيدنا العيدروس سنة ٨١١ هجري إحدى عشر وثمانمائة، وتوفي سنة ٨٦٥ خمس وستين وثمانمائة هجرية، فكان ذلك لتوقّف العيدروس طيلة ١٣ سنة ثلاث عشر سنة لما ذكر مؤلف (التحفة النورانية) الشيخ عبد الله بن عبد الرحمن باوزير هو الداعي لانتظار الإذن الرباني في نقل زيارة قبر النبي هود من طريقة الفقهاء إلى طريقة الصوفية.

أما ما يتعلق بإقامة الزيارة لبعض ضرائح السلف في حضرموت عند مرور كل حول يمر من تاريخ وفاته أن يزار فلم نقف مما دُوِّن بهذا الخصوص إلا أنها عُرِفَ من ذلك أن أقدم إقامةِ حَوْلٍ لمشاهير السلف هو حول الإمام الحبيب عبدالله بن حسين بن طاهر فقد جاء في الرسالة الثالثة صفحة [٩٦] من «المجموع» فيما عهد به رضي الله عنه إلى أهله من الطلب بقوله: «وأوصيتهم بالترحُّم عليّ والاستغفار» إلى قوله «وزيارة في الشهر الذي يقدر الله فيه الوفاة»، فهذا ما وقفنا مما دُوِّن عن إقامة الحول، والذي عليه كان العمل بإقامته عند قبر المزار المذكور رضي الله عنه في موضعه بالقرية المسماة مسيلة آل شيخ بحضرموت، وتلاه العمل بإقامة الحول في الحبيب الإمام علي بن محمد الحبشي رضي الله عنه بسيئون.

ومن المشكوك فيه أن يكون قد سبق هذا إقامة الحول في بقية الزيارات المتقدمة لضرائح السلف قبل ذلك.

وإنّ لإقامة الحول أصل من السنة النبوية على صاحبها أفضل الصلاة والسلام، فقد وقفنا في كتاب «الإبداع في مضار الابتداع» تأليف أحد علماء الأزهر وهو كتاب مطبوع بمصر منذ ما يقرب من الخمسين سنة، فقد أورد المؤلف فيه الأصل من السنة النبوية فذكر أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يزور قبور شهداء أحد رضي الله عنهم على رأس كل حول.

أما لو كان عهد إقامة الزيارات الحولية يتقدّم على ما دُوِّن من زيارة الإمام عبد الله بن حسين بن طاهر فلابد أن يَسبِق ذلك إقامة حول لضريح الإمام المهاجر والإمام علي بن علوي خالع قسم، والإمام الفقيه المقدّم، والإمام السقاف، والإمام العيدروس، وأخيراً للإمام عبدالله بن علوي الحداد.

هذا ما أردنا جمعه وتحريره من هذه الفرائد في قيد الأوابد وإلحاق الشوارد حول ما يدخل ضمن أمور المقابر والزيارات الحولية للمشاهِد والحمد لله

بنعمته تتم الصالحات، وتصلح المقاصد والنيات وحسبنا الله ونعم الوكيل.

وكان الفراغ بفضل الله وتوفيقه من إملاء هذه الرسالة المرجو لها من الله الكريم القبول، وتعميم الانتفاع بها، وإن كان قد يتخلل بعض النقاط فيها شي من ضعف سبك العبارة نتيجة لما نحن فيه من ضعف الشيخوخة، وكلال الذهن الذي يجعلنا ننشد للاعتذار منه.

إنَّ الثمانـــــينَ وبلغتَهـــــا قد صيرتْ ذهني رهينَ الكلال

نقول كان الفراغ من إملاء هذه الرسالة يوم الأحد، الواقع في ثمان عشر خلت من جمادى الثانية، سنة ثلاثمائة الألف والرابعة والتسعين من الهجرة النبوية على صاحبها أفضل الصلاة والسلام.

وصلى الله على أشرف الخلق سيدنا محمد وآله وصحبه أجمعين.

بحمد الله وعونه نسخ هذه النبذة بقلم الفقير إلى الله تعالى عبد الرحمن حسين بن عبدالرحمن بن أبي بكر بن أحمد الخطيب.



نقاش وتمحيص وتنقيب

عن حقيقة الملقب بـ (النفاط) في بني عيسى النقيب

بسم الله، ومنه نستمد الإعانة؛ لإصابة الحق، وإبانة الصواب، وبه نعتصم من الميل مع الأهواء، والزيغ إلى زيف الآراء، مما يدفع إلى الوقوع في مهاوي الباطل والردى، وتنكب مسلك الرشد والحجى.

ونصلي ونسلم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه صلاة ننال ببركتها ما نصبو إليه من توفيق في خدمة العلم والحقيقة، وندرك بها مقام اللأُولى [الذين] أخلصوا القصد في انتهاج هذه الطريقة.

هذا مقتطف من رسالة البحاثة عبدِ الله بلفقيه العلوي الحضرمي لفضيلة الشيخ محمد بن أحمد الحجري اليمني، وهو ما جاء بعد ديباجة الخطاب، وعقيب كلام يسير لا تعلق له بصلب الموضوع:

«.... وعطفاً على ذلكم الاحتمال الذي فرضتموه لتصويب ما وجد بالمشجر الكشاف بمحاولة الجمع بينه وبين ما أورده ابن عنبة في (عمدة الطالب)[1]، وهو ليس بمشجر كما يخيل لفضيلتكم، وذلك من قوله:

---

(١) هو جمال الدين أحمد بن علي بن الحسين بن علي بن مهنا بن عنبة (ينتهي نسبه إلى الحسن المثنى بن الإمام الحسن السبط رضي الله عنه).

كان ميلاده في حدود سنة ٧٤٨ ووفاته سنة ٨٢٨، وقد فرغ من تأليف كتابه (عمدة الطالب) هذا في سنة ٨١٤ وقيل في سنة ٨١٢.

وكان ألّفه بالتماس جلال الدين الحسن الزاهد النقيب ابن عميد الدين بن علي الحسيني، وجلال الدين هذا هو الجد الثاني لصاحب المشجر الكشاف السيد شمس الدين محمد بن أحمد بن عميد الدين بن جلال الدين المذكور، وهذا الكتاب قد اعتمدنا في النقل عنه على النسخة المطبوعة بالمطبعة الحيدرية بالنجف الأشرف (العراق) المؤسسة سنة ١٣٣٧ هـ - ١٩١٨م. وهي طبعة ممتازة قام بها صاحب المكتبة المرتضوية وتقدم بإهدائها لعتبات صاحب الجلالة الهاشمية ملك العراق «فيصل الثاني»، وتولى ضبطها وتصحيحها على ثلاث نسخ تُعد من أنفس الذخائر الثمينة يرجع تاريخ اختطاط بعضها إلى =

((ومنهم أحمد الأبح من أبي محمد الحسن الدلال بن محمد بن علي بن محمد ابن أحمد بن عيسى الأكبر كان يتجر في النفط فلقّب النفاط)) حيث قلتم:

((يظهر من نقلكم أنه ليس في مشجر ابن عنبة ما يفيد حصر لقب النفاط على آل الأبح؛ فلعل النفاط لَقَبٌ لجميع آل أحمد بن عيسى، منهم آل الأبح، وهي نسبة إلى بيع النفط التي ورثها الأبح عن سلفه، وهذه أحسن طريق للجمع بين ما في المشجرات سيما وقد أيّدها ما نقله المولى شيخ العترة محمد بن عقيل رضي الله عنه في كتابه (ثمرات المطالعة)، وعلى قواعد الأصوليين أنه مهما أمكن الجمع بين الروايات فلا يُعدل عنه إلى غيره)).

فيبدو لنا من حاصل كلام فضيلتكم أن ليس لديكم نقل عن علماء النسب المتقدّمين ولا المتأخرين يعضد ما وجد بالمشجر الكشاف، كما يلحظ ذلك من عدولكم إلى مجرد التلويح عن نقل يوجد لسيدنا العلامة الوالد محمد بن عقيل رحمه الله بمجموعته (ثمرات المطالعة).

وحقاً إنه يكاد من الصعب الوقوف على ما يعضد ما وجد بالمشجر الكشاف وأنه على الرغم مما تم لنا من الاطلاع سابقاً وحديثاً على طائفة عديدة من كتب علماء النسب واستقصاء ما نقله أئمة الشأن، وفطاحل هذا العلم عن الإمام أحمد ابن عيسى، وذكر ماله من العقب لم يتح لنا أن نظفر بما يعضد ما وجد بالمشجر الكشاف، ولعلكم تجودون علينا بصورة حرفية لما تشيرون إليه من ذلك النقل الذي بثمرات المطالعة، فإن المعروف من عادة سيدنا الوالد المرحوم محمد بن عقيل أن يعزي ما ينقله[1].

= القرن التاسع وبعضها إلى القرن العاشر فضيلة العلامة النحرير والجهبذ الشهير السيد صادق آل بحر العلوم.

(١) يبعد في نقل شاذ كهذا أن يتصدى العلامة المرحوم ابن عقيل لا يراده بدون عزو ولا تعليق، ولا يعقل أنه لا يتنبه إلى ما يترتب من الحكم - لو قيل بصحة هذا النقل - بأن أهل هذا الشأن من علماء الحضرميين (بمن فيهم من نسابين ومؤرخين علويين وغير علويين) كانوا قد عاشوا في جهل فاضح=

ومهما لم يرد ما يعضد نقل المشجر الكشاف هذا بفرض التسليم بأنه نقل المؤلف فانه يكون نقلاً شاذاً تفرد به صاحب المشجر الكشاف، ولا يوجد من يعضده فيه؛ إذ هو مخالف لما نقله الأوثق والكثرة من جهابذة ومحققي هذا العلم

= وغفلة تامة عن هذا النقل، وهم ممن يعنيهم أمر البحث عنه قبل سواهم، ويفتقرون إلى العلم والإحاطة بمثله لاتصاله برجل تاريخي عظيم أصبح تاريخ حياته قاعدة كبرى من قواعد التاريخ الحضرمي، وإذن يكون توارد النسابين والمؤرخين الحضرميين على قول واحد مطرد (من صرح منهم بالنقل عن ابن عنبة، ومن لم يصرح بان الملقب بالنقاط هو أبو القاسم أحمد بن الحسن الدلال أمر لا يعهد له مثل في الغرابة، وهيهات الظن بالعلامة ابن عقيل أن يكون قد فاته الإطلاع على المتداول المعروف من كتب النسابين والمؤرخين الحضرميين المصرحة بذلك كمشجر الإمام علي زين العابدين العيدروس (المولود سنة ٩٨٤ والمتوفى سنة ١٠٤١)، وسلسلة نسب السادة الأشراف للنسابة السيد علوي بن أحمد عيديد (المتوفى سنة ١٠٩٣)، ومصنفات السيد العلامة علي بن شيخ بن شهاب الدين المتوفى سنة ١٢٠٣ وقيل سنة ١٢٢٣ والفقيه النسابة مفتي الديار الحضرمية السيد عبدالرحمن بن محمد المشهور المتوفى سنة ١٣٢٠هـ، وككتاب (الغرر) لخرد، و(المشرع الروي) الشلي)) ونحوهما من كتب المؤرخين وهي موجودة بتريم وغيرها، وقد استوعب مؤلفوها فيها النقل عن كتاب (الجواهر السنية) للإمام الشيخ علي بن أبي بكر بن الشيخ السقاف (المولود ٨١٨ والمتوفى سنة ٩٩٥، وكتاب الفقيه النسابة عبد الله بن أحمد بن كثير الحضرمي ولعله المكي المولود بحضرموت سنة ٨٤٢ والمتوفى بمكة سنة ٩٢٥) الذي ذكر صاحب (الغرر) أنه اختصر فيه (عمدة الطالب) لابن عنبة وبسط فيه نسب آل أبي علوي، وأيضاً مما حققوه عن مشجر النسابة الشهير علي بن أحمد باجبهان (المتوفى سنة ٩٧١).

وكذلك مما استوفوا ضبطه عما كتبه وألفه من جاء بعد هؤلاء من بقية النسابين المحققين كالقاضي أحمد ابن حسين بلفقيه، والإمام عبدالله بن شيخ العيدروس، وسيدنا عبدالله بن أحمد العيدروس، والعلامة عبدالرحمن بن محمد العيدروس، والسيد الفاضل عبدالله بن الفقيه عبد الرحمن الحبشي، والإمام عبدالله ابن أحمد بلفقيه، وابنه الإمام الشهير عبدالرحمن بن عبد الله بلفقيه.

وخلاصة ما نعلق به من القول: هو أن مثل العلامة ابن عقيل لا يفوته فهم الموقف بحيث يدع نقلاً كهذا يمر به دون تعليق فضلاً عن أن يتسامح في إثباته دون عزو، فهو ممن لا يغيب عنه العلم بأهمية مقام ابن عنبة بين النسابين الذي يضاهي مقام النووي محرر المذهب بين فقهاء الشافعية، وممن لا يجهل مكانة كتاب عمدة الطالب الذي هو بمنزلة منهاج الطالبين، وخذ مثالاً مما صرحوا به بهذا الصدد وهو قول الإمام الحجة النحرير عبد الرحمن بن عبد الله بلفقيه عند إشارته إلى صحة الاحتجاج بكتب النسب المعتبرة ((ومن أحسن المؤلفات فيه وأتقنها كتاب (عمدة الطالب في نسب آل أبي طالب) للشريف الإمام أحمد بن عنبه الحسيني ومختصراته المشهورة فهي عمدة المعتمدين، وعدة المجتهدين في عموم انساب أهل البيت اهـ.

ممن لا يعرفون هذا الذي ذكره المشجر الكشاف عن كون الإمام أحمد بن عيسى كان يلقب بالنفاط، وهم أحرى أن يسبقوه إلى العلم بذلك ويحسنوا ضبطه؛ لقُرب عهدهم كالإمام العمري[1] الذي انتهى إليه علم النسب، وصار قوله حجة من بعده، والذي كان يسكن البصرة إلى سنة ٤٢٣ سنة الأربعمائة والثلاث والعشرين (وسيأتي النقل عنه في موضع آخر)، وكالنسابة المحقّق السيد أبي فضل الموسوي الكاظمي في كتاب (النفحة العنبرية في أنساب خير البرية)[2] الذي قال عند ذكر الإمام أحمد بن عيسى: ((ومن ولد عيسى السيد أحمد المنتقل إلى حضرموت، فمن ولده هناك السيد أبو الجديد القادم إلى عدن في أيام المسعود طغتكين سنة ٦١١)). ثم سرد نسب أبي الجديد فقال: ((وهو أبو علوي ابن أبي الجديد بن علي بن محمد بن أحمد جديد بن علي بن محمد بن جديد بن عبد الله بن أحمد بن عيسى بن محمد بن علي العريضي))[3].

وكأبي نصر البخاري[4] وغيره وكابن عنبة الذي تقدم تصريحه عمن يلقب بالنفاط في بني عيسى النقيب، فجعله لأبي القاسم أحمد بن الحسن الدلال،

---

(١) هو نجم الدين أبو الحسن علي بن أبي الغنائم محمد بن علي الصوفي العمري (يرجع نسبه إلى عمر الأطرف بن الإمام علي عليه السلام، الإمام الحجة، مرجع علماء أنساب الطالبين). قال ابن عنبه عنه: (سخر الله له هذا العلم ولقي فيه شيوخاً أجلاء) كان حياً سنة ٤٤٣، ومن شيوخه في هذا العلم والده أبو الغنائم، وشيخ الشرف العبيدلي، وأبو عبد الله الحسين بن محمد طبا طبا.

(٢) توجد نسخة من هذا الكتاب بمكتبة آل كاشف الغطا بالنجف الأشرف تحت رقم ٧ بالفهرست العام.

(٣) صوابه علي بن محمد وكأن زيادة (ابن) من أخطاء الناسخ وقد يلقب بأبي الجديد المنسوب فيه إلى جده الأعلى جديد بن عبد الله بن أحمد بن عيسى لشهرته بذلك في بعض الجهات، والمؤرخون اليمنيون يسمونه هكذا فيقولون الشريف أبو جديد أو أبي الجديد مجرداً عن اسمه الخاص. أما ما يتبادر من إشكال ما جاء من قولنا: ((و قد يلقّب بأبي الجديد المنسوب فيه إلى جده الأعلى)) فهذا ما يرجع إلى ما جرى عليه الاستعمال المعهود بحضرموت فنجدهم يقولون فلان باعلوي أو بافضل أو باكثير يعني ابن علوي وابن فضل وابن كثير.

(٤) هو سهل بن عبد الله البخاري النسابة المعروف عاش في النصف الثاني من القرن الرابع.

وكالمخزومي صاحب (صحاح الأخبار في نسب السادة الفاطمية الأخيار)[1].

فإنه في كتابه المشار إليه في آخر ما أورده عن أولاد عيسى النقيب قال ما نصه: «وأما أحمد بن عيسى النقيب فقد كان له أولاد منهم أبو القاسم الأبح النفاط» وقال في نهاية ما أورده: هذا ما اتفق عليه النسابون من عقب عيسى النقيب.

ومما يحسن التنبيه عليه والإشارة إليه هو أن بمعظم الكتب التي أتيح لنا الوقوف بواسطتها على ما له صلة بهذا الصدد لهي كتب البحث في النسب التي هي – لا المشجرات – تضطلع بمهمة تحرير البحث، وتستقل بتفصيل القول وحكاية الخلاف وتحقيقه وتوضح نقط الإشكال مما به يُؤمَن الغلط، ويندفع الالتباس.

ومن بين هذه الكتب ابن عنبة هذا الذي يقول مؤلفه كما في مقدمته حينما أخذ في التمهيد، فذكر ما بلغ إليه علم أنساب العلويين والفاطميين من قيام الأئمة في مختلف الأزمنة على تصحيحه ونهوض الجهابذة على ممر الدهر والأوان بتنقيحه يقول عن قصارى مرماه من تأليفه ما نصه: «جمع مختصر يجمع أصل نسب الطالبية وقواعده، ويحوي خفي أسراره ويضبط معاقده، منبّهاً على ما وقفتُ عليه من خلاف، مشيراً إلى ما كان من نفي، أو غمز بإنصاف: انقل كلام الرواة كما وقع إليَّ وأتحرى نصوص الثقات كما يجب عليَّ، لم أتعمد جهدي إثباتاً لمنفي، ولا نفياً لثابت، ولم أقصد من عندي إيضاحاً لخفي، ولا طعناً في غير متهافت، بل أعتمد على الحق الصريح، وأتحرى الصدق في إبطال وتصحيح».

ومعروف أن ابن عنبة هذا هو ممن اعتمده صاحب المشجر الكشاف، واقتبس من كتابه بالحرف في مواضع كثيرة من هذا المشجر.

ونزيد أن مما ذكروه (أي علماء النسب) ما قد يُمنى به المشجرات من

---

(١) هو السيد العلامة محمد سراج الدين المخزومي (ينتهي نسبه إلى الإمام موسى الكاظم) ولد بواسط (العراق) سنة ٧٩٣ وتوفي ٨٨٥ وكتابه هذا مطبوع بمطبعة بنخبة الأخبار في هندي بازار بمدينة بمبي (الهند) سنة ١٣٠٦ هجرية.

أغلاط، ويتفق وقوعه فيها أحياناً من التشويش والتحريف والتصحيح ووصول الخطوط على غير الصواب.

بعد ما تقدّم نذكر هنا ما يبدو من وجوه الملاحظات حول الاحتمال الذي أورد تموه:

فالوجه الأول: هو أنه لا محل للتسليم باحتمالكم بأن النفاط لقبٌ لجميع آل أحمد بن عيسى، منهم آل الأبح، وأن أبا القاسم ورث هذا اللقب كغيره من آل أحمد بن عيسى – طبعاً – عن سلفه أحمد بن عيسى، وذلك مادام أن الغالب - إن لم تقل المحقَّق - هو أن ما في المشجر الكشاف مهما قيل بصحة نسبته للمؤلف لا يخرج عن كونه نقلاً شاذاً، وانفراد ثقة بما يخالف ما ذكره الثقات، وهو ما يظهر لمن طالع مؤلفات العشرات من المشاهير والمتقدّمين في هذا العلم من قدماء النسابين ومتأخريهم سيما من تتبعوا في كتب أبحاثهم أقوال من تقدمهم، وكان مشهوداً لهم بطول الباع، وسعة الإحاطة، ومزيد التحري، ولمؤلفاتهم بدقة التحقيق والاستيعاب فإنه بحسب ما وصل إليه بحثي في ثلاثين عاماً في عديد من كتب أنساب الطالبين عما يتعلق بالإمام أحمد بن عيسى يتعسّر على الباحث أن يجد بين قدماء النسابين من عرف شيئاً عن هذا النقل، أو أن يصادف بين متأخريهم من حكاه، بله التعريج للأخذ به، والتعويل على مثله في الاعتماد والاحتجاج.

فهذا الإمام النسابة العمري وهو مَنْ انتهى إليه علم النسب في زمانه، وصار قوله حجة من بعده، وكان ساكن البصرة، وله الإلمام والنقل عن أبي الحسن الأشناني نسابة البصرة ومشجرها، ثم انتقل عنها في سنة ٤٢٣ الثلاث والعشرين بعد الأربعمائة، وكان أبوه نسابة أيضاً – ولو كان لمثل هذا الإمام الحجة المجمع عليه من أساطين علماء النسب أن يَعرِف شيئاً عن هذا النقل، أو يسمع بتلقيب الإمام أحمد بن عيسى بالنفاط – كما تذهبون إليه في الاحتمال، أو أن ذلك كان لقباً عريقاً لجميع آل أحمد بن عيسى توارثوه خلفاً عن سلف لكان

أولى أن لا يفوته نقل لقب، كهذا يتوارثه سلالة من سلالات عيسى النقيب الشهير الذي يقول فيه: ((وكان نقيباً وجيهاً ويعرف بالرومي))، وذلك لأنه ما بالعهد من قدم بين عصر العمري، والعصر الذي عاش فيه الإمام أحمد بن عيسى؛ ولأنه كان من ساكني البصرة كما أسلفنا، وكانت هي دار سكنى الإمام أحمد بن عيسى إلى سنة ٣١٧ سبعة عشرة بعد الثلاثمائة حينما ارتحل عنها بعبد الله أصغر أنجاله، وأكبر الظن أنّ ارتحاله كان وهو حوالي الأربعين من العمر على ما يفهم، وتخلّف بقية أولاده هناك.

أو بعبارة أخرى لو كان لهذا التلقيب من ذِكْرٍ أو شهرة لما كان لهذا الإمام أن يقول في كتابه المجدي (عمدة علماء النسب)[1] عند ذكره لأحمد بن عيسى هذه العبارة الخالية عن أية إشارة إلى هذا اللقب وهي قوله: ((ومن عقبه ببغداد محمد ابن علي بن محمد بن أحمد بن عيسى بن محمد بن العريضي))، وهاك مثالاً من تحقيقاته الدقيقة فيما أورده عن الإمام عيسى النقيب وفروعه في كتاب (المجدي) أيضاً من قوله: ((وأكثر النسّاب يمنع أن لعيسى الرومي النقيب بن محمد الملقب بالكبير أخ يقال له عيسى وإنما كبير لأجل ابن ابنه المعروف بعيسى الصغير بالإضافة إلى جده)).

والوجه الثاني: أنه يضاف إلى ما سلفنا أن علماء هذا الشأن لا يقتصرون على حكاية ما يعرف من خلاف بين أن يكون هذا أو ذاك مثلاً الملقب بذلك اللقب بل إن من قواعدهم أنهم يتحرون ويضبطون فوق ذلك ما إذا كان عقب الملقب قد عهد توارث هذا اللقب فيهم واشتهروا به، فنجدهم يقولون عند ما يذكرون من عرف تقليدهم بلقب أصولهم ومنهم فلان الملقب بكذا يقال لولده

---

(١) صنف الإمام العمري كتابه (المجدي) لنقيب النقباء مجد الدولة أبي الحسن أحمد بن نقيب النقباء أبي يعلى فخر الدولة (يتصل نسبهم إلى إسماعيل بن جعفر الصادق)
وتعد النسخة التي من هذا الكتاب بمكتبة آل كاشف الغطاء بالنجف تحت رقم:- ١٤١ من الفهرست العام نسخة ثمينة جدا فهي منقولة من خط العالم النسابة ابن طاووس من أهل القرن السابع.

بنو كذا أو يعرف أو يدعي عقبه بكذا، أو يقولون تارة وجد آل كذا هو فلان الملقب بكذا.

والوجه الثالث: أن المعهود أن يكتفى في الملقبين مثلا بآل الخطيب أو آل الحايك بلقب أول من عرف فيهم بهذا اللقب، ولا يتفق أن يلقب من اشتهر من عقبه بالخطابة بعد ذلك الجد الأول (الذي سبق لهذا العقب إن ورث عنه هذا اللقب أو النسبة) إلا مقيداً بنحو الخطيب الثاني أو الخطيب الأصغر ليكون عاملاً لتمييزه، ودافعاً للاشتباه بالأول أو الأكبر أو القديم، وعلى قياس ما أخذتم به في الاحتمال أن يجرى تلقيب أبي القاسم بالدلال لأنه اللقب المعروف لأبيه الحسن الدلال الذي هو أدنى إلى إطلاقه عليه؛ إذ يكون أخص لتمييزه والتعريف به، لا أن يُلقب بلقب جده أحمد بن عيسى الذي لا يفترق فيه عن بقية أفراد عقبه – وهم عديدون ويعمهم اللقب – حيث يقع أحمد بن عيسى الجد الرابع لأبي القاسم النفاط.

والوجه الرابع: أن تخصيص ابن عنبة أبا القاسم عند ذكره له بتلقيبه بالنفاط – سيما لدى سرد أصوله فيما يحتويه عمود النسب – وكون هذا التلقيب جاء مقروناً بذكر علة سبب إطلاقه لهو مما يقتضي اختصاص أبي القاسم بهذا اللقب (في أولئك المذكورين من بني عيسى الأكبر بعمود النسب) وإلا لم يكن لتخصيصه بالذكر ولا لاقترانه بذكر العلة معنى ولا فائدة.

فينتج من التعليل انتفاء هذا التلقيب عن أبي القاسم لو لم يوجد المسبب له وهو اتجاره بالنفط كما يشعر بالأولى أيضاً حصر سبب اختصاصه بهذا اللقب في كونه يتجر بالنفط بإفادة معارضة ما نهجتموه في احتمالكم من افتراض وراثة انتقل إلى أبي القاسم عن طريقها هذا التلقيب وهذه السيرة أو التقليد الوراثي في بيع النفط علاوة على أنه يدل على أن النسابين لا يعرفون شيئاً عما ذكره المشجر الكشاف في أن أحمد بن عيسى كان يلقب بالنفاط.

وأعني بالنسّابين ابن عنبة إلى العمري والبخاري والموسوى الكاظمي وغيرهم ممن ساقوا ذكر بني عيسى النقيب في مؤلفاتهم، ولم يشيروا عند ذكرهم لأحمد بن عيسى إلى هذا الذي ذكره المشجر الكشاف، والحال أنه ليس هناك ما يمنع مع أن الأنسب والمعهود لو كان لما ذكره المشجر الكشاف من أصل عند النساب إنما هو الإشارة عند ذكر أحمد بن عيسى حيث يكون أدنى إلى أن يتناول الأصل والفروع – كما هو مرادكم بهذا الاحتمال – لا أن يتأخر ذكره فيقع عند ذكر أبي القاسم وهو فرع واحد من فروع أحمد بن عيسى المتعددين

والوجه الخامس: أن ما يجرى من صنيع المؤلفين في أي علم من العلوم – مما تقتضيه الذمة والأمانة في النقل وخدمة العلم – أن يحكي المصنِّف ما اشتهر عن مخالفيه فيما ينقله، وأن يشير إلى ما يستند إليه في مخالفتهم، وخاصة فيما يخالف فيه متقدمي هذا العلم ويتفرّد به عن الأئمة الثقات والأعلام الأثبات الذين هم المرجع فيما ينقله أرباب التحقيق لهذا العلم، ومصنف الكشاف هو كما تقدم ممن اعتمد ابن عنبة، فيندر من مثله أن لا يلتزم النهج الواضح، ويجرى على سنن قويم فيما يأخذ ويذر، كما يندر أن يقع منه أنه بينما يذكر لقباً لأحمد بن عيسى غير معروف عند النساب – فيورده عارياً عما يستأنس به في خلاف من تقدمه، وبينما يسلك في هذا على خلاف المعروف من صنيع العلماء فيما يبدو أنه غريب أو شاذ مجهول عند معظم المشتغلين بالعلم أو بالفن – يعمد في الناحية الأخرى ويسقط من مشجره ما هو معتمد ومقرر، فلا يعرج من قريب ولا من بعيد على ذكر أبي القاسم النفاط ولا لقبه ويقتصر في ذكر عقب أبيه الحسن الدلال من محمد بن علي ابن أحمد بن عيسى على ذكر أخويه فقط (و هما أبو جعفر محمد ومحمد الآخر) مع ما لأبي القاسم من شهرة في كتب أنساب الطالبيين.

اللهم إنا ننزه مثل العلامة السيد شمس الدين محمد بن أحمد العميدي النجفي[1] عن التعريج على أمر كهذا.

---

(١) يؤخذ من صفحة (١٤٩) من المشجر الكشاف أن مؤلفه كان يعيش في سنة ٩٢٧ سبع وعشرين بعد التسعمائة.

ولا نعتقد فيما حصل من هذا القبيل إلا أنه إما من أخطاء النساخ، أو من باب سبق القلم، أو نتيجة تطرق الوَهْم بانتقال الذهن من أحمد بن عيسى الجد الذي يقع في قاعدة الغصن بصحيفة (٥٢) من المشجر الكشاف إلى أبي القاسم أحمد الذي لو أثبت ذكره في عقب أبيه لكان يأتي في الطرف الأعلى من هذا الغصن وأنه عن هذا التصحيف أو الانتقال كان ما كان.

وبهذا ينتهي ما يبدو لذهني القاصر من وجوه الملاحظات، سائلاً من الله تعالى أن يجعلنا من أولئك الذين يدورون مع الحق، ويعز عليهم أن يكون جنوحهم إلى غير الصواب.

* * *

التقاريظ
صورة ما كتبه بعض أعلام العلماء وفضلاء المؤرخين بحضرموت على ظهر هذا التاليف من تقريرات وملاحظات

كتب صاحب الفضيلة العلامة الأوحد العلم المنفرد مفتي الديار الحضرمية السيد عبدالرحمن بن عبيد الله السقاف لدى اطلاعه على هذا التأليف الذي يحوي مقتطف الرسالة والذي يتم بواسطته الإحاطة بمبحث النقاش ما مثاله.

أما بعد: أحمد الله فقد كررت الجرع من سلاف هذا الرحيق، وسرحت النظر في رياض هذا التحقيق. فألفيته عين الصواب فبمثله أقول في الجواب، وأحمد الله إذ وافق ما نقلته في ترجمة المهاجر من (البضائع) عن ابن عنبة وهو قوله ((ومن عقبه - والضمير للمهاجر- أبو محمد الحسن بن محمد بن علي بن محمد بن عيسى المعروف بالدلال، ورآه شيخنا وكان له أولاد منهم أبو القاسم المعروف بالنفاط. لأنه كان يتجر في النفط)) اهـ[1] فاللقب عليه قاصر وليس للقائل بغيره

---

(١) يظهر لمن استقصى ما نقله النسابون والمؤرخون الحضرميون في هذا الموضع أن هذه هي عبارة النسخة التي اعتمد النقل عنها نساب ومؤرخو حضرموت من ذلك الكتاب (عمدة الطالب)، وقد يدرك الناظر المغايرة الطفيفة التي تقع بين ما نقلناه آنفا عن النسخة المطبوعة بالعراق وبين هذه العبارة التي توجد بكتب النُسّاب والمؤرخين بحضرموت.
فعبارة النسخة العراقية ((ومنهم أحمد الأبح بن أبي محمد الحسن الدلال الخ)) وعبارة هذه النسخة التي اعتمدها الحضرميون ((ومن عقبة (يعني احمد بن عيسى) أبو محمد الحسن الدلال الخ)).
ويزيد نقل (المشرع) وبعض المؤرخين بقوله عن أبي محمد الحسن الدلال ((قال ابن عنبة رآه شيخنا)) والمعروف أن مراد ابن عنبة بقوله شيخنا هو شيخ شيوخه أبو الحسن العمري صاحب (المجدي)، لا أستاذه السيد تاج الدين ابن معيه النسابة الحسني المتوفى سنة ٧٧٦ الذي تخرج عليه ابن عنبة والذي يقول كما في ص ١٥٨ شيخي المولى...الخ.
أي فهو من باب ما جاء في كتاب (كشف الظنون)؛ إذ قال عند ذكر كتاب (عمدة الطالب) هذا ((أخذه من مختصر شيخه أبي الحسن علي بن محمد بن علي الصوفي، ومن تأليف شيخه أبي نصر سهل بن =

ناصر. ولئن جرت عادة الألقاب بالتدلي فإنها لم تجر بها عادة بالتعلي، وكم للزبيدي على إمامته من أوهام في (تاجه) عن العلويين مع تسمته آثار شيخه الإمام سليمان بن يحيى في الأخذ عنهم، والانتماء إليهم وشدة التعلّق بهم فضلاً عمن دونه. أما ما ذكره صديقنا الحجري النبيل. وعزاه إلى المرحوم الوالد محمد ابن عقيل. فقد حكم عليه الأستاذ بأنه من نوع الشاذ وذلك موافق لما قرر في علم الأثر. وقد قلت في نظمي لنخبة الفكر:

و احكمْ عليه بالشذوذ إن أتى بغير ما رجحانه قد ثبتا

عبد الرحمن بن عبيد الله

في ٢ ذي الحجة سنة ١٣٦٣

* * *

وكتب حضرة المؤرخ الأستاذ الكبير الشهير السيد محمد هاشم بن طاهر هذا التعليق القيم:

تأملتُ بسم الله ما رقمته براعة البحاثة عبد الله بن الحسن بلفقيه العلوي في رسالته لفضيلة الشيخ محمد بن أحمد الحجري اليمني من البحث العميق عن الملقب بالنفاط فألفيته بحثاً كشف عن الموضوع جلياً حتى كاد يصبح من البديهيات لدى قارئ الرسالة المشار إليها وعليه فلعل كلمتي هذه تكون تحصيل

= عبد الله البخاري؛ إذ لا يبعد أن يكون العمري الذي أورد ذكر محمد بن علي بن احمد بن عيسى والد الحسن الدلال في كتاب (المجدي) قد عاش بعد تأليفه هذا الكتاب وقتاً أدرك فيه أبا محمد الحسن الدلال سيما أنه يتضح لنا هناك ما يقرب وقوع هذا وذلك بالقياس إلى أن أبا الحسن الدلال يقع بين المتبين إلى أحمد بن عيسى في طبقة علوي بن محمد والد خالع قسم علاوة على ما يعرف بأن عبيد الله بن أحمد ابن عيسى كان أصغر أولاد أبيه المعقبين (حاشية إضافية للمؤلف).

حاصل فليتقبلها الناظر برحيب صدر وسعة بال.

ومع اعترافي بأنني لست من فرسان هذا الميدان ولا من رجالته فانه لا يعزب عن فهمي تداعي نص المشجر إذا لم تكن هناك دعامة لتصويبه غير محاولة عضده بعبارة ابن عنبة التي لا تمت إلى ذلك النص بأية صلة كانت – تلك المحاولة التي نسفتها ملاحظات الرسالة الخمس نسفاً لم يبق لها أي أثر ولم يذر.

ولا يسرني أن أصرح بأنه قد خفي عن نظري ذلك المسوغ الذي ربما برز لفضيلة الشيخ محمد الحجري أن يجعل اسم كان في عبارة ابن عنبة هو أحمد الأبح وسلفه معاً أو هو أحمد بن عيسى وخلفه إذ ذلك مخالف للمعهود في العربية التي تحكم بعود الضمير [على الاسم] الظاهر الأقرب وهو هنا إن لم يكن أحمد الأبح نفسه الذي يعد ما بعده صفات ومضافات تعود إليه فالاسم الظاهر الأقرب هو عيسى الأكبر وتلقيبه بالنفاط لم يقل به أحد.

ومن دواعي الأسف أنه لم يكن الآن بين يدي ولا كتاب واحد من كتب الأنساب بيد أن الذي حفظته الذاكرة من قديم هو أن عبارة ابن عنبة هكذا نصها: وكان له (أي الحسن بن محمد بن علي بن محمد بن أحمد بن عيسى) أولاد منهم أبو القاسم المعروف بالنفاط (لكونه يتجر بالنفط) وكان له بقية أولاد ببغداد. والحق أنني لا أذكر من أين اقتنصتها لقدم العهد ولعلها من (المشرع الروي) نقلا عن ابن عنبة فليراجع.

أما سادتنا آل الأبح فقد نسمع بذكرهم دائراً على الألسنة والأقلام ولكننا لم نسمع بإضافة النفاط إلى – آل – الأمر الذي نستروح منه عدم تحقق التعليل أو الترجي بلعل الذي حاول به فضيلة الشيخ محمد الجمع بين المتباينين، وما أبرئ نفسي من السهو، وقصور الباع فمن حفظ حجة على من لم يحفظ، فليرشدنا متّع الله به إلى ما لعلنا سهونا عنه. واختم هذه الكلمة بالشكر لفضيلة الشيخ محمد والسيد عبدالله فقد ذكّرانا من العلم ما يشوّق البحث فيه.

حفظهما الله وأيدهما وجميع الباحثين.

محمد بن هاشم

١٠ - ١٢ - ٦٣

* * *

وخط قلم الأستاذ البحاثة العبقري الأديب المؤرخ الأصولي السيد صالح بن علي الحامد هذه الملاحظات المهمة.

بسم الله، وأحمده تعالى إذ أتاح لي العثور على ما كتبه الأستاذ المحقّق والمؤرخ المدقّق السيد عبد الله بن حسن بلفقيه العلوي جواباً على رسالة من فضيلة الأستاذ محمد بن أحمد الحجري اليمني حول النقاش والبحث في الملقب بالنفاط من بني عيسى النقيب، وقد عجبتُ جداً لما كتبه السيد عبدالله، ولما استحضره مما كاد يثير دهشتي من البراهين المتينة، والنصوص الثمينة، الأمر الذي كاد يمنعني عن أن أدلي بدلوي في البحث، أو أن آخذ لي مجالاً في هذا المضمار. ولكن حسن ظن الأخ الفاضل شجعني على المشاركة، ودفعني لأن أتناول القلم لأكتب ما سنح لي مقتنعاً بأن حسبي أن أكون قد عبّرت عن رأيي في هذا البحث وكفى.

لقد لاحظتُ بعناية وجهة نظر الأستاذ الحجري اليمني وما حاوله من الجمع والتوفيق بين الذي نقله جمهور الباحثين في أنساب العلويين من أن النفاط لقب لأبي القاسم أحمد بن الحسن الدلال بن محمد بن علي بن محمد بن أحمد بن عيسى النقيب، وبين الذي قاله صاحب (المشجر الكشاف) من أن النفاط لقب السيد الشريف أحمد بن عيسى الجد الثاني لجد أبي أحمد بن الحسن المذكور، وأن اللقب صار عاماً لآل أحمد بن عيسى جميعهم.

ولا شك أن الجمع في ذاته مستحسن إذا أمكن، وكان مستساغاً عقلاً وذوقاً، ولكني أراه هنا غير ممكن ولا مستساغ من وجوه.

أولا: أن تكلف الجمع بين الروايات إنما يرجع إليه عند عدم الترجيح بينها وما هنا على خلاف ذلك، إذ تترجح رواية العمري وابن عنبة وغيره من النسّابين على رواية (المشجر) من جهات عديدة:

منها: أن القائلين بأن النفاط لقب لأبي القاسم أحمد بن الحسن المذكور، ومنهم ابن عنبة والعمري قبله وغيرهما – هم أقدم عهداً من صاحب (المشجر الكشاف)، فهم بذلك أقرب إلى الاطلاع على الحقيقة من سواهم ممن أتى بعدهم، وهذا من مقتضيات الترجيح. كيف وقد عدّ الأصوليون من مقتضيات الترجيح علو الإسناد فضلاً عن قرب العهد.

وفيها أن النسّابين ذكروا أن لقب النفاط لأبي القاسم المذكور وبيّنوا السبب وهو الاتجار في النفط. وصاحب (المشجر) ذكر اللقب ولم يبين السبب وذكر السبب من مقتضيات الترجيح أيضاً كما في كتب الأصول.

ومنها أن العمري وابن عنبة هما اللذان إليهما المرجع في أنساب الطالبيين. ولا شك أن مزكيهم أكثر من مزكي سواهما، وكان عليهما اعتماد الناس في أنساب العلويين قديماً وحديثاً فاقتضى ذلك ترجيح قولهما. فمن هذه الجهات صار تكلف الجمع بين هؤلاء العلماء النسابين والقول الذي تفرد به صاحب (المشجر الكشاف) غير محتاج إليه ولا لازم.

والثاني: من وجوه عدم احتمال الجمع أن طريقة الجمع إنما تسلك تفادياً من التعارض والتخالف بين الروايات. والجمع الذي ذكره الأستاذ الحجري لا يدفع هذا التعارض والتخالف، اذ القول بأن النفاط لقب للجد أحمد بن عيسى المهاجر إلى حضرموت. يقتضي أنه المتجر في النفط لا حفيد حفيده، كما يقول النسّابون الذين جعلوا السبب لهذا اللقب لأبي القاسم أحمد بن الحسن الدلال

هو اتجاره في النفط. فالتخالف ليس في لقب فقط بل في لقب وحِرفة، فلو سلّم أن اللقب عَلَمٌ لآل أحمد بن عيسى فلا يمكن استساغة القول بأن هذه الحِرفة وهي التجارة في النفط عامة فيهم. وأي تخالف أوضح من أن يقول النسّابون أن النفاط لقب لأحمد ابن حسن الدلال لأنه كان يتجر في النفط فيقول محاول الجمع: لا إنما النفاط لقب ورثه عن جده أحمد بن عيسى.

والثالث: من وجوه عدم احتمال الجمع لو أننا أردنا تخليص صاحب (المشجر الكشاف) من الغلط بهذا الجمع الذي اختاره الأستاذ الحجري فنكون بذلك قد ورطنا في هذا الغلط جماعة النسّابين سواه من جهابذة هذا الفن كالعمري وابن عنبة والمخزومي وأبي فضل الموسوي وسواهم ممن ذكرهم الأستاذ عبد الله في رسالته هذه. وأوقعناهم في وصمة الغفلة وعدم الاطلاع لتخصيصهم هذا اللقب بأحمد بن الحسن الدلال، تم تعليلهم لهذا التخصيص، والحال أن اللقب كما يرى الأستاذ الحجري عام لجميع هذه الأسرة. فنهرب من تغليط لواحد إلى تغليط الجماعة كالمستجير من الرمضاء بالنار.

والرابع: من وجوه عدم احتمال الجمع؛ أننا لو سلّمنا بالتوسع في طريقة الجمع حتى بين الشاذ وغيره والتوفيق بينهما – فالسبيل في ذلك حمل الأضعف على الأقوى لا العكس، ومقتضى احتمال الجمع الذي رآه الأستاذ الحجري هو العكس؛ إذ هو يحمل ما قاله جمهور النسّابين من اختصاص لقب النفاط بأبي القاسم بن الحسن الدلال على ما تفرّد به صاحب (المشجر) وهو شاذ – وذلك ممنوع.

على أنه قد يحوجنا تكلف هذا الجمع – إذا لاحظنا تعليل اللقب وسببه ووراثتهما عن الجد أحمد بن عيسى – إلى تحمل عبء ثقيل هو دعوى أن آل أحمد ابن عيسى جميعهم ورثوا تجارة النفط عن جدهم طبقة بعد طبقة إلى عهد أبي القاسم أحمد بن الحسن المذكور. فنبني على الخيال والاحتمال حقائق تاريخية لا يؤيدها تاريخ ولا يدعمها نقل. وهذا غير جائز ولا مستساغ، فما في (المشجر

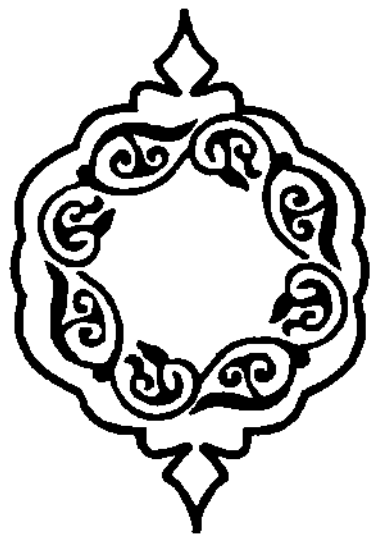
الكشاف) من القول بأن النفاط لقب للسيد أحمد بن عيسى النقيب هو - كما قال الأستاذ عبدالله – شاذ، والظاهر أنه غلط من النساخ، أو سبق قلم المؤلف، أو انتقال ذهني منه من الحفيد إلى الجد، وسبحان من لا يسهو.

وفي الختام أشكر جناب الفاضلين الأستاذ محمد الحجري، والأستاذ عبد الله بلفقيه العلوي على ما أثاراه من البحث والنقاش في هذا الموضوع الدقيق. بهذا التساجل الدال على أدبهما الجم، وطبعهما الهادي، وبحثهما الممتع العميق، لازالا مصدراً للعلم والتحقيق. والله أعلم.

كتبه صالح بن علي بن صالح العلوي

سيئون ١٢ ذي الحجة سنة ١٣٦٣





الشواهد الجلية

في نقض القاعدة الخلدونية

بسم وبحمده، والصلاة والسلام على خير خلقه سيدنا محمد وآله وصحبه..

أما بعد: فهذا بحث وجيز نأخذ فيه بمعرض الدراسة والنظر فيما يتعلق بالنظرية الخلدونية التي ذكرها المؤرخ الكبير العلامة عبد الرحمن بن خلدون الحضرمي[1] بمقدمته الشهيرة، أو بما نسميه على سبيل التجوز بـ(القاعدة الخلدونية) وهي التي وضعها، وحاول أن يجعلها أصلاً وقانوناً يرجع المحقّق إليه في تمييز سلاسل الأنساب المضبوطة العد عن غيرها من السلاسل المغلوطة العد، أي المنقوصة أو المزيدة..

وسيأتي ما ذَكره هنا المؤرخ من الكلام الذي يقرر به القاعدة عندما نتناول الشروع في البحث لدى الانتهاء من هذه التوطئة.

أما سبب التصدي لهذا البحث أن حضرة المستشرق الإنكليزي الدكتور البحاثة ر.ب. سارجنت (دكتور في الفلسفة وعضو قلم البحوث في المستعمرات[2]، ومحاضر أول في اللغة العربية بجامعة لندن) الذي قام بزيارة

---

(١) ولد بتونس سنة ٧٣٢هـ وتوفي بمصر سنة ٨٠٨هـ كان جده خلدون بن عثمان قد هاجر من حضرموت إلى الأندلس في رهط من قومه، وينتهي نسبه إلى وائل بن حجر. اهـ مصنفه.

(٢) الاستشراق في أصله كما هو معروف كان مهمة تبشيرية، ولكنه لما بدأت الفكرة الاستعمارية تدب في أوروبا صار مهمة استعمارية؛ إذ يقوم على دراسة الأحوال الشرقية بصورة دقيقة لكي تتمكن الدولة الاستعمارية من تنفيذ المنهج السياسي الذي ينهض عليه أسلوب الحكم للبلاد (مجلة المرشد البغدادية) ص٣٢٩-٣٣٦ العدد التاسع من السنة الثانية الصادر في ربيع الآخر ١٣٤٦هـ وذكر المستشرق (نلينو) في خلال حديث له نُشر بـ (مجلة الهلال) عدد مارس سنة ١٩٢٨م أن الاستشراق يقوم على نوعين: أحدها مثل هذه الأغراض العملية السالفة الذكر، والآخر يقوم على أغراض علمية يهتم من يهتم بهذه الناحية من المستشرقين بدافع الخدمة المجردة لذات العلم. و كلامه هذا لا يعدو الصواب.

وادي حضرموت الرئيسي في خلال سنة ١٣٦٦هـ ١٩٤٧م ، ذكر أن أحد المستشرقين من الألمان[١] قد اغتر بكلام ابن خلدون عن هذه القاعدة حيث قال عن هذا المستشرق الألماني: (إنه لكل مائة من السنين ثلاثة من الآباء)..

صادف أن ذكر لنا عرضاً واتفاقاً – في بعض أحاديثه ما يفهم وما كنا رأيناه حينما ذكر لنا الدكتور سارجنت ذلك عن المستشرق الألماني هو أن لا يفوتنا بهذه المناسبة واجب التنبيه لحضرة الدكتور بأن هذه النظرية لا يصح التسليم بها، ولا يصح اعتبارها ولو كقاعدة أغلبية، فضلاً عن أن تكون قانوناً كلياً مطرداً. وإن من التهافت البيّن محاولة تقرير قاعدة كهذه، وهي على ما هي عليه من مخالفة ما يدل عليه الاستقراء لأحوال الأنساب. ومن أعظم التهافت ما يُراد فوق ذلك من اعتماد نتائج تطبيقها بصورة عامة أو في أغلبية الأنساب، بل نزيد أننا أشرنا لحضرة الدكتور إلى أن هذا الذي ألمعنا إليه هو مما تُبرهن عليه الأمثلة السائرة الجمة، وتُفصِح عنه الشواهد القائمة في الوقائع التي تفوت الحصر كثرة وتعداداً، والتي إن دلت على شيء فإنما تدل بالأقل على اتساع مدى الخلف الهائل الذي يحول دون انطباق هذه القاعدة على أكثر الأنساب.

فهذا هو مؤدى ما علقنا به من التنبيه على قضية ما حكاه عن اعتماد ذلك المستشرق الألماني لهذه القاعدة، ثم إنه بعد انقضاء برهة من الزمان على ما كان قد اتفق أن تحدّث به إلينا بهذا الصدد الدكتور سارجنت لاح للعاجز أنه لن يكفي في نقد مثل هذه القاعدة المأثورة عن مؤرخ كبير كابن خلدون ولاسيما وهي واردة بمقدمته الشهيرة[٢]، ولن يغني في التعقيب والرد عليها وتبيان مدى ما

(١) وهو المستشرق وستنفلد في كتابه (الصوفية في جنوب بلاد العرب) .

(٢) اشتهرت مقدمة ابن خلدون بكونها فريدة في بابها وقد وضعت مؤلفها ابن خلدون في القمة العلياء بين أفذاذ العلماء وأعاظم الباحثين، ولا سيما في فلسفة التاريخ والاجتماع. وللافرنج مزيد تعلّق وتنويه بمقدمة ابن خلدون إلى حد يندر أن يلحق شأوها في هذا المجال عندهم أي كتاب آخر من كتب العرب، وعلى الرغم مما لهذه المقدمة ولمؤلفها من شهرة فائقة ومكانة نادرة بين الشرقيين والغربيين فلا يعني =

فيها من خطل وتهافت غريب أن يقتصر الأمر في ذلك على تعليق كهذا يأتي ضمن حديث عابر، وأنه مادام الشأن له أهميته العلمية فلا سبيل لإلفات الأذهان إلى ما في هذه القاعدة الخلدونية من الخطل والتهافت إلا بالتعرّض لبحث هذا الموضوع ومعالجة الأخذ في نواحيه ببيان واف وتوضيح شاف.

ولئن كنتُ حين لاح لي ما تقدّم ذكره قد عقدتُ النية أن أحاول التصدّي للتأليف في الموضوع في أية فرصة قادمة تتاح بمعونة الله فتساعد عليها الأقدار الإلهية، وتسمح لي بها الحالة الصحية فإني إلى جانب هذا كنت قد حشت ركاب الطلب أيضا بهذا السبيل في توخي تحقيق هذه الغاية بوجه أتم وأوفى بما رأيت أن أبادر إليه برفع سؤال في الموضوع أخذاً بالمثل العربي: «أعط القوس باريها».

وذلك إلى فضيلة مولانا العلامة الحجة، خاتمة النسابين، وعمدة المؤرخين الحبيب الوالد علوي بن طاهر الحداد.

وكنت قد شفعت هذا السؤال بالاقتراح على فضيلته أيضاً فيما ينبغي من إفراد هذا المبحث بتأليف مستقل. يتناول المقام ببيان كاف شاف، وتفصيل واف ضاف، ولقد تفضل سماحته ومنّ بتلبية الاقتراح، ووعد بالإجابة على السؤال،

= هذا أن هذه المقدمة خالية عن الأغلاط والتهافت في الدراسات والأبحاث العلمية، ولا أن مؤلفها قد تفرد بالمنزلة التي لا ترام أو التي لا يحوم حولها النقد في جميع ما تناوله من أصناف العلوم التي تصدى للبحث فيها بمقدمته، فإنهم قد نقلوا أنه لما مدح المقريزي مقدمة ابن خلدون وزعم أنها جامعة للعلوم رد ذلك عليه الحافظ ابن حجر وقال: ليس كما قال المقريزي، ولكن فيها بلاغة قول، وللبلاغة سحر يستر إلى آخر ما كنا تلقيناه عن حجة العصر الحجة العلامة علوي بن طاهر الحداد، بل ذكر فضيلته فوق ذلك أنه عرف معرفة بدلائل وشواهد صدق قول الحافظ ابن حجر انه أي ابن خلدون كان ضعيفاً في تاريخ المشرق.

أما إذا شئت أن تقف بعد هذا على مثال من تهافت ابن خلدون الغريب في مقدمته حول الأبحاث فعليك بمطالعة كتاب «الفكر العربي بين ماضيه وحاضره» للأستاذ سامي الكيالي.

وندع لك بعد ذلك أن تتغالى أو تقتصد في تقدير مقدمة ابن خلدون ككتاب قيّم لمؤرخ فذ وباحث شهير طار صيته في العالم الشرقي والغربي.

وإنجاز مطلب التأليف في الفرصة التي تتهيأ له وبقدر ما تسمح له ظروف أعماله، وتواتيه أحوال صحته، أمد الله له في عمره المبارك الثمين، وأولاه المتعة الكاملة، وأدام له الصحة والسلامة الشاملة، ومهما يك قد عرض لفضيلته في العام الفائت من تراكم الأشغال، وشواغل البال، وطوارئ الأحوال، وذلك بسبب عودته لتقلد مهام وظيفة الإفتاء بجهور[1] (بلادملايا)، ولما حدث من عظيم المصاب الديني العام بوفاة أخيه المرحوم الحبيب العلامة الداعي إلى الله الشهير عبد الله بن طاهر الحداد، إلى ما هنالك من واقع شجون وفتون هذا العصر المتقلب، ونوائب هذا الدهر المضطرب، مما يحتمل أن يكون هذا قد قام عائقاً لفضيلته قليلاً أو كثيراً عن السير المنتظر، للأخذ في إنجاز هذا التأليف المؤمى إليه، فإن المؤمل من إفضال الله الكريم مهما يك قد عرض لفضيلته [ومما] أسلفنا أن يتم له في الزمن القريب إبراز هذا التصنيف القيم، والمعتقد في فضيلته وقد تعجلنا مباشرة القيام بالأخذ في بحث الموضوع بهذه النبذة الصغيرة تمشياً مع الدواعي أنه سيتكرم علينا وعلى العلم فيتولى في مصنفه الفريد الذي أضحت الأنظار تتطلع إليه ما ينبغي من استدراك لتنقيح أو تصحيح أي خطأ من الأخطاء نكون قد انزلقنا إليه، أو أي نقطة هناك بين عناصر البحث بقيت [مبسترة] والشأن فيها يحتاج إلى مزيد تحقيق وإيضاح، أو بعبارة أخرى إلى تدليل أكثر متانة ومنطق أبلغ في الإصابة والإبانة.

* * *

(١) كان هذا في العام الذي كتب فيه المقدمة في عام يلي عام ١٣٦٦ هـ ١٩٤٧م.

بيان القاعدة الخلدونية

نسوق في هذا الموضوع ما ذكره المؤرخ العلامة ابن خلدون [في] مقدمته مما يتعلق ببيان القاعدة التي ابتكرها واعتبرها أصلاً وميزاناً ضابطاً يرجع إليه في تحقيق عهود النسب؛ لمعرفة ما إذا كان تاماً أو مزيداً أو منقوصاً.

فقد عقد ابن خلدون في مقدمته بحثاً عنوانه (فصل في أن الدولة لها أعمار طبيعية كما للأشخاص) افتتحه بذكر ما زعمه الأطباء والمنجمون [من] أنّ العمر الطبيعي للأشخاص مائة وعشرون سنة، وما يزيد عن ذلك، وما ينقص بحسب القرانات، ثم بعد أن أعقب هذا بقوله (وأعمار هذه الملة ما بين الستين إلى السبعين كما في الحديث) قال فيما بناه على ما تقدّم ما هذا حاصله: أن أعمار الدولة في الغالب لا تعدو ثلاثة أجيال، والجيل هو عمر شخص من الوسط فيكون أربعين سنة، وتوصّل تبعاً لما ذكره إلى اتخاذ هذه القاعدة التي جعلها قانوناً لتصحيح عدد ما يتألف منه النسب في تعداد الآباء.

وإليك مثال ما قاله في بيان هذه القاعدة، واتخذ منه قانوناً يصحح لك عدد الآباء في عمود النسب الذي تريده من قبل معرفة السنين الماضية[1]: ((إذا كنت

---

(١) من العجيب صنيع ابن خلدون هذا حيث نجده بهذا الذي ذهب اليه من اتخاذ قاعدته قانوناً لتصحيح الأنساب حتى اعتبرها أصلا يرجع اليه، وينكشف به مقدار ما يوجد من خلل الزيادة والنقصان في الأنساب التي تعتبر بحسب قاعدته مزيدة أو منقوصة سيما (وأننا) نجده بهذا قد أوقع الريبة وبذر الشكوك مطلقاً حول كافة الأنساب التي تقع خارجة عن نطاق قاعدته، ولم يفرق بين الأنساب المُجمع عليها، والمقطوع بصحتها، وبين غيرها؛ يحدث منه أنه في الحين ذاته يعود ويتراجع عما يقتضيه كلامه في أول العبارة نفسها من إطلاق القاعدة وإعمالها في مختلف الأنساب، فينصرف في آخر العبارة إلى ما يحاول به تقييد ما سبق من الإطلاق وذلك بجعل مجرى إعمال هذه القاعدة مقصوراً على حالة قيام الشك في عداد الآباء في النسب حيث قال: ((اذا كنت قد استريت في عددهم)) فهل هناك من طائل إذن في تقييده تطبيق هذه القاعدة بجعل محله قيام الشك في عدد الآباء مادام أن نتيجة التسليم بصحة هذه القاعدة من لازمه إلقاء المرء طبعا في الشك في الأنساب التي تخرُج عما قررته هذه القاعدة فما أشبه صنيع ابن خلدون هذا بما جاء في قول الشاعر: =

قد استربت في عددهم، وكانت السنون الماضية منذ أولهم محصلة لديك، فعد لكل مائة من السنين ثلاثة من الآباء، فإن نفدت مع نفود عددهم فهو صحيح، وإن نقصت عنه بجيل فقد غلط عددهم بزيادة واحد في عمود النسب، وإن زادت بمثله فقد سقط واحد، وكذلك تأخذ عدد السنين من عددهم إذا كان محصلاً لديك تجده في الغالب صحيحا))[1]. هذا هو صورة ما ذكره بمقدمته من بيان القاعدة، ونرى زيادة في توضيح المقام أن نُورد كيف أخذ ابن خلدون بهذه المقدمة، ونهج في تطبيقه لها بتلك الفذلكة الملحقة بالمجلد السابع من تاريخه التي موضوعها (التعريف بابن خلدون مؤلف هذا الكتاب) وهي ترجمة المؤلف لنفسه، فقد قال عند ذكر نسبته ما لفظه: ((نسبه عبد الرحمن بن محمد بن محمد بن محمد بن الحسن بن محمد بن جابر بن محمد بن إبراهيم بن عبد الرحمن بن خلدون[2] هذا لا أذكر من نسبي إلى خلدون غير هذه العشرة ويغلب على الظن أنهم أكثر، وأنه سقط مثلهم عدداً؛ لأن خلدون هذا هو الداخل إلى الأندلس، فإن كان أول الفتح فالمدة لهذا العهد سبعمائة سنة، فيكونون زهاء العشرين، ثلاثة لكل مائة، كما تقدم في أول الكتاب الأول)).

نظرة تحليلية في هذه القاعدة:

لا نرى أن نهتم في دراسة هذه القاعدة وبحثها بالنظر فيما إذا كانت المقدمات وهي التي توصل ابن خلدون بمقتضاها إلى هذه القاعدة أو التي هي خارجة في أصلها ومرماها عن موضوع علم الأنساب صحيحة ثابتة في نفسها، أو هي من الأمور المتقلبة التي لا قرار لها، والتي يتغير الحال فيها، فيختلف بسببه ما يتولد عنها من النتائج المتفاوتة المدى.

= ألقاه في اليم مكتوفا وقال له إياك إياك أن تبتل بالماء

(١) ١/ ١٤٣ بالطبعة المصرية ببولاق سنة ١٢٨٤ هـ.

(٢) ٧/ ٣٧٩ تاريخ ابن خلدون المطبوع بالمطبعة المصرية ببولاق سنة ١٢٨٤هـ

فإن هذه النبذة الوجيزة إنما تتعرض لبحث هذه القاعدة ضمن الحدود والغاية التي يرمي إليها موضوع هذا التأليف من تبيين مدى ما في هذه القاعدة الخلدونية من الخلف ومن عرضها بما هي عليه على محك النقد، وهذا المحك هو هنا بطبيعة الأمر تلك الأسس والأصول والقواعد والضوابط التي يقوم ويتمشى عليها النسب الذي هو علم الموضوع الذي يقع فيه هذا البحث.

فللتنبيه عن هذه النقطة نكتفي بهذا التمهيد بين يدي الشروع في المقصود، وهو ما نحن بصدده من إلقاء نظرة تحليلية على التكوين المنطقي الذي تم في بناء هذه القاعدة ونأخذ في ذلك كما يأتي..

أن أول ما يلحظه الناظر في المقدمات الأساسية المباشرة لاستفتاح العلامة ابن خلدون الذي استخرج به هذه القاعدة هو أن هذه المقدمات هي عبارة عن تلك الأمور التي قرر بها ابن خلدون بحثه في مقدمة تاريخيه (في أن الدولة لها أعمار طبيعية كما للأشخاص) ونذكر هذه المقدمات كما رتبتها بحسب ما يأتي:

المقدمات:

١- إن أعمار الدول في الغالب لا تعدو ثلاثة أجيال.

٢- إن الجيل هو عمر شخص واحد من العمر الوسط وهو على ما قرره أربعون سنة[1] فالثلاثة أجيال مائة وعشرون سنة.

---

(١) من المشكوك فيه أن نجد وخاصة من علماء هذا العصر الحديث عصر الأبحاث البيولوجية واليوجينية من يوافق العلامة ابن خلدون على تحديد هذا المستوى، أو مستوى عام آخر ضيق الحد لمتوسط أعمار الغالب من الأشخاص يصح انطباقه على مختلف الشعوب والأقطار، وبحيث يتمشى مع تقلبات الأحوال للأمم وعلى مرور الأزمان، ومتى علم المرء ما تدل عليه الإحصاءات الدولية في الاختلاف الهائل في متوسط العمر بين أمم العالم اليوم من كون مستوى متوسط العمر قد يعلو في بلاد كالولايات المتحدة وزيلندا الجديدة إلى حد يتراوح ما بين (٦٧) و(٦٨) سنة (محاضرة الأستاذ سابا حبشي باشا في الجامعة الأميركية عن أهمية الإنعاش الاقتصادي في نهضة مصر وتقدُّمها، الملخصة في عدد الأهرام =

٣- أنه (فيما قال) يجري على ألسنة الناس في المشهور أن عمر الدولة مائة سنة.

فعلى أساس هذه المقدمات الثلاث بنى على ما توصل إلى استخراجه، وهو كون الثلاثة الأجيال من البشر تساوي في الزمن مائة من السنين تقدّر بثلاثة أجيال من البشر، أن تستنبط من هذه القاعدة بالقياس على هذه النتيجة ما قرره لتصحيح الأنساب وهو:

القاعدة:

إذا شككت في عدد الآباء في الأنساب بسبب ما تتوهمه من القلة أو الكثرة في هذا العدد، وأردت التحقيق لمعرفة ما انْبَهَمَ عليك من الأمر في تقدير عددهم تقديراً صحيحاً غالباً[1]، وكانت السنون مضبوطة لديك أن تجري في تصحيح عددهم في عمود النسب بأن تعد لكل مائة من السنين ثلاثة من الآباء، فإن

= الصادر في ٧ صفر ١٣٦٩هـ و٢٨ نوفمبر سنة ١٩٤٩م) وكذلك كما في ألمانيا وانكلترا حيث يتراوح ما بين (٥٥) و(٦٠) سنة، وذلك لتكاثر المعمّرين في هذه الممالك ومع كون هذا المستوى في بلاد أخرى إلى أن ينتهي إلى (٢٤) سنة فقط لغلبة قلة المعمّرين فيهم (انظر بحث الدكتور محمد عوض محمد في الفصل الثامن من كتابه (سكان هذا الكوكب) المطبوع سنة ١٩٤٧م بمصر بمطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر (ص ١٦٣ – ١٧٥] متى علم المرء ذلك أمكنه أن يدرك مبلغ الضعف وقصور التحقيق في المقدمات التي بنى ابن خلدون عليها قاعدته المشار إليها.

ولعل من غريب ما أسفرت عنه الاحصاءات الدولية في هذا العصر ما نشرته مجلة (كل شي والعالم) عدد (٢٠٠) الصادر في سبتمبر سنة ١٩٢٩م ما ملخصه إن المعمرين المئوين هم على أقلهم في فرنسا وأكثرهم بين السربيين فهم في فرنسا لا يبلغون ستة أشخاص في كل مليون في حين أنهم في سربيا يزيدون على (٣٨٤) شخصاً في كل مليون من الأشخاص فالتفاوت هنا بين فرنسا وسربيا يقع بنسبة ٦٤ إلى ١٪.

(١) من الفوائد التي يحسن التنبيه عليها ذكر ما نقلوه من عبارات العلماء المستعملة بهذا الصدد وذلك ما أورد الامام السيوطي في كتابه (المزهر في علوم اللغة وأنواعها) عن ابن هشام: ((اعلم انهم ليستعملون غالباً وكثيراً ونادراً وقليلاً ومطرداً، فالمطرد لا يتخلف، والغالب أكثر الأشياء ولكنه يتخلف، والكثير دونه، والقليل دون الكثير، والنادر أقل من القليل، فالعشرون بالنسبة إلى ثلاثة وعشرين غالبها، والخمسة عشر بالنسبة إليها كثير لا غالب، والثلاثة قليل، والواحد نادر، فعلم بهذا مراتب ما يقال في ذلك)) اهـ فعلى هذا يعتبر حد مرتبة الغالب ٢/ ٣ ٨٦٪.

نفدت على هذا القياس مع نفاد عددهم فهو صحيح، وإن نقصت عنه بجيل فقد غلطت في عددهم بزيادة واحد. أما إذا حصل الشك في السنين فتجري على عكس ما تقدم بأن تأخذ عدد السنين من عدد الآباء إذا كان محصلاً لديك.

القاعدة على محك النقد:

من يطالع كلام ابن خلدون الذي نقلناه بنصه في بيان هذه القاعدة وكذا ما ذكره من تطبيقه لها بتلك الفذلكة فيما يتعلق بنسبه وبما بينه وبين جده خلدون من عدد الآباء.

ويتفق له أن يمعن النظر في عباراته يظهر له فيما يبدو من خلال بعض عباراته ما يوجد من شائبة الاضطراب حول الجزم بهذه القاعدة.

ومثال ذلك أنك بينما تصادفه في مستهل الكلام الذي يسوقه في بيان هذه القاعدة يجري في عبارته القوية الجازمة على أن هذه القاعدة هي قانون[1] وذلك حيث يقول:

((واتخذ منه قانونا يصحح لك عدد الآباء في عمود النسب)) إذا بك تبصره يقول في آخر هذا الكلام ((فتأمله تجده في الغالب صحيحاً))، **فكلامه هذا يُشمُّ منه التردّد فيما سبق من الجزم في اعتباره هذه القاعدة قانوناً كلياً مطرداً**، وعلى هذا المنوال في التردّد جرى مرة أخرى، وذلك عند قيامه بتطبيق هذه حينما عرض لذكر ما يتعلق بنسبه في تلك الفذلكة فقال: ((لا أذكر من نسبي إلى خلدون غير هذه العشرة، ويغلب على الظن أنهم أكثر، وأنه سقط مثلهم عدداً؛ لأن خلدون هذا هو الداخل إلى الأندلس، فإن كان أول الفتح فالمدة لهذا العهد سبعمائة سنة،

(١) القانون أمر كلي ينطبق على جميع جزئياته، كما يُراد به أيضاً الأصل الذي يجمع فروعاً من أبواب شتّى وهو يختلف عن الضابط الذي إنما يجمع فروعا من باب واحد.
ومما نقله علماء اللغة أن قانون كل شيء طريقه ومقياسه، وكأن هذه الكلمة عندهم مُعرَبة.

فيكونون زهاء العشرين، ثلاثة لكل مائة، كما تقدم في أول الكلام»[1].

أما المآخذ التي ترد على هذه القاعدة فهي:

(١) اعتباره أن تعداد الآباء في عمود الأنساب يجرى على وتيرة ثابتة، وأن المواليد تتناسق على نمط متحد في دائرة صورة محدودة بالضبط، حتى أنه من أجل هذا جعل هذه القاعدة هكذا كما تراها من أشد ما تكون حرجاً في ضيق مداها وقصرها على حالة واحدة وهي تحديدية، ثلاثة من الآباء لكل مائة من السنين لا يزيدون ولا ينقصون، وإذا لم يكونوا كذلك فلا يمكن اعتبار هذه الأنساب صحيحة العد.

(٢) إلغاؤه مراعاة ما يعرف في الأنساب من الأقعاد والأطراف[2] اللذين

---

(١) سيظهر للمتأمل في ما سيمر به من الأمثلة كما في رقم (١١ نقلاً عن تعريف ابن خلدون بنفسه) التي يقع فيها مجموع عدد أجيال النسب ومجموع محصل عدد السنين بمعدل ثلاثة أجيال لكل مائة من السنين تقريباً أن هذه الغاية وإن كانت مما يتخيل للمرء أنها تتوافق مع القاعدة الخلدونية في الغاية وبجهة الإجمال فإنها لا تتمشى ولا تتناسق معها عند التحليل وحيال التفصيل، فالقاعدة الخلدونية من حيث إطلاق الحكم فيها على عموم سلاسل الأنساب لا فرق بين كثيرة التعداد وقليلته، وذلك بجعلها المقياس الثابت دائماً لاستخراج المعدل بنسبة ثلاثة أجيال لكل مائة من السنين حتى أنه لا يمكن أصلاً ان يختلف الشان في ذلك يشبه أن يكون قد اعتبرت أن سلاسل النسب تتألف من وحدات قياسية بسائر الزمن بانتظام، وأن أساس الوحدة يكون غالباً بمقياس ثلاثة أجيال لكل مائة من السنين وعكسه، لكن الحال في هذه الأمثلة الموماً إليها ويغلب أن يكون هكذا في مختلف سلاسل الأنساب الكثيرة الأجيال أن تعاقب الأجيال لا يتقيد بقاعدة منتظمة الوحدات منسجمة التناسق بنسبة قياسية مطردة وإنما هو أي الحال كما يبصره الناظر في هذه الأمثلة يشاهد على خلاف هذا التخيل الوهمي والانسجام الخيالي وهو في المثال رقم (١١) في نسب الملك غازي ينتسب إليه الحد الأقصى في الارتفاع بنسبة تعدد الأجيال يقع في بعض طبقات النسب بمعدل ثلاثة و نصف، للقرن الواحد بينهما الحد الأدنى في الانحطاط يوجد بنسبة اثنين و ثُمن تقريبا، وفي المثال رقم (٢٣) في نسب الحبيب منصب آل الشيخ أبي بكر بعينات يبلغ الحد الأقصى للارتفاع نسبة تزيد عن ثلاثة و اثنين أخماس حين يقف الحد الأدنى للانحطاط عند نسبة توازي، وفي المثال رقم (٤٥) في نسب السلطان عبد الحميد تبصر الحد الأقصى للارتفاع يصعد إلى ما يناهز نسبة (٤)، أما الحد الأدنى للانحطاط فقد قصرت به الخطوات حتى كاد أن لا ينتهي إلى ما يبلغ نسبه (٢).

(٢) الأقعاد: قلة الآباء والأجداد في عمود النسب والأطراف عكسه.

بسببهما ينتج الاختلاف في عدد الآباء في أنساب المنتمين إلى أصل واحد، ولاسيما فيما يمتد عمود نسبهم إلى عشرات القرون.

(٣) مخالفة الضابط الذي اتخذه علماء النسب ونصوا عليه في اصطلاحات النسابة فيما تحيله العادة في عدد الآباء، وذلك أنهم قالوا عن هذا الضابط المعتبر (إذا شككت في عدد الآباء فعد النسب المشكوك فيه ونسباً في درجته، وحينئذ لا يخلو إما أن يتساويا أو يتفاوتا، فإن كان الأول زال الشك وغلب الظن على الصحة، وإن كان الثاني فإما أن يكون التفاوت بما جرت به العادة أو يخرج عن العادة، فإن كان الأول فهو كالأول، وإن كان الثاني فاكتب عليه ما صورته «الظن يغلب على أنه قد نقص من عدد الآباء شيء نحقق إن شاء الله تعالى»)[1] وقد قال العلماء في المسألة التي تكون قد نقلت من أو إلى فن آخر أنه إنما يرجع فيها إلى أهل فنّها وكتبهم، وأنه لا تؤخذ من غير فنّها أصلاً وإن نَقَلَها إمام، باعتبار أن فنّها أساس تأصيلها ومحل تفصيلها وأن مسائل كل علم إنما يبرهن عليها ويبحث عنها في فنّها لا غيره[2]. وعلماء النسب في هذا الباب هم أهل الفن، فالمرجع إلى قولهم، وعلى هذا الضابط المعروف بين علماء النسب بنَى النسّابة ابن عنبة في كتابه (عمدة الطالب) بحثه في قضية الاختلاف بين الروايات في عدد الآباء بين سيدنا محمد صلى الله عليه وآله وسلم وبين سيدنا إبراهيم عليه السلام حيث توصل في اعتبار ما بينهما من عدد الآباء بأنه مما يناهز بضعة وستين أبا أو مما يقارب هذا العدد وإليك صورة بحثه لدى الكلام في نسب عدنان

(١) انظر رسالة اصطلاحات النسابة الملحقة بكتاب عمدة الطالب في أنساب آل أبي طالب للنسابة الشهير أحمد ابن علي بن عنبة صفحة (٣٦٦) طبع المطبعة الحيدرية بالنجف الأشرف بالعراق المؤسسة سنة ١٣٣٧هـ.

(٢) انظر رسالة (قاطع الجدال) للإمام الحجة الشهير عبدالرحمن بن عبدالله بلفقيه.

بشيء من الحذف والاختصار حيث قال: (وفيما بعد عدنان[1] وإبراهيم عليه السلام اختلاف كثير).

ثم ساق بهذا الموضع روايتين في نسب عدنان إلى أن قال: ((وقد روي غير ذلك، ففي هاتين الروايتين قد بلغ ما بين عدنان وإبراهيم على نبينا وعليه الصلاة والسلام أربعين رجلاً، وفي الرواية الأولى تسعة رجال وربما روي ستة رجال إلى أكثر من ذلك، فربما وصل إلى خمسة عشر أو إلى عشرين، ويشبه أن تكون الروايات التي تكون قد دلت على ما قل من الأربعين مختصرة أو مصنوعة، فإن بين رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وبين عدنان عشرين أباً وبضعاً[2]، فروايات المقلين تقتضي أن يكون بين رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وبين إبراهيم عليه السلام أقل من أربعين أباً وبعضها يوجب أقل من ثلاثين، وبين وفاة إسماعيل عليه السلام ومولد رسول الله صلى الله عليه وسلم ألفان وستمائة وبضع عشرة سنة[3]، وتناسق هذه الولادات في مقدار هذه المدة مستنكر فإن

---

(١) كذا في النسخة المطبوعة بالمطبعة الحيدرية بالعراق ولعل الصواب هو (وفيما بين عدنان) كما نقلنا ذلك عن نسخة النقيب النسابة السيد محمد بن إبراهيم البيتي العلوي المدني والد الأديب الشهير السيد جعفر البيتي صاحب كتاب مواسم الأدب، ونسخة النقيب التي نقلنا عنها هي مخطوطة كتبت برسم النقيب المذكور.

(٢) كذا في نسخة الطبعة العراقية بزيادة كلمة (بضعا) وفي النسخة البيتية بحذف كلمة بضع وهو الصواب.

(٣) ذكر المسعودي في (مروج الذهب) وابن خلدون في تاريخه عن التوراة أن سيدنا إسماعيل عليه السلام مات عن مائة وسبع وثلاثين سنة من العمر. ونقل ابن خلدون عن ابن إسحاق أنه عاش مائة وثلاثين سنة، وذكر المسعودي أن ميلاد إسماعيل عليه السلام كان بعد أن مضى من عمر أبيه إبراهيم عليه السلام ست وثمانون وقيل سبعون سنة. ومما ينبغي ذكره هنا أني قرأت بحثاً غريباً في مقال للمستر كو بشورن رئيس (عصبة التقويم الدولي الثالث) نشر بجريدة (كل شي والعالم) العدد (١٩٩) الصادر في سبتمبر سنة ١٩٢٩م عنوانه (قياس الزمن عند الإنسان الأول) قال فيه: إن السنة كانت في أيام الخليل إبراهيم عليه السلام الذي ذكرت التوراة أنه عاش مائة وخمساً وسبعين ١٧٥ سنة إنما تتألف من خمسة أشهر قمرية وعليه قرر أنه عاش بحسابنا اثنتين وسبعين ٧٢ سنة شمسية، ثم ذكر أن موسى عليه السلام إنما استعمل السنة المصرية أي السنة الشمسية التي تحتوي على اثنى عشر شهرا ونقلها إلى الإسرائيلين عند خروجه ببني إسرائيل من مصر في سنة ١٤٩١ قبل الميلاد فقوله بأن السنة كانت تتألف من خمسة أشهر وبناؤه هذا القول بأن ذلك كان معروفاً في أيام إبراهيم عليه السلام يمكن رده بأن السنة الشمسية التي=

أحالوا على طول الأعمار اعتبرنا من ضبط نسبه من بني إسرائيل، وهم رؤوس رجالاتهم الذين تنتهي أنسابهم إلى سليمان بن داود عليهما السلام.

فإن تلك الأنساب محفوظة مدونة رواية وكتابة متواتراً.

فقد وجدنا: بين لحق عصر رسول الله صلى الله وآله وسلم منهم وبين إبراهيم عليه السلام بضعاً وستين أباً، وهذا الاعتبار يوجب أن يكون بين رسول الله صلى عليه وسلم وبين إبراهيم عليه السلام هذا القدر أو ما يقاربه؛ لأن الطرافة والقعود وإن كانا يتفقان بقدر[1] العادة فيها مضبوطة، وإنما يقع مثل ذلك أيضا في الواحد من القبيلة، وفي القبيلة من الأمة[2] كما وقع لعبد الصمد بن

= تحتوي على (١٢) شهراً قد كانت أيضاً معروفة في أيام إبراهيم عليه السلام بل قبله؛ إذ يرتد اكتشافها إلى عهد المصريين القدماء وإلى ما قبل الطوفان هذا مع العلم بما كان من خروج إبراهيم عليه السلام بأهل بيته إلى مصر عقيب توطنه بأرض كنعان، على أن هناك شيئا آخر يظهر منه أن المراد من السنة في التوراة هي السنة ذات الأشهر الاثنى عشر، وذلك فيما نقله ابن خلدون عن التوراة كما في صفحة ٢/ ٣٤ حيث قال: «ومن الغريب الواقع في التوراة أن عُمُرَ إبراهيم عليه السلام كان يوم وفاة نوح ثلاثاً وخمسين سنة؛ لأنه قال: إن أر فخشذ وُلد لسام بعد سنتين من الطوفان، ولما بلغ خمساً وثلاثين سنة وُلد شالخ، وبعد ثلاثين سنة وُلد ابنه عابر وبلغ عابر أربعاً وثلاثين سنة، فولد ابنه فالغ وبلغ فالغ ثلاثين سنة فولد له أرغو، وبلغ أرغو اثنتين وثلاثين سنة، فولد شاروغ وبلغ شاروغ ثلاثين سنة، فولد ناحور، وبلغ ناحور تسعاً وعشرين سنة، فولد تاريخ، وبلغ تاريخ خمساً وسبعين سنة، فولد إبراهيم. وجملة هذه السنين من الطوفان إلى ولادة إبراهيم مائتان وسبع وتسعون سنة، وعمر نوح بعد الطوفان ثلاثمائة وخمسين سنة، فيكون إبراهيم بعد وفاة نوح ابن ثلاث وخمسين سنة) فلو صح أن المراد بالسنة هنا السنة المؤلفة من خمسة أشهر قمرية لكان يستلزم أن يكون كل من عابر وفالغ وشاروغ وناحور قد وُلد ولم يتجاوز منتصف السنة الثالثة عشرة من العمر، وهو يقتضي مخالفة ما عليه مجرى العادة الطبيعية في الغالب أن من الإنسال في المرء ما يكون بعد بلوغه مبلغ الرجال.

(١) عبارة النسخة البيتية (فقدر العادة) بالفاء لا بالباء الموحدة وهي الأشبه بالصواب.

(٢) في قول ابن عنبة (وإنما يقع مثل ذلك أيضاً في الواحد من القبيلة وفي القبيلة من الأمة) نظر لا يخفى وكيف يا ترى شذ عنه ما ذكروه عن عبد الصمد العباسي هذا الذي كان ميلاده سنة ١٠٤ ووفاته سنة ١٨٥ فيكون قد توفي عن إحدى وثمانين سنة من العمر من أن أباه علي كان عمره ثمانية وسبعين سنة، وأن جده عبد الله بن عباس كان له من العمر حين وفاته أربع وسبعون ٧٤ سنة، وأن جده الثاني العباس بلغ من العمر ثمانية وثمانين ٨٨ سنة في (تاريخ الدولة الإسلامية) للعلامة السيد أحمد زيني دحلان). =

عبدالله بن عباس[1] فإنه أدرك أولاد الرشيد وهو هارون بن محمد بن عبد الله (أي المنصور) بن محمد بن علي بن عبد الله بن عباس[2]، ومتى روي في نسب عدنان روايات يوجب بعضها اتفاق ولادات بني إسماعيل وإسحاق وأوجبت الأخرى بعد التفاوت الخارج عن العادة، فالموافق لا محالة أولى بالتقديم انتهى كلام ابن عنبة.

(٤) أنه من المعلوم أن أمور الأنساب (ومنها هذا الذي يتعلق بتصحيح العدد لمجموع أفراد الأصول، واتصال عمود النسب وعدمه) ليست مما يثبت

= وأن عبد المطلب وهو الجد الثالث في عمود نسبه عاش مائة وأربعين سنة كما نقل ذلك ابن خلدون عن الطبري.

فهذه اقعاد كما تراه وقد استمر على التوالي في نسب عبد الصمد إذ يبدأ منه وينتهي بجده عبد المطلب حتى إنك لترى نسب عموده القصير وهو لا يتألف إلا من هؤلاء الخمسة الذين هو أحدهم يستغرق مثل هذا الرقم الكبير من السنين الذي يبلغ الثلاثمائة والسبعين (٣٧٠)عاماً، حيث إن وفاة عبد المطلب وهي التي كانت سنة ثمان من ميلاد رسول الله صلى الله عليه وسلم تجعل ميلاده أي عبد المطلب سنة مائة وخمس وثمانين قبل الهجرة النبوية و أنه بضمها إلى مجموع السنين التي تلت الهجرة النبوية إلى وفاة عبد الصمد التي كانت سنة مائة وخمس وثمانين يصبح مقدار المدة في ما بين ميلاد عبد المطلب ووفاة عبد الصمد ثلاثمائة وسبعين ٣٧٠، ولو كان أن نُلقي نظرة على ما أوجبه هذا الاقعاد في قلة عدد الأجيال لكانت النتيجة أن الألف من السنين لا يكاد يزيد عدد الأجيال فيه إلا قليلا عن الأربعة عشر جيلا ونصف.

ومما يقابل هذا القعود الذي امتد بتوال في نسب عبد الصمد وانتهى بعبد المطلب تلك الطرافة التي تقع في سلالة أخيه محمد والد السفاح العباسي حيث تبدأ من المقتدر المقتول المتوفى سنة ٦٥٦، وذلك أن عمود هذا النسب من المستعصم إلى المعتضد بإخراج المعتضد هو كما يأتي:

المستعصم بالله بن المنتصر بن الظاهر بن الناصر الناصري المستضي بن المستنجد بن المقتدي بن ذخيرة الدين بن القائم بن القادر بن إسحاق بن المقتدر (تاريخ الدول الإسلامية) لدحلان و(المشجر الكشاف في الأنساب للعميدي النجفي).

فهذا النسب قد بلغ في العد كما ترى أربعة عشر جيلاً، ويحال أن المدة بين ميلاد المقتدر في سنة ٢٨٢ ووفاة المستعصم في سنة ٦٥٦ إنما هي ثلاثمائة وأربعون وسبعون، ونتيجة النسبة العددية للأجيال في الألف من السنين هي هنا لا تقل عن الثمانية والثلاثين جيلا.

(١) في النسخة البيتية (عبد الصمد بن علي بن عبد الله) وهو الصواب..

(٢) سنة ٣٢٠ عن ثمانية وثلاثين سنة من العمر وتنتهي بالمستعصم آخر الخلفاء العباسيين.

قياساً، فالأنساب بطبيعة ما تقوم وتتمشى عليه في علم النسب من أصول وضوابط ترجع في أصلها وكذا في تحقيق قضاياها إلى ما يعلم نقلاً بطريق التواتر والاستفاضة والسماع المقبول، فيفيد علماً ضرورياً، أو نظرياً أو ظنياً غالباً يصح الاستناد إليه فيما يتعلق بالحكم في أحوال الأنساب صحة وضبطا[1] وقد نص الإمام الحافظ شمس ذوي الشرف:

«إن فن الأنساب من جملة فنون علم الأثر، قال: وهو فن جليل يتضمن معرفة نسب النبي صلى الله عليه وسلم، ومن ينتمي إليه، والتمييز بين عبد مناف وهاشميها وعبد شمسيها ونوفليها، وبين قريش وكنانة، والأوس والخزرج، والعربي والعجمي، والمولى والصريح». إلى آخر ما نقل عنه واستدل عليه بأدلة كثيرة من الكتاب والسنة.

(٥) أنه حتى فيما كان من قبيل ما تُحِيله العادة في كثرة أو قلة عدد الآباء في النسب لم يجعل العلماء كما سبق النقل عن مصطلحات النسابة فيما ذكروه من الحكم هنا برد ما هو خارج عن العادة في النسب إلى ما هو في درجته من الأنساب المضبوطة إلا لكون ما في درجته يفيد علماً ظنياً لا يزال الأمر مفتقراً إلى التحقيق؛ وذلك لأن هذا الذي اعتبروه في رده إلى ما في درجته إنما هو عبارة عن ظن وتخمين لا يستند إلى أصل مقطوع به بينما ابن خلدون كما تصرّح به قاعدته يجعل ما يخرج من الأنساب مطلقاً -أي ولو كان مقطوعاً به وصحيحاً أو معتبراً عند علماء النسب عما تصرّح به هذه القاعدة- مغلوط العدد إما بزيادة أو نقصان.

وعلى هذا فإنه لو كان للقاعدة الخلدونية المبنية على مجرد القياس والحدس أن تصح وتعتبر كقاعدة كلية أو أغلبية فلا يمكن لها بمقتضى قواعد النسابين أن

(١) لعله من المفيد أن نشير إلى ما ذكروه مما يدخل في علم النسب من القواعد (أن مَنْ حَفِظَ حُجة على مَنْ لم يحفظ وأن المُثبِت مقدّم على النافي وأن الزيادة من الثقة مقبولة).

تعارض ما علم اتصاله وصحة عدده من الأنساب بأي طرق الاستفاضة والتوتر. دع ما يبلغ الأمر في طريق العلم به أعلى ما قيل في حد التواتر مما عليه الشأن في معظم الأنساب بالأولى ما كان منها عندهم موضع اتفاق أو إجماع، فجميع ما علم نقلاً وتوقيفاً بأي طريق مما ذكرنا يوجب إلغاء مثل هذه القاعدة القياسية وما يقوم على نتائجها بتاتاً. ونهاية القول في هذا الباب أن الباحث ليأخذه أقصى الحيرة، ولا يعلم كيف ند الصواب عن ابن خلدون وفاته التحقيق في هذه القاعدة بما يقتضيه علم النسب، والحال إذ يريد أن يجعلها قانوناً للأنساب، وهو كما يتجلى الأمر من النظر في هذه المآخذ الواردة عليها بديهية البطلان، لكن الكمال لله وحده، فسبحان المنفرد في سعة علمه المتعالي في علو كماله.

وسنأخذ بعون الله تعالى بعد هذا في سرد طائفة من الأمثلة والشواهد التي هي مما يفصح أكبر الإفصاح عن مقدار ما في هذه القاعدة من الخلف الواسع المدى.

بعض الأمثلة المفصحة عن الخلف في القاعدة:

معلوم عند من قرأ مقدمة ابن خلدون ما للعلامة ابن خلدون من دفاع مجيد في ذلك المقام المحمود الذي نهض فيه بموفق الذب عن نسب مولانا إدريس بن إدريس بن عبدالرحمن بن حسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب رضوان الله عليهم أجمعين، فإنه قد أجاد في الدفاع عن هذا النسب ضد من تصدوا للطعن فيه، بل وأبدى في هذا الموقف الخطير ما يمكن للمرء أن يلمس منه ما يفيض به وجدان ابن خلدون، وتنطوي عليه سريرته من غيرة صادقة على الحق وعظم إخلاص وتقديس صحيح لمقام العترة النبوية، ولاسيما فيما تصوره بكل جلاء وروعة تلك الكلمة البليغة المؤثرة التي تومئ حقيقة إلى ما لا بن خلدون من غاية مقدسة في مناصرة الحق، وفي الذود عن حياض أهل البيت الطاهر، وهي قوله: «لكني جادلت عنهم في الحياة الدنيا وأرجوا أن يجادلوا عني يوم القيامة».

ولقد ذكر ابن خلدون فيما ذكره في تكذيب أقاويل الطاعنين[1] وتفنيد

(١) من مهمات الفوائد التي ينبغي التنبيه عليها أنهم في حصول الطعن في النسب والاعتداد به أنه لابد من طعن لم تقم قرينة على كذب قائله، وينبغي زيادة للفائدة أن نوضح ذلك، أي عدم اعتدادهم بالطعن الذي تقوم القرينة على تكذيبه بمثال مما يجري عليه النسّابون في تطبيق هذا الحكم في ما يتعلق بالأنساب التي يقع أن يتعرّض لها بعض النسّابين بشيء من النفي والطعن، وربما كان من أبلغ الأمثلة السائرة بهذا الصدد موقف النسّابين حيال ما نقلوه عن النسّابة أبي نصر البخاري، فقد كان أبو نصر هذا مما يؤثر عنه التهافت أحياناً وتكرر إطلاق القول بهذا الضرب من الطعن.

ومن الوقائع التي حكوها حول التهافت في نفي بعض ذوي الأنساب الصحيحة من الطالبيين كما روى ذلك النسّابة ابن عنبة [انظر صفحة ١٩١ و٢١١ و٢٢٠ و٢٤٤] من عمدة في أنساب آل أبي طالب، وكذلك النسّابة العميدي النجفي في (المشجر) في ما رواه أيضاً من طعن أبي نصر المذكور في نسب المنتسبين إلى زيد بن موسى الكاظم وهارون بن موسى الكاظم، وبعض أعقاب إبراهيم بن موسى الكاظم، وإسماعيل بن موسى الكاظم وكذا في المنتسبين إلى عبد الله بن أحمد بن محمد بن إسماعيل بن محمد بن عبد الله الباقر بن علي زين العابدين ابن الإمام الحسين السبط مما ألجأ أئمة النسّابين كالشيخ العمري وشيخ الشرف العبيدلي وأبي عبدالله بن طباطبا والسيد تاج الدين بن معية النسابة الحسيني وغيرهم إلى تعقّبه، وإلى أن يشيروا إلى ما حقّقوه من فساد ما قاله مما قامت عندهم عليه الأدلة الناهضة والقرائن القوية، بل اضطرهم المقام إلى أن يشنّعوا عليه صريحاً حيث علق النسّابة أبو عبد الله بن طباطبا على ما صرّح به أبو نصر المذكور من انقراض عقب محمد بن إسماعيل بن موسى الكاظم بقوله أي ابن طباطبا: ((وهذا التسامح في القول وإطلاق القول مما يوجب الإثم ويُخرج عن الدين)).

ولكون هناك فرق بين مثل هذا الطعن الكاذب الذي يتبين وقوعه من بعض النسّابين وبين ذلك الطعن الكاذب الآخر وهو الذي يقع أو يروجه غيرهم من ذوي المآرب السياسية، وذلك أن الأول كهذا الذي تبيّن وقوعه من أبي نصر البخاري نجده أكثر ما يكون ناتجاً عن ضعف التحقيق وطبيعة التسرّع في القول، أو الحكم، بينما الثاني ومثاله هذا الذي وقع في نسب مولانا إدريس وقام العلامة ابن خلدون بتفنيده لا ينشأ أو لا يروج غالبا إلا عن خطة مدبّرة وقصد مُبيت.

ورب سائل بعد أن ألمّ الناظر بشيء مما يلمع إليه كلام النسّابين من خطر التحويم والتهافت بمزالق الطعن الذي تقوم القرائن على تكذيبه على المتهافت أي على اعتباره الديني، أو اعتباره العلمي وعن الأمر في العلامة ابن خلدون وما يترتب على تعريض كرامة الأنساب الصحيحة في المساس بها بمقتضى قاعدته هذه وهي التي قطع باعتبارها، وجرى على ذلك وضعاً وتطبيقاً، حيث إنه قد شذ بوضعها لما فيه من معارضة ما أوجبه العلم القطعي في الأنساب بما هو في هذه القاعدة قائم على قياس تخميني، ولما يعلم أيضاً من أن المجمع عليه من قواعد علم النسب لا يقتضي دخول هذه القاعدة فيما يصح الحكم به، ومن أن العلامة ابن خلدون نفسه قال في جملة ما شدّد النكير به على الطاعنين في نسب مولانا إدريس مما هذا لفظه مختصراً: ((وما لهم والعدول عن مقاصد الشريعة فلا تعارض فيها بين المقطوع والمظنون)). *

مزاعمهم: «أن هذا لنسب أي نسب بني إدريس قد بلغ من الشهرة والوضوح مبلغاً لا يكاد يلحق، ولا يطمع أحد في دركه؛ إذ هو نقل الأمة والجيل من الخلف عن الأمة والجيل من السلف، وأن آثار شرفهم قد جاوزت أخبارهم حدود التواتر، وكاد يلحق بالعيان - إلى أن قال- فليس في المغرب فيما نعلمه من أهل هذا البيت الكريم من يبلغ في صراحة نسبه ووضوحه مبالغ أعقاب إدريس هذا من آل الحسن وكبراؤهم لهذا العهد بنو عمران بفاس من ولد يحيى الحوطي ابن محمد ابن يحيى العوام بن القاسم بن إدريس بن إدريس».

واعتباراً بما نجده من المزيتين اللتين يتفرّد بهما نسب الأدارسة في مقام تمحيص القاعدة الخلدونية وذلك سواء بوصفه النسب الذي يقع في الذروة من الصراحة والوضوح بين الأنساب، أو لكونه في طليعة ما هو من الأنساب موضع يقين وتسليم لدى ابن خلدون آثرنا تقديم ذكر أمثلة من أنساب بني إدريس بين يدي ما نقوم به من سرد طائفة من الأمثلة الدالة على مدى الخلف الواسع في هذه القاعدة في كثير من أنساب الطالبيين وغيرهم، ومن بين هذه

= ولما يمكن أيضاً أن تصبح قاعدته هذه مَدْعاة للتحكك والتشكك في الأنساب، بل ربما انتهى الحال بها لنفوذ الطعن إلى الأنساب المتواتر صحتها، والمقطوع بأصالتها من أجل أن هذه الأنساب تُخرِج عن حد ذلك النطاق الذي رسمه لقاعدته، والذي هو كما علمتَ على أشد ما يتصور من الدقة والحراجة على أن غاية الشأن لقاعدة قياسية كهذه إذا صحت أن تلتحق بالظنيات. فللجواب عن هذا المفروض في هذا التساؤل نقول إجمالا: إن الذي يتحقّق من البحث أن الصواب قد شذ عن العلامة ابن خلدون في حكمه سواء أراد الإطلاق أو لم يرده بأن هذه النظرية يصح أن تعتبر قانوناً كلياً أو قاعدة أغلبية لمعرفة الأنساب الصحيحة العد والتمييز بينها وبين المغلوطة العد.

أما فيما يتعلق من هل يكون ابن خلدون قد عرض نفسه لشيء من الحرج الديني لحكم المخالف للشرع وللمجمع عليه في قواعد علم النسب من إناطته صحة عدد النسب واتصاله وعدمها بما تقتضيه هذه القاعدة، ولكونه يترتب على ما قطع به بهذا الصدد ما يترتب عليه مما قد ينتهي لتعريض الأنساب المقطوع بصحتها شرعاً للتشكيك والطعن فهذا الذي يحسن من الناحية الدينية والحال أن ما يؤدي إليه من المفروض في تعويض الأنساب التعريض المذكور إنما يقطع في غير معين هو مما نترك الحكم والتفصيل فيه لأرباب الاختصاص من أئمة الدين وأعلام الملة.

الأمثلة عدد من أنساب ذوي الإمارة والإمامة والنقابة والشهرة العلمية.

امثلة من أنساب الأدارسة:

(١) نسب آخر ملوك الدولة الإدريسية الأولى بالمغرب[١]:

هو الحسن (المقتول ٣٧٥هـ)[٢] ابن القاسم كنون[٣] ابن محمد ابن القاسم ابن إدريس الثاني (١٧٦ – ٢١٤هـ) ابن إدريس الأول المتوفى ١٧٥) ابن عبد الله المحض(المتوفى ١٥٤هـ وله من العمر ٧٥ سنة) بن الحسن المثنى (المتوفى ٩٧هـ عن ٥٣ من العمر) ابن الإمام الحسن (٣ – ٥٢هـ) ابن الإمام علي كرم الله وجهه (ولد سنة ٢٣ قبل الهجرة وتوفى سنة ٤٠ من الهجرة).

---

(١) اعتمدنا في بعض ما نقلنا في هذا المثال على تعليقات للعلامة المحقق السيد محمد الصادق آل بحر العلوم التي علقها على نسخة المطبعة العراقية من (عمدة الطالب) للنسابة ابن عنبة، وهي التي تولت نشرها المكتبة المرتضوية بالنجف الأشرف.

(٢) إنه مع صرفنا لمجهود كبير في المحصول على تواريخ المواليد والوفيات لمن جاء ذكرهم بأمثلة الأنساب وهي الأمثلة التي سنوردها بمعرض التمثيل والاستشهاد في هذا الشطر من التأليف فإننا لم نطف إلا ببعض التواريخ فقط، ولعل سوانا من الباحثين ممن يهمهم التنقيب والتصدي لتمحيص ما نحن بصدده من البحث، ولاسيما من يخلو لهم التبسط في دراسة هذا الموضوع وتناول تحقيقه بطريقة قد تكون أوفى وأدق يتوصلون إلى كل ما يمكن الوصول إليه من كل ما كان فوق متناول طوقنا تحصيله أو نَدَّ عنّا صوابه وتحقيقه.

(٣) يؤخذ من تعليقات السيد محمد الصادق ومن (عمدة الطالب) أن هناك ثلاثة من الأدارسة كل واحد منهم يسمى بالقاسم ويلقب بكنون إلا أن القاسم المذكور بهذا النسب يعد أعلى بدرجتين من القاسم كنون الذي ينتهي بنسبه إلى عيسى بن إدريس المذكور بعمدة الطالب، أما القاسم الثالث الذي جاء ذكره في (عمدة الطالب) فهو ابن اخي القاسم المذكور في هذا النسب.
ويوجد خلاف في تعليقات العلامة محمد الصادق و(المشجر الكشاف) في ذكر المقتول آخر ملوك الأدارسة بالمغرب، فالمشجر الكشاف يشير إلى أن ذلك المقتول الذي هو آخر ملوك الأدارسة بالمغرب إنما هو عبدالله بن يحيى بن أحمد بن عيسى بن إدريس بن إدريس، ولقبه بكنون وذلك أيضاً خلاف ما في (عمدة الطالب) من كون الملقب بكنون إنما هو القاسم.

(٢) نسب آخر ملوك الأدارسة في الأندلس:

هو محمد المستعلي (المتوفى ٤٦٠هـ) ابن إدريس بن يحيى (المتوفى ٤٣٤هـ) بن إدريس (المتوفى ٤٣١هـ) بن علي (المقتول ٤٠٨هـ) بن حمود بن ميمون بن أحمد بن عبدالله بن عمر بن إدريس الثاني[١] (١٧٦ – ٢١٤ هـ).

(٣) نسب الإمام أبي الحسن الشاذلي:

هو علي (٥٩٣ – ٦٥٦هـ) بن عبد الله بن عبد الجبار بن تميم بن حاتم بن قصي بن يوسف بن يوشع بن ورد بن علي بن أحمد بن محمد بن عيسى بن إدريس ابن عمر بن إدريس الثاني (١٧٦ – ٢١٤ هـ).

(٤) نسب الشيخ عبد السلام بن مشيش[٢]:

هو عبد السلام (المتوفى ٦٢٢هـ) بن مشيش بن أبي بكر بن علي بن حرمة[٣] ابن عيسى بن سلام بن مزوار بن علي ابن محمد بن إدريس الثاني (١٧٩ – ٢١٤هـ).

(٥) نسب القاضي تقي الدين الفاسي المكي:

هو محمد (٧٧٥ – ٨٣٢ هـ) بن أحمد بن علي بن محمد بن محمد بن عبدالرحمن بن محمد بن أحمد بن علي بن عبدالرحمن بن سعيد بن عبد الملك بن سعيد[٤] بن أحمد بن عبد الله بن عبد الرحمن بن عبد الله بن علي[٥] (المتوفى ٤٠٨ هـ)

---

(١) تاريخ الدولة الإسلامية للسيد أحمد زيني دحلان من ص ١٩٤ إلى ١٩٦ طبع المطبعة البهية بمصر.

(٢) هكذا اشتهر في الغرب بمشيش بالميم، والأصل بشيش بالباء، كذا قاله ابن عباد في كتاب (المفاخر العلية في المآثر الشاذلية) الذي صنّفه في مناقب أبي الحسن الشاذلي.

(٣) كذا في المشجر الكشاف للنجفي المنقول عنه هذا النسب.

(٤) أورد السخاوي نسبه في (الضوء اللامع) بصورة فيها اكتفاء في موضعين (أولاً) في ما يظهر بين عبد الملك وأحمد الذي لقبه بالشهاب (وثانياً) في ما بعد أحمد إلى آخر النسب، وقد اعتمدنا (المشجر الكشاف) للنجفي في ضبط هذا النسب.

(٥) هو من ملوك بني هاشم بالأندلس قاله ابن عنبة في (عمدة الطالب) عند ذكر أبيه حمود (ومنهم حمود وهو=

ابن أحمد بن ميمون بن أحمد بن علي عبدالله بن عمر بن إدريس الثاني (١٧٦ – ٢١٤ هـ).

(٦) نسب علامة المغرب بهذا العصر السيد عبد الحي الكتاني[1]:

هو محمد عبدالحي[2] (١٣٠٣ هـ) بن عبدالكبير بن محمد بن عبد الواحد بن أحمد بن عبدالواحد بن عمرو بن إدريس ابن أحمد بن علي بن قاسم بن عبدالعزيز بن محمد بن قاسم بن عبد الواحد بن علي بن محمد بن علي بن موسى ابن أبي بكر بن عبد الله بن هادي بن يحيى بن عمران بن عبد الجليل بن يحيى بن يحيى بن محمد ابن إدريس الثاني (١٧٦ – ٢١٤ هـ).

(٧) نسب نقيب أشراف المملكة المصرية الحالي:

هو محمد (١٢٧٩ هـ) بن علي (١٢٥١ – ١٣٢٣ هـ) بن محمد بن أحمد بن محمد بن أحمد بن معوض بن عبد الجواد بن معوض بن عبد الجواد بن علي بن

= أحمد بن ميمون بن أحمد بن علي بن عبد الله بن عمر أعقب من رجلين القاسم الملقب بالمأمون وعلي الملقب بالناصر لدين الله ملك الأندلس وقلع بني مروان عنها).

(١) اعتمدنا في نقل هذا النسب على تذييل السيد حسين محمد الرفاعي لكتاب (بحر الأنساب) المسمى المشجر الكشاف للنجفي، وقد نقل الشيخ محمد بن محمد بن سعيد السلاوي نسب السيد عبد الحي هذا في ترجمة ملحقة برسالة السيد عبد الحي المذكور المسماة (الرحمة المرسلة في شأن حديث البسملة) طبع بولاق سنة ١٣٢٣ وأورده بزيادة جيلين وبإبدال اسمي عمرو وعمران بعمر وكان سياق ما ذكر في النسب هكذا ـ محمد عبد الحي بن عبدالكبير بن محمد بن عبد الواحد بن أحمد بن عمر بن عبد الواحد ابن عمر بن إدريس بن أحمد بن علي بن القاسم بن عبدالعزيز بن محمد بن القاسم بن عبد الواحد بن علي بن محمد ابن علي بن موسى بن أبي بكر بن محمد بن عبدالله بن الهادي بن يحيى الكتاني بن عمر بن عبدالجليل ابن يحيى بن محمد بن إدريس.

(٢) جرينا على عد الجيل الحاضر في جدول النتيجة الإحصائية في حالتين مع أن هؤلاء طبقة هذا الجيل ممن لا يزالون في قيد الحياة يعيشون في عامنا ١٣٩٦هـ وذلك أولا في ما إذا كان صاحب النسب ممن تجاوز حدود الستين من العمر، وثانياً عندما لا يتفق لنا العثور على تاريخ وفاة أبيه، وذلك مراعاة للضرورة الملجئة لهذا التسامح حيث إن عملية الإحصاء لابد لها من معالم البداية والنهاية، وإلا فلا يتحدد مجموع محصل السنين الذي لابد من معرفته ولا يتم ضبط مستوى المعدل للسنين والأجيال.

شهاب الدين بن علي بن إبراهيم ابن أحمد بن طاهر بن غتور بن عيسى بن حماد ابن داود بن تركي بن قرشلة بن أحمد بن علي بن موسى بن يونس بن عبد الله بن إدريس الثاني (١٧٦ – ٢١٤ هـ).

(٨) نسب علامة الحرمين الشريفين السيد علوي المالكي:

هو علوي (ميلاده ١٣٢٨ هـ) بن عباس (١٢٨٥ – ١٣٥٣ هـ) بن عبد العزيز بن عباس بن عبدالعزيز بن محمد بن قاسم بن علي بن عربي بن إبراهيم بن عمر بن عبد الرحيم ابن الشيخ عبدالعزيز الدباغ (ميلاده في حدود سنة ١٠٩٠ وفاته فيما بين سنة ١١٣٠ و١١٣٦هـ) بن مسعود بن أحمد بن محمد بن محمد بن أحمد بن عبد الرحمن بن قاسم بن محمد بن أحمد بن قاسم بن محمد بن إبراهيم بن عمران بن عبدالرحيم بن عبد العزيز بن هارون بن قنون بن علوش بن منديل ابن علي بن عبدالرحمن بن عيسى بن أحمد بن محمد بن عيسى بن إدريس بن إدريس الثاني (١٧٦ – ٢١٤ هـ) إلى آخر النسب.

جدول النتيجة الإحصائية لمجموع المحصل من السنين و الأجيال

مثال	الأنساب	السنين	الأجيال	المعدل التقريبي	
				للمائة من السنين	للجيل
١	نسب آخر ملوك الأدارسة بالمغرب	٣٩٨	١٠	٢ ١\٢	٤٠
٢	نسب آخر ملوك الأدارسة في الأندلس	٢٨٤	١٢	٤ ١/٤	٢٣ ٢/٣
٣	نسب الإمام أبي الحسن الشاذلي	٤٨٠	١٧	٣ ٢/٣	٢٨ ١/٤
٤	نسب الشيخ عبد السلام بن مشيش	٤٤٦	١١	٢ ١/٤	٢٨ ١/٢
٥	نسب الشيخ تقي الدين الفاسي	٦٥٦	٢٥	٣ ٥/٦	٢٦ ١/٤

٦	نسب السيد عبد الحي الكتاني	١١٩٣	٢٩	٢ ٢/٧	٤١
٧	نسب نقيب أشراف المملكة المصرية الحالي	١١٩٣	٢٨	٢ ٤/٧	٣٩ ٣/٤
٨	نسب علامة الحرمين علوي المالكي	١٢١٥	٣٩	٣ ١/٥	٣١ ١/٩
٩	نسب ملك ليبيا	١١٣٤	٣٦	٣ ١/٦	٣١ ١/٢

(٩) نسب ملك ليبيا:

هو محمد إدريس (ميلاده في حدود سنة ١٣٠٧ هـ) بن محمد (وفاته ١٣١٠هـ) بن محمد (١٢٠٢ – ١٢٧٦ هـ) بن علي بن السنوسى بن العربي بن محمد بن عبد القادر بن أحمد بن محمد بن محمد بن يوسف بن عبد الله بن خطاب ابن علي بن أبي العسل بن يحيى بن راشد بن مرابط بن منداس بن عبد القوي بن عبد الرحمن بن يوسف بن حسن بن إدريس بن عبدالله بن أحمد بن محمد بن عبدالله بن حمزة بن سعيد بن يعقوب بن داود بن حمزة بن علي بن عمران بن إدريس الثاني (١٧٦ – ٢١٤ هـ).

أمثلة أخرى من أنساب الهاشمية:

(١٠) نسب نبينا محمد صلى الله عليه و سلم إلى عدنان[1] بإجماع الأمة:

هو [سيدنا] محمد (٥٤ سنة قبل الهجرة – ١٠ هـ) بن عبد الله بن عبدالمطلب بن هاشم بن عبد مناف بن قصي بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤي ابن غالب بن فهر بن مالك بن النضر ابن كنانة بن خزيمة بن مدركة بن إلياس ابن مضر بن نزار بن معد بن عدنان.

(١١) نسب الإمام المؤيد بالله يحيى بن حمزة الحسيني هو: يحيى (٦٦٧ – ٧٤٧هـ) بن حمزة بن علي بن إبراهيم بن يوسف بن على بن إبراهيم بن محمد أحمد[2] بن إدريس بن جعفر (٢٢٦ – ٢٧١ هـ) بن علي (٢١٤ – ٢٥٤ هـ) بن

---

(١) لتقريب معرفة المظنون عن زمن ميلاد عدنان وهو الذي يلوح لنا مبدئياً بحسب الاستنتاج الآتي ذكره وذلك حيث ذكر المؤرخون كالطبري في تاريخه [١/ ٢٩] فيما رواه من حرب نبوخذ نصر وهو الذي يسميه مؤرخو العرب بختنصر وما قاله من أن هذه الحرب قد كانت بعد فراغ بختنصر من حرب بني إسرائيل وخراب القدس، أي أنها قد كانت فيما بين (٥٨٦ و٥٣٩ قبل الميلاد) وما نقله أيضاً من أن معد ابن عدنان لما حمله الله نبي الله أرمياء عليه السلام كان له من العمر يومئذ اثنتا عشرة سنة، فإذا فرضنا باعتبار ما تقدم أن ميلاد معد بن عدنان يقع حوالي أوائل الثلث الأخير من القرن السادس قبل الميلاد فإنه لا يبعد على هذا أن يكون بوجه التقريب ميلاد أبيه عدنان على رأس القرن السابع قبل الميلاد، وعلى هذا فيكون ما بين ميلاد عدنان وهو في نحو (٦٠٠ قبل الميلاد) وبين وفاة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم وهي حوالي (٦٣٠ ـ ميلادية) من الزمن ما يبلغ (١٢٣٠ سنة شمسية ١٢٦٧ قمرية) ويكون متوسط العمر على هذا للجيل في عمود هذا النسب الكريم عبارة عن أقل من ٥٦ سنة شمسية وما يساوي بالضبط ٧/ ٤ ٥٧ سنة قمرية أي أنه يقرب من أعلى مستوى يبلغ إليه متوسط العمر في الغرب بهذا العصر كما أسلفنا نقل ما ذكره حجة الجغرافيا في مصر الدكتور محمد عوض محمد بكتابه (سكان هذا الكوكب) من كون متوسط العمر في ألمانيا يبلغ ٥٦ سنة للشخص الواحد وينقص عما يبلغ إليه متوسط العمر في الولايات المتحد وزيلندا الجديدة الذي يتراوح بين (٦٧ و٦٨) كما في محاضرة الأستاذ سابا حبشي باشا في الجامعة الأمريكية بمصر (جريدة الأهرام عدد ٧صفر سنة ١٣٦٩ ٢٨ نوفمبر ١٩٤٩م.

(٢) اعتمدنا في ضبط هذا النسب على مشجر نسب أئمة اليمن المحرر بقلم فضيلة العلامة محمد بن أحمد الحجري المطبوع بذيل المشجر الكشاف للنجفي – وفي طرة عنوان الرسالة الوازعة للإمام يحيى بن حمزة صاحب هذا النسب المطبوعة بالمطبعة المنيرية بمصر سنة ١٣٤٨يوجد ذكر هذا النسب فيما يظهر مختصراً غير أنه سمّى أحمد بن إدريس هذا المذكور بمشجر نسب أئمة اليمن باسم محمد بن إدريس =

محمد (١٩٥ – ٢٢٠هـ) بن علي (١٥٣ – ٢٠٣هـ) بن موسى (١٢٩ – ١٨٣هـ) بن جعفر (٨٠ – ١٤٨هـ) بن محمد (٥٩ – ١١٤هـ) بن علي (٣٣ – ٩٥هـ) بن الحسين (٤ – ٦١هـ) ابن الإمام علي (٢٣ قبل الهجرة – ٤٠هـ).

(١٢) نسب ملك اليمن الإمام أحمد بن يحيى:

هو أحمد (ميلاده ١٣١٣) بن يحيى (١٢٨٤ – ١٣٦٧هـ) بن محمد وفاته سنة ١٣٢٢ هـ) بن يحيى بن محمد بن يحيى بن محمد بن إسماعيل بن محمد بن الحسين (وفاته سنة ١٠٦٧هـ) بن القاسم (٩٦٧ – ١٠٢٩هـ) بن محمد بن علي بن محمد بن علي بن الرشيد بن أحمد بن الحسين بن علي بن يحيى[1] بن يوسف بن القاسم بن يوسف (وفاته سنة ٤٠٣) بن يحيى (وفاته سنة ٣٦٦) بن أحمد (وفاته سنة ٣٢٦هـ) بن يحيى (٢٢٠ – ٢٩٨هـ) بن الحسين بن القاسم (١٦٩ – ٢٤٦هـ) ابن إبراهيم بن إسماعيل بن إبراهيم (٧٦ – ١٤٥هـ) بن الحسن (٤٤ – ٩٧هـ) بن الحسن (٣ – ٥٢هـ) ابن الإمام علي كرم الله وجهه (٢٣ق هـ – ٤٠هـ).

(١٣) نسب ملك العراق الشريف فيصل الثاني:

هو فيصل (ميلاده ١٣٥٤هـ) بن غازي (١٣٣٠ – ١٣٥٨) بن فيصل (١٣٠١ – ١٣٥٢ هـ) بن الحسين (١٢٧٠ – ١٣٥٠هـ) بن علي (وفاته سنة

= ومن مراجعة ص[٢٧] من المشجر يلوح للناظر أنه لا يوجد اسم أحمد بن إدريس بين من ذكرهم من أولاد إدريس بن جعفر، وعندما ذكر صاحب (المشجر الكشاف) محمداً قال عنه: كان بالمدينة فليحقق. أما في تاريخ المواليد والوفيات في هذا النسب فإنا قد اعتمدنا غالباً على ما جاء في (عمدة الطالب) لابن عنبة نسخة الطبعة العراقية وما عليها من تعليقات للسيد محمد الصادق آل بحر العلوم غير أننا فيما يتعلق ببعض تواريخ المواليد إنما استخرجنا ذلك بالاستنتاج على وجه التقريب مما ضبطناه من مبلغ أعمار ذلك البعض تقريباً لفهم الموضوع وتوضيحاً للمقام وسنلتزم الجري على هذا في الأمثلة الآتية.

(١) مستندنا في ضبط هذا النسب (مشجر أئمة اليمن) لفضيلة العلامة محمد بن أحمد الحجري الذي أثبته بذيل (المشجر الكشاف) للعميدي النجفي مؤلف (بحر الأنساب) السيد حسين بن محمد الرفاعي ويزيد فضيلة العلامة علوي بن طاهر الحداد في ما تلقيناه عنه في عمود هذا النسب (محمدا) بهذا الموضع فيما بين يحيى هذا ويوسف.

١٢٨٧هـ) ابن محمد (١٢٠٤ – ١٢٧٤هـ) ابن عبد المعين بن عون بن محسن بن عبد الله بن حسين بن عبدالله (وفاته سنة ١٠٤١هـ) بن حسن (٩٣١ - ١٠١٠هـ)ابن أبي نمي محمد (٩١١ – ٩٩٢هـ) بن بركات (٨٥٨ – ٩٣١هـ) بن محمد (٨٤٠ – ٩٠١ هـ) بن بركات (وفاته ٨٥٩ هـ) ابن حسن (٧٧٥ – ٨٢٩ هـ) ابن عجلان (٧٠٧ – ٧٧٧هـ)[1] بن رميثة (وفاته ٧٤٦هـ) ابن أبي نمي محمد(وفاته ٧٠١هـ) بن حسن (وفاته ٦٥١هـ) بن علي بن قتادة (٥٢٨ - ٦١٨هـ) ابن إدريس بن مطاعن بن عبدالكريم بن عيسى بن الحسين بن سليمان بن علي ابن عبد الله بن محمد[2] بن موسى (وفاته ٢٥٦ هـ) بن عبد الله بن موسى بن

---

(١) على هذا جرى العلامة أحمد زيني دحلان المكي في كتابه (تاريخ الدول الاسلامية بالجداول المرضية) [ص١٤٦ – ١٥٢] طبع المطبعة البهية بمصر سنة ١٣٠٦هـ في سرد هذا النسب إلى عجلان وهو يخالف ما في المشجر الخاص للأسرة الملكية الهاشمية الموضوع بأول نسخة الطبعة العراقية من كتاب (عمدة الطالب) لابن عنبة التي تولت نشرها المكتبة المرتضوية بالنجف فالمشجر المذكور قال في سرد هذا النسب ما مثاله بعد قوله ابن بركات الأول (بن حسن الثاني بن أمير مكة علي المقتول سنة (٧٩٧) ابن ملك الحجاز عجلان) فزاد طبقة في هذا النسب وجعل اتصاله بطريق علي بن عجلان المذكور بينما العلامة دحلان إنما يجعل اتصال هذا النسب عن طريق حسن بن عجلان أخي علي بن عجلان ويسقط هذه الطبقة التي زادت في المشجر المذكور وما جرى عليه العلامة دحلان هو الصواب ويوافقه فيما قاله العلامة محمد جار الله بن ظهيرة القرشي المخزومي في كتابه (الجامع اللطيف) في فضل مكة وأهلها وبناء البيت الشريف وكذا العلامة محمد بن أبي بكر الشلي المكي في كتابه السناء الباهر ذيل (النور السافر)، والشلي هذا هو مؤلف التاريخ الذي سماه (المنهل المورود في أخبار ملوك مكة القتادين أهل النجدة والنجود) انتهى فيه بترجمة الشريف بركات بن محمد بن إبراهيم بن بركات بن أبي نمي المتوفى -أي بركات هذا- سنة ١٠٩٣، وبدأ فيه بترجمة قتادة بن إدريس بن مطاعن وكنا منذ سنوات قبل الاهتمام بهذا الموضوع قد وقفنا على نسخة مخطوطة قديمة من هذا المؤلف بمكتبة آل بن يحيى بتريم كانت الأرضة للأسف قد التهمت جانبا عظيماً منها، وهي تقع في أربعين صفحة من القطع المتوسط، وفي آخر هذه النسخة قال كاتبها: (هذا آخر ما وجد بخط المصنّف رحمه الله تعالى رحمة الأبرار و كان انتقاله يعني المصنّف آخر يوم من ذي الحجة سنة ١٠٩٤ وتم نسخه على يد الفقير إلى الله عبد الكريم بن أحمد بن إدريس العبدي المعروف بالشماخ المكي في شهر محرم سنة ١١٣٧ وعلى هذا يدرك الناظر أن الصواب ما ذكره دحلان وموافقوه، فأهل مكة أدرى بشعابها.

(٢) هكذا ساق العلامة دحلان هذا النسب في ما بين سليمان ومحمد هذا وهو الملقب بالثائر، ووافقه العميدي على هذا في (المشجر الكشاف) والشلي في (السناء الباهر) وابن ظهيرة القرشي في (الجامع اللطيف) =

عبدالله (٧٠ – ١٤٥ هـ) ابن الحسن (٤٤ – ٩٧ هـ) ابن الحسن (٣ – ٥٢ هـ) ابن الإمام علي كرم الله وجهه (٢٣ق هـ – ٤٠ هـ).

(١٤) نسب آخر ملوك العبيديين:

هو العاضد (وفاته ٥٦٧ هـ) ابن يوسف ابن الظافر (قتل سنة ٥٤٩ هـ) ابن الحافظ (وفاته ٥٤٤ هـ) بن محمد بن المستنصر (٤١٩ – ٤٨٧هـ) ابن الظاهر (٤٠٤ – ٤٢٧هـ) ابن الحاكم بأمر الله (٣٧٥ – ٤١١هـ) ابن العزيز (وفاته ٣٨٦هـ) ابن المعز (وفاته ٣٦٥ هـ) ابن المنصور (وفاته ٣٤١هـ) ابن القائم بأمر الله (٢٨٥ – ٣٣٤هـ) ابن المهدي بن عبيدالله[1] (وفاته ٣٢٢هـ) بن محمد بن جعفر بن

= وفي الشجر الخاص الموضوع بأول نسخة الطبعة العراقية من (عمدة الطالب) لابن عنبة زيادة طبقتين في عمود النسب فقد ساقه هكذا (ابن سليمان بن علي بن عبدالله بن محمد المعروف بثعلب بن عبدالله الاكبر ابن محمد الأكبر الثائر)، ويظهر أن الخبط بهذه الزيادة سرى إليه من الخلط الذي وقع في (عمدة الطالب) بين علي بن عبدالله الذي يعرف بابن السلمية وبين ابن أخيه علي بن عبدالله بن محمد المعروف بثعلب فليتأمل.

(١) الناس مختلفون في صحة انتساب العبيديين إلى أهل البيت، ويشير ابن عنبة في (عمدة الطالب) إلى صحة نسبهم، ومما احتج به في ذلك قوله: (والشريف الرضي مع جلالة قدره صحح في شعره نسبهم حيث يقول:

ما مقامي على الهوان وعندي ... مقول صارم وأنف حمي

أحمل الضيم في بلاد الأعادي ... وبمصر الخليفة العلوي

من أبوه أبي ومن جدّه جدي ... إذا ضاعني البعيد القصي

بل قال عنهم ابن زهرة في كتابه (غاية الاختصار) في البيوتات العلوية المحفوظة من الغبار كما نقل عنه ذلك السيد علي جلال الحسيني في كتابه (الحسين) ما لفظه: (إن أهل النسب لم يتعرض أحد منهم لهم بغمز ولا طعن، ولكن القادر الخليفة كان في بلاده كاسمه، وأحب أن يدخل الوهن عليهم ويدفعهم عن النسب ليسقط بذلك استعدادهم للخلافة فانشأ الرسالة القادرية والمحضر المتضمن للطعن في نسبهم فكلف أعيان بني علوي وغيرهم أن يشهدوا بذلك، وتوعدهم إن لم يفعلوا، فمنهم من أجاب ومنهم من امتنع، و مِن مَن امتنع السيد الرضي..الخ) أما المؤرخون فمنهم من قال بصحة نسبهم كابن الجوزي في ما نقلوه عنه من تلك الرواية في انتساب العبيديين إلى محمد بن إسماعيل بن جعفر الصادق وتختلف عن رواية النسابين التي أوردها المشجر الكشاف كما ستأتي الإشارة إليها فروايته هذه هكذا: (عبيد الله بن محمد بن عبد الله بن ميمون بن محمد بن إسماعيل بن جعفر الصادق..الخ) ففيها إبدال جعفر بعبد الله كما أن فيها أيضاً زيادة طبقة في النسب وهو ميمون وممن تصدّى من المؤرخين لبحث قضية الاختلاف في صحة نسبهم المقريزي في خططه وابن خلدون في مقدمته وتاريخه وما ذكره وأجاد =

محمد بن إسماعيل بن جعفر الصادق بن محمد الباقر بن علي زين العابدين بن الحسين بن الإمام علي بن أبي طالب كرّم الله وجهه[1] (٢٣ق هـ - ٤٠ هـ).

(١٥) نسب أخر ملوك العباسيين ببغداد: هو

المستعصم (٦٣٩ - ٦٥٦ هـ) ابن المستنصر (٥٨٨ - ٦٤٠هـ) ابن الظاهر (٥٧٠ - ٦٢٣هـ) ابن الناصر (٥٥٢ - ٦٢٢هـ) ابن المستضئ (٥٣٦ - ٥٧٥هـ) ابن المستنجد (٥١٥ - ٥٦٦ هـ) ابن المقتفي (٤٨٩ - ٥٥٥هـ) ابن المستظهر (٤٧١ - ٥١٢هـ) ابن المقتدي (٤٤٩ - ٤٨٧هـ) بن محمد ذخيرة الدين بن القائم (٣٩١ - ٤٦٧هـ) ابن القادر (٣٣٦ - ٤٢٢هـ) بن إسحاق بن المقتدر (٢٨٢ - ٣٢٠هـ) ابن المعتضد (٢٤٤ - ٢٨٩هـ) ابن الموفق وفاته (٢٧٨هـ) ابن المعتصم (١٨٠ - ٢٢٧هـ) ابن الرشيد (١٤٨ - ١٩٣هـ) ابن المهدي (١٢٧ - ١٦٩هـ) بن المنصور (٩٥ - ١٥٨هـ) بن محمد (٥١ - ١٢٤هـ) بن علي (٤٠ - ١١٨هـ) بن عبدالله (٣ق هـ - ٦٨هـ) ابن العباس (٥٦ ق هـ - ٣٢هـ) بن عبد المطلب (١٨٥-٤٥ ق هـ).

= فيه بهذا الصدد مدللا على صحة نسبهم قوله في مقدمته: (وما زال بنو العباس يغصون بمكانهم ودولتهم وملوك بني أمية وراء البحر ينادون بالويل والحرب منهم وكيف يقع هذا كله لدعي في النسب يكذب في انتحال الأمر) وقوله أيضاً متعجباً ممن يجنح إلى تصديق الطعن في نسبهم (إن كان ذلك لما كانوا عليه من الإلحاد في الدين والتعمق في الرافضة فليس ذلك بدافع في صدر دعوتهم وليس إثبات متسبهم بالذي يُغني عنهم في كفرهم فقد قال الله تعالى لنوح في شان ابنه: (إنه ليس من أهلك إنه عمل غير صالح فلا تسألني ما ليس لك به علم) . إلى أن قال عما سجله القضاة ببغداد من نفيهم عن هذا النسب اعتبارا بمن شهد بذلك عندهم من أعلام الناس وعن هذه الشهادة: (كانت في ذلك على السماع لما اشتهر وعرف بين الناس ببغداد وغالبها شيعة بني العباس الطاعنون في هذا النسب فنقله الإخباريون كما سمعوه ورووه حسبما وعوه، والحق من ورائه وفي كتاب المعتضد في شان عبيدالله إلى ابن الأغلب بالقيروان وابن مدرار بسجلماسة أصدق شاهد وأوضح دليل على صحة نسبهم فالمعتضد أنقه بنسب أهل البيت من كل واحد) وأهم ما يدور عليه كلامهم في عدم الاعتبار بما سجله القضاة من نفي العبيدين عن هذا النسب إنما شهادة نفي لا تعارض ما ثبت في كتاب المعتضد المشار إليه آنفا الذي يغري فيه ابن الأغلب وابن مدرار بالقبض على عبيدالله لما سار إلى المغرب.

(١) هذه رواية (المشجر الكشاف) للنجفي العميدي، وهي إحدى الروايات في نسب عبيدالله المهدي إلى إسماعيل ابن جعفر الصادق.

(١٦) نسب آخر ملوك العباسيين بمصر:

هو المتوكل (وفاته سنة ٩٤٥ هـ)[1] ابن المستمسك (وفاته ٩٢٥ هـ) ابن المتوكل (٨١٩ – ٩٠٣ هـ) بن يعقوب بن المتوكل (٧٤٥ – ٨٠٨ هـ) ابن المعتضد (وفاته ٧٦٣ هـ) ابن المستكفي (٦٨٤ – ٧٤٠ هـ) ابن الحاكم (٦٣٥ – ٧٠١ هـ) ابن حسن بن علي بن أبي بكر المسترشد (٤٨٥ – ٥٢٩ هـ) ابن المستظهر (٣٧١ – ٤١٢ هـ) إلى آخر النسب (الذي مضى ذكره آنفا).

(١٧) نسب عبد الصمد العباسي:

هو عبد الصمد (١٠٤ – ١٨٥ هـ) بن علي (٤٠ – ١١٨ هـ) بن عبد الله (٣ق هـ – ٦٨ هـ) بن العباس (٥٦ ق هـ – ٣٢ هـ) بن عبد المطلب (١٨٥ – ٤٥ ق هـ).

(١٨) نسب المطلب بن ربيعة:

هو عبد المطلب (وفاته ٦٢ هـ) بن ربيعة (وفاته ٢٣ هـ) بن الحارث بن عبد المطلب (١٨٥ – ٤٥ ق هـ).

(١٩) نسب أبي هاشم الجعفري:

هو داود (وفاته ٢٥٢ هـ)[2] ابن القاسم بن إسحق بن عبد الله (١٠ ق هـ – ٨٠ هـ) ابن جعفر (٣٣ ق هـ – ٧ هـ) ابن طالب وفاته (٣ق هـ) بن عبد المطلب من (١٨٥ – ٤٥ ق هـ).

(٢٠) نسب الشاعر الفارس عبد الله بن معاوية الجعفري:

هو عبد الله (وفاته ١٨٣ هـ) بن معاوية بن عبد الله (١٠ ق هـ – ٨٠ هـ) بن

---

(١) هكذا ذكر تاريخ وفاته دحلان في (تاريخ الدولة الإسلامية)، وفي السناء الباهر للشلي ذكر أن وفاته سنة ٢٥٠ هـ.

(٢) هكذا ذكر تاريخ وفاته الخطيب في تاريخ بغداد (٨/ ٣٦٩)، وقد تلقينا ذلك عن العلامة الوالد علوي ابن طاهر الحداد أن وفاته كانت سنة ٣٦٢ هـ.

جعفر (٣٣ ق هـ - ٧هـ) ابن أبي طالب (وفاته ٣ق هـ) بن عبد المطلب (١٨٥ - ٤٥ ق هـ).

(٢١) نسب الفقيه المحدث عبد الله بن محمد العقيلي:

هو عبد الله (وفاته بعد ١٤٠ هـ) ابن محمد بن عقيل (٤٣ ق هـ - ٦٠ هـ) ابن أبي طالب (وفاته ٣ ق هـ) ابن عبد المطلب (١٨٥ - ٤٥ ق هـ).

(٢٢) نسب الميرزا محمد تقي الطباطبائي:

هو محمد (١١٠٠ - ١٢٣١هـ)[1] بن محمد بن إسماعيل درويش بن داود ابن حكيم الممالك بن جلال الدين بن عباد ابن أبي المكارم[2] بن عباد بن أحمد بن عباد بن علي بن حمزة بن طاهر بن علي بن محمد[3] (وفاته ٣٢٢ هـ) بن أحمد بن محمد بن أحمد بن إبراهيم بن إسماعيل بن إبراهيم (٧٦ - ١٤٥هـ) بن الحسن (٤٤ - ٩٧هـ) بن الحسن (٣ - ٥٣هـ) ابن الإمام علي كرم الله وجهه (٢٣ ق هـ - ٤٠هـ).

(٢٣) نسب السيد محمد المهدي الملقب ببحر العلوم:

هو محمد (وفاته ١٢١٢هـ) ابن المرتضى بن محمد بن عبد الكريم بن مراد ابن أسد الله بن جلال الدين بن الحسن بن علي بن محمد بن إسماعيل بن عباد بن أبي المكارم بن عباد بن أحمد بن عباد بن علي بن حمزة بن طاهر بن علي بن محمد ابن أحمد[4] بن محمد[5] بن أحمد بن محمد بن القاسم بن علي بن محمد (وفاته ٣٢٢هـ) بن أحمد بن محمد بن أحمد بن إبراهيم بن إسماعيل بن إبراهيم (٧٦ -

(١) جاء في (مجلة المرشد البغدادي) عدد (١٠ من السنة الثالثة) الصادر في شعبان سنة ١٣٤٧ أنه توفي سنة ١٢٣١هـ عن عمر تجاوز المائة والثلاثين عاما.

(٢) هنا يجتمع نسب آل الحكيم وآل بحر العلوم.

(٣) يلقب بالشاعر الأصفهاني.

(٤) يُكنّى بأبي الفتوح توفي باصبهان في محلة غازيان.

(٥) يُكنّى بأبي جعفر دفن عند جده بجميلان أصفهان.

١٤٥هـ)ابن الحسن (٤٤ – ٩٧هـ) بن الحسن (٣ – ٥٣هـ) بن الإمام علي كرم الله وجهه (٢٣ ق هـ – ٤٠هـ)[١].

---

(١) من المستغرب كونه يحدث اختلاف وخبط كبير بين ما ضبطه العلامة السيد محمد الصادق من نسب أبي عبدالله، هذا النسابة الطباطبائي الشهير، وذلك في تعليقاته على نسخة الطبعة العراقية من (عمدة الطالب)؛ وبين ما يوجد في أصل (عمدة الطالب) المعلق عليه [راجع ص ٣٨ و١٦٢] فمن التعليقات جعل نسبه إلى علي بن الحسن بن إبراهيم طباطبا؛ بينما الأصل يذكر أن نسبه يرجع إلى أبي الحسن الشاعر الأصفهاني وهو محمد بن أحمد بن محمد بن أحمد بن طباطبا.

وهناك اختلاف ثان واضطراب في سرد هذا النسب بين ما يوجد في (المشجر الكشاف) وما في (عمدة الطالب)، وأيضا بين ما في نسخة الطبعة العراقية من (عمدة الطالب) وما في النسخة البيتية المخطوطة، فهو في (المشجر الكشاف) هكذا (الحسين بن محمد بن أبي طالب بن القاسم بن محمد بن القاسم بن علي ابن محمد بن أحمد بن إبراهيم طباطبا) فهو يسقط طبقتين من عمود هذا النسب، أي طبقة الشاعر الأصفهاني وأبيه مما يوجد في كلتا النسختين من (عمدة الطالب).

وأما ما يوجد من الفرق بين ما في نسختي (عمدة الطالب) المشار اليهما قريبا كان الأمر فيه لا يزيد عن مغايرة بسيطة وقعت من النساخ، ففي النسخة البيتية: ((وأما أحمد الرئيس بن طباطبا ويكنى أبا عبدالله فاعقب من رجلين أبي جعفر محمد وأبي إسماعيل إبراهيم وجمهورو -كذا بزيادة الواو-)) عقبه يرجع إلى أبي الحسن الشاعر الأصفهاني وهو محمد بن أحمد بن محمد بن أحمد المذكور، صاحب كتاب نقد الشعر وغيره، ومن ولد القاسم وأبو البركات محمد وأبو الحسن محمد وأبو المكارم محمد بنو الشريف أبي الحسن محمد بن القاسم بن علي بن محمد بن أحمد طباطبا، فمن ولد القاسم بن محمد الشريف النسابة أبو عبدالله الحسين بن محمد بن أبي طالب بن القاسم هكذا قال ابو الحسين (وكذا) قال العمري: لقيته وقرأت عليه وكاتبته في الأنساب. أما عبارة نسخة الطبعة العراقية فهي ((وأما أحمد الرئيس بن طباطبا ويُكنّى أبا عبدالله فأعقب من رجلين أبي جعفر محمد وأبي إسماعيل إبراهيم وجمهور عقبه يرجع إلى أبي الحسن الشاعر الأصفهاني وهو محمد بن أحمد بن محمد بن أحمد المذكور صاحب كتاب (نقد الشعر) وغيره، ومن ولده القاسم أبو البركات محمد، وأبو الحسين (كذا) محمد، وأبو المكارم محمد بنو الشريف أبي الحسن محمد المذكور، فمن ولد القاسم بن محمد الشيخ الشريف (النسابة أبو عبدالله الحسين بن محمد ابن أبي طالب بن القاسم. هكذا قال أبو الحسن العمري لقيته وقرأت عليه وكاتبته في الأنساب) فالفرق بين النسختين المذكورتين أهمه أن النسخة العراقية اقتصرت عند قوله: ومن ولده القاسم فقالت عنه وعن إخوانه بنو الشريف أبي الحسن محمد المذكور وفي النسخة البيتية سرد نسبهم إلى طباطبا باسقاط طبقتين في ما بين طباطبا ومحمد الشاعر اكتفاء بما تقدم في صدر الكلام.

أما ما يظهر في تحقيق هذا النسب فهو أن نسختي (عمدة الطالب) مصرحتان باتصال نسب أبي عبد الله إلى الشاعر الأصفهاني، وأن عمود نسب هذا الشاعر يتألف من أربع طبقات بدخول طبقة الشاعر المذكور ويوافق ما في نسختي (عمدة الطالب) من كون نسب الشاعر الأصفهاني إلى إبراهيم يتألف من=

(٢٤) نسب الشريف النسابة ابن طباطبا بن محمد بن القاسم:

هو الحسين (وفاته ٤٤٩ هـ) بن محمد بن أبي طالب بن القاسم بن محمد بن القاسم بن علي بن محمد (وفاته ٣٢٢هـ) بن أحمد بن محمد بن أحمد بن إبراهيم بن إسماعيل بن إبراهيم (٧٦ – ١٤٥ هـ) بن الحسن (٤٤ – ٩٧ هـ) بن الحسن (٣ – ٥٣ هـ) ابن الإمام علي كرم الله وجه (٢٣ ق هـ – ٤٠ هـ).

(٢٥) نسب الحبيب أحمد بن علي بن الشيخ أبي بكر:

هو أحمد (ولد ١٣٣٩ هـ) بن علي (١٣١٥ – ١٣٤٩ هـ) بن أحمد (وفاته ١٣٢٤ هـ) بن سالم (وفاته ١٢٩٣ هـ) بن سقاف (وفاته – ١٢٨٣ هـ) بن أبي بكر (وفاته ١٢٦١ هـ) بن أحمد (وفاته ١٢٤٣هـ) بن سالم (وفاته ١٢١١هـ) بن أحمد (وفاته ١١٧٧هـ) ابن علي (وفاته ١١٢٤هـ) بن أحمد (وفاته ١١١٠هـ) بن علي (١٠٤٥ – ١٠٩٦هـ) بن سالم (وفاته ١٠٨٧ هـ) بن أحمد (وفاته ١٠٦١ هـ) بن الحسين (وفاته ١٠٤٤هـ) بن أبي بكر (٩١٩ – ٩٩٢ هـ) بن سالم (وفاته ٩٤٤هـ) ابن عبدالله بن عبدالرحمن (وفاته ٨٨٠ هـ) بن عبد الله (وفاته ٨٥٧ هـ) بن

= أربع طبقات ما سبق ذكره في الأصل في نسب الميرزا محمد تقي – ونسب السيد محمد المهدي (بحر العلوم) الطباطبيين المنقول أولها عن مجلة المرشد.

وثانيها عن تعليقات السيد محمد الصادق على نسخة الطبعة العراقية، ومن هنا تعرف خطأ ما وقع في (المشجر الكشاف) أولاً من إخراج محمد الشاعر من عمود هذا النسب. وثانياً من جعل ما بين علي بن محمد الشاعر الجد الجامع للمحمدين المذكورين آنفا ولأبي عبدالله هذا وبين إبراهيم طباطبا طبقتين مع أنها أربع طبقات كما تقدم ذلك – بقي أن يقال: إن في ضبط نسب أبي عبدالله على هذا المثال ما يقتضي أن يكون عدد طبقات هذا النسب سبعاً أي من أبي عبدالله إلى محمد الشاعر الأصفهاني مع أن المدة من وفاة الشاعر إلى وفاة أبي عبدالله إنما هي مائة وسبع وعشرون ١٢٧ سنة فتكون نسبة الأطراف هنا أكثر مما هي في نسب العبيديين أي من ميلاد الظاهر سنة ٤٠٤ إلى وفاة العاضد سنة ٥٦٧ فإنه يبلغ مجموع هذه المدة ١٦٣ سنة لتلك السبع الطبقات من العبيديين، ويمكن أن يجاب عن هذا بأن حساب المدة هنا في نسب العبيديين تبتدئ من ميلاد الظاهر، وفي نسب أبي عبدالله إنما كانت من وفاة الشاعر الأصفهاني لا من ميلاد ابنه علي المجهول لدينا تاريخ ولادته إذ يحتمل الأمر وقوع هذا الميلاد في زمن متقدم بمقدار الستة والثلاثين عاماً التي هي مبلغ هذا الفرق أو بما هو أكثر من هذا.

عبدالرحمن (٧٣٩ – ٨١٩هـ) بن محمد (وفاته ٧٦٥ هـ) ابن علي (وفاته ٧٠٩ هـ) ابن علوي (وفاته ٦٦٩ هـ) بن محمد (٥٧٤ – ٦٥٣ هـ) بن علي (وفاته سنة نيف و٥٩٠ هـ) بن محمد (وفاته سنة نيف و٥٥٠ هـ) بن علي (وفاته ٥٢٩ هـ) بن علوي (وفاته ٥١٢ هـ) بن محمد بن علوي (وفاته بعد سنة ٤٠٠)[1] بن عبيدالله (وفاته ٣٨٣ هـ)[2] بن أحمد (وفاته ٣٤٥ هـ) بن عيسى ميلاده سنة بضع

---

(١) كان ميلاده بحضرموت كما في (المشرع)، و(شرح العينيه)، و(مشجر العلامة الحبيب عبدالرحمن المشهور) من غير تعيين لسنة الميلاد، وفي المشجر المذكور للعلامه المشهور ذكر عن تاريخ وفاته بعد قوله ولد سيدنا علوي بحضرموت ما مثاله: ((وتوفي بسمل كما ذكره سيدنا عبدالله الحداد موضع قريب من ثلث مرحلة من تريم بعد الأربعمائة)).

(٢) هذا هو اسمه المشهور بحضرموت، وكذا في كثير من كتب التاريخ والأنساب وبعض المؤرخين يسمونه (عبد الله) ومن هؤلاء أبو الفضل الموسوي في كتابه (النفحة العنبرية في أنساب خير البرية)، وشيخ الشرف العبيدلي كما نقل ذلك عنه السيد محمد مرتضى الزبيدي في كتابه (الروض الحلي في نسب بني علوي)، وكان أبو فضل الموسوي وشيخ الشرف العبيدلي المذكوران ممن تعرّض لذكر هجرة الإمام أحمد ابن عيسى إلى حضرموت، ومصعب الزبيري فيما حكاه عنه السيد محمد مرتضى في كتابه المذكور إلا أن مصعباً قال بعد ذلك (وقيل بالتصغير عبيدالله قال الزبيري: وكان أي مصعب من معاصريه أو قريباً منهم، بل وممن عدّه السيد مرتضى الزبيدي من هؤلاء أيضاً أبو نصر البخاري والعمري، وقال عن العمري صاحب (مشجر الأنساب) قلت: وفي إفراد السيد مرتضى هذا المشجر بالذكر هنا من بين مصنفات العمري الأخرى الشهيرة ما قد يومئ به إلى اختصاص هذا المشجر بذكر عبيدالله هنا وأن من عادة العمري أنه يجتزئ بذكر محمد فقط من بين أولاد أحمد بن عيسى وهذا هو ما جرى عليه في كتابه (المجدي) فقد قال ما مثاله ((ومن عقبه ببغداد محمد بن علي بن محمد بن أحمد بن عيسى بن محمد العريضي)) وعلى ما تقدم من هذا النقل في تسمية هؤلاء له بعبد الله من أنه كان يسمى بعبد الله، وإن كان هو اسمه في الأصل وذلك لعظيم تواضعه بل يصغر اسمه إجلالاً لربه وتحقيراً لنفسه فيسمي نفسه عبيداً ولا يرضى بغيره.

ونقول في قول السيد محمد مرتضى عن مصعب الزبيري إنه كان من معاصري سيدنا عبدالله أو قريباً منهم أنه أراد بمصعب هذا مصعب بن الزبير بن بكار المتوفى في ختام القرن الثالث الذي روى كتاب (أنساب قريش) المطبوع بأوروبا الذي ألّفه والده الزبير بن بكار المتوفى سنة ٢٥٦ فظاهر، فقد كان ميلاد سيدنا عبيد الله في زمنه أي مصعب المذكور بدليل أن بصري بن عبيد الله ولد له بالبصرة قبل الهجرة منها إلى حضرموت سنة ٣١٧، وأما إن أراد به مصعب بن عبد الله بن مصعب بن ثابت بن عبد الله بن الزبير ابن العوام المتوفى سنة ٢٣٣ صاحب كتاب (أنساب قريش) الذي لم يطبع إلى الآن على ما تلقيت ذلك عن فضيلة العلامة الحبيب علوي بن طاهر الحداد وهو أي مصعب هذا على ما يظهر مما جاء بهامش =

و(٢٠٠هـ) بن محمد بن علي[1] (وفاته ٢١٠هـ) بن جعفر (٨٠ – ١٤٨ هـ) بن محمد (٥٩ – ١١٤ هـ) بن علي (٣٧ – ٩٥ هـ) بن الحسين (٤ – ٦١ هـ) ابن الإمام علي كرم الله وجهه (٢٣ ق هـ – ٤٠ هـ).

= نسخة الطبعة العراقية من (عمدة الطالب) [ص ١٤٠] عم والد مصعب المتقدم ففي هذا ما ينبغي أن يتفطن له من دقيقة تقع في كتب الأنساب وهي التي عنها ينشأ الإشكال في مثل ما ها هنا بسبب أن مصعباً هذا متقدم الزمن وأن ميلاد سيدنا عبيدالله كان في عصر متأخر عنه وهذه الدقيقة هي أن كتب النسب يقع فيها أنه في الأصل تنسب إلى أول من يقوم بتأليفها ويحدث أن يتولى بعد وفاة المؤلف من النسابين من يخلفه إما من عقبه أو من غيرهم في ضم زيادات ونتمات من إلحاق الفروع الحديثة أو إضافة فوائد وتحقيقات، وغالباً تكون هذه الزيادات خلواً من الإشارة بكونها مما أضيف مؤخراً بعد وفاة المؤلف فتندمج في الأصل حتى يظن أنها منه ولا تكاد تعرف وتتميز إلا عن طريق السبر والفحص الدقيق، وليس يقتصر الأمر فيما ذكرنا على المشجرات فقط بل كثيراً ما يقع ذلك في كتب النسب الأخرى التي تقوم بتلخيص ما تحويه المشجرات مع زيادة تنقيح الأقوال وحكاية الخلاف وتوضيح الإشكال، ككتاب (المجدي) للعمري و(عمدة الطالب) لابن عنبة حيث يتفق أن يدخل النساخ في صلبها تعليقات وإضافات وجدت على الهامش اشتباهاً بأنها من الأصل، وخذ مثالاً ما نقله السيد محمد مرتضى من أن النسابة أبا طالب الأزرقاني ذكر في تأليفه (بحر الأنساب) وورود حكاية إليه من الإمام علي ابن علوي ابن الفقيه يخبره بزيارة ولده محمد مولى الدويلة، وقد عرض هذا الإشكال لبعضهم لما ذكروه أن الأزرقاني ألف هذا بالإشارة من الإمام الفخر الرازي وكانت وفاة الفخر الرازي ٦٠٦ هـ والإمام علي بن علوي كانت وفاته سنة ٧٠٩، يضاف إلى هذا أن مقتضى ما نقلوه كما في (المشرع الروي) في تلقيب ابنه محمد بمولى الدويلة، ومعناه الباني لقرية يبحر العتيقة، أنه لم يذكر أنه لم يعرف بذلك اللقب إلا بعد بناء يبحر الجديدة التي حدثت بعده بقريبها، فقيل للأولى يبحر الدويلة (أي العتيقة)، وكانت وفاة محمد مولى الدويلة سنة ٧٦٥ وأقل ما يظن أن اشتهار مولى الدويلة بهذا اللقب غير محتمل الوقوع قبل القرن التاسع فكيف يقال: إن هذا مما ذكره أبو طالب الأزرقاني الذي كان يعيش من قبل ذلك بنحو قرنين من السنين فمن هذا المثال تعرف ما يوقعه الوهم وعدم السبر من مثل هذا الإشكال فيما يصح اعتباره في كتب النسب بأنه من كلام من ينسب إليه الكتاب أو بأنه ليس إلا من كلام غيره ممن جاء بعده من خلائفه أو أعقابه الذين تولوا أو عهد إليهم في إضافة الزيادات وتتميم التحقيقات إلى الكتاب.

(١) هذا ما يؤخذ من كلام أبي الفضل الموسوي في كتابه (النفحة العنبرية في أنساب خير البرية) مما استفدناه من كلامه الذي يقتضي هجرة الإمام علي بن جعفر مع ابنه محمد إلى الرس بطبرستان وكون ميلاد عيسى ابن محمد وقع هناك حيث ذكر بعد قوله (أولاد علي بن جعفر الصادق عليه السلام) وبعد قوله (ومحمد والعقب له وكذا) ما هذا لفظه: ((وهو المنتقل إلى الرس مهاجراً وصحبه ترجمان الدين الحسيني (وهو القاسم بن إبراهيم طباطبا جد أئمة اليمن الحسينيين المتوفى في جبل الرس سنة ٢٤٦ عن ٧٧ سنة من =

(٢٦) نسب الإمام الشهير علي بن محمد بن جديد:

هو علي (وفاته ٦٢٠ هـ) بن محمد بن أحمد بن جديد بن علي بن محمد بن جديد بن عبد الله[1] بن أحمد بن عيسى بن محمد بن علي بن جعفر الصادق بن

= العمر) وذلك أنهما أقاما بمكة لبيعة محمد الأكبر بن جعفر الصادق عليه السلام في أيام المامون ثم توجه إلى جرجان بعد أن كتبوا إليه أنهم ناصروه على الحق، فمات مستخفياً قبل تمام الكلمة وذلك سنة ٢٠٣ وهو يومئذ ابن تسع وخمسين سنة، فلما مات استوحش أخوه وابن عمه فهاجر إلى الرس فأولد عيسى - كذا- وصوابه (فأولد محمد بن عيسى كما يدل عليه ما يتصل به من الكلام الذي بعده وهو قوله ومن ولد عيسى السيد أحمد المنتقل إلى حضرموت، فمن ولده هناك السيد أبو الجديد القادم إلى عدن في أيام المسعود طغتكين سنة ٦١١ فتوحش المسعود منه لأمر ما، فقبضه وجهزه إلى أرض الهند ثم رجع إلى حضرموت، وفي آخر كلامه سرد نسب أبي الجديد هذا بصورة تتفق مع المعروف في كتب الأنساب الذي هو هكذا - علي بن محمد بن أحمد بن جديد بن علي بن محمد بن جديد بن عبد الله بن أحمد بن عيسى بن محمد بن علي، قال الموسوي بعد ذكر علي هذا ما لفظه (العريضي المقدم الذكر) إلا أنه كناه بأبي علوي، وفي (المشرع) كناه بأبي الحسن فما نقلناه كما تقدم عن الموسوي من كون ميلاد سيدنا عيسى المذكور وقع بالرس عقب الهجرة إليها بعد وفاة محمد بن جعفر في سنة ٢٠٣ مع ما هو معلوم من أن وفاة الإمام علي العريضي قد كانت سنة ٢١٠ تعرف أن ميلاد سيدنا عيسى المذكور كان كما ذكرناه في حدود سنة بضع و٢٠٠. (منقولا عن النفحة العنبرية وكان موافقا لما في مشجر الحبيب العلامة عبد الرحمن بن المشهور، وأيضاً لما في (المشرع الروي) للشلي، ويوجد في (المشرع الروي) ذكر نسب أبناء عمومته الذين منهم الإمام سالم بن بصري المتوفي سنة ٦٠٤من الهجرة النبوية ستمائة وأربع من الهجرة النبوية والمترجم له في (المشرع) المذكور.

(١) عبد الله هو الإمام عبيد الله كما يسميه بعض النسّاب والمؤرخين بحضرموت، وقد توهم بعضهم أنه كان الإمام عبد الله المذكور يسمي نفسه بعبيد الله تواضعا وتحقيرا لنفسه، وليس ذلك بوجيه فإن كثيراً ممن تقدمه من أعقاب الإمام عيسى النقيب بن محمد بن علي العريضي وممن تقدمه يسمون بعبيد الله وقد جرى صاحب (النفحة العنبرية في انساب خير البرية) الذي ننقل عنه هنا سلسلة نسب الإمام علي بن محمد بن جديد جرى على ما ذكره النسابة الشهير مصعب بن الزبير الذي سماه باسم عبد الله قال صاحب (النفحة العنبرية) عن علي بن محمد بن جديد هذا ما لفظه قال: ومن ولد عيسى (عني عيسى النقيب) السيد أحمد المنتقل إلى حضرموت فمن ولده هناك السيد أبو الجديد القادم إلى عدن في أيام المسعود طغتكين سنة ٦١١ فتوحش المسعود منه لأمر ما فقبضه وجهزه إلى أرض الهند ثم رجع إلى حضرموت) قلت: وفي آخر ما ذكره صاحب (النفحة العنبرية)المذكور أنه أورد ما تقدم ذكره من نسب الإمام علي بن محمد بن جديد وكانت وفاة الإمام الشهير ابن جديد المذكور بمكة المكرمة سنة ٦٢٠من الهجرة النبوية على صاحبها أفضل الصلاة والسلام، وقد انقرضوا هؤلاء بنو جديد فقد قال الإمام =

محمد الباقر بن علي زين العابدين بن الحسين بن علي بن أبي طالب كرم الله وجهه (٢٣ ق هـ - ٤٠ هـ).

(٢٧) نسب السيد محمد بن هاشم بن طاهر:

هو محمد[1] (ميلاده ١٣٠٠هـ - ١٣٨٠هـ) بن هاشم (١٢٦٥ - ١٣١٥هـ) ابن عبدالرحمن (١٢١٥ - ١٢٨٠هـ) بن عبد الله (١١٩١ - ١٢٧٢هـ) بن حسين (١١٥٠هـ - ١٢٢٠هـ) بن طاهر (وفاته ١١٦٣ هـ) بن محمد (وفاته ١٠٩٥ هـ) بن هاشم (وفاته ١٠٤٥هـ) بن عبد الرحمن بن عبد الله بن عبد الرحمن بن محمد بن عبد الرحمن بن أحمد بن علوي بن أحمد (وفاته ٧٢٥ هـ) بن عبد الرحمن بن علوي (وفاته ٦١٣هـ) بن محمد[2] (وفاته سنة نيف و ٥٥٠ هـ إلى آخر النسب.

(٢٨) نسب مصنف هذه النبذة:

فأنا الفقير إلى عفو الله عبدالله (ميلادي ١٣١٤هـ) بن حسن (١٢٩٢ - ١٣٢٦ هـ) بن محمد (١٢٥٥ - ١٣١٦ هـ) بن أبي بكر (وفاته ١٢٧٤ هـ) بن محمد (وفاته ما بين سنة ١٢٤٦ هـ - ١٢٤٨ هـ) بن أبي بكر بن محمد بن أبي بكر بن حسين (وفاته١٠٧٣هـ) بن محمد بن حسين (وفاته في حدود سنة ١٠٠٠) بن عبدالرحمن (وفاته ٩٦٩ هـ) بن محمد (وفاته ٩١٧هـ) بن عبد الرحمن (وفاته ٨٩١هـ) ابن عبد الله (وفاته ٨٧٣ هـ) بن أحمد بن علي (وفاته ٨٣٠ هـ) بن محمد (٧٤٣هـ) ابن أحمد (وفاته ٧٠٦ هـ) ابن الفقيه محمد (٥٧٤ - ٦٥٣ هـ) بن علي (وفاته سنة نيف و٥٩٠هـ) بن محمد (وفاته سنة نيف و ٥٥٠ هـ) إلى آخر النسب.

= المؤرخ المحدث محمد بن علي خرد في كتابه غرر «البهاء الضوي» إن آخرهم وفاة امرأة بزبيد توفيت على رأس القرن السابع.

(١) ولد بقرية مسيلة آل شيخ الواقعة في جنوب مدينة تريم على بعد مسافة خمسة أميال تقريباً، وتوفي بمدينة تريم ودفن بمقبرة زنبل في اليوم التاسع من شهر صفر سنة ألف وثلاثمائة وثمانين هجرية.

(٢) محمد هذا هو الملقب بصاحب مرباط، وهو الجد الجامع لبني علوي الموجودين الآن ففيه يجتمع نسب آل فقيه المقدم مع آل طاهر وآل عبيد وآل الحداد وآل بن سميط وآل عظمة خان بالهند وغيرهم من آل عم الفقيه.

(٢٩) نسب العميدي النسابة مؤلف المشجر الكشاف:

هو محمد (ميلاده قبل ٨٤٠ هـ ووفاته بعد ٩٢٧ هـ)[١] بن أحمد بن علي بن الحسن[٢] بن علي بن الحسين[٣] بن محمد بن علي بن أحمد بن علي بن علي بن الحسن بن الحسن[٤] بن يحيى ابن الحسين[٥] بن أحمد بن عمر بن يحيى (وفاته ٢٠٧) بن الحسين[٦] بن زيد (٧٩ – ١٢١هـ) بن علي (٣٧ – ٩٥ هـ) ابن الحسين (٤ – ٦١ هـ) ابن الإمام علي بن أبي طالب كرم الله وجهه (٢٣ ق هـ – ٤٠ هـ).

---

(١) لم نقف على تاريخ يبين سنة ميلاده ووفاته بالضبط، وإنما هذا هو كل ما يؤخذ مما جاء في [ص ٩٠] من (المشجر الكشاف) من خروجه من النجف في سنة ٨٧٤ مع أخيه الحسين وتزوجهما بزوار، ومن أن ميلاد ابنه إجلال الدين الحسين كان في سنة ٨٥١ فمن هذا يؤخذ أن ميلاده كان كما ذكرنا قبل سنة ٨٤٠، ومن قوله أي العميدي نفسه في [راس ص ١٤٩] من (المشجر الكشاف) عن آخر اولاد علي بن الحسن الافطس بن علي الاصغر) الذي هذا لفظه ((سادات تعرش رايتهم في خامس جماد الثاني سنة ٩٢٧ يظهر أنه كان يعيش في السنة المذكورة أي سنة ٩٢٧ وأن وفاته إنما كانت بعد ذلك)).

(٢) الحسن هذا هو جلال الدين الذي صنف ابن عنبة كتابه (عمدة الطالب) بالتماسه وفرغ منه سنة ٨١٢ أو سنة ٨١٤.

(٣) هكذا ذكره في (المشجر الكشاف)، أما في (عمدة الطالب) فقد ذكر عندما سرد نسب جده جلال الدين الحسن في مقدمة الكتاب، وكذا لدى الكلام على أعقاب الحسن الأصم بن الحسن الفارس الحسيني هذا باسم الحسن، وزاد في عمود هذا النسب طبقتين فيما بين الحسن أو الحسين هذا وبين محمد بن علي وهما طبقتا علي وأبيه الحسن.

(٤) ذكر السيد محمد الصادق في تعليقاته على نسخة الطبعة العراقية من (عمدة الطالب) في الحسن هذا الملقب بالفارس والمكنّى بأبي محمد: أن هذا هو الذي في بعض النسخ الصحيحة من (عمدة الطالب) وفي (المجدي) للعمري ثم قال: لكن الذي نقله الشريف الحسين بن مساعد من مشجر ابن المتاب أنه (أبو الحسن محمد) قال: يُكنّى أبا طالب.

(٥) هو الحسين النسّابة النقيب كان عالماً نسابة ورد في العراق من الحجاز سنة ٢٥١، وهو أول نقيب ولي على الطالبيين كافة، وكانت نقابته في أواسط القرن الثالث على عهد المستعين بالله العباسي، ثم ولي النقابة ولده يحيى، ثم ولده الملقب بالفارس أبو محمد الحسين أو الحسن أبو محمد على ما سبق فيه من الخلوف.

(٦) من أغرب ما ذكره العميدي في (المشجر الكشاف) وابن عنبة في (عمدة الطالب) أن الحسين بن زيد هذا كان وفاته في سنة ١٣٥ وقيل في سنة ١٤٠، وقد جعل أبو نصر البخاري هذا القيل أصح ما في الموضوع فيما نقله عنه ابن عنبة مع قولهم أن أباه الإمام زيد بن علي قتل والحسين هذا صغير وأن الإمام جعفر الصادق رباه، ومع ما نقله السيد محمد الصادق في تعليقاته على (عمدة الطالب) من قوله: (قال العمري=

(٣٠) نسب السيد هبة الدين الشهرستاني:

هو هبة الدين[١] بن الحسين بن محسن بن المرتضى بن محمد بن علي (وفاته ١٢٠٧هـ) بن منصور بن محمد بن أحمد بن محمد بن محمد بن عبد العزيز بن علي ابن محمد بن علي بن الحسن بن محمد بن الحسن بن عيسى بن عمر بن محمد بن محمد بن الحسن بن محمد بن الحسن[٢] إلى آخر النسب.

(٣١) نسب قاضي دمشق وابن قضائها ونقبائها:

هو الحسن (وفاته ٤٠٠هـ)[٣] ابن العباس بن الحسن بن العباس بن علي بن الحسن بن الحسين[٤] بن علي بن محمد بن علي بن إسماعيل (وفاته ١٣٣ هـ) بن

= في (المجدي): ولد ذو الدمعة (يعني الحسين المذكور) بالشام وشهد حرب محمد وإبراهيم ابني عبد الله وتكفل به الصادق عليه السلام بعد قتل أبيه وأصاب منه علماً كثيراً ومات وله ست وسبعون سنة، إلى آخر ما نقله عن أعقابه) فكيف يصح ما ذكروه من تربية الإمام جعفر الصادق وكفالته له مع كونه مات عن ست وسبعين سن من العمر وفي زمن متقدم على وفاة الصادق التي إنما كانت في سنة ١٤٨. فوق أنه يلزمه على ذلك وقوع المحال في تقدم زمن ميلاده على ميلاد أبيه، فقد ذكروا أن وفاة أبيه الإمام زيد كانت في سنة ١٢١ أو في سنة ١٢٢ عن ٤٢ أو ٤٨ من العمر فليتامل.

(١) هو أحد شيوخ العترة بهذا العصر ومن أكابر علماء الشرف، وقد استوفينا نقل مجموع نسبه هذا من مقدمة فضيلته التي صدر بها رسالته (منهاج الحاج) في مناسك الإمام زيد رضي الله عنه المطبوعة بمطبعة الفرات ببغداد سنة ١٣٤٢ هـ ومن نسخة الطبعة العراقية من (عمدة الطالب) بتعليقات السيد محمد الصادق عليها، ويؤسفنا أننا لم نوفق للاطلاع على تاريخ ميلاد فضيلته الذي يغلب على الظن أنه في أواخر القرن الثالث عشر ولا للعثور على تواريخ مواليد ووفيات اكثر من يحتويهم هذا النسب العالي الشهير.

(٢) الحسن هذا هو الملقب بالفارس وهو جماع نسب النسابة العميدي وللسيد هبة الدين الشهرستاني.

(٣) اعتمدنا في نقل هذا النسب على (المشجر الكشاف) لتبسطه في الموضوع بالقياس إلى ما في (عمدة الطالب) من اختصار حيث كانت قد اقتصرت على ذكر بعض التفريعات فقط والحسن صاحب هذا النسب هو ابن عم نقيب النقباء مجد الدين أبي الحسن أحمد بن حمزة بن الحسن بن العباس الذي صنف له الشيخ العمري كتاب (المجدي) في الأنساب كما في (عمدة الطالب).

(٤) في (المشجر الكشاف) ذكر ان الحسين هذا يقال له: قتيل الجن، وفي النسخة العراقية من (عمدة الطالب) (ص٢٣٠) قال ((أعقب أبو الحسن علي بن محمد بن علي بن إسماعيل بن علي أبا الجان))، ونقل السيد محمد الصادق في التعليق في آخر سطر من الصفحة المذكورة عن العمري ما يقتضي أنه قد سقطت درجة من هذا النسب في رواية المشجر وهو على الذي لقبه في (عمدة الطالب) بأبي الجن كما أنه قد أسقطت =

جعفر (٨٠ – ١٤٨ هـ) بن محمد (٥٩ – ١١٤هـ) ابن علي (٣٣ – ٩٥ هـ) بن الحسين (٤ – ٦١ هـ) ابن الإمام علي كرم الله وجهه (٢٣ ق هـ – ٤٠ هـ).

(٣٢) نسب النقيب الزهراوى أبي على الكاتب:

هو الحسن (٥٦٤ – ٦٢٠ هـ) ابن زهرة ابن الحسن بن علي بن أبي الحسن زهرة[١] بن علي بن محمد بن محمد[٢] بن أحمد بن محمد بن الحسين بن إسحاق بن جعفر (٨٠ – ١٤٨ هـ) بن محمد (٥٩ هـ – ١١٤ هـ) بن علي (٣٣ – ٩٥ هـ) بن الحسين (٤ – ٦١ هـ) ابن الإمام علي كرم الله وجهه (٢٣ ق هـ – ٤٠ هـ).

= درجة أيضاً في رواية (عمدة الطالب) وهو الحسين بن علي و على هذا فيكون سياق النسب في ما بعد الحسين هذا (ابن علي بن علي بن محمد بن علي بن إسماعيل) وبحسبه يكون مجموع هذا النسب سبعة عشر جيلا لا ستة عشر وعلى ذلك جرينا في جدول النتيجة الإحصائية فيما سيمر بالقاري فليتدبر.

(١) هذا ما حكاه العميدي في (المشجر الكشاف) وابن عنبة في (عمدة الطالب) من تكنيته زهرة الجد الجامع لبني زهرة بأبي الحسن، ويوجد بتعليقة بنسخة الطبعة العراقية عن (عمدة الطالب) منقولة من هامش الأصل تكنيته كل من زهرة هذا الأول وزهرة الثاني والد النقيب أبي علي صاحب هذا النسب بأبي المحاسن بدلا عن أبي الحسن ومما يوجد أيضاً بهذه التعليقة تلك المغايرة بينها وبين ما في (المشجر الكشاف) من إسقاط التعليقة طبقة في نسب زهرة الثاني فيما بينه وبين زهرة الأول وهو علي حيث جعلت سياق نسبة (زهرة بن الحسن بن زهرة بن علي) أما أصل هذه التعليقة فإنما هو ذكر نسب العالم الفقيه السيد علاء الملة والدين أبي الحسن علي بن محمد بن الحسن بن زهرة بن الحسن بن زهرة أحد سادات بني زهرة ومشاهيرهم والذي هو على ما يظهر الحفيد الأدنى للنقيب أبي علي هذا وذكر في آخر هذه التعليقة أن السيد علاء الملة والدين هذا هو الذي كتب العلامة الحجة الحسن بن مطهر الحلي (هو الحسن بن يوسف ابن علي بن المطهر الحلي المتوفى سنة ٧٢٦ له ولولده وأخيه وولديه) وسردت التعليقة أسماءهم الإجازة وأن هذه الإجازة طويلة مشهورة .

(٢) محمد هذا هو أبو إبراهيم العالم الشاعر الملقب بالحراني ممدوح أبي العلاء المعري في القصيدة التي مطلعها:

علـلاني فـإن بـيض الأمـاني ... فنيـتْ والظـلام لـيس بفـاني

ومنها قال:

يـا أبـا إبـراهيم قـصر عنـك الشـ ... ـعر لمـا وصـفت بالقـرآن

(٣٣) نسب شيخ الشرف العبيدلي[١]:

هو محمد (٣٣٦ – ٤٣٥ هـ) ابن محمد بن علي بن الحسن بن علي بن إبراهيم بن علي بن عبيد الله بن الحسين (١٠٠ – ١٥٧ هـ) بن علي (٣٣ – ٩٥ هـ) ابن الحسين (٤ – ٦١ هـ) ابن الإمام علي كرم الله وجهه (٢٣ ق هـ – ٤٠ هـ).

(٣٤) نسب النقيب مؤيد الدين العبيدلي:

هو عبد الله (وفاته ٧٨٧ هـ)[٢] ابن عمر بن محمد بن عمر بن سالم بن محمد ابن محمد بن عبد الله بن محمد بن محمد (وفاته ٣٥٠ هـ) ابن عبيد الله بن علي بن عبيد الله[٣] بن علي بن عبيد الله إلى آخر النسب.

(٣٥) نسب السيد رضي الدين بن طاؤوس نقيب نقباء العراق[٤]:

هو علي (وفاته ٦٦٤هـ) ابن موسى بن جعفر بن محمد بن محمد[٥] بن أحمد

---

(١) هو شيخ الشيخ أبي الحسن العمري وشيخ الرضيين الموسويين له مصنفات كثيرة منها الاقتصار لبني فاطمة الأبرار.

(٢) هو مؤلف كتاب (الثبت المصان في ذكر سلالة سيد ولد عدنان) وهو الذي شجره العميدي وسماه (المشجر الكشاف لأصول السادة الاشراف) كما ذكر لنا ذلك فضيلة الحبيب العلامة علوي بن طاهر الحداد وقال: إن وفاته على ما قاله تاج الدين الحسيني بن زهرة كانت سنة ٧٠٠، وهذا الذي نقله السيد تاج الدين يخالف ما ذكرناه قبل في الأصل من كون تاريخ وفاته إنما كانت سنة ٧٨٧، وهو ما كنا نقلناه مما أورده فضيلة العلامة السيد هبة الدين الشهرستاني الحسيني بمجلة (المرشد) البغدادية في الجزء الأول من المجلد الرابع الصادر في مستهل شوال سنة ١٣٤٧ (ص٣٩) في جواب عن سؤال كنا رفعناه عن تاريخ نقباء الطالبيين في العراق فإنه قال عند سرده لأسماء بعض كتب الأنساب ما هذا لفظه: ((وكتاب الثبت المصان لمؤيد بن عبيد الله الأعرجي نقيب واسط المتوفى سنة ٧٨٧ وهو مخطوط) فليحقق.

(٣) عبيدالله هذا يلقب بالأعرج وهو الجد الجامع للعبيدين، وفيه يلتقي نسب النقيب مؤيد الدين صاحب هذا النسب مع شيخ الشرف العبيدلي.

(٤) السيد رضي الدين هذا هو الذي يقول فيه السيد علي بن حمزة الحسيني الشاعر:

فهذا على نجل موسى بن جعفر ... شبيه على نجل موسى بن جعفر

فذاك بدست للإمامة أخضر ... وهذا بدست للنقابة أخضر

وذلك أن السيد رضي الدين هذا لما تولى النقابة وقد جلس في مرتبة خضراء وكان ميالاً للتشبه بالإمام علي الرضى لم يتمالك الشاعر السيد علي المذكور بهذه المناسبة إن قال فيه هذين البيتين.

(٥) في (المشجر الكشاف) هذا فيما بين جعفر وأحمد كرر محمد مرتين ومثله في النسخة البيتية من (عمدة الطالب)، =

ابن محمد بن أحمد بن محمد بن إسحاق بن الحسن بن محمد بن سليمان بن داود بن الحسن (٤٤ – ٩٧هـ) ابن الحسن (٣ – ٥٢ هـ) ابن الإمام علي كرم الله وجهه (٢٣ق هـ – ٤٠هـ).

(٣٦) نسب عالم المدينة السيد علي السمهودي:

هو علي (٨٤٤ – ٩١١ هـ) ابن عبدالله بن أحمد بن علي بن عيسى بن جلال الدين أبي العلياء بن عيسى بن محمد بن عيسى بن جعفر بن علي بن الحسن بن أحمد بن محمد بن الحسن بن محمد بن الحسن بن محمد بن إسحاق بن محمد[1] بن سليمان إلى آخر النسب.

(٣٧) نسب الشيخ أبي الحسن العمري[2]:

هو علي (وفاته فيما بعد سنة ٤٤٢هـ) ابن محمد بن علي بن محمد بن محمد بن أحمد بن علي بن محمد بن يحيى بن عبدالله بن محمد بن عمر الأطرف (وفاته فيما بين ٨٦و٩٦ هـ)[3] ابن الأمام علي كرم الله وجهه(٢٣ق هـ – ٤٠ هـ).

= أما نسخة الطبعة العراقية منها فقد أسقطت طبقته حيث جعلته هكذا (ابن جعفر بن محمد بن أحمد).

(١) هذا هو نسبه في (المشجر الكشاف) للعميدي بتعليقات الزبيري، أما ما حكاه الشلي في (السناء الباهر) من نسبه فقد كان بشيء من التقديم والتأخير وزيادة طبقة في أوائله وإسقاط طبقتين من أواسطه حيث جرى في سياقه على هذا المثال (علي بن عبد الله بن أحمد بن علي بن عيسى بن محمد بن عيسى بن محمد بن عيسى بن جلال الدين أبي العلياء بن جعفر بن علي بن الحسن بن أحمد بن محمد بن الحسن بن محمد بن إسحاق ابن محمد بن سليمان إلى آخر النسب) وفي محمد بن سليمان هذا يجتمع نسب السيد رضي الدين ابن طاؤوس المذكور قبله والسيد علي السمهودي.

(٢) قال فيه ابن عنبة في (عمدة الطالب) إليه انتهى علم النسب في زمانه، وصار قوله حجة من بعده، قال: وكان أبوه أبا الغنائم نسابة أيضاً، ثم ذكروا روايته لكتبه بقوله: ((روايتنا لكتبه عن النقيب تاج الدين محمد ابن معية الحسيني وهو عن الشيخ السيد علي الدين المرتضى بن السيد جلال الدين عبد الحميد بن السيد شمس الدين فخار بن معد الموسوي، وهو عن أبيه عن جده السيد جلال الدين عبد الحميد بن التقي الحسيني عن ابن كلثوم العباسي النسابة عن جعفر بن هاشم بن أبي الحسن العمري النسابة عن جده السيد أبي الحسن علي بن محمد العمري)).

(٣) هذا هو ما يقتضيه ما جاء في التعليقة المنقولة عن هامش الأصل بنسخة الطبعة العراقية من (عمدة =

(٣٨) نسب العمري رئيس العلماء بهراه:

هو منصور (٤٤٤ - ٥٢٧ هـ) ابن محمد بن محمد بن علي بن الطيب[١] ابن عبد الله بن جعفر بن محمد بن عبد الله بن محمد بن عمر ابن الإمام علي كرم الله وجهه (٢٣ ق هـ ٤٠ هـ).

(٣٩) نسب النقيب تاج الدين بن معية:

هو محمد (وفاته ٧٧٦ هـ) ابن القاسم ابن الحسين بن القاسم بن الحسن بن أبي طالب بن الحسن بن أحمد بن المحسن بن الحسين بن محمد بن الحسين بن علي ابن الحسين بن علي بن الحسن بن الحسن بن إسماعيل بن إبراهيم بن الحسن (٤٤ - ٩٧هـ) ابن الحسن (٣ - ٥٢ هـ) ابن الإمام علي كرم الله وجهه (٢٣ ق هـ - ٤٠ هـ).

(٤٠) نسب السيد أحمد بن علي بن مهنا النسابة الشهير بابن عنبه:

هو أحمد (ميلاده في حدود ٧٤٨ ووفاته ٨٢٨ هـ) ابن علي بن الحسين بن علي بن مهنا بن عنبة بن علي بن محمد بن يحيى بن عبد الله بن محمد بن يحيى[٢] بن

= الطالب) حيث ذكر فيها عن الحافظ ابن حجر في (التقريب) أن وفاته كانت في عهد الوليد بن عبد الملك (٨٦ - ٩٦هـ) وهو الأشبه بالصواب كما ذكره ابن عنبة في (عمدة الطالب) من أنه مات وهو ابن سبع وسبعين وقيل خمس وسبعين كما ذكره فيها أيضاً من أنه كان آخر ولد من بني الإمام علي كرم الله وجهه إلى غير ذلك مما ذكره، مما يستنتج منه أن ميلاده إنما كان فيما بعد سنة إحدى عشرة من الهجرة وجزم في (المشجر الكشاف) بأنه مات وهو ابن سبع وسبعين سنة، وأنه كان آخر من مات من أولاد الإمام علي كرم الله وجهه. أما القول الآخر الذي جاء في هذه التعليقة عن بعض المؤرخين من أنه استشهد مع أخيه عبيدالله في محاربته مصعب بن الزبير مع المختار بن أبي عبيد الثقفي فمردود فيما يظهر فإن محاربة مصعب للمختار واستشهاد عبيد الله بن الإمام علي كرم الله وجهه إنما كانت في سنة ٦٧ ويلزم من القول بصحة ما قاله هذا البعض أن يكون ميلاد عمر الأطرف فيما بين سنة ٨ أو عشرة قبل الهجرة وأن يكون أول من ولد للإمام علي كرم الله وجهه لآخر من ولد من بنيه فاطمة.

(١) نقلنا هذا النسب من (المشجر الكشاف) بتعليقات الزبيري وقال عنه الطيب هذا ما لفظه: ((وقيل الطيب هو ابن محمد المعمر بن عبد الله بن جعفر الملك فزاد طبقة)).

(٢) إن ما ذكره في (المشجر الكشاف) في هذا الموضع فيما بين مهنا بن عنبة ويحيى بن محمد هذا من المخالف لما ذكره ابن عنبة في (عمدة الطالب) في عمود هذا النسب مما تطابقت عليه نسخة الطبعة العراقية والنسخة =

محمد بن داود بن موسى بن عبد الله بن موسى بن عبد الله بن الحسن (٤٤-٩٧ هـ)[1] إلى آخر النسب.

النتيجة الإحصائية لمجموع المحصل من السنين والأجيال

مثال	الأنساب	السنون	الأجيال	المعدل التقريبي	
				المائة من السنين	للجيل
١٠.	نسب سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم إلى عدنان[1]	١٢٦٧	٢٢	١ ٢/٤	٥٧ ٤/٧
١١.	نسب الإمام يحيى بن أحمد حمزة الحسيني	٧٧٠	٢٠	١/٢٢٣/٥	٣٨
١٢.	نسب الإمام أحمد بن يحيى	١٣٩٢	٣٤	٢١/٢	٤١
١٣.	نسب الشريف فيصل الثاني	١٣٩٢	٣٩	٢٦/٧	٣٥ ١/٧
١٤.	نسب آخر ملوك العبيديين	٥٩٠	٢٢	٥/٦ ٣٣/٤	٢٦
١٥.	نسب آخر ملوك العباسيين ببغداد	٨٤١	٢٥ ٣[2]	٢/٣	٣٣

= البيتية منها وذلك من إبدال بعض الأسماء ومن زيادة طبقة في عدد الآباء لهو مما لا ينبغي الأخذ به في هذا المقام؛ إذ لا شك أن ابن عنبة هو بالطبع الأعرف بنسبه من غيره وهو المرجع الأول في تحقيقه فقد جعل (المشجر الكشاف) سياق هذا النسب في الموضع المذكور هكذا (ابن عنبة بن علي بن معد بن عنبة ابن محمد بن عبد الله بن أحمد بن يحيى بن محمد) فلينظر.

(١) في الحسن المثنى هذا يجتمع نسب ابن عنبة مع نسب شيخه النقيب تاج الدين ابن معية.

(٢) يلمح الناظر هذا المثال ونحوه من بعض الأمثلة التي أوردناها بهذه النبلة و التي تقع بمعدل ثلاثة أجيال في القرن أنه وإنما كان مما يتراءى للمرء أن يتوافق بجهة الإجمال من حيث مجموع عدد الأجيال ومحصل السنين مع القاعدة الخلدونية إلا أنها عندما يراد امتحان تناسقها وتحقيق انطاقها على هذه القاعدة لدى التحليل وعند الأخذ في دروس التفاصيل لا يلبث أن ينكشف ما يوجد هناك من التفاوت الهائل والخلف الحاصل، وكفى شاهداً وبياناً ما نبصره حين استعراضنا هنا هذا المثال في نسب ملوك العباسيين فإنك بينما تجده في ما قبل المقتدر لا يكاد يبلغ معدله بنسبة جيلين للقرن ترى هذا الحال ينعكس من المقتدر إلى آخر النسب حيث يقفز هذا المعدل فيتهي إلى حيث يداني ما يبلغ مستوى النسبة فيه أربعة أجيال.

١٦.	نسب آخر ملوك العباسيين بمصر	١١٣٠	٣٠	٢/٣ ٢٢/٣	٣٧
١٧.	نسب عبد الصمد العباسي	٣٧٠	٠٥	١١/٣	٧٤
١٨.	نسب عبد المطلب بن ربيعة	٢٥٧	٠٤	١/٤١١/٢	٦٤
١٩.	نسب أبي هاشم الجعفري	٤٣٧	٧	١/٤ ١٢/٣	٦٢
٢٠.	نسب الشاعر الفارس بن معاوية الجعفري	٣٦٨	٦	/٣ ١٢/٣	٦١١
٢١.	نسب الفقيه المحدث عبدالله محمد العقيلي	٣٢٥	٥	١ ١/٢	٦٥
٢٢.	نسب الميرزا محمد تقي الطباطبائي	١٢٥٤	٢٨	١/٢ ٢١/٤	٤٤
٢٣.	نسب السيد محمد بحر العلوم	١٢٣٥	٣٠	١/٦ ٢٢/٥	٤١
٢٤.	نسب الشريف النسابة ابن طباطبا	٥١٠٣	١٧	٣/٤ ٣١/٤	٣٠
٢٥.	نسب الحبيب أحمد بن علي بن الشيخ أبي بكر بن سالم	١٣٧٢	٤٠	٣	٣٤
٢٦.	نسب السيد علي بن محمد جديد	٠٦٤٣	١٧	٨/٧ ٢٥/٦	٣٧
٢٧.	نسب السيد محمد بن هاشم	١٣٩٢	٣٣	١/٢ ٢١/٣	٤٢
٢٨.	نسب السيد مصنف هذه النبذة	١٣٤٩	٣٥	١/٢ ٢٣/٥	٣٨
٢٩.	نسب العميدي النسابة مؤلف المشجر الكشاف	٩٥٠	٢٣	١/٦ ٢٢/٥	٤٢
٣٠.	نسب هبة الدين الشهير ستاني	١٣٩٢	٣٥	٤/٥ ٢١/٢	٣٩
٣١.	نسب قاضي دمشق وابن قضاتها ونقبائها	٤٢٣	١٦	١/٤ ٣٤/٥	٢٦
٣٢.	نسب النقيب الزهراوي بن علي الكاتب	٦٤٣	١٧	٥/٦ ٢٢/٢	٣٧
٣٣.	نسب شيخ الشرف العبيدلي	٤٥٨	١٢	١/٦ ٢٣/٥	٣٨

٣٤.	نسب النقيب مؤيد الدين العبيدلي	٨١٠	١٩	٥/٨٢١/٣	٤٢
٣٥.	نسب السيد رضي الدين بن طاؤس	٦٨٧	١٧	٣/٧ ٢١/٢	٤٠
٣٦.	نسب عالم المدينة السيد علي السمهودي	١٠٢٤	٢٥	١/٣٢٢/٥	٤١
٣٧.	نسب الشيخ أبي الحسن العمري	٤٦٥	١٣	٤/٥ ٢٤/٥	٣٥
٣٨.	نسب العمري رئيس العلماء بهراه	٥٥٠	١٢	٤/٥ ٢١/٥	٤٥
٣٩.	نسب النقيب تاج الدين ابن معية	٧٩٩	٢٢	١/٣ ٢٧/٩	٣٦
٤٠.	نسب الشريف ابن عنبة النسابة	٨٥١	٢١	١/٢٢١/٢	٤٠

(١) يلحظ المرء في ضوابط الضابط الذي اتخذه النسابون ونصوا عليه في مصطلحاتهم في النسب الذي يتوهم فيه لقلة أو كثرة عدد الآباء أنه خارج عن العادة أي مزيد أو منقوص من أنه يقاس على نسب يكون في درجته، وكيف أن النسابة بن عنبة عند ذكره الروايات عن عدد الآباء فيما بين عدنان وإبراهيم عليه السلام في (عمدة الطالب) كما نقلنا ذلك عنه في أول هذه النبذة جرى على مقتضى هذا الضابط، فاعتبر من ضبط نسبه من بني إسرائيل وهم رؤوس رجالاتهم الذين تنتهي أنسابهم إلى سليمان بن داود عليهما السلام لأن تلك الأنساب كانت محفوظة و مدونة و مروية بالتواتر، ثم كيف أنه حين وجد أن ما بين من لحق عصر رسول الله صلى الله عليه وسلم منهم وبين إبراهيم عليه السلام ومولد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وهي ألفان وستمائة وبضع عشرة سنة أنه اعتبر أن هذا مما يوجب أن يكون بين رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وبين إبراهيم هذا القدر أو ما يقاربه حتى إنه قال عن رواية المقلين التي تقتضي أن يكون بين رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وبين إبراهيم عليه السلام أقل من أربعين أباً هكذا ((ويشبه أن تكون هذه الروايات التي دلت على ما قل عن الأربعين مختصرة أو موضوعة)) وأنه عاد فكرر في آخر هذا المبحث الكلام في تطبيق هذا الضابط أيضاً بقوله: ومتى روي في نسب عدنان روايات يوجب بعضها اتفاق ولادات بني إسماعيل وإسحاق وأوجبت الأخرى التفاوت الخارج عن العادة فالموافق لا محالة أولى بالتقديم.

نقول في صواب ما تقدم يلحظ المرء هذا الذي ذكره ابن عنبة بوضوح جلي وبمثال أقرب إذا نحن طبقنا مرة أخرى هذا الضابط على نسب من الأنساب الهاشمية الموجودة، فمثلاً نجد أن نسب الملك فيصل الثاني إلى الإمام علي كرم الله وجهه (انظر المثال ١٣) ثم إلى عدنان كما هو معروف يتألف من (٦١) جيلاً بدخوله ودخول عدنان في العدد، وأن نسب الحبيب أحمد بن علي بن الشيخ أبي بكر بن سالم إلى الإمام =

تقريظ المؤرخ الأديب العبقري الأستاذ الكبير
محمد بن هاشم بن طاهر العلوي الحضرمي

بعد اطلاعه على ما تقدم من الكتاب من الأمثلة المختلفة من أنساب الهاشميين قال ما لفظه:

باسم الله والحمد لله، وبعد فان لأبي زيد عبد الرحمن بن محمد بن خلدون

= علي كرم الله وجهه انظر المثال (٢٥) ثم إلى عدنان أيضاً يتألف من (٦٢) جيلاً بدخوله ودخول عدنان في العدد ونجد أن المدة بين تاريخ ميلاد عدنان وقد تقدم الكلام أنه يوجب التقريب على رأس القرن السابع قبل الميلاد هي إلى عامنا هذا العام الخمسون بعد الألف والتسعمائة من الميلاد ألفان وخمسمائة وخمسون سنة، ومعنى هذا أننا نجد كيف أن عدد الأجيال للنسب ومقدار المدة للسنين تتقارب فيما هنا وما هناك إلى حد أنها لا تكاد تختلف إلا بنسبة ضئيلة لا تستحق الذكر بالقياس إلى هذا المدى المستطيل في تعداد أجيال النسب وعلى طوال هذه المجموعة من السنين الممتدة عشرات القرون كيف أن النتيجة الإحصائية لمجموع المحصل من السنين والأجيال كانت في الآخر تساوي تقريباً بين هذين المثالين في نسب العلويين المأخوذ أحدهما من نسب الحسينيين والآخر من نسب الحسنيين بما يضاهي تساويهما هناك بين ذينك المثالين في نسب الإبراهيميين وأحدهما من نسب الإسماعيليين والآخر من نسب الإسرائيليين بحيث إن حاصل قسمة عدد الأجيال في النسب على المحصل من المجموع للقرون من السنين وبالخصوص وابن عنبة على ما يظهر جعل البضع والستين هنا (٦٣) أباً هذا الحاصل يقع في النهاية بنسبة تقريبية واحدة في هذه الأنساب الأربعة هي أربعون سنة للجيل في النسب وجيلان ونصف للقرن من السنين فهذا الضابط هو من غريب أسرار ما أدركه علماء النسب من أحوال الأنساب ونواميس مجراها الطبيعي على تعاقب الأجيال، ومع ما تتعثر فيه ويتخللها من عوامل الاقعاد والاطراف حتى ولو أنهم كانوا قد جعلوا هذا الضابط في مرتبة ثانوية وكونه إنما يفيد علماً ظنياً، وإني قد تتبعت هذه الظاهرة الغريبة وجريت في الايغال إلى ما هو أبعد مما ذكرت في تطبيق هذا الضابط حيث مضيت بهذين المثالين من الأنساب الهاشمية الموجودة مراعياً في ذلك ما قرره واعتبره ابن عنبة آنفا في عدد الأجيال وما يظهر من كلامه وكلام المؤرخين عن المجموع الكلي لمقدار محصل السنين فيما بين عدنان وإبراهيم عليه السلام فانتهيت بهذين المثالين إلى إبراهيم الخليل عليه السلام أي إلى غاية الشوط إلى حيث يبلغ عدد أجيال هذا النسب ما بين المائة والجيلين والمائة والثلاثة الأجيال حيث يبلغ أيضاً محصل مجموع السنين إلى عامنا الحاضر هذا من تاريخ ميلاد سيدنا إبراهيم عليه السلام ما يناهز الأربعة الآلاف ومائة وينوف قليلاً فكانت النتيجة الإحصائية في حاصل قسمة الأجيال على القرون هنا كما هي هناك تقريباً.

الإشبيلي شيخ المغرب وإمامه مكانة في العلم والسياسة لا تسامى، ورتبة في الفضل والزعامة لا تضاهى، وقد أصبح في عصره نبراساً يشع على مدائن المغرب، وبين ملوكه تعشو منه الأبصار، وله من المنتوجات التاريخية كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر ذلك الكتاب الذي جعل عليه مقدمته الأخاذة والجذابة التي عنت لها قلوب المفكرين من رجال السياسة والتفكير، وهي المقدمة التي حوت من فلسفة التاريخ ما أعجب به الكثيرون من فحول الرجال في الغرب والشرق، وقالوا فيها ما قالوا من ضروب الإكبار والإجلال حتى قلد بعضهم بعضاً في التسليم بما حوته من المعلومات والقواعد، وجعلها قضية مسلمة لا تقبل اعتراضاً ولا فحصاً، ولا ريب أن مؤلفها الإمام الكبير ابن خلدون هو أشد إعجاباً بما سطرته براعته في هذه المقدمة الجليلة الأمر الذي أسبل على عينيه ستاراً من الإعجاب يصرفه عن إعادة النظر فيما لعله حدث سهو أو خطأ قد يقع فيه الكثيرون من رجال النظر.

ومن له على جلالة قدره كغيره من أساطين المؤلفين بأن يأمنوا على مؤلفاتهم من غوص البحاثين، وإبطال النقادين الذين لا يشدههم التقليد ولا يضرهم الإغراق في المدح والإطناب فقد مرت السنون على هذه المقدمة، وقد نقل عنها بعض حملة الأقلام نظرية من نظراتها وظلت في مأمن من الاعتراض والتفنيد حتى منيت بمطالعة السيد البحاثة عبدالله بن حسن بلفقيه العلوي الذي اكباره إياها على أخذ مقياس صادق يقيس به تلك النظرية التي يجل ابن خلدون عن السهو فيها، وإذا بالمقياس يبدي صراحته باضطراب تلك النقطة وعدم قيامها على أساس ثابت، ذلك أن الإمام ابن خلدون حاول أن يقرر قاعدة لضبط النسب بحسب الأجيال فقررها وسطرها في مقدمته، ولم ندر أأراد الجزم بأنها ناموس طبيعي لا يحتمل الخلف كما حسبه بعض فحول المستشرقين؛ أم أراد بذلك جعلها شبه قاعدة أغلبية يأنس بها من يتلمس الجدران لضبط النسب المشكوك فيه بالتقريب؟ هذا هو ما ستجده مفصلاً تفصيلاً شافياً في رسالة بلفقيه التي ننوه بها هنا ونجده فيها مدعماً بالشواهد الجلية، والحجج القوية بما يطمئن إليه الخاطر ويثلج الفؤاد.

ولعل الذي حدا السيد بلفقيه إلى كتابة هذه الشواهد هو الاشفاق من تغرير بعض ذوي الأغراض بالدهماء من القراء أن يقعوا في الافتتان بهذه القاعدة الواهية فيتخذوها وسيلة إلى القدح في الأنساب الصحيحة التي لم يشأ لها الاطراف والاقعاد أن تنضوي تحت ضغط هذه القاعدة الخلدونية، وحسبك بمحاولة إرغام الأعمار المطلقة لبني الإنسان أن تظل رازحة تحت نير هذه القاعدة المحدودة حسبك بهذا تعسفاً شائناً وتحكماً ممقوتاً لا يستسيغه الفن ولا تقره النزاهة .

وقد بين لنا السيد بلفقيه بما كتبه جلالة هذا الفن وأسراره، وما قام به العلماء من الجهاد في تأسيس أصوله وتنظيم فروعه وضبط قواعده وتقرير اصطلاحاته، وأبرز لنا في هذه الرسالة نفائس جليلة تخفى على الكثيرين منا ومن الذين يجهلون نفاسة هذا الفن وأهميته، ستجد السيد بلفقيه طويل الأنفاس في الفحص والتنقيب واسع الخطأ في البحث والتحصيل، وعليه فقد قام حفظه الله بواجبه تجاه هذه الشبه، وأدى - كما يقول معاصرونا- رسالته في رفع اللثام عن وجه الحقيقة المستورة، فجزاه الله عن الحقائق وطلابها خيراً كثيراً.

والحمد لله أولاً وآخراً..

حرر في تريم
١٤ رجب ١٣٦٩ هـ
أملاه محمد بن هاشم

خاتمة وتتميم

نذكر بعد ما انتهينا من إيراد طائفة عديدة من الأمثلة من الأنساب الهاشمية فيما مر من الكتاب وكان الأستاذ المؤرخ الأديب العبقري الشهير محمد ابن هاشم بن طاهر العلوي لما اطلع على ما حواه ذلك القسم لم يعتم إلا أن كتب عليه ذلك التقريض الذي الحقناه.

وإننا نردف هنا بسرد أمثال أخرى من أنساب شهيرة، فنبدأ بسوق طائفة منها كما يأتي:

(١) نسب الإمام الشافعي:

هو محمد (١٥٠ - ٢٠٤هـ) ابن إدريس (وفاته في حدود سنة ١٥٢)[١] ابن العباس بن عثمان[٢] بن شافع بن السائب بن عبد يزيد[٣] ابن هاشم بن المطلب (ميلاده ١٨٥ ق هـ - ٤٥) قبل الهجرة.

---

(١) هذا هو ما يلوح من تعبيرهم في ترجمة الإمام الشافعي رضي الله عنه بقولهم: ((نشأ يتيماً في حجر أمه) الذي يومئ إلى أن وفاة أبيه كانت وهو لم يزل رضيعاً، أي لما يبلغ الحولين يشهد لهذا ما في حديث الطبراني عن أبي سعيد رضي الله عنه كما في (جواهر) الإمام المناوي ((أنا النبي لا كذب أنا ابن عبد المطلب أنا أعرب العرب ولدتني قريش ونشأت في بني سعد ابن بكر، فأنى يأتيني اللحن)) فقد أراد صلى الله عليه وآله وسلم بقوله: ((نشأت في بني سعد)) استرضعت في بني سعد وهو ما جاءت به الأحاديث الأخرى.

(٢) في شرح (الإحياء) للزبيدي أن عثمان هذا عاش إلى خلافة السفاح.

(٣) نقل الحافظ ابن حجر أن السائب بن عبيد أسلم يوم بدر وابنه شافع لقي النبي صلى الله عليه وآله وسلم وهو مترعرع، بل ذكر على ما استنتجه من بعض الأقوال أن هؤلاء الأربعة من أجداد الشافعي رضي الله عنه وهو شافع والسائب وعبيد وعبد يزيد كانوا في نسق من الصحابة، ويؤخذ مما نقله الحافظ ابن حجر من أن شافعاً لقي النبي صلى الله عليه وآله وسلم وهو مترعرع مع قول ابن سمرة: ((وقيل إنه لقي النبي صلى الله عليه وآله وسلم وهو مراهق للبلوغ)) وأن ميلاد شافع كان يقرب من زمن الهجرة النبوية.

(٢) نسب آخر ملوك بني أمية بالشام:

هو مروان (٧٢ – ١٣٢هـ) بن محمد (وفاته ١٠١هـ) بن مروان (٢ -٦٥هـ) ابن الحكم بن أبي العاص بن أمية بن عبد شمس ابن عبد مناف.

(٣) نسب آخر ملوك بني أمية بالأندلس:

هو أمية (وفاته ٤٢٢هـ) ابن المستظهر (قتل ٤١٣هـ) ابن هشام ابن عبد الجبار بن عبد الرحمن الناصر (وفاته ٣٥٠هـ) ابن محمد بن عبد الله (وفاته ٣٠٠هـ) ابن محمد (٢٢٧ - ٢٧٣ هـ) ابن عبد الرحمن (١٧٦ – ٢٣٨ هـ) ابن الحكم (١٥٤ – ٢٠٦ هـ) ابن هشام (١٤٠ - ١٨٠هـ) ابن عبد الرحمن الداخل (١١٣ – ١٧٢ هـ) ابن معاوية بن هشام (٧٤ – ١٢٥هـ) ابن عبد الملك (٢٦ – ٨٦ هـ) ابن مروان (٢ – ٦٥هـ) إلى أخر النسب.

(٤) نسب آخر بني الأغلب أمراء إفريقية بالقيروان:

هو زيادة الله (وفاته ٢٩٦هـ) ابن عبد الله (وفاته ٢٩٠هـ) ابن إبراهيم (وفاته ٢٨٩هـ) ابن أحمد (٢٢١ – ٢٤٩ هـ) ابن محمد (وفاته ٢٤١هـ) ابن الأغلب (وفاته ٢٢٦ هـ) ابن إبراهيم (١٤٠ – ١٩٦هـ) ابن الأغلب التميمي.

(٥) نسب آخر ملوك بني زياد:

هو عبد الله (توفى ٣٧٥هـ) ابن إسحاق (٣٧١هـ) ابن زياد بن إبراهيم (وفاته ٢٨٩هـ) ابن محمد (وفاته ٢٤٥هـ) ابن إبراهيم بن عبيد الله (٣٣ – ٦٧هـ) ابن زياد (وفاته ٥٣هـ)[1].

(١) هو زياد بن أمية الذي استلحقه معاوية، وألحقه بأبيه أبي سفيان كما هو مشهور في كتب التواريخ، واسم أبي سفيان صخر بن حرب بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف وكان ميلاد أبي سفيان (سنة ٥٣ ق هـ) ووفاته (سنة ٣١هـ، وقيل سنة ٣٤هـ).

(٦) نسب آخر بني رسول ملوك اليمن:

هو المسعود (وفاته بعد ٨٥٨هـ) بن الأشرف (وفاته بعد ٨٣١هـ) بن الناصر (وفاته ٨٢٧هـ) بن الأشرف (وفاته ٨٠٣هـ) ابن الأفضل[١] (وفاته ٧٧٨هـ) ابن المجاهد (وفاته ٧٦٤هـ) بن المؤيد (وفاته ٧٧٢هـ) بن المظفر (٦٢٠ – ٦٩٤ هـ) ابن عمر (وفاته ٦٤٧هـ) بن علي بن محمد بن هارون الملقب رسول.

(٧) نسب السلطان الكثيري:

هو علي (١٢٩٩ – ١٣٥٧هـ) بن منصور (١٢٧٣هـ - ١٣٤٧هـ) ابن غالب (١٢٢٣ – ١٢٨٧هـ) بن محسن بن أحمد بن محمد بن علي بن بدر (١٠٧٥هـ) ابن عبد الله (١٠٤٥هـ) بن عمر (١٠٢١هـ) بن بدر أبو طويرق (٩٠٢ – ٩٧٧هـ) ابن عبد الله (وفاته ٩١٠ هـ) بن جعفر (وفاته ٩٥٠ هـ) بن عبدالله (وفاته بعد سنة ٨٤٤هـ) بن علي (وفاته ٨٢٥ هـ)[٢] بن عمر بن جعفر بن بدر بن محمد بن علي (وفاته ٦٧٥)[٣] بن عمر بن كثير[٤].

---

(١) هو الملك الشهير العلامة المؤرخ له كتاب (العطايا السنية في المناقب اليمنية) ترجم فيه طائفة من أهل العلم والصلاح باليمن.

(٢) هو مؤسس الدولة الكثيرية وجد سلاطينها جميعاً.

(٣) ذكر شنبل في تاريخه أن علي بن عمر هذا قتل في رجب سنة ٦٧٥ هـ قلت وهي السنة التي ذكر أنه توفي في المحرم منها عمر بن مسعود بن يماني.

(٤) رأيت مبحثاً قيماً بخط بعضهم منقولاً عن كتاب (طرفة الأصحاب في معرفة الأنساب) للملك الأشرف الرسولي المتوفي (سنة ٦٩٦ هـ) كأن المؤلف عقده في (ذكر مشايخ حضرموت) وذكر فيه نسب آل باكثير، ونسب الطوائف والعشائر الحضرمية ذات العدد والشوكة وهي التي كانت مسيطرة على نواحي حضرموت وفيما بينها كان يجري النزاع والتطاحن من أجل التزاحم على امتلاك النفوذ السياسي في البلاد والتغلب على الحكم بذلك العهد، أي حين خضعت حضرموت لسيادة الدولة الرسولية وإلى ما بعد خضوعها وهو وقت تأليف هذا الكتاب فيما بين سنة (٦٧٥ - ٦٩٦هـ).

ويلاحظ المرء فيما أورده المؤلف بهذا المبحث أنه لم يتعرض لذكر أنساب من عداهم، فلم يذكر أنساب الأسر والقبائل التي تتميز بالشهرة العلمية والزعامة الدينية بحضرموت كآل أبي علوي، وآل الخطيب، وآل أبي حاتم، وآل أبي فضل، وآل العمودي، وآل باعباد وغيرهم، وصنيع المؤلف هذا هو مما يعجب =

= منه من بطالع هذا المبحث ولاسيما وقد جعل مطلع الكلام فيه قوله: ((ذكر مشايخ حضرموت))، ولقد أطلنا التفكير فيما يهدف إليه المؤلف من إغفاله لذكر مشايخ العلم والدين بحضرموت بحيث جعلهم كأنهم في هذا المقام (كمية مهملة) حتى إنه لم يكن ليوليهم بعض اهتمام، ولا يتعرض لأنسابهم بشيء من الذكر ولو على سبيل الإشارة.

ولعل من غير المعقول أن يكون هذا الصنيع مرجعه اعتقاد المؤلف بأن هذه الأسر والقبائل قد صارت ضعيفة الحول والطول من أجل أنها عمدت إلى التباعد عن ميدان التناطح والمغالبة، ومالت أخيراً أي في حدود أوائل أواسط القرن السابع إلى تطليق السلاح وكون الغالب فيها أن كل واحدة منها إنما تتألف من أفراد قليلي العدد، فمثلاً آل أبي علوي فيما يتألف منهم مجموعة أسرتهم في ذلك العصر لا تجدهم يبلغون في العدد أكثر من بضعة عشر شخصاً.

وحقاً إننا أطلنا التفكير عن علة مبرر لهذا المسلك فلم يتح لنا أن نتحصل على ما يمكن أن يكون معقولاً، ولم يبق لنا في تفسير هذا إلا أن نلجأ إلى تلك العلة الوحيدة التي نود أن تكون هي الدافعة للمؤلف على تخصيصه الطوائف المسلحة بالذكر والمشيخة من غير أن يراعي لشيوخ العلم والفضل وهم من يبحث ويتطلع الباحثون ورجال التحقيق أيضاً لمعرفة أخبارهم قبل غيرهم من الطوائف، ويهتم بتقدير حرمتهم ومقامهم، والعلة هي أن هذا هو دأب من تتغلب عليه الميول السياسية، فإنهم يحاولون فيما يزاولونه بسبيل الأبحاث والتحقيقات التي لها صبغتها العلمية كل ما يمكن لهم من العمل على إهمال وإغفال شأن الطبقة الرئيسية المثقفة من طائفة الأسر ذات الزعامة التاريخية الوطنية والنفوذ الأدبي في الشعوب المحكومة وغمط منزلتها ومكانتها في الحياة القومية للأمة، إما لكون هذه الطبقة تعتبر في جسم الشعب بمنزلة الرأس من الجسم، أو لأن المسيطرين لا تخلو طبيعة أكثرهم أن تعتبر هؤلاء هم المصدر الرئيسي للحركات العاقلة للاتجاهات الوطنية التي تقض مضاجع الغزاة أو الفاتحين، وكفى شاهداً لما ذكرنا من أن الأصل الذي تقوم عليه الميول السياسية لهؤلاء في الغالب هو أن يخضدوا ويزيلوا كل قوة ومكانة أدبية لهذه الطبقة ما جاء في قوله تعالى في الذكر الحكيم: ﴿ قَالَتْ إِنَّ الْمُلُوكَ إِذَا دَخَلُوا قَرْيَةً أَفْسَدُوهَا وَجَعَلُوا أَعِزَّةَ أَهْلِهَا أَذِلَّةً وَكَذَٰلِكَ يَفْعَلُونَ ﴾ [النمل: ٣٤].

فالسياسة هي السياسة مهما اختلفت العصور نعني هكذا دأبها فيما تمارسه من إعدام الحياة الوطنية السارية في الشعوب التي تحكمها، وفيما تحاوله بهذه الوسائل وأشباهها وقد أصاب المثل القائل (لا جديد تحت الشمس).

وهذا مثال المبحث الذي نحن بصدده نثبته فيما يلي كما هو بدون تصرف ولا حذف ؛ قال: ((ذكر مشايخ حضرموت وهم بطنان نهد ومذحج. ذكر نهد وهم أيضاً قبيلتان بنو حرام وبنو خيثمة - بنو حرام وهم يفترقون شعوب (كذا) منهم بنو ظنة الرأس منهم يماني بن عمر بن مسعود بن اليماني بن لبيد وهو صاحب تريم وبيده حصون كثيرة، راهن للسلطان حصن (كذا) من حصونه وبنو عمه عيسى بن مسعود ابن لبيد وحسان بن كليب بن جعفر بن لبيد و جعفر بن عمر بن اليماني بن جعفر بن لبيد ويماني ابن أحمد بن اليماني بن لبيد، ويرجع إلى بني ظنه آل كثير والشيخ فيهم حسن بن عمر بن عمر بن كثير والمطاع فيهم ابن أخيه محمد بن علي بن عمر بن كثير يكنى أبا طلحة والسماح شيخهم أحمد بن عيسى =

(٨) نسب السلطان عبد الحميد العثماني:

هو عبدالحميد (١٢٦١-١٣٣٦هـ) بن عبد المجيد (١٢٣٨ - ١٢٧٧هـ) بن محمود (١١٩٩ - ١٢٥٥هـ) بن عبد الحميد (١١٣٧ - ١٢٠٣هـ) بن أحمد (١٠٨٣ - ١١٤٣هـ) بن محمد (٩٧٤ - ١٠١٢هـ) بن مراد (٩٥٣ - ١٠٠٢هـ) بن سليم (٩٢٩ - ٩٨٢هـ) بن سليمان (٩٠٠ - ٩٧٤ هـ) بن سليم (٨٧٢ - ٩٢٦ هـ) بن بايزيد (٨٥٦ - ٩١٨ هـ) بن محمد (٨٣٥ - ٨٨٦ هـ) بن مراد (٨٠٦ - ٨٥٥هـ) بن محمد (٧٨١ - ٨٨٤ هـ) بن بايزيد (٧٦١ - ٨٠٥ هـ) بن مراد (٧٢٦ - ٧٩١ هـ) ابن أورخان (٦٨٠ - ٧٦١ هـ) بن عثمان (٦٥٦ - ٧٢٦ هـ).

(٩) نسب مصعب بن الزبير بن بكار النسابة:

هو مصعب (وفاته سنة ٣٠٠هـ) ابن الزبير (وفاته سنة ٢٥٦ هـ)[١] ابن بكار[٢] بن عبد الله (وفاته في حدود سنة ١٧٥ هـ) ابن مصعب بن ثابت بن عبدالله

= الأعرج، والصبرات الشيخ فيهم محمد بن علي بن جعفر وصاحب الأمر عليهم عيسى بن عمر بن عيسى بن لبيد هذه الوجوه كلها يقال لهم بنو ظنه آل جميل، ويقال لهم بنو سعد مشايخهم عيسى بن جميل ابن فاضل، وابن أخيه محمد بن بصار بن جميل بن فاضل الحسن، وهم أيضاً من بني سعد من مشايخهم علي بن جميل وفاضل وابن عمه عبد الله بن جميل ابن حسن بن فاضل بنو خيثمة وهم آل فضالة وليسوا من بني ظنه ولا من بني سعد فآل شماخ شيخهم عمر بن أسعد بن فضالة بن شماخ وابن أخيه عساكر ابن مؤمل بن أسعد بن فضالة بن شماخ وعمر بن شماخ هذه الوجوه كلها يقال لهم نهد؛ لأنهم يسكنون في البلاد وانتسبوا إلى هذا الاسم فغلب عليهم، وإلا فهم مختلفو القبائل، والأصل فيهم قحطان.

ذكر آل مذحج وهم قبل منهم: أ- آل عويب شيخهم علي بن محفوظ. ب- آل باجناده مشايخهم علي بن مخاشن وابن أخيه مخاشن بن حيدر . جـ- آل رباع مشايخهم عمر بن شماخ وحسن بن مذكور وفاضل بن حازب والجحافل من مذحج دعوتهم بآل سنان ينسبون إلى جد لهم يسمى سناناً وفي حضرموت منهم خلق)).

(١) الزبير بن بكار هذا هو النسابة الشهير صاحب كتاب (أنساب قريش وأخبارها) رواه عنه ابنه مصعب وقد طبع في أوربا.

(٢) بكار بن عبد الله بن مصعب هذا هو فيما يلوح أخو أبي عبد الله مصعب بن عبد الله بن مصعب بن ثابت= = ابن عبد الله بن الزبير بن العوام المتوفى سنة ٢٣٣ عن ست وتسعين ٩٦ سنة صاحب كتاب (أنساب قريش) الذي لم يطبع إلى الآن.

(٢ – ٧٣هـ) ابن الزبير (١٩ ق هـ – ٣٦ هـ) بن العوام.

(١٠) نسب الشيخ أبي الحسن البكري:

هو محمد (٨٩٨ – ٩٥٢ هـ) بن محمد بن عبد الرحمن بن أحمد بن محمد بن أحمد بن محمد بن عوض بن عبد الخالق بن عبد المنعم بن يحيى بن يعقوب بن نجم الدين بن عيسى بن داود بن نوح بن طلحة بن عبد الله بن عبد الرحمن (وفاته سنة ٥٣ هـ) بن أبي بكر الصديق رضي الله عنه (٥٠ ق هـ – ١٣ هـ).

(١١) نسب الشيخ محمد الشيبي[1]:

هو محمد (١٢٩٣ – ١٣٩٠ هـ) بن محمد ابن أحمد بن محمد بن زين العابدين بن محمد بن عبد المعطي بن عبد الواحد بن محمد بن القاسم بن أبي السعود بن أبي بكر بن محمد بن سراج الدين بن محمد بن علي بن غانم بن محمد مفرج بن محمد بن يحيى بن عبيدة بن حمزة بن بركات بن شيبة بن عبدالله بن شعيب بن خبير بن شيبة (١ – ٥٨ هـ)[2] بن عثمان بن أبي طلحة عبدالله ابن عبدالعزى بن عثمان بن عبد الدار بن قصي بن كلاب إلى آخر النسب.

(١٢) نسب الجد الجامع لأسرة آل الخطيب، خطباء الجامع بتريم:

فنبدأ هنا بذكر أحد أعقابه و هو علي (ميلاده سنة ١٣٣١ هـ) بن سالم (ميلاده سنة ١٣٠٣ وفاته ١٣٧٨هـ) بن محمد (١٢٦٤ هـ) بن سالم (وفاته ١١٩٩هـ) بن عبد الله بن سالم بن عبد الله بن سالم بن عبد الله (وفاته ١٠٩٨) بن أبي بكر بن محمد بن أحمد (٨٨٩ – ٩٦٩هـ) بن عمر (وفاته ٩٢٩ هـ) بن أحمد

---

(١) هو رئيس السدنة السابق بمكة المكرمة.

(٢) هذا ما يقتضيه قول ابن منده من أنه مات سنة ٥٨هـ وهو ابن ٥٨ سنة، أما الحافظ ابن حجر فيؤخذ من تحقيقه أن ميلاد شيبة المذكور يرجع إلى ما قبل الهجرة، وأنه قد عاش إلى خلافة يزيد بن معاوية وشيبة هنا ممن أسلم يوم الفتح وكان أبوه ممن قتل مع المشركين في أحد.

(وفاته ٨٨١ هـ) ابن عبدالرحمن[١] (ميلاده قبل سنة ٧٩٤ هـ وفاته سنة ٨٥٥ هـ) ابن محمد (وفاته سنة ٨٠٣) بن عبد الرحمن (وفاته سنة ٧٣٠ هـ) بن علي (وفاته سنة ٧٠٣ هـ) بن علي (وفاته سنة ٦٤١ هـ) بن محمد (وفاته سنة ٦٠٩ هـ) بن علي ابن إبراهيم بن يحيى بن إبراهيم بن علي بن محمد[٢] وينتهي نسب هذا الجد الجامع لأسرة آل الخطيب الملقب بأبي المكارم ينتهي إلى سليمان[٣] تابع التابعين بن أحمد[٤] التابعي بن عباد[٥] ابن بشر الأنصاري رضي الله عنه (ولد سنة ١٥ ق هـ - ٥هـ).

(١٣) نسب الجد الجامع لأسرة آل أبي فضل التريميين:

ونبدأ هنا بنسب أحد أعقابه فنقول هو الشيخ العلامة محمد (١٣٠٣ - ١٣٦٩هـ) ابن عوض (١٢٦٥ - ١٣٣٢هـ) ابن محمد (١٢٣٦ - ١٢٨٧هـ) ابن سالم (وفاته ١٢٨٥هـ) ابن عبدالله بن محمد بن عبد الله بن محمد بن علي بن سالم ابن عبد الله بن أبي بكر بن حسن بن عمر بن الشيخ عبد الله بن محمد بن علي بن عبد الله بن الشيخ يحيى بن القاضي أحمد بن محمد بن فضل بن محمد بن عبدالكريم ابن محمد[٦] بافضل السعدي ينتهي نسبه إلى سعد العشيرة المذحجي.

---

(١) عبد الرحمن بن محمد هذا هو مصنف كتاب (الجوهر الشفاف).

(٢) قال في البرد النعيم أنه أول من تولى الخطابة والمشيخة والإفتاء بتريم المحروسة على عهد الدولة الأنصارية القحطانية يعني بذلك دولة آل راشد التي تولت الحكم سنة ٤٦١.

(٣) قال صاحب البرد النعيم: إن أحمد بن عباد أعقب من سليمان المذكور.

(٤) ونقل صاحب البرد النعيم أن والده مات مقتولا بقرية اللسك وقبره معروف بالجبل المطل على القرية المذكورة، وكان ابنه لا يزال حملاً في بطن أمه وأن وفاة سيدنا عباد بن بشر كانت سنة ١٢ من الهجرة وأن أحمد المذكور مات وهي في سن السبعين أي كانت وفاته بعد التسعين من الهجرة.

(٥) أما سيدنا عباد بن بشر فهو في طليعة الصحابة الذين أرسلهم سيدنا الخليفة الصديق الأكبر لقتال أهل الردة بحضرموت إذا صح ما ذكره بعض المؤرخين في كتاب جالية الكدر وعلق عليه محمد حسين مخلوف وقال إنه ممن شهد بدرا والوقائع كلها.

(٦) وغاية ما ينتهي اليه التقدير للاقعاد الكبير في عمود النسب أن يكون محمد أبو الفضل المذكور من معاصري الإمام علوي بن عبيدالله بن أحمد بن عيسى المولود بحضرموت حوالي سنة (٣٥٠ هجرية)=

(١٤) نسب الشيخ محمد بن عبد الرحمن باحرمي:

هو محمد (ميلاده ١٣١٩هـ) ابن عبدالرحمن (١٢٧٥ – ١٣٤٦هـ) ابن محمد (وفاته ١٢٩٠هـ) بن سليمان بن محمد بن عبدالله بن عبدالرحمن (وفاته ١١٢٠هـ) ابن محمد بن عبدالله بن سليمان بن محمد بن عبد الرحمن بن أحمد بن أبي بكر (وفاته في حدود ٨٠٠هـ) ابن عبدالله بن إبراهيم بن يحيى بن مسعود بن يحيى (وفاته ٦٢٠هـ)[١].

(١٥) نسب الشيخ فضل بن عبد الله عرفان بارجاء:

هو فضل (١٢٩١ – ١٣٦٩هـ) ابن عبد الله (١٢٤٠ – ١٣٠٢هـ) ابن عمر (١٢١٥ – ١٣٠٧هـ) ابن عبدالله (وفاته ١٢٤٠هـ) بن أحمد الملقب عرفان بن سعد بن أحمد بن عبد الملك[٢] ابن سعد بن علي بن عبدالله بن مسعود بن محمد بن مسعود بن علي بن سعد[٣] بن عبدالله بن علي وينتهي نسبه إلى زهرة بن كلاب بن مرة بن كعب.

= والمتوفى كما نقل ذلك الإمام الحداد بأن وفاة علوي المذكور كانت على رأس الأربعمائة، ومن المعلوم أن علوي هذا ممن تجدد من الولد لأبيه عبيدالله بن أحمد بن عيسى وكان من بنت أمير بلدة سمل.

(قلت): ومن المهم أن لا نغفل الإشارة إلى الإمام الشهير سالم بن فضل فقد كان هذا الإمام هو أحد شيوخ الإمام الأستاذ الأعظم الفقيه المقدم محمد بن علي باعلوي، وقد نوه بذكره ومناقبه وكراماته صاحب (الجوهر الشفاف) وعده في الطبقة الأولى من (مشايخ الجوهر).

(١) بما أنه لم يتم لنا معرفة تاريخ ميلاد الشيخ يحيى بن مسعود باحرمي هذا الذي سيكون مبدأ العدد لأجيال هذا النسب كما سيأتي ذلك في جدول النتيجة الاحصائية وبما أن كل ما عرفناه في تعيين الزمن والجيل المعاصر للشيخ يحيى المذكور هو ما جاء في كتاب غرر البهاء الضوي من أن وفاته كانت سنة ٦٢٠هـ لهذا فإننا سنأخذ بما يقتضيه اعتبار الحال هنا وذلك من جعل الشيخ يحيى المذكور على أقل ما يلوح بالظن مشتركاً في الطبقة ومساوياً في تاريخ الميلاد لسيدنا الفقيه المقدم (٥٧٤ ـ ٦٥٣) ومما ينبغي التنبيه عليه هو أن صاحب الغرر يشير كما في ترجمة سيدنا الفقيه المقدم وذكر من أخذ عنه وذلك من قوله: (وجماعة من أهل بلده من الخطباء وآل أبي حرمي وآل أبي فضل) إلى ما لأسرة آل أبي حرمي من أقدمية وشهرة عريقة بتريم توازي ما لأمثالها من الأسر الظاهرة بتريم والموجودة بتلك الأحقاب التاريخية وهي الأحقاب التي فيها بناء النهضة العلمية بتريم ومنها امتدت بناء النهضة العلمية إلى بقية الربوع الحضرمية.

(٢) هو صاحب المسجد المعروف بسيئون.

(٣) هو المكنى بأبي رجاء وفيه يجتمع نسب آل بارجاء وقد استوطن سيؤن وقد أشار إلى ذلك الشيخ الفقيه =

= حسن بن عبد بارجاء الخطيب السابق بجامع سيئون فيما نظمه من أبيات تحتوي على سلسلة نسبه وذلك من قوله:

المكنى أبا رجاء حقق الله له ما ارتجاه في كل مقصد
عمه سعد الملقب تاج العارفين وشيخه الشيخ الأمجد
بإشارته لسيئون استوطن فيها وبالخمول تفرد
انطواء في آل بيت رسول الله حتى كأنه ليس يوجد

وقد وصف آل بارجاء الشلي في (التاء الباهر) فقال: ((وآل بارجاء بيت علم وصلاح وتقوى وفلاح، معظمين مجللين عند الملوك، فمن دونهم، واشتهر منهم بالولاية والعلم والصلاح جماعة كثيرون، والغالب عليهم إيثار الخمول والتواضع، والتقيد بالشريعة ومحبة الأشراف ولاسيما بني علوي..الخ).

ومراد الناظر بقوله (عمه سعد) في البيت الثاني من هذه الأبيات هو الشيخ سعد بن علي الظفاري المتوفي سنة ٦٠٧ شيخ سيدنا الفقيه المقدم وهو إمام شهير تلقى الفقه والنحو وقرأ الأصول وأخذ التصوف عن أبي علوي الإمام محمد صاحب مرباط، وعن الأديب إبراهيم بن ماجد التريمي وعن الشيخ أحمد ابن علي باعمود الحضرمي وعن الشيخ عبدالله الأسدي اليمني الجازاني وكان قرينه في الطلب والتلقي عن صاحب مرباط وابن ماجد وباعمود المذكورين أخوه في الله الشيخ علي بن محمد بن عبد الله الظفاري وهو الذي يسميه البعض بعلي بن عبد الله الظفاري وكان أكبر سناً من الشيخ سعد، وأقدم منه في طريق التصوف.

وكانت وفاة الشيخ علي المذكور في المدة التي رحل فيها الشيخ سعد إلى اليمن وتم له بها ما أراده من الأخذ والتحكم فأخذ عن الشيخ عبدالله الأسدي المذكور وعند عودته إلى ظفار وجد الشيخ علي المذكور قد انتقل إلى رحمة الله تعالى ويظهر أن ذلك كان على ما يلوح في حدود سنة ٥٨٠ وذلك أخذاً مما حكاه بعضهم من قول الشيخ سعد المذكور الذي كانت وفاته كما تقدم سنة ٦٠٧ مشيراً إلى الشيخ الأسدي ورحلته إليه (هو شيخي تحكمت له منذ خمس وعشرين ٢٥ سنة) وهذه بعض أبيات للشيخ علي بن محمد ابن عبد الله المذكور في أثناء قصيدة تصوفية ينادي فيها الشيخ سعد نداء استغاثة:

يا سعد اسعد أخاً طالت شكيته ... بالحزم منك ولا تسام ولا تجدِ
فأنت خلي الذي صحت مودته ... وأنت دون الورى كهفي ومعتمدي
وأنت تعلم ما أخفيه من أرب ... فاسمع مقالة خل غير منتقدِ
أعرض عن الناس تسلم من عداوتهم ... ولا تصاحب ذوي العصيان وانفردِ
فأنت أجدر من أقصته وحشته ... عن الأنام بأنس الواحد الأحدِ
يا خالق العرش من نور وممسكه ... مع السماوات أفلاكاً بلا عمدِ

ومن شعره أيضاً:

يا صاح عقلك طائر ... هلا هدتك بصائر =

(١٦) نسب الشيخ حسين بن عبد الله العمودي :

هو حسين (ميلاده ١٣٠٦ هـ وفاته سنة ١٣٨٠ هـ) بن عبد الله بن صالح وفاته في حدود سنة (١٣٣٢ هـ) ابن عبدالله بن صالح بن محمد بن حسين بن محمد بن مطهر بن عبد الله (وفاته ١٠٧٥ هـ) بن عبد الرحمن بن عبد الله بن عثمان (وفاته سنة ٩٨٦ هـ) ابن أحمد (وفاته ٩٢٤ هـ) بن محمد بن عثمان بن أحمد بن محمد بن عثمان بن عمر (وفاته في حياة جده الشيخ سعيد) ابن محمد بن الشيخ سعيد (٥٧٥ – ٦٧١ هـ)[1] ابن عيسى بن أحمد بن سعيد بن شعبان بن عيسى بن داود بن محمد بن أبي بكر بن طلحة بن عبدالله بن عبدالرحمن بن أبي بكر الصديق رضي الله عنه (٥٠ ق هـ – ١٣ هـ).

(١٧) نسب الشيخ علي بن حسن باعباد:

هو علي (ميلاده ١٣٠٤ – ١٣٨٨هـ) بن حسن (وفاته ١٣٣٤ هـ) بن عبدالرحمن بن أحمد بن حسن بن سالم بن حسن بن أحمد بن حسن بن علي بن أحمد بن علي بن أحمد بن عبد الله بن عقيل بن أحمد بن عمر بن محمد (وفاته ٧٢١هـ) بن

= أو ما أنست بمن له ... في كل وكر طائر
لا بل له في كل جسـ ... ـم روح آمر آمر
فتشته فوجدته ... ذكر الذي أنا ذاكر
أنا حاضر هو غائب ... أنا غائب هو حاضر
يا عاذلي في حبه ... هو للفؤاد والخاطر
أقصر فلو أظهرت ما ... كتمته عنك ضمائر
ذابت قواك فغيرت ... منك المزاج عناصر
ولكنك تهجر مجلسي ... وتقول هذا كافر

(١) بعد تنقيب طويل توصلنا أخيراً وذلك باهتمام ومساعدة فضيلة السيد السند الحبيب الوالد خليفة الأئمة الأطهار علوي بن محمد المحضار إلى الظفر بتاريخ ميلاد الشيخ الكبير سعيد بن عيسى العمودي وذلك أنه كان في ربيع الأول من عام ٥٧٥ الخامس والسبعين بعد الخمسمائة.

عمر[1] بن محمد (وفاته سنة ٦٢٢ هـ) ابن عبدالرحمن بن محمد بن عبدالله بن عباد ابن عمر بن عبدالله بن عبدالرحمن بن عمرو بن عثمان رضي الله عنه (٤٧ ق هـ - ٣٥ هـ) ابن عفان[2].

جدول النتيجة الإحصائية لمجموع المحصل من السنين والأجيال

مثال	الأنساب	السنون	الأجيال	المعدل التقريبي	
				المائة من السنين	للجيل
٤١.	نسب الإمام الشافعي	١٢١٥	٣٩	٣ ١/٥	٣١ ١/٦
٤٢.	نسب أخر بني أمية بالشام	١٣٠	٣	٢ ١/٢	٤٢ ١/٢
٤٣.	نسب آخر ملوك بني أمية بالأندلس	٤٢٠	١٦	٣ ٤/٥	٢٦ ١/٤
٤٤.	نسب أخر بني الأغلب في أفريقية	١٥٦	٠٧	٤ ٢/٥	٢١ ٣/٧
٤٥.	نسب أخر ملوك بني زياد	٣٢٢	٠٩	٢ ٤/٥	٣٥ ٥/٩
٤٦.	نسب أخر ملوك بني رسول باليمن	٢٣٨	٠٨	٣ ١/٣	٣٠
٤٧.	نسب السلطان الكثيري	٤٥٥	١٢	٢ ٢/٣	٣٨
٤٨.	نسب السلطان عبد الحميد العثماني	٦٨٠	١٨	٢ ٣/٥	٣٧ ٧/٩
٤٩.	نسب مصعب بن الزبير بن بكار	٣١٩	٠٨	٢ ١/٢	٤٠

(١) عمر بن محمد هذا هو أخو الشيخ عبدالله بن محمد باعباد الملقب بالقديم المولود سنة ٦١٦ والمتوفي سنة ٦٨٧هـ

(٢) اعتمدنا فيما نقلناه هنا من الأمثلة من أنساب بعض الأسر الشهيرة بحضرموت على كتاب الجوهر الشفاف لمؤلفه الخطيب المذكور آنفا والبرد النعيم لمؤلفه الشيخ محمد بن عبد الله الخطيب التريمي (ميلاده سنة ٩٥٦ ووفاته بعد سنة ١٠٢٥هـ) ومناقب الشيخ الكبير سعيد العمودي الصغرى للشيخ سعيد بن أحمد الخطيب الدوعني وتاريخ الدولة الكثيرية للسيد محمد بن هاشم وعلى مشجرات النسب المحفوظة لدى هذه الأسر وعلى تعليقات توجد عند البعض منها.

٥٠.	نسب الشيخ أبي الحسن البكري	١٠٠٢	٢٠	٢	٥٠
٥١.	نسب الشيخ محمد الشيبي	١٣٨٩	٢٩	٢١/٩	٤٧٥/٦
٥٢.	نسب خطيب جامع تريم	١٣٨٣	٢٨	٢	٥٠
٥٣.	نسب الشيخ محمد عوض بافضل	١٠١٩	٢٥	٢١/٢	٤٠٤/٥
٥٤.	نسب محمد بن عبد الرحمن باحرمي	٨٢٢	١٦	٢	٥٠
٥٥.	نسب الشيخ فضل بن عبدالله عرفان بارجاء	٧٢٦	١٨	٢١/٢	٤٠١/٣
٥٦.	نسب حسين بن عبد الله العمودي	١٤١٦	٣٣	٢١/٣	٤٣
٥٧.	نسب الشيخ علي بن حسن باعباد	١٤٣٥	٢٩	٢	٥٠

إلى هنا ينتهي الشطر الثاني وهو يقع في نسب بعض المشاهير، وفي نسب بعض أفراد الأسر ذوات البيوت العلمية الشهيرة في شتى البلدان من أقطار العالم بعد أن قدمنا في الشطر الأول العدد العديد من الأنساب الهاشمية الذي تحتويه المئات من التآليف الخاصة بأنساب الهاشميين، وهذا الشطر الأول هو الذي لما تم اطلاع الأستاذ الشهير الكاتب النحرير والجهبذ النقادة الكبير عليه السيد المرحوم محمد بن هشام كتب ذلك التقريظ البليغ الموضوع بآخر الشطر الأول.

ونسأل الله تعالى أن يجعل ما بذلنا الجهد فيه خالصاً لوجه الله الكريم، وحظياً بالقبول، ويجعل خاتمته من أحسن الخواتم المشفوعة بالإقبال من المهتمين بخدمة العلم وتحقيق الحق، إنه ولي ذلك والقادر عليه، وحسبنا الله ونعم الوكيل، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم، سبحانك لا علم لنا إلا ما علمتنا إنك أنت العليم الحكيم.



تعليقة مفكر متحير

تخطفنا اليراعة تلقاء ما يثير الحيرة ويحمل على العجب
حول محاولات ومحاورات المستشرقين للنيل
من قيمة علم النسب المعتمد عند أئمة وعلماء
الإسلام من الأعاجم والعرب

الحمد لله الفتاح العليم، والصلاة والسلام على سيدنا محمد ذي الشرف الباذخ والمجد الصميم، المبعوث بالدين القويم، والمتمم لمكارم الأخلاق المثالية بالسير على النهج المستقيم، نهج التقوى الموجب للرفعة والتكريم، والحلول والخلود في فراديس النعيم، وعلى آله وصحبه الأصفياء الأتقياء من كل حبر عليم ما تبددت شبهات المتجني على الحقيقة والعلم بالمنطق السليم، والأسلوب الحكيم، وما قطعت جهيزة قول كل متهافت متهجم خصيم..

اعلم أرشدك الله، وأنار لك السبيل لفهم الحق والهدى أن علم النسب علم له مكانته الخطيرة، وأهميته الكبيرة التي لا يستهان بها، لاسيما لما يترتب عليه في الملة الإسلامية والشريعة المحمدية من أمور عقائدية، وأحكام فقهية ستأتي الإشارة إليها، وقد صرحت آيات القرآن العظيم والذكر الحكيم وأحاديث السنة المطهرة بذلك، فمنه قول الله سبحانه وتعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَٰكُمْ شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓا۟ ۚ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴾ [الحجرات: ١٣] ، وقوله تعالى: ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ مِنَ ٱلْمَآءِ بَشَرًا فَجَعَلَهُۥ نَسَبًا وَصِهْرًا ۗ وَكَانَ رَبُّكَ قَدِيرًا ﴾ [الفرقان: ٥٤]، وقوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُوا۟ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴾ [النساء: ١]، وقوله تعالى: ﴿ وَأُو۟لُوا۟ ٱلْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِى كِتَٰبِ ٱللَّهِ ﴾[الأنفال: ٧٥]، وقوله تعالى: ﴿ وَءَاتَى ٱلْمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ ذَوِى ٱلْقُرْبَىٰ ﴾ [البقرة: ١٧٧] ، وقوله تعالى: ﴿ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِى ٱلدِّينِ مِنْ حَرَجٍ ۚ مِّلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَٰهِيمَ ﴾[الحج: ٧٨]، وقوله تعالى فيما يختص بقرابة رسول الله صلى الله وآله وسلم: ﴿ قُل لَّآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا ٱلْمَوَدَّةَ فِى ٱلْقُرْبَىٰ ﴾ [الشورى: ٢٣] ، أي ذوي قرباه صلى الله عليه وآله وسلم، ثم قوله تعالى عنهم فيما

يتعلق بقسمة الفيء ﴿وَاعْلَمُوا أَنَّمَا غَنِمْتُم مِّن شَيْءٍ فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَىٰ﴾ [الأنفال: ٤١] الآية، وقوله تعالى: ﴿فَمَنْ حَاجَّكَ فِيهِ مِن بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَأَنفُسَنَا وَأَنفُسَكُمْ﴾ [آل عمران: ٦١].

أما الأحاديث الواردة فيما نحن بصدده:

فمنها قول النبي صلى الله عليه وآله وسلم لا بنته فاطمة «**إني لا أغني عنك من الله شيئاً غير أن لي رحماً سأبلها ببلالها**»[١].

وقوله صلى الله عليه وسلم: «**كل حسب ونسب منقطع يوم القيامة إلا حسبي ونسبي**»[٢].

وقوله صلى الله عليه وآله وسلم: «**أحبوا الله لما يغذوكم به من نعمه وأحبوني لحب الله وأحبوا أهل بيتي بحبي**»[٣].

وقوله صلى الله عليه وآله وسلم: «**الأئمة من قريش**»[٤] وقوله صلى الله عليه وآله وسلم: «**من أهان قريشاً أهانه الله**»[٥]، وقوله صلى الله عليه وآله وسلم: «**إني تارك فيكم ما إن تمسكتم به لن تضلوا أبدا كتاب الله وسنتي وعترتي أهل بيتي**»[٦] الحديث، وقوله صلى الله عليه وسلم: «**تعلموا من أنسابكم ما تصلون به أرحامكم**»[٧]، وقوله صلى الله وآله وسلم: «**قدموا قريشاً ولا تقدموها**»[٨].

---

(١) أخرجه مسلم والنسائي عن أبي هريرة.

(٢) أخرجه الطبراني والبيهقي والحاكم عن ابن عباس وعن المسور.

(٣) أخرجه الترمذي والحاكم عن ابن عباس.

(٤) أخرجه النسائي عن أنس والطبراني في الدعاء وغيرهما من طرق.

(٥) أخرجه أحمد في مسنده والحاكم عن عثمان.

(٦) أخرجه الترمذي عن زيد بن أرقم.

(٧) أخرجه احمد في مسنده والترمذي والحاكم عن أبي هريرة.

(٨) أخرجه الطبراني عن عبد الله بن السائب وأخرجه الشافعي والبيهقي في المعرفة عن ابن شهاب بلاغا وابن عدي عن أبي هريرة وأخرجه البزار عن علي.

وقوله صلى الله عليه وآله وسلم: «آية الإيمان حب الأنصار وآية النفاق بغض الأنصار»[1].

وقال سيدنا أبو بكر الصديق رضي الله عنه: «لأن أصل قرابة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أحب إلي من أن أصل قرابتي»[2].

فهذه الآيات القرآنية والأحاديث النبوية هي من جملة ما يدخل في الأمور العقائدية ويتصل بالأحكام الفقهية مما يحتاج الأمر فيه إلى معرفة علم النسب.

أما الأحكام الفقهية التي تترتب على علم النسب فهي: المواريث، ومعرفة المحارم، وولاية النكاح، والولاء في العتق، وما يتعلق في الجنايات بالعاقلة، كما يترتب عليه معرفة العرب من غيرهم، وقريش من غيرهم، وتنبني عليه الأحكام كالإمامة والكفاءة، وقسم الفيء إلى غير ذلك من الأحكام المقررة في مواضعها من كتب الفقه، وكلها مما لابد أن يرجع فيه إلى علم النسب[3].

نقول إذا كان ما ذكرناه لا تتأتى معرفته وتحقيقه إلا من طريق علم النسب فهذا العلم إذا علم له شأنه الأساسي في الملة عقائدياً وتشريعاً، وليس من السهل الغض من قدره، أو الحط والتهوين من قيمته.

أما الذي حملني على طرق هذا الموضوع للذب والذود عن حياض هذا العلم فهو ما علمته من تحككات طائفة من المستشرقين، ومحاولاتهم ومداوراتهم للتشكيك فيما لعلم النسب من اعتبار مكين لدى أئمة وعلماء الإسلام من الأعاجم والعرب، وكنت قد ألفت كتابي المسمى بـ«الشواهد الجلية المفصحة عن مدى الخلف في القاعدة الخلدونية»، وهي القاعدة المبنية على جعل كل ثلاثة أجيال

---

(١) أخرجه البخاري ومسلم وأحمد والنسائي عن انس.

(٢) معالم السنن والآثار وحلية الأولياء وغيرهما.

(٣) انظر كتاب سبائك الذهب في معرفة قبائل العرب لأبي الفوز محمد أمين البغدادي السويدي وغيره من الكتب المؤلفة في هذا الشأن.

من النسب لكل قرن من الزمن بسبب ما ذكره لي المستشرق الإنجليزي (ر.ب.سرجنت) من أن المستشرق الألماني (وستنفلد) ذكر في كتابه (الصوفية في جنوب بلاد العرب في القرن الثاني عشر) اعتماد هذه القاعدة، وقد وقع لي صدفة أن ذكر لي أحد أعضاء بعثة الجامعة العربية لتصوير المخطوطات العربية الموفدة إلى جمهورية اليمن الجنوبية عندما زارني، وذكرت له السبب الذي حملني على تأليف كتابي (الشواهد الجلية) المذكور فكان أن أبدى لي هذا العلامة الذي له سعة اطلاع وتضلع من علوم السير والتاريخ فذكر لي تمحلات أخرى لبعض المستشرقين الذين يعملون من ناحية أخرى تختلف عن ناحية اعتبار القاعدة الخلدونية، بل وتناقضها قائلاً: إن القاعدة الخلدونية عند هؤلاء المستشرقين وذلك أنهم يعتبرون علم السلالات البشرية وهو يقرر أن الأنسال غالباً يكون من سن ثلاث وعشرين سنة وعليه فتكون قاعدة ابن خلدون باطلة.

وقال لي أيضاً: إن هؤلاء المستشرقين يذهبون إلى أكثر من ذلك، فهم لا يعتبرون من الأنساب إلا ما دُوِّن كتابياً، ويقولون إن أول من دَوَّن في علم الأنساب إنما هو ابن الكلبي[1] الذي عاش إلى مستهل القرن الثالث الهجري هكذا ذكر لي هذا العلامة وجود هذه التمحلات من ناحية أخرى للغض من قيمة علم النسب.

وبعد هذا الذي قدمنا من التمهيد للتعقيب على ما يطالبنا به المقام حول تلك النقاط التي جعلوها المحور الذي يبنون عليه محاولاتهم ومداوراتهم للغض من قيمة علم النسب.

١. فأول هذه النقاط عدم تعويلهم واعتبارهم على ما لم يدون كتابياً، فهذه النقطة أو الشبهة التي يثيرونها لإلقاء الغبار وإهالة التراب على اعتبار الثقة بعلم النسب يمكن دحضها بما هو واقع ومعلوم بداهة من أن المصادر لا لعلم النسب وحده بل لعلوم الدين الإسلامي كلها، ومنها الأحاديث

(١) هو هشام بن محمد بن السائب بن بشر الكلبي وكنيته أبو المنذر، واشتهر بابن الكلبي، وكان علامة نسابة، وكانت وفاته سنة ٢٠٤هـ مائتين وأربع هجرية.

النبوية إنما ترجع إلى التلقي والرواية التي كانت هي الأصل لا إلى التدوين الكتابي، وكان علم النسب أيضاً متلقى عن مشاهير النسابين، ومنهم سيدنا أبو بكر الصديق[1] رضي الله عنه وغيره بطريق الرواية، لا بطريق التدوين

(١) نود أن نشير بخصوص أنساب قريش وشهرتها، وأن سيدنا أبا بكر الصديق كان يعد بالمحل العالي بين نسابي القبائل العربية لا بخصوص نسب قريش بل ونسب القبائل العربية الأخرى، وهنا نسوق ما ندلل به حول تضلع سيدنا أبي بكر في نسب هذه القبائل وتضلع من هم في مستواه رضي الله عنه في الإلمام بأنساب سائر القبائل العربية بما فيهم نسب قريش.
فقد جاء ما يوضح ما ذكرناه ونقله من تعرض لموضوع مشاهير النسابين فمنهم مؤلف كتاب (سبائك الذهب في معرفة قبائل العرب) أبو الفوز محمد أمين البغدادي الذي انتهى من تأليفه سنة ٩١٦ هجرية ستة عشر وتسعمائة هجرية.
وكذا ما أورده شهاب الدين أحمد المعروف بابن عبد ربه الأندلسي في كتابه (العقد الفريد) صفحة (٣٥ و٣٦) المطبوع بالمطبعة العامرة الشرفية بمصر سنة ١٣١٦ هـ.
وبما أنه يظهر أن صاحب (العقد الفريد) قد أورد ذلك بشيء من الإسهاب والبسط فقد آثرنا هذا النقل الحرفي الموضوع عنه كما ياتي:
(عكرمة) عن ابن عباس عن علي بن أبي طالب قال: لما أمر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أن يعرض نفسه على القبائل خرج مرة وأنا معه وأبو بكر حتى رفعنا إلى مجلس من مجالس العرب، فتقدم أبو بكر فسلم، قال علي: وكان أبو بكر مقدماً في كل خير، وكان رجلاً نسابة، فقال: ممن القوم؟ قالوا من ربيعة. قال: وأي ربيعة أنتم أمن هامتها؟ قالوا من هامتها العظمى. قال: وأي هامتها العظمى أنتم؟ قالوا ذهل الأكبر، قال أبو بكر فمنكم عوف بن محلم الذي يقال فيه لا حر بوادي عرف قالوا: لا. قال: فمنكم أخوال الملوك من كندة؟ قالوا: لا، قال: أفمنكم أصهار الملوك من لخم؟ قالوا: لا، قال أبو بكر فلستم من ذهل الأكبر أنتم ذهل الأصغر، فقام إليه غلام من شيبان حين بقل وجهه يقال له دغفل فقال:

إن على سائلنا أن نسأله ... والعبء لا تعرفه أو تحمله

يا هذا إنك سألتنا فأخبرناك ولم نكتمك شيئاً. فممن الرجل؟ قال أبوبكر من قريش؛ قال: بخ بخ أهل الشرف والرئاسة. فمن أي قريش أنت؟ قال: من ولد تيم بن مرة. قال: أمكنت والله الرمية من صفاء الثغرة. أفمنكم قصي بن بن كلاب الذي جمع القبائل فسمي مجمعا؟ قال: لا. قال: أفمنكم هاشم الذي هشم الثريد لقومه ورجال مكة مسنتون عجاف؟ قال: لا. قال: أفمنكم شيبة الحمد مطعم طير السماء الذي وجهه كالقمر في الليلة الظلماء؟ قال: لا. قال: فمن أهل الافاضة بالناس أنت؟ قال: لا. قال فمن أهل السقاية أنت؟ قال: لا. فاجتذب أبو بكر زمام الناقة ورجع إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقال الغلام:

صادف درء السيل دراءا يدفعه ... يقذفه حينا وحينا يصدعه =

الكتابي، وقد ذكروا أن بداية تدوين الأحاديث النبوية كان بأمر الخليفة عمر ابن عبدالعزيز، وأن أول من دون فيها الإمام أبو بكر بن حزم.

٢. وثاني هذه النقاط أنهم يبنون توهينهم وحطهم من قيمة علم النسب بسبب أن علم السلالات يكون غالباً من سن الثلاث والعشرين وما بعدها بمعنى أن القرن يكون فيه من ناحية إبطال ما تقرره القاعدة الخلدونية وهي القاعدة التي أوضحنا في كتابنا الشواهد الجلية بطلانها ونقضها لأنها تخالف الواقع بشهادة المنقول في الأنساب الشهيرة المدونة والمعتبرة لدى النسابين والمثبتة في كتب التاريخ والمناقب، وقد فات هؤلاء المستشرقين أن لعلم النسب تحقيقات وتحريات تقوم على الرواية والنقل، وتحقيق الواقع فيما يكون في عمود النسب من أطراف وإقعاد.

فالأطراف هو زيادة عدد الآباء في عمود النسب إلى ما قد يصل إلى خمس طبقات في القرن الواحد.

والإقعاد ما يكون من نقص في عدد الآباء من عمود النسب إلى نحو الطبقتين.

= قال: فتبسم النبي عليه الصلاة والسلام؛ قال علي: فقلت له: وقعت يا أبا بكر من الأعرابي على بائقة، قال: أجل ما من طامة إلا وفوقها أخرى والبلاء موكل بالمنطق انتهى.

وجاء في (تاريخ أداب العرب) للعلامة والمؤرخ الشهير مصطفى صادق الرافعي الجزء الأول المطبوع بمطبعة الاستقامة بالقاهرة سنة ١٣٧٣هـ من صفحة (٤١١) الى صفحة (٤١٤) في مبحث (علوم الرواة) فقد ذكر في هذا المبحث مقام الرواية فقال عند ذكر (علم النسب): ((إن رواية النسب كانت عامة في العرب)) وذكر من مشاهير النسابين.

وقوله: ((وكان دغفل أوسع أهل زمانه رواية في أنساب العرب خاصة وأخبارها وعلومها في الجاهلية)).

وقوله أيضاً: وقد تصادر أمره مع ابي بكر كما قال:

صادف دره السيل دراءا يدفعه ... يهيضه حينا وحينا يصدعه

ثم قوله بعد ذلك: ((واشتهر من قريش أربعة بأنهم رواة الناس الأشعار، وعلماؤهم بالأنساب والأخبار وكل من كان قرشي فهو عند العرب طبقة متميزة والأربعة هم:

مخرمة بن نوفل بن وهب بن عبد مناف، وأبو الجهم بن حذيفة، وحويطب بن عبد العزى، وعقيل بن أبي طالب)). إلى قوله: ((تلك هي الطبقة الأولى، وما امتازت به، أما الطبقة الثانية فهي التي أخذت عن هؤلاء وهي عالة على الأولى)) انتهى.

تكملة للاستبصار والاعتبار
في ذكر مغالطات ولجاج متعنت مسرف
في الخصومة ضد علم النسب

كنت يوماً في مناقشات ومباحثات في قضايا تتعلق بمسائل وأحكام لابد فيها من الرجوع إلى ما يقرره علماء النسب مع بعض المثقفين المعاصرين، وبعد أن جريت معه شوطاً في الموضوع، فوجئت بصاحبي وقد استحوذ عليه في هذا الموقف بما يشبه ثورة عاطفية، وخيل لي أنه قد فقد شيئاً من اتزانه العقلي، ورشده العلمي، فانبرى يقول: إن علم النسب قد أصبح لا قيمة له علمياً في هذا العصر، فقلت له: وكيف ذلك؟ فقال: إن علم النسب قد يحصل فيه اختلال في الضبط واضطراب في النقل، وضرب لذلك مثالاً بسلسلة نسب رسول الله صلى الله وآله وسلم إلى سيدنا إبراهيم. فقلت له: إن نسب رسول الله صلى الله وآله وسلم وهو سيدنا محمد بن عبدالله بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف بن قصي[1] بن كلاب بن مرة بن

---

(١) عندما كنت بجاوة اندونيسيا خلال سنوات الحرب العالمية الأولى فيما بين سنة ١٩١٤م و ١٩١٨م ضمني مجلس والسيد العلامة محمد الصالح الباجي التونسي المعروف بالشواشي، المتوسع والمتضلع من العلوم الإسلامية والآخذ بنصيب وافر من الثقافة الأوربية الحديثة، فامتد بنا الحديث إلى التاريخ السياسي في أوروبا وجرى ذكر داهية السياسة الأوروبية بسمارك الألماني الشهير، وكيف كانت مقدرته على توحيد الأمة الألمانية، فقال السيد محمد المذكور: إن بسمارك العرب (المهملة) أدهى وأنفع وأجدى على البشرية من بسمارك الغرب، فقلت له: ومن هو بسمارك العرب، فقال: هو قصي بن كلاب. فقلت له: وكيف ذلك؟ فقال: ألم تدر ما كانت عليه قريش قبل تجميع قصي لها ألم تكن أوزاعاً في القبائل الأخرى وكانت مكة والبيت الحرام مرتعا سيئاً لخزاعة. فقلت: ذلك ما هو معلوم من التاريخ، وهل لكم أن تزودوني بمعلومات تاريخية ثمينة عن قصي فان غاية ما علمته عنه هو ما يرمز إليه ذلك البيت الشهير:

أبو المكارم قصي كان يدعى مجمعا ... به جمع القبائل من فهر

فقال: أعرني سمعك لكي ألقي عليك خلاصة نشأة قصي.

فقد تزوج أبوه كلاب امرأة من قضاعة، فولدته أمه في بلاد قضاعة، وترعرع هناك حتى بلغ سن الرجولة، وهو لا يكاد يعرف شيئاً من مكانة أبيه ومقام قريش التي كانت تحتله بين مختلف القبائل =

كعب بن لؤي بن غالب بن فهر بن مالك بن النضر بن كنانة بن خزيمة بن مدركة ابن إلياس بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان فهو متفق عليه بالإجماع كما هو معلوم.

= العربية. وأنه بينما كان يتناظل في يوم من الأيام مع أنداده من أبناء قضاعة إذ تفوق عليهم في الرماية، ونال قصب السبق في هذه المناظلة، فلم يستطع أولئك المناظلون المغلوبون وقد أثارت الهزيمة عواطفهم أمام قصي إلا أن يطلقوا ألسنتهم وعيروه بأنه دخيل بينهم، وفي بلادهم، فذهب قصي وقد ثارت به الحمية إلى أمه وقال لها: من أنا وإلى من أنتمي، وما هي بلادي إذا كنت أعتبر دخيلاً في بلاد قضاعة؟ فقالت له أمه: أنت من قريش سادة مكة والحرم، وقريش هي التي تتبوأ أشرف مقام، وأعلى منزلة بين القبائل العربية قاطبة، فما برح قصي أن رحل قاصداً بلاده ممتلئاً بالفخر والعظمة، وعندما وصل مكة رأى بها ما يسخن عينه ويحمله على أن يطأطأ رأسه خجلاً، ووجد من بقي بها من قريش واقعين تحت الاستعباد الفضيع لخزاعة وقد شملتهم، وضربت عليهم الذلة والمسكنة، فأخذ قصي يدير فكره ويجمع أمره على تجميع قريش واستعادة مجدها وسيادتها على مكة والحرم، فرأى أن يمتزج قبل كل شيء بخزاعة مؤقتاً فتزوج منهم بابنة جليل الخزاعي، فاطمأنت إليه خزاعة واعتبروه كواحد منهم، وانتهز في يوم عيد من أعيادهم الخروج مع أبي غبشان القائم بسدانة الكعبة كما تذكر بعض الروايات، فخرجا إلى بعض أطراف مكة وكان أبو غبشان سكيراً مدمناً شرب الخمر، فشرب خمراً معتقة كان قصي قد أعدها لمنادمته، فلما سكر وكانت معه مفاتيح الكعبة. قال له قصي: أتبيعني مفاتيح الكعبة بزق من هذه الخمر؟ فقال: نعم، فباعه إياها وأشهد عليه قصي، وتسلم منه المفاتيح، ثم صاح في قريش قائلاً لهم: هاهي مفاتيح البيت قد أعادها الله إليكم، فأتت إليه قريش من كل ناحية والتفوا حوله لحرب خزاعة وإجلائهم عن مكة، وقد تردد المثل حول هذه الصفقة الخاسرة التي استبدل بها أبو غبشان مفاتيح الكعبة هذه بخمر فيقال: «أخسر صفقة من أبي غبشان»، وقد كان في إجلاء خزاعة عن مكة واستعادة قريش مجدها وسيادتها وكان في ذلك كل ما وقع من التأسيسات التي قام بها قصي لتكوين الكيان القرشي وهو عبارة عن بناء دار الندوة والسدانة والرفادة والسقاية واللواء.

فهذه التأسيسات كلها قد كانت الدعامة الكبرى التي لمت شعث قريش وعليها قام تكوين الرهط العظيم للنبي صلى الله عليه وآله وسلم عندما بعث بالرسالة الإسلامية الخالدة.

هذا ما علق به السيد محمد المذكور لبيان المفاضلة والتفاوت الكبير بين مركز بسمارك الغرب ومركز قصي في تاريخ العالم الإسلامي وتاريخ نبي الإسلام سيدنا محمد عليه أفضل الصلاة والسلام وآله وصحبه وسلم.

ولطالما بقي يرن في أذني تعليق السيد محمد الشواشي هذا، وكم كان يدفعني ذلك لمطالبة المختصين المجيدين في تأليف الروايات المسرحية أن يتصدوا لكتابة رواية حول قصة حياة قصي بن كلاب وما تحويه، وأود أن يكون عنوانها: (يوم النضال وما أدراك ما يوم النضال).

وأما سلسة النسب بين عدنان وسيدنا إبراهيم فقد ذكر علماء النسب وقوع الاختلاف والاضطراب فيها، فمن مكثر في عدد الآباء، ومن مقل، ومن متوسط، ولا يصح في ذلك شيء يعتمد عليه، ويكفي في ذلك ما ثبت عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وهو قوله بعد أن ساق نسبه الشريف إلى معد بن عدنان: «كذب النسابون ، كذب النسابون ، كذب النسابون».

وأدركت في هذه اللحظة أن صاحبي يعمل على تشويه الحقائق والاستهتار بمعتبرات ومقاييس منطق المعقول و المنقول، ويريد الخلط بين ما هو على أقوى جانب من الصحة وهو النسب الشريف فيما بين رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وعدنان الذي ليس من السهل المساس به ولا التطاول للقدح في صحته، وبين ما لا يصح فيه شيء يمكن التعويل عليه وهو سلسلة النسب فيما بين عدنان وسيدنا إبراهيم.

وأدركت أيضاً أن صاحبي - أصلحه الله - ليس لديه الإلمام الواعي ولا الإطلاع الكافي بما لعلماء النسب من تحريات وتدقيقات في هذا العلم سواء ما يوجد في مشجرات الأنساب أم كتب المباحث الموضوعة في هذا العلم الذي له قواعده وضوابطه وطريقة سبر أغواره، ورأيته يقتصر في البحث والمناقشة على ما وقع بصره في كتب التراجم والتواريخ فحسب.

وفي نهاية المطاف في هذه المناقشة معه أردف قائلاً: إنه يكثر عندما يسوق أصحاب المناقب والتراجم والتواريخ ذكر أنساب بعض العلماء المشاهير وجود فجوات وقفزات في عمود النسب الشيء الذي يدل على عدم الضبط و على وقوع الاختلال و يؤدي إلى سقوط الثقة و التعويل على التسليم بصحتها.

وأقول للرد على ذكر أن ما يقع أحياناً من هذا القبيل في كتب المناقب والتواريخ إنما هو من باب الاكتفاء وهو الاقتصار على سرد بعض الآباء في سلسلة النسب اعتماداً على الشهرة.

على أن هذه الفجوات والقفزات التي يشير إليها لا توجد في المشجرات.

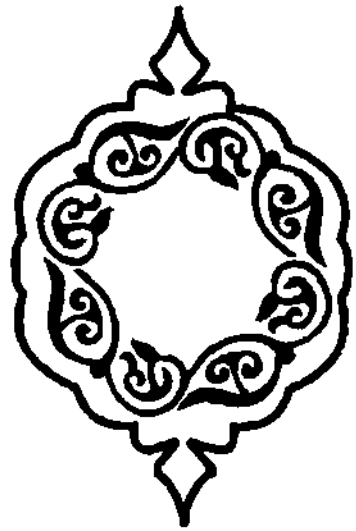
وكأنه يجهل أنه قد بلغ التحقيق والتحري في هذه المشجرات أنهم أي علماء النسب يرمزون بحرف (ض) للمنقرض وهو من لم يعقب، وبحرف (ض ب) لمن أعقب إناثاً، وبحرف (ج) للمندرج وهو من مات في حياة أبيه وبكلمة (في صح) لمن يكون نسبه تحت البحث والتمحيص، أي أنه لم يتم ثبوته علمياً، وليكن هذا آخر ما نثبته في هذه العجالة للتعليق على محاولات ومداورات المستشرقين للغض من قيمة علم النسب، ثم للتتميم والعبرة والاستبصار فيما يتجلى من موقف صاحبنا الذي كان يحاول الحط والتهوين، وإسقاط الثقة بعلم النسب، حتى ولو كان ذلك يحمله عليه ويدفعه إليه التعنت والإسراف في الخصومة، ويبلغ به إلى حد الإغارة والتسور والتطاول على مقام النسب الشريف لسيدنا محمد صلى الله عليه وعلى آله وسلم المجمع عليه عند أئمة وعلماء الإسلام، وهو فيما بينه صلى الله عليه وآله وسلم وبين عدنان مجمع عليه إجماعاً ثابتاً قاطعاً لألسنة المتخرصين والضالين المضلين.

وختاماً نبتهل إلى الله سبحانه وتعالى أن يجعلنا ممن يرى سبيل الرشد فيتخذه سبيلاً ويتنكب مسالك الغي فلا يتخذها سبيلاً، ويرينا الحق ويرزقنا اتباعه ويرينا الباطل باطلاً ويرزقنا اجتنابه، ونعوذ به أن يشتبه علينا فنتبع الهوى، إنه سبحانه وتعالى ولي ذلك والقادر عليه، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم، وهو حسبنا ونعم الوكيل، والحمد لله رب العالمين أولاً وآخراً وصلى الله وسلم على سيدنا محمد وآله وصحبه أجمعين.

قد تم بحمد الله وعونه تحرير هذه التعليقة المباركة إن شاء الله تعالى التي تعتبر تتميماً وتكميلاً وإلحاقاً وتذييلاً لكتابنا (الشواهد الجلية المفصحة عن مدى الخلف في القاعدة الخلدونية).

وكان ذلك الإتمام في خلال شهر رمضان المعظم سنة ١٣٩٦هـ ست وتسعين وثلاثمائة وألف هجرية الموافق سبتمبر سنة ١٩٧٦م وتمت مقابلة هذه النسخة واستنساخها بخط الفقير إلى عفو الله القريب المجيب: عبد الرحمن بن حسين بن عبدالرحمن الخطيب.





المحتويات

الموضوع..	الصفحة
ترجمة موجزة عن حياة المؤلف	٥
نحو المدخل إلى التاريخ الحضرمي	١٣
استدراكات وتحريات على تاريخ حضرموت	٥٧
تفنيد مزاعم الشيخ صلاح البكري في تحككه بنسب الإمام أحمد بن عيسى النقيب العلوي البصري	١٠٥
الحياة الثقافية والمذهبية بحضرموت منذ وقبل قدوم الإمام المهاجر	١٢٧
تذكرة الباحث المحتاط في شئون وتاريخ الرباط	١٤٩
جلاء الحقائق وتمحيص النقل حول ما أورده مؤلف صلة الأهل في الترجمة لفضل بن محمد والد الإمام سالم بن فضل	١٨٩
لمحة من زاوية التاريخ الحضرمي	٢٤٥
الفرائد في قيد الأوابد وإلحاق الشوارد حول المزارات والزيارات بوادي حضرموت	٢٦٩
نقاش وتمحيص وتنقيب عن حقيقة الملقب بـ(النفاط)	٢٧٩
الشواهد الجلية في نقض القاعدة الخلدونية	٢٩٩
تعليقة مفكر متحير	٣٦١
المحتويات	٣٧٥



- نحو المدخل إلى التاريخ الحضرمي
- استدراكات وتحريات على تاريخ حضرموت
- تنفيذ مزاعم الشيخ صلاح البكري في تحككه بنسب الإمام أحمد بن عيسى النقيب العلوي البصري
- الحياة الثقافية والمذهبية بحضرموت منذ وقبل قدوم الإمام المهاجر
- تذكرة الباحث المحتاط في شئون وتاريخ الرباط
- جلاء الحقائق وتمحيص النقل حول ما أورده مؤلف صلة الأهل في الترجمة لفضل بن محمد والد الإمام سالم بن فضل
- لمحة من زاوية التاريخ الحضرمي
- الفرائد في قيد الأوابد وإلحاق الشوارد حول المزارات والزيارات بوادي حضرموت
- نقاش وتمحيص وتنقيب عن حقيقة الملقب بـ(النفاط)
- الشواهد الجلية في نقض القاعدة الخلدونية.
- تعليقة مفكر متحير

توزيع
مكتبة تريم الحديثة
تريم - حضرموت
هاتف: ٤١٧١٣٠ - ص . ب: ٥٨٠٢٣
الجمهورية اليمنية